

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سلسلة وثائق الإسلام - ٧

الوثائق السياسية والإدارية

في

الأندلس وشمال إفريقيا

٦٤ - ٨٩٧ هـ • ٦٨٣ - ١٤٩٢ م

« دراسة ونصوص »

تأليف

محمد ماهر حمادة

دكتور في علوم المكتبات

أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
السلطنة الله الفردوس

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سلسلة وثائق الإسلام

٧

الوثائق السياسية والإدارية

في

الأندلس وشمال إفريقيا

٦٤-١٨٩٧ هـ • ٦٨٣-١٤٩٢ م

« دراسة ونصوص »

تأليف

محمد ماهر حمادة

دكتور في علم المكتبات

استاذ في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ بوشران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

استدلال

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ادخل الله تعالى بدعوته الإنسانية إلى النور وأخرجها من الظلمات ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن المؤلف ، في الوقت الذي يقدم فيه إلى القراء الاعزاء كتاب : الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا . يشكر الله جلّت قدرته على أن فسح في أجله وأمدّه بسبب من عنده حتى تمكن من إنجاز سلسلة الوثائق الإسلامية التي أخذ المؤلف على نفسه جمعها ودراستها ونشرها لتكمل الاستفادة فيها . والواقع لقد انجز المؤلف الكتاب الأول من هذه السلسلة سنة ١٩٧٠ م ، والآن ينتهي من إنجاز آخر حلقات هذه السلسلة الذي هو الجزء السابع . وإن الذي أمدّه بقوته وامتعه بعافيته وجعله يشاهد صدور الجزء الأول من هذه السلسلة قادر على أن يكمل نعمته عليه ويريه بقية الأجزاء وقد صدرت واستفاد منها البحاثة والدارسون ، إنه على كل شيء قدير لارب سواه .

والمؤلف يتوجه بالشكر ، بعد أن أدى حق الشكر لمولاه ، إلى جميع من ساعدوه في إنجاز هذا المشروع الذي يرجو أن ينفع الله به ، وأن يجعله

خالصاً لوجهه الكريم ، والله من وراء القصد . ونية المرء خير من عمله .
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وصحبه وسلم .

دمشق في : ١٢ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ

٢٠ نيسان ١٩٧٨ م

محمد ماهر حمادة

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فصل تمهيدي

المدخل إلى الوثائق — دراسة وتعريف

للتاريخ الأندلسي مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي ، ذلك ان الأندلس هي الفردوس المفقود بالنسبة للمسلمين ، وبلغت حضارة الإسلام في تلك البقعة من الأرض درجة عالية جداً من التطور والسمو ، وكانت الأندلس ، مع صقلية ، البوابة الرئيسية التي انتقل عبرها الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، وكانت من أكبر العوامل في إيقاظ أوروبا ونقلها من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة . وبالنسبة للمسلمين فإن التاريخ الأندلسي دليل حي على حيوية الإسلام وعظمته وقدرته على العطاء غير المحدود ، وعلى زعته الإنسانية العالمية التي تتجاوز الحدود من أجل العقيدة ونشرها ، ونشر الحب والحق والعدل بين أعداد متزايدة من بني البشر . وإن بأساة إنبهار الحكم والوجود الإسلامي في الأندلس يثير في نفوسنا حتى الآن أسى عميقاً على ما أصاب ذلك القطر من آلام وانفصال عن العالم الإسلامي ، وأسى أعمق على ما أصاب المسلمين من اضطهاد وقتل وتشريد وتعذيب ، والذي يزيد في ألنا نحن هو الموقف المناقض لموقف الإسلام في الأندلس الذي تمثّل في محاولة جادة لاستئصال الإسلام كدين وكحضارة من شبه الجزيرة الإيبيرية ، واستئصال المسلمين كأفراد وكمجتمع له شخصيته المتميزة وكيانه في تلك البقعة من الأرض . وإن تسامح الإسلام العظيم في تلك البقعة قوبل بأشد وأعنف

موجات الاضطهاد والتعصب من قبل الاسبان . وإن الموازنة بين حال إسبانيا الإسلامية إبان ازدهار الحكم الإسلامي فيها ، وحالتها بعد إخراج المسلمين منها يكشف عن الهوة السحيقة التي انحدرت إليها إسبانيا ، فكرياً وسياسياً وحضارياً ، وذلك بعد أقل من قرنين من إنهاء حكم المسلمين فيها . وإن تدهور إسبانيا هذا يعزى بالدرجة الأولى إلى الحكم التعصب الأعمى الذي استهدف القضاء على كل آثار المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية . وقد نجح الإسبان المتعصبون في ذلك ، ولكن إسبانيا دفعت ثمناً رهيباً لهذا النجاح تمثل في تدهور أحوال إسبانيا وتقهقرها إلى الوراء في كل المجالات - بعد فترة من الازدهار الموقت السطحي - هذا التدهور الذي ظل مرافقاً لها حتى أواخر القرن التاسع عشر .

وإن الكلام عن التاريخ الإسلامي في الأندلس يقودنا ، بطبيعة الحال ، للكلام عن الشمال الأفريقي .

ولقد ارتبط مصير إسبانيا الإسلامية بمصير شمالي إفريقية ، وبخاصة المغرب الأقصى ، كما يسمى أيضاً ، مراكش ، ارتباطاً عضوياً مصيرياً . فلم يكن من الممكن أن يفكر المسلمون بتحرير الأندلس قبل تحرير شمالي إفريقية بكامله . فلما تم لهم تحرير شمالي إفريقية تحريراً تاماً شاملاً نهائياً بدأوا يتطلعون لتحرير الأندلس وجعلها دار إسلام ، وإن دواعي تحرير الأندلس هي دواعي تحرير غيرها من الأقطار التي حررها الإسلام ، يضاف إليها دافع استراتيجي هام ، ذلك أن مضيق جبل طارق الفاصل بين المغرب الأقصى والأندلس ليس حاجزاً لا يمكن اجتيازه ، وقد أثبتت الأحداث والأيام صحة نظرية المسلمين في الدفاع عن شمالي إفريقية ، ذلك أن المنطقة التي يمكن أن يأتي الخطر منها إلى شمالي إفريقية ، وبخاصة المغرب الأقصى ، هي الأندلس ، ولذلك فأفضل خطة لحماية هذه المنطقة والدفاع عنها هو احتلال المنطقة التي

يتوقع قدوم الخطر منها، وقد انتبه لهذه الحقيقة سكان قرطاجة القدماء ، الذين احتلوا قسماً من إسبانيا لأغراض دفاعية ، إلى جانب الأغراض الأخرى . كما وأن الأحداث أثبتت أن سقوط الأندلس بيد الإسبان كان خطراً ماحقاً هدد المغرب الأقصى بخاصة ، والشمال الإفريقي بعامة ، وظل هذا الخطر يتزايد حتى القرن التاسع عشر والقرن العشرين عندما تمكنت الدولتان المستعمرتان فرنسا وإسبانيا من احتلال تونس والجزائر ومراكش والصحراء المغربية ، ولم يتم تحرير هذه الأقطار من الاستعمارين إلا مؤخراً وبعد حروب أشبه بالملاحم .

هذا التلازم العضوي المصري بين الأندلس والمغرب الأقصى نتج عنه وحدة التاريخ بينهما ، وإن الجهود المستميتة التي بذلها بشكل خاص سكان المغرب الأقصى في نصرة إخوانهم مسلمي الأندلس كانت السبب الرئيسي في إطالة بقاء المسلمين في الجزيرة هذه الفترة الطويلة ، والواقع بذل سكان شمالي إفريقية جهوداً رائعة جبارة في نصرة إخوانهم الأندلسيين بدافع الأخوة الدينية أولاً وبدافع المصلحة المشتركة ثانياً ، ولذلك لا يمكن فهم تاريخ الأندلس دون فهم تاريخ شمالي أفريقية والمغرب الأقصى على الخصوص ، ذلك أننا نجد أحداث التاريخ الأندلسي منعكسة كل الانعكاس في تاريخ الشمال الإفريقي ، والعكس أيضاً صحيح كل الصحة فكل قوة أحرزتها الأندلس كانت قوة للمغرب ، وكل تقدم أحرزه المغرب نجد صده في الأندلس بارزاً كل البروز . وكل نكسة حصلت هنا أو هناك خلفت آثاراً ملموسة في الجانب الآخر . ولذلك سنبحث هنا بإيجاز كل ما يتعلق بتاريخ المنطقة ككل حسب ماتوحي به الوثائق المتوفرة دون تمييز .

أدوار التاريخ الأندلسي :

لستنا من أنصار تقسيم المجرى التاريخي الانساني الى أدوار ، كما صرحنا بذلك في عدد من كتبنا السابقة ، ولكن هناك أحداثاً معينة بارزة في تاريخ كل شعب وكل قطر ، تحمل سمات خاصة وتركت آثاراً خاصة يحسن أخذها بعين الاعتبار . ذلك لأن المجرى التاريخي عبارة عن جدول رزاق مستمر يتعرض للغزارة أحياناً وللقلة أحياناً أخرى حتى يكاد يصل إلى درجة الجفاف . ولذلك عند تقسيم هذا الجدول التاريخي الى مراحل ، يجب الانتباه إلى جميع المؤثرات والقوى التي أثرت في ذلك الجدول ، سلباً وإيجاباً . ويجب ألا يغيب عن البال أن مثل هذا التقسيم اصطناعي هدفه تسهيل البحث والدرس وأن العوامل المؤثرة في التاريخ متداخلة متراكبة ، ومن الصعب فصلها عن بعضها ، وأن كثيراً من الشخصيات والأحداث والظروف تلعب دوراً ما في سير التاريخ .

بعد هذا الاحتياط الذي لا بد منه نذكر أن التاريخ الأندلسي - ونستعمل هذا الاصطلاح هنا للدلالة على تاريخ الأندلس في عهد المسلمين منذ ضمها إلى جسم البلاد الإسلامية حتى سقوط آخر معقل من معاقل بيد الاسبان ، يضاف الى ذلك تاريخ شمالي إفريقية ، وبخاصة المغرب الأقصى في نفس الفترة - يقسم إلى أدوار بارزة حسب المؤثرات والأحداث .

١ - الدور الأول زمن بني أمية ، ويمتد هذا الدور من تاريخ تحرير الشمال الافريقي والأندلسي حتى سنة ١٣٨ هـ .

٢ - الدور الأموي الذي بدأ بتأسيس دولة أموية منفصلة عن جسم الدولة الإسلامية بعد سقوط الأمويين وحلول العباسيين محلهم بعد سنة ١٣٢ هـ . وقد تم تأسيس الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨ هـ وافتتح العهد بعبد الرحمن الداخل .

كما وأنه تأسست بعد فترة بسيطة دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وأسسها إدريس الأول العلوي وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ودخلت في صراع مع الأمويين حتى تمكن الحكم المستنصر من القضاء عليها .

وفي زمن هارون الرشيد تأسست دولة الأغابة التي أسسها ابراهيم بن الأغلب ولعبت دوراً مهماً جداً في نشر الاسلام في صقلية وجنوبي ايطاليا وظلت في الوجود حتى قضى عليها الفاطميون لما أسسوا دولتهم في تونس . كذلك نبتت الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى أو تونس وتأسست سنة ٢٩٥ هـ على يد أبي عبد الله الشيعي وحاولت التوسع غرباً وشرقاً حتى تمكن أحد خلفائها المعز لدين الله من احتلال مصر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

ويقسم هذا الدور ، في الأندلس ، الى قسمين : الأول عهد الأمراء الأمويين الذي يمتد حتى سنة ٣١٦ هـ . والثاني عهد الخلفاء الأمويين الذي افتتحه عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٦ هـ عندما أعلن نفسه خليفة واستمر حتى سنة ٤٢٢ هـ . ٣- عهد ملوك الطوائف الذي بدأ سنة ٤٢٢ هـ و انتهى بحدود سنة ٤٨٦ هـ ، وذلك عندما سقطت الخلافة الأموية وتقسمت الأندلس الى عدد كبير من الدويلات الهزيلة أخذت اسم دول الطوائف .

٤- عهد المرابطين الذي بدأ سنة ٤٥٣ هـ في المغرب الأوسط ثم شمل المغرب الأقصى والأندلس واستمر حتى منتصف القرن السادس الهجري ، وهو العهد الذي ضم الأندلس ومراكش والجزائر تحت حكم مركزي واحد مركزه المغرب الأقصى .

٥- عهد الموحدين الذي قام على أنقاض عهد المرابطين واستمر حتى منتصف القرن السابع الهجري وشمل الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط .

٦- مملكة غرناطة وهي قسم ضئيل من الأندلس بقي تحت حكم إسلامي بعد سقوط القسم الأكبر من الأندلس بيد الاسبان وظلت هذه المملكة في الحياة حتى سنة ١٨٩٧ هـ عندما احتلها الاسبان .

٧- العهد المريني في المغرب الأقصى والعهد الحفصي في المغرب الأدنى . ونعود فنذكر بأن هذا التقسيم اصطناعي وأن لحدود بين عهد وعهد وأن كثيراً من اليهود تمتد جذورها في عهود سابقة ، وتستمر تأثيراتها في عهود لاحقة .

مصادر التاريخ والوثائق الأندلسية :

هناك غزارة وتنوع في مصادر التاريخ الأندلسي . وقد وجد كتاب ومؤلفون تخصصوا في التاريخ الأندلسي وشمال أفريقيا إما بشكل عام أو حسب عصر من العصور . أما الوثائق الأصلية فقد وجد عدد قليل منها ، ولكن ليس في خزائن المسلمين ، وإنما في بعض الكنائس والأديرة الإسبانية ، ذلك أن الجهل والتمزق الذي ران على المسلمين حتى مطالع العصور الحديثة جعل من الصعب جداً ، إن لم يكن من المستحيل ، حفظ مثل هذه المواد . ويحتاج الأمر إلى بحث عميق وشامل ومضني في مختلف المظان للكشف عن مثل هذه الوثائق في أرجاء العالم العربي وبخاصة في المغرب الأقصى ، على حين أن التعصب المسيحي الإسباني الذي رافق عملية إنهاء حكم المسلمين في الأندلس وتلاها في فترة طويلة مسؤول عن زوال القسم الأكبر لتراث العرب الفكري المخطوط في شبه الجزيرة الإيبيرية .

هذا ، ويستمد المؤرخ والوثقي ، بشكل عام ، معلوماته عن الأندلس وشمال أفريقيا ، من مصادر ثلاثة :

١ - المصادر التاريخية الإسلامية العامة التي تقص حوادث المنطقة على اعتبارها إحدى مناطق العالم الاسلامي ، وأحداثها أحداث قسم من العالم الاسلامي . وهذا النوع لا يصرف إلا اهتماماً ضئيلاً إلى المنطقة ، إذ إن اهتمام المؤرخين المسلمين ، ولاسيما سكان سورية والعراق وماوراءها كان موجهاً إلى مركز الخلافة العباسية ، ولذلك فالمعلومات التي تقدمها هذه المصادر معلومات سطحية جزئية لاتنفع غلة ولا تبل صدى . فالطبري العظيم الذي يروي أدق التفاصيل في تاريخه عن أحداث العراق والقسم الشرقي من الامبراطورية الاسلامية لا يذكر إلا لمحة خاطفة قصيرة عن معركة بلاط الشهداء واستشهاد عبد الرحمن الغافقي . وعلى الرغم من أننا نجد اهتماماً أكبر بأحداث المنطقة لدى المؤرخين المتأخرين أمثال ابن الأثير وابن كثير ، إلا أن الصورة بشكل عام تظل قريبة مما كانت عليه في السابق .

٢ - المصادر الاسلامية المتخصصة التي تخصصت في قص سيرة وتاريخ المنطقة أو في سرد تاريخ قطر من أقطار المنطقة أو سلالة من السلالات أو حركة من الحركات . ولعل كتاب المقري العظيم نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب من أشمل الكتب التي تقص سيرة المسلمين في الأندلس من تاريخ فتحها حتى بعد إخراجهم منها : إذ يقص المؤلف أحداث مايقارب الثمان مئة سنة . وقد اعتمد المؤلف على كتب سابقة في تأليف كتابه ، وهو يذكر مصادره ، وبعضها معروف . كما وأنه معجب كل الاعجاب بالوزير الأندلسي الفرناطي الشهير لسان الدين بن الخطيب ، فخصص جزءاً كبيراً من كتابه لدراسة وسرد أعمال وحياة هذا الوزير . وقد رسم المقري في كتابه هذا للأندلس صورة خلافة رائعة ، وصورها فردوساً مفقوداً وأبرز عظمتها ودورها الحضاري العظيم الذي قامت به . ويهتم في كتابه بالأدب والشعر

والمعمران ، والفن وبكل القيم الانسانية ، ولا يجعل النواحي السياسية تطفئ على النواحي الحضارية ، بل العكس هو الصحيح ، ويترجم للبارزين في كل فن ، ويوضح توضيحاً تاماً الصلة العضوية بين الأندلس والمغرب بحيث يكاد يلمس القارئ اس اليد الدور الخطير الذي لعبه المغرب الأقصى في الدفاع عن الأندلس ونصرتها . كما وأن المؤلف يورد عدداً لا بأس به من الوثائق فائقة الأهمية والتي تلقي ضوءاً على تاريخ الأندلس وعلاقتها بشمال إفريقيا . وعلى الرغم من أن الكتاب ألف بعد خروج المسلمين من الأندلس بأكثر من سبعين عاماً إلا أن ذلك لا يقلل من أهميته لصدق المؤلف وحيويته وأصالته واعتماده على المصادر الأصلية بحيث يمكن اعتباره بسهولة مصدراً رئيسياً ، وهو مطبوع ومحقق وله عدة طبعات وقام بتحقيقه عدد من المحققين ، كما قام بدراسته عدد من الدارسين .

وأن ابن خلدون في كتابه الشهير : العبر ... قد خصص حيزاً جيداً لتاريخ الأندلس وشمال إفريقيا باعتباره من أبناء المنطقة ، ولكن الملاحظ أن معالجته للتاريخ الأندلسي لا تمتاز بشيء ذي سمة مميزة ، بل هو عادي في معالجته تاريخ تلك المنطقة من العالم الاسلامي . وإنما اكتسب كتابه أهميته بسبب مقدمته التي وضعها لعلم التاريخ ، ثم من سرده لتاريخ البربر في شمال إفريقيا والأندلس وما قاموا به من أحداث وما أسسوه من دول ، فهو ، بهذا الاعتبار ، مصدر لحياة البربر وأعمالهم ودولهم في شمال إفريقيا . وإذا عرفنا أن البربر لعبوا دوراً فائق الأهمية في تاريخ إسبانية الاسلامية - سلباً وإيجاباً - أمكننا تقدير أهمية تاريخ ابن خلدون من هذه الزاوية . أما الوثائق التي يوردها فهي قليلة بل نادرة ، إلى جانب معالجته لموضوعاته معالجة تقليدية ليس فيها تلك الأصالة التي يتمنى المرء لو يراها لديه .

وإنما نسبة الكلام عن ابن الخطيب الذي كان سياسياً لامعاً وكاتباً من أكبر كتاب إسبانيا الإسلامية فإننا نقول إن هذا السياسي الداهية كان مؤلفاً خصب الإنتاج متعدد الجوانب ألف في كثير من الموضوعات ومن جملة التاريخ والتراجم . وقد ألف كتاباً أسماه أعمال الأعلام فيمن بوسع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . وقد خصصه للعالم الإسلامي ، ولكن تركيزه على الأندلس وشمال إفريقيا . ولا يزال قسم من هذا الكتاب مخطوطاً على حين نشر ليبي بروفسال القسم المتعلق بتاريخ الأندلس تحت اسم : تاريخ إسبانيا الإسلامية . وهو تاريخ جيد يبحث في الأمراء والحكام والخلفاء الذين تعاقبوا على حكم مختلف مناطق الأندلس حتى عهده (أواسط القرن الثامن الهجري) . كما وأن اثنين من مؤرخي المغرب الأقصى هما العبادي والكتاني نشر القسم المتعلق بشمال إفريقيا من هذا الكتاب تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط . وهو يغطي نفس الفترة فيما يتعلق بشمال إفريقيا . ويرد في هذا الكتاب وثائق مهمة كل الأهمية تساعد المؤرخ والباحث على إصدار الأحكام بدقة واطمئنان . هذا وإن ابن الخطيب رئيس مدرسة خاصة في أسلوب النثر العربي يمتاز بالسجع واستخدام المحسنات البديعية بشكل مفرط ، ولكن بشكل رشيق وعندما يقص الأحداث القريبة من عهده فهو يقصها بقلم أستاذ متمكن من مادته ونفسه ، ويمكن الاطمئنان إلى أحكامه إلى حد كبير .

وهناك كتاب هام كل الأهمية ألفه أمير من أمراء ملوك الطوائف هو الأمير عبد الله من آل زيري الذي كان حاكم غرناطة في الفترة التي سبقت ورافقت احتلال المرابطين للأندلس وخلفه المرابطون ونفوه إلى شمال إفريقيا لما احتلوا عاصمته غرناطة . يقص هذا الكتاب أحداث هذه الفترة . وقد سرد مؤلفه بشكل مذكرات شخصية مما دعا ليبي

بروفنسال الى نشره تحت اسم مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة . وهو يحمل انطباعاته عن تلك الفترة وماحدث وماجرى له ولغيره على الساحة الأندلسية . أما أسلوبه فعمادي واهتمامه بالوثائق قليل ، وهو يسمي كتابه : القبيان .

أما الكتاب العظيم في تاريخ الأندلس والذي لايزال قسم كبير منه مخطوطاً ، ولم ينشر منه الا أجزاء ضئيلة فهو كتاب ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم ، الذي ألفه وسماه المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، وهو كتاب مفصل كل التفصيل موثوق كل الثقة ، وثقي من الطراز الممتاز اذ يحوي عدداً كبيراً جداً من الوثائق الهامة المفردة . وقد نشر قسماً ضئيلاً منه أحدهما عن حكم عبد الرحمن الأوسط والثاني عن فترة قصيرة من حكم الحكم المستنصر بالله . وتدل الأقسام التي نشرت على شخصية المؤلف وأسلوبه واهتماماته أحسن دلالة ، فهو شامل في نظراته ، وهو موثوق كل الثقة ، وهو يهتم بكل صغيرة وكبيرة ، ولا سيما فيما يتعلق بالعلاقات السياسية والوفود والجروب وماشا كل . وهو يدعم أقواله بوثائق تثبت مايقول ، الى جانب أنه مفصل كل التفصيل . والأمل كبير أن يتم نشر المخطوط بكامله نشرأ علمياً محققاً حتى تتم الفائدة منه .

كذلك هناك كتاب مجهول المؤلف اسمه أخبار مجموعة في فتح الأندلس . وعلى الرغم من عدم معرفتنا بشكل يقيني ثابت شخصية المؤلف واسمه ، الا أن المعلومات التي جواها هذا الكتاب معلومات جيدة واسعة موثوقة وتدل على حس تاريخي منتظم .

ولعل أقدم كتاب يقص سيرة فتح الأندلس هو كتاب ابن القوطية المسمى تاريخ افتتاح الأندلس ويعتبر هذا الكتاب ، من بعض الوجوه أقدم تاريخ لفتح الأندلس وربما أوثقها .

وهناك كتب مشتركة بين المغرب والأندلس تقص سيرة البلدين معاً .
ولعل أهمها الكتب التالية: المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن
عذاري ، وهو كتاب جيد موثوق يقص سيرة وتاريخ البلدين حتى أواخر
القرن الخامس الهجري وأوائل السادس ، وقد حقق أقساماً منه ليفي
بروفنسال واكتشف قسماً ضائعاً منه . وقد سد هذا الكتاب ثغرة في
الدراسات المغربية والأندلسية ، وهو مهم خاصة من أجل حركة المرابطين
وعلاقتها بالأندلس . أما الوثائق الواردة فيه فقليلة . وإذا ذكرنا الموحدين
الذين ورثوا المرابطين وبنوا دولتهم على أنقاضهم لاحظنا وجود عدد من
المصادر الأصلية التي تقص سيرتهم وتاريخهم ، الى جانب تواريخ غيرهم ،
كما فعل المراكشي في كتابه : المهجب في تلخيص أخبار المغرب ، اذ
يلخص تاريخ المنطقة ويركز على الموحدين لأنه ألف الكتاب في عهد
أوائلهم ، ولذلك فهو موثوق فيما يتعلق بالفترة التي يسردها ، ووثاقه ليست
كثيرة . كما وأن هناك مصادر تخصصت بالموحدين مثل كتاب المن بالامامة
على المستضعفين . الذي ألفه ابن صاحب الصلاة عن الحركة الموحدية
وقيامها زمن المهدي وعبد المؤمن وأبي يعقوب . وهو كتاب مفصل ينظر
الى التاريخ الموحي من وجهة نظر دينية . وهو مليء بالوثائق المهمة بشكل
رسائل بين ملوك الموحدين وولاتهم في الأندلس حول مختلف المسائل .
ولسوء الحظ لم يصل الى يدنا الا الجزء الثاني من هذا الكتاب الهام .
وهناك كتاب ، أو بالأحرى ، قسم من كتاب خاص بالموحدين ألفه
ابن القطان ، اسمه كتاب نظم الجمان ، وهو يقص سيرة عدد من سنوات
حياة المهدي مؤسس حركة الموحدين ، وفيه وثائق مهمة . ويرد في هذا
الجال كتاب ألفه ابن الأبار اسمه الحلة السراء الذي يقص سيرة تلك
الفترة في كل من الأندلس وشمال أفريقيا ، وهو كتاب تاريخي كما هو

كتاب تراجم ويحوي عدداً من الوثائق المهمة . وختاماً لابد أن نذكر أن هناك عدداً لا بأس به من الوثائق المتعلقة بالأندلس والشمال الإفريقي أتت من كتب الثقافة العامة والوثائق العامة التي ذكرناها سابقاً في كتبنا وأهمها كتاب صبيح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ، وكتاب النوري : نهاية الأرب في فنون الأدب . فقد حوى الأول بشكل خاص عدداً من المراسلات بين ملوك مصر من المماليك وبين ملوك غرناطة وملوك الشمال الإفريقي ، وهي مهمة كل الأهمية في كشف طبيعة العلاقات بين الطرفين خلال تلك الفترة من الزمن . ولقد فصلنا القول في هذا النوع من الكتب في مؤلفاتنا السابقة ، فلا يفيد أن نعيد ماسبق أن ذكرناه ، ولكن نقول إن هذه الوثائق التي وردت في صبيح الأعشى بخاصة جيدة وموثوقة ، على الرغم من عدد من الأخطاء التي وردت فيها .

٣- أما النوع الثالث من المصادر التاريخية الهامة فهو كتب التراجم التي تقص سير الشخصيات البارزة في المنطقة ككل أو في قطر معين أو في عصر معين ، أو تقص سيرة فئة من الناس كالقضاة مثلاً . وهذا ولا بد من القول أن أغلب كتب التاريخ التي ذكرناها تخصص حيزاً من محتوياتها للترجمة لمشاهير الرجال في العصر الذي تقص سيرته بشكل وفيات أو أخبار أو غير ذلك . وقد ذكرنا سابقاً كتاب الحلة للسيراء لابن الأبار وقلنا إنه كتاب تاريخ كما وأنه كتاب تراجم .

ولابد من القول إن قسماً من المعلومات عن الأندلس والشمال الإفريقي ترد في كتب التراجم العامة التي ألفها المشارقة ، على الرغم من ضآلتها وعدم شمولها وسطحياتها . ولكن هناك استثناء واحداً من هذا الحكم يتمثل في كتاب وفيات الأعيان ... لابن خلكان الذي حوى أخباراً جيدة جداً وربما فريدة في بابها عن الأندلس والمغرب الأقصى ، وتراجمه

لعدد من مشاهير تلك المنطقة كابن تاشفين والمنصور الموحدي مصدر رئيسي لا يستغني عنه دارس لدراسة حياة وأعصر هؤلاء المشاهير ، بجانب إirاده عدداً من الوثائق الهامة .

وقد ألف الأندلسيون أنفسهم عدداً مهماً من كتب التراجم مدى العصور ، ولكن بعضها مفقود والبعض الآخر نادر إما مخطوط أو مطبوع ولكن المؤلف لم يتمكن من الاطلاع عليه . من أمثال هذه الكتب كتاب ابن بشكوال المسمى باسم الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم . وهو كتاب جيد موثوق يترجم للمشاهير في الأندلس في كل نواحي الحياة . وقد أكمل هذا الكتاب عدد من المؤلفين بعد موت صاحبه وجعلوا له ذيولاً كابن الأبار الذي ألف كتاباً أسماه التكملة لكتاب الصلة سار فيه على منواله وأكمل التراجم حتى عهده ؟ وكأبي جعفر الذي أكمل عمل ابن الأبار فأصدر كتاباً أسماه صلة الصلة . وقد ألف أحمد ابن يحيى الضبي كتاباً جيداً في تراجم رجال الأندلس سماه بغية الملتهم في تاريخ رجال الأندلس حوى عدداً من الوثائق الهامة النادرة . وحذا حذوه الحميدي في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس ولعل أشهر من ترجم لرجال الأندلس ، عدا من ذكرنا ، ثلاثة مؤلفين هم : ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، والفتح بن خاقان في كتابه : قلند العقيان في محاسن الأعيان ، وكتاب : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، ولسان الدين بن الخطيب في كتابه : الإحاطة في أخبار غرناطة . ولسوء حظ المؤلف لم يتمكن من الاطلاع ، من عهد قريب ، على كتب المؤلفين الأوليين على الرغم من أنها مطبوعة . وقد ألف ابن بسام كتابه الذخيرة على منوال كتاب الثعالي يتيمة الدهر ، ليثبت للمشاركة بشكل خاص تفوق أهل الأندلس في كل

الميادين . والكتاب ذو صبغة أدبية فنية . وكذلك الحال في كتب الفتح ابن خاقان المملوءة سجعاً ثقيلاً يصل إلى درجة الاملال . أما الكتاب الذي ألفه لسان الدين بن الخطيب فقد طبع الجزء الأول منه وحققه الأستاذ عنان ، وهو كتاب جيد يقص تاريخ غرناطة من الفتح الاسلامي حتى عهد المؤلف ويقص سيرة أشهر رجالاتها . وهو مؤرخ جيد ومطلع وكان في مركز يمكنه من الاطلاع على الوثائق الأصلية ولذلك حوى كتابه هذا كثيراً من الأخبار النادرة وعدداً لا بأس به من الوثائق المهمة .

ولابد من القول ان قسماً مهماً من المعلومات عن الأندلس وشمالي إفريقيا في تلك الفترة موجودة في كتب الرحالة وكتب الجغرافيا كقاموس البكري ومؤلفات الإدريسي والحلل الموشية والروض المعطار وغيرها ، وبعضها يحوي عدداً لا بأس به من الوثائق .

كذلك لابد من التنبيه إلى أن مصادر معلوماتنا عن المرحلة الأخيرة من حياة غرناطة وسقوطها ومرافق ذلك من مفاوضات ، ومعاهدة التسليم ، وذيولها موجودة في مصادر إسبانية نصرانية بشكل مفصل . إذ ان المصادر العربية المعاصرة لاتعطي كثيراً من التفاصيل عن هذا الحادث المؤلم والخطب الجلل .

هذا بالنسبة لمصادر تاريخ الأندلس والمغرب في تلك الفترة . أما الدراسات الحديثة التي قام بها مؤلفون محدثون عن تلك الفترة بالذات فكثيرة وغزيرة وبعضها جيد . وقد استند أغلب المؤلفين إلى المصادر التي ذكرناها آنفاً . ونحب أن نذكر أن الأوربيين سبقونا إلى دراسة التاريخ الأندلسي دراسة علمية ، ولكن من وجهة نظرهم . فقد درس الاسبانيون في القرن الماضي التاريخ الإسلامي في الأندلس ، واعتمدوا على مصادر لاتينية ومصادر عربية ، ولكن أتت مشوهة نتيجة للتعصب القومي المسيحي

الذي صيغ تلك اللرامسات وأعطى صورة شوهاء عن تلك الفترة من تاريخنا الحضاري . ولعل المؤرخ الهولندي الشهير دوزي هو أول أوربي استطاع أن يأتي بدراسة مفصلة واسعة للإسلام في الأندلس ، معتمداً على المصادر الأورلية العربية واللاتينية والقشتالية ، وذلك في كتابه المسمى تاريخ مسلمي إسبانيا ، وقد نقل الكتاب إلى عدد من اللغات الأوربية ونقل قسماً منه إلى العربية حسن حبشي . وعلى الرغم من ادعاء المؤلف الحياد ، إلا أنه لم يتمكن من أن يتخلص من عواطفه الشخصية ، ولازواسب دينه وعقليته الإستعمارية ، فلمس ذلك واضحاً في ثنايا ما كتب ، وأصبح كتابه قديماً الآن وظهرت دراسات أحدث . ولعل أحدث وأهم من درس تاريخ الأندلس بتفصيل وافٍ شافٍ ، وبشيء من الموضوعية هو الباحث الفرنسي اليهودي المتخصص بتاريخ المسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا ، فقد حقق ونشر عدداً من كتب التراث الأندلسي وألف عدداً من الكتب عن الأندلس نقل أهمها إلى اللغة العربية السيد عبد العزيز سالم . وعلى الرغم من اعتبار الباحثين أبحاث بروفنسال جيدة عميقة رضية ، وعلى الرغم من ادعاءه الحياد العلمي ومحاولته الجادة أن يكون كذلك ، إلا أنه لم ينجح في ذلك إلا بمقدار ضئيل .

ولقد ألفت كتب كثيرة عن تاريخ الأندلس والمغرب ألفها عدد من المؤرخين العرب المعاصرين ، فقد اهتم المغاربة في الآونة الأخيرة بتاريخ بلدهم إبان تلك الحقبة وأصدروا عدداً من الكتب عنها . كما وأن عدداً من المؤرخين تخصصوا في دراسة التاريخ الأندلسي ، ويأتي على رأس هؤلاء الأستاذ محمد عبد الله عنان الذي ألف أفضل ما كتب في العربية عن تاريخ الأندلس من تاريخ افتتاحها حتى سقوطها ، بل وبعيد

سقوطها . وقد اطلع الأستاذ عذان على أغلب كتب التراث مطبوعة ومخطوطة ، واطلع على ما ألف في الانكليزية وغيرها من اللغات في هذا الموضوع ، وارتحل في بلاد المغرب وإسبانيا وإيطاليا في سبيل جمع المادة ، فأنت كتبه ثمرة جيدة جداً لجهود فائقة بذلت في سبيل جلاء هذه الحقبة من تاريخنا الاسلامي . وقد زود كتبه بعدد مهم جداً من الوثائق البالغة الأهمية ، وذكر ، في أغلب الأحيان ، المصادر التي استقى منها هذه الوثائق ، ولذلك أنت كتبه تحفأ فنية تاريخية وثقافية وسدت فراغاً في حقل الدراسات الاسلامية الأندلسية . ولقد بدأ الاستاذ حسين مؤنس بداية جيدة في حقل الدراسات الأندلسية وذلك في كتابه **فجر الأندلس** ، ولكن هذا الكتاب خلا أو كاد من الوثائق ، ولم يتبعه بغيره لتمكن من الحكم له أو عليه وتقويمه تقويماً موضوعياً .

هذا وأن الباحث السوري الكبير الاسلامي المرحوم الأمير شكيب أرسلان اهتم بالأندلس إهتماماً فائقاً وارتحل إليها وألف عنها كتاباً لا بأس به اعتمد في تأليفه على مصادر أصلية وعلى مؤلفات فرنسية ، ولكنه اهتم بالآثار الباقية ووصفها أكثر من اهتمامه بالتاريخ وتقصيه ، وله فضل نشر وثائق بالغة الأهمية أرسلها له أحد أصدقائه من المغرب ، وهي رسائل أرسلها ملوك غرناطة الى ملوك أراغون ، وهي تكشف عن مدى وطبيعة العلاقات السياسية التي سادت بين الطرفين إبان تلك الفترة .

ولابد لنا في الأخير ، من أن نذكر بما سبق أن ذكرناه في كتبنا السابقة ، من أننا نعرض الوثائق هنا على مسؤولية أصحابها ، وأتينا نقدم نصوصها وأماكن وجودها للباحثين ، آمليين أن يتكروا بدراساتها ونقدها وتحصيلها وبيان صدقها من زيفها . ذلك أن مهمتنا هنا أن نقدم مادة التاريخ التي هي الوثائق مصنفة مرتبة ليصار إلى دراستها من قبل الدارسين

ولقد اتبعنا في عرض الوثائق الطريقة التي اتبعناها سابقاً في عرض الوثائق في كتبنا السابقة ، فنأتي بذكر الوثيقة تحت اسم الملك أو الأمير الحاكم أو الخليفة الذي صدرت هذه الوثيقة في عهده ، ونصدرها بنبذة توضح مضمونها ونوعها ، ما إذا كانت رسالة أم عهداً أم خطبة ... ونذكر الأطراف المعنية بها ، والمناسبة ونوعها وتاريخها إن أمكن ذلك . ثم بعد ذلك نذكر المصدر الذي أخذنا منه نص الوثيقة واسم المؤلف والجزء والصفحات ، وذلك بعد أن نكون أوردنا نص الوثيقة ، وفي حال ورود نفس الوثيقة في أكثر من مصدر ، فإننا جهدنا لاقتباس النص الذي نعتقد أنه أكمل وأوضح من غيره ، وأشرنا في أسفل الصفحة إلى أماكن وجود النصوص المشابهة لنصنا المذكور أعلاه مع ذكر أسماء المصادر وأسماء مؤلفيها وأماكن وجودها . كذلك حاولنا توضيح معاني بعض الكلمات أو الأسماء أو التواريخ التي ترد في الوثائق ، كما حاولنا تصحيح بعض الوقائع والتواريخ والأسماء . واتبعنا في تأليفنا التقسيم المألوف المعروف لأدوار التاريخ الأندلسي الذي ذكرناه سابقاً ، وأعطينا لكل حاكم اسمه ولقبه وتاريخ توليه وتاريخ تركه الحكم بالهجري والميلادي ، ومهدنا للوثائق بفصل تمهيدي هو مدخل وتعريف بها ، وهو هذا الفصل الذي نكتبه الآن .

بعد أن انتهينا مما ذكرناه سابقاً لابد من إبداء بعض الملاحظات عن مختلف عصور الأندلس كما تراءى لنا من خلال الوثائق العائدة لكل عصر من عصور تاريخ الأندلس .

١ - العصر الأول : زمن بني أمية الذي ينتهي سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م من الملاحظ أن فتح المسلمين لشمال إفريقيا بكامله استغرق وقتاً

طويلاً، إذ بدأ منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان رضي الله عنه ، وانتهى زمن عبد الملك بن مروان ، في أواخره ، على حين أن فتح الأندلس لم يستغرق إلا وقتاً قصيراً كل القصر بالموازنة مع الزمن الذي احتاجه تحرير شمالي إفريقيا هذا ، وقد بدأ عمرو بن العاص رحمه الله يفكر في تحرير شمالي إفريقيا بعد تحريره مصر ، ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يسمح له بذلك ، فلما أتى عثمان سمح بتابعة المشروع وحرر المسلمون ما يسمى ليبيا اليوم وتونس التي كانت تسمى إفريقيا ، وفي زمن معاوية رحمه الله تمكن عقبة بن نافع من احتلال شمالي إفريقيا بكامله حتى وردت خيوله الأطلسي وأسس مدينة القيروان ، ولكن الفتح لم يستقر ، وحدثت ثورات كثيرة واستشهد عقبة رحمه الله ، واضطر المسلمون لاختلاء القسم الأكبر بما حرروه سابقاً من المنطقة . وصرف الأمويون اهتمامهم عن المنطقة بسبب الاضطرابات التي حدثت عقب وفاة يزيد بن معاوية وما رافقها من صراع على الخلافة ، فلما استقرت الأوضاع وصفا الجو لعبد الملك قرر إعادة تلك المنطقة من جديد لحظيرة الاسلام ، ولذلك عهد لأخيه وواليه على مصر عبد العزيز أن يهتم بالموضوع ، فعين قائداً عاماً للجيش المحارب في المنطقة هو موسى بن نصير، وأثبت عبد العزيز أنه مصيب في هذا الاختيار، وأثبت موسى أنه أكفأ من تسند إليه قيادة الجيوش ، وتمكن موسى ، بعد جهود قاسية وحروب مضية أن يعيد المنطقة دار إسلام وأن يثبت بها دعائم العروبة والاسلام تسيئاً نهائياً إن شاء الله .

ولم يكتف موسى بما أنجز وإنما قرر اجتياز المضيق الفاصل بين أوروبا وإفريقية والمعروف باسم جبل طارق، واحتلال المنطقة المعروفة الآن باسم اسبانيا والبرتغال والتي عرفها المسلمون باسم الأندلس ، وذلك لدواعي كثيرة ، ولعل أولها رغبة موسى رحمه الله في نشر الاسلام وإيصال تعاليمه

العظيمة إلى نفوس بشر لم يسمعوا به من قبل وإنقاذ أنفسهم وأرواحهم وتحريرهم في الدنيا والآخرة . كذلك اتبع موسى المبدأ العسكري القائل ان أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم ، والحرب الوقائية .

ذلك أن حماية شمالي إفريقيا حماية جيدة يقتضي احتلال شبه جزيرة إيبيريا ، لأن الشقة الضيقة من البحر الفاصلة بين المنطقتين لا تشكل حاجزاً طبيعياً لا يمكن اجتيازه - بفاهيم وإمكانات تلك الأيام في النقل البحري بخاصة - هذا إلى جانب اغراض أخرى أقل أهمية بكثير مما سبق ذكره .

لقد كانت عملية احتلال الأندلس عملية سهلة أو نزهة عسكرية كما يقال ، وذلك بسبب كفاءة القواد وحذرهم ، وشجاعة المسلمين المحاربين وتشجيعهم بالمثل العليا الاسلامية ، وبسبب ضعف الحكم الاسباني آنذاك وتخلخل المجتمع الاسباني وتفككه ، ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى تمكن المسلمون من ضم أغلب شبه الجزيرة الايبيرية إلى حكمهم وأن يجعلوها دار إسلام ، وبدأت عملية استيطان إسلامية واسعة ، وبعد فترة بدأ التفاعل الحضاري وانتقال الحضارة الاسلامية إلى أوروبا بشكل نشط كل النشاط .

هذا ويتألف سكان المغرب العربي بكامله ، من البربر ، الذين يتشابهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم مع العرب ، بقدر ما يختلفون عنهم . وبعد انضمام المنطقة إلى دنيا الإسلام بدأ سيل القبائل العربية في التدفق إلى المنطقة وبدأت عملية الاستيطان ، لقد قاوم البربر ، أول الأمر ، هذه الهجرة العربية وثاروا بزعامة الكاهنة وقاوموا الإسلام بشدة حتى جعلوا المسلمين ينسحبون من قسم كبير من المنطقة . ولكن بعد فترة ، عاد المسلمون إلى المنطقة وبدأوا يتفاعلون مع البربر الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من أكبر رعاياه والمدافعين عنه ، وشكلوا نسبة كبيرة من الجيش الاسلامي الذي

حرر الأندلس ، حتى أن معاون القائد العام كان بربرياً ، وأعني بذلك طارق ابن زياد .

ولما فتحت الأندلس انتقل إليها العرب والبربر واستقروا فيها جنباً إلى جنب ، ولكن ، لسوء الحظ ، لم يشكل الطرفان جبهة واحدة متماسكة ، فقد انقسم سكان إسبانيا الإسلامية إلى اقسام اربعة : العرب ، البربر ، السكان الأصليين الذين اهتموا بالإسلام ، المستعربين ، وهم النصارى الاسبان الذين ظالوا على دينهم وعاشوا تحت ظل الحكم الاسلامي . وكان المفروض أن يشكل الأقسام الثلاثة الأولى جبهة متماسكة متحدة ، بموجب تعاليم الدين الاسلامي العظيم وبحسب مصالحهم الذاتية ، ولكن ذلك لم يحدث ، واختلف القوم أشد اختلاف وتحاربوا وأدى ذلك إلى تمزق الأندلس ، وكان ذلك من أكبر أسباب ضعف الأندلس وسقوطها فيما بعد . كما وأن العرب أنفسهم لم يكونوا جبهة واحدة ، فقد حملوا معهم إلى شبه الجزيرة خلافتهم وانقساماتهم وعصبياتهم بين قيس وعين وشمال وجنوب . كما وأن البربر أنفسهم لم يكونوا جبهة متراسة ، وبدأت عملية التقسم والصراع تعمل عملها في المجتمع الأندلسي منذ أواخر العصر الأموي ، وظلت مستمرة حتى أواخر أيام بقاء المسادين في شبه الجزيرة .

ولقد ظهر في تلك المنطقة المضطربة عدد من الشخصيات العظيمة التي تمكنت أن تسيطر على الوضع وأن تحمد جذوات الفتنة والاضطراب ، دون أن تتمكن من استئصال عواملها ، من أمثال : عبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، والمنصور بن أبي عامر ، ويوسف بن تاشفين ، وعبد المؤمن الموحي ، والمنصور الموحي وغيرهم ، ولكن قوى الانقسام والتمزق كانت أقوى من الشخصيات ، أضف إلى ذلك أن بقايا الاسبان ، وضعوا لهم هدفاً

محددًا ثابتًا وهو استرجاع بلادهم من المسلمين وبدأت عملية الاسترجاع هذه منذ زمن مبكر ، ووضعت أوروبا كلها ثقلها المادي والبشري والعسكري والاقتصادي إلى جانب الأسبان ، وشن القوم حرباً صليبية حقيقية ضد الاسلام والمسلمين في الأندلس كدين وكدولة ومجتمع وافراد ، همهم استئصال الدين الاسلامي والمسلمين استئصالاً تاماً ، وقد بدأ ذلك من قبل عهد شارلمان واستمر حتي بعد إخراج المسلمين من الأندلس ، على حين لم يقدم الشرق الاسلامي إلى الأندلس مساعدة تذكر ، واضطلع الأندلسيون ، يساعدهم سكان المغرب الأوسط والأقصى بمهمة مقاومة الهجمة الأوربية الشرسة المستمرة على بلادهم . ولما لم يكن هناك تكافؤ بين قوى الطرفين ، لذلك وصل الصراع إلى نهايته المحتومة ، واضطر آخر ملوك بني نصر أبو عبد الله الصغير إلى تسليم مفاتيح الحمراء إلى فرناندو وايزابيلا والنزوح إلى المغرب .

وإن الدراسة لشخصية موسى بن نصير تدل على أنه شخص كفء متواضع حذر فيه كل الصفات الضرورية للقائد الناجح ، فهو يعتبر نفسه كأحد أفراد جيشه ، وهو يخطئ ويصيب ، وهو مستعد لتقبل النقد ، وهو مستعد لتلبية وقضاء حاجات من لهم حاجات من أفراد جيشه : وإنما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحضر على مثلها ، ومن رأى مني سيئة فينكرها فاني أخطئ كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون . . . ومن كان له حاجة فليرفمها إلينا ، وله علينا قضاؤها على ما عزم وهان مع المواساة إن شاء الله (١) .

(١) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم - الإمامة والسياسة - تحقيق محمد محمود الراعي .

القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٩٠٤ م . ٩٨/٢ - ٩٩ .

كذلك تدل خطبته الثانية التي خاطب بها جيشه لما استلم قيادته ، وهو الجيش الذي انهزم أمام السكاهنة وتركز في اقريقية على نظرة عسكرية ثابتة وحزم وعزم شديدين . فقد كان الوضع صعباً في إفريقية بسبب قرب العدو ، فلما استلم موسى القيادة وأدرك الوضع الصعب ونظر إلى جبال إفريقية وماحولها جمع جنده وشرح لهم خطته ، وأخبرهم أنه سيسعى أول ما يسعى لاحتلال هذه الجبال وشعابها ، لأن العدو يأتي منها ، ثم تطرق إلى شرح الصفات الواجب توافرها في رجل الحرب والتي اعتزم اتباعها : وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الغمر ، وسمت به همته ، ولم يرض بالدون من المغنم ، لينجو ويسلم ، دون أن يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عندها في غير خرق يريده ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلاً في حزمه جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في إحكام رأيه ، متحنكاً بتجاربه ، ليس بالمتجانب إقحاماً ولا بالمتخاذل إحجاماً ، وإن ظن لم يزد الظفر إلا حذراً ، وإن نكب أظهر جلادة وصبراً . راجياً من الله حسن العاقبة ...^(١) وبعد : فإن كل من كان قبلي كان يعتمد الى العدو الأقصى ويترك منه الأدنى ، فينتهز منه الفرصة ويسدل منه على العورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة ، وإيم الله لأريم هذه البقاع والجبال الممتعة حتى يضع الله أرفعها وبذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جميعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين (٢) .

ولقد تمكن موسى بإخلاصه وشجاعته وذكائه وقيادته الحكيمة الحذرة أن يحقق ما أمله فيه عبد العزيز بن مروان لما عينه والياً على شمالي إفريقية

(١) نفس المصدر ٩٩/٢ - ١٠٠ .

(٢) نفس المصدر .

بكامله ، فأعاد المنطقة إلى ديننا الاسلام ، وقضى على الفتن ووردت خيوله المحيط الأطلسي من جديد وأرسل يبشر عبد العزيز بما فتح الله على يديه الذي سر بذلك كل السرور وأرسل يخبر الخليفة بما فتح الله على يدي موسى فما كان من الخليفة إلا أن أعلن شكره وسرره ، وتعييراً عن امتنانه من موسى رد عليه مبلغ مائة ألف درهم كان قد أغرمه إياها سابقاً : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف التي أغرمها لك فخذها من قبلك من الأخماس (١) .

صفا شمالي إفريقية بكامله لحكم المسلمين ، فبدأ موسى بن نصير يتطلع إلى فتح الأندلس (٢) . وكان الوليد بن عبد الملك قد أصبح خليفة في دمشق مكان والده عبد الملك ، فأرسل موسى يستشيرهُ بالأمر ويهون عليه العملية ، وأن البحر الفاصل بين الأندلس والمغرب الأقصى إنما هو خليج بين ماوراءه ، ولكن الوليد أصر على ضرورة الحذر ، وأنه لا بد من اختبار هذا الخليج بالسرايا قبل اقتحامه (٣) .

ولقد تم الأمر كما رسم الوليد وخطط للعملية بعد درسها واختبار البلاد المزعم فتحها ، واتفق المسلمون مع عناصر إسبانية وأدركوا ضعف الحاكم وتفسخ المجتمع الإسباني ، ولذلك أقدموا ، وكانت النتيجة فتحاً ليست كالفتوح ، ولكنه الخسر (٤) ، كما ورد في رسالة موسى بن نصير

(١) نفس المصدر ٢ / - ١٠٩ .

(٢) الأندلس كلمة أطلقها المسلمون على ما احتلوه من شبه جزيرة إيبيريا ، وهي تشوبه وتعريب الكلمة *Vandal* وهي اسم شعب من القوط احتل الأندلس في القرن السادس الميلادي وانتقل إلى شمالي إفريقية وأعطى المنطقة اسمه .

(٣) انقري ، أحمد بن محمد التلمساني - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . . .

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٤٩ م ١ / ٢٣٧ .

(٤) ابن قتيبة المصدر المذكور آنفاً ٢ / ١١٣ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

إلى الوليد بن عبد الملك مبشراً بالفتح الجليل .

ولقد استدعى الوليد موسى بن نصير إلى دمشق حتى يراه ويكافئه مع أبطاله على ماحقق من انتصار وأنجز من فتح تفتح أبواب السماء له فلبى الطلب بعد أن ترك ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس مكانه ، وأغذ السير إلى دمشق ، وفي تلك الأثناء مرض الخليفة ، فأرسل أخوه وولي عهده سليمان يطلب من موسى أن يبطىء في سيره لعل الخليفة يموت ويحل سليمان محله في الخلافة فينسب فضل هذه الفتوح إلى سليمان ، ولكن موسى لم يلب طلب سليمان ، وأسرع خطاه حتى وافى الوليد وهو حي ، فكان ذلك مما زاد في غضب سليمان عليه .

ولقد عامل سليمان بن عبد الملك - لما أصبح خليفة - قواد أخيه العظام ، موسى بن نصير ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، معاملة سيئة ، وعزا بعض المؤرخين ذلك إلى كونهم رفعوا اسم أخيه عالياً وحققوا كثيراً من الانجازات التي كان يتمنى لو تحققت في عهده هو . ولكن هذا التعليل ناقص مبتور ، ولعل السبب الحقيقي في حقه على هؤلاء القواد يعود بالدرجة الأولى لموافقتهم أخاه الوليد على تأخير سليمان عن ولاية العهد ونصب ابن الوليد ولياً للعهد مكانه ، وهو مشروع هم به الوليد ، ولكن القدر عاجله قبل إتمامه ووافقه عليه قواده ، ولم يكن بإمكانهم إلا فعل ذلك . كما وأن سياسة سليمان القبلية عامل آخر من عوامل حقه على هؤلاء القواد ، فقد كان ضلع سليمان مع آل المهلب ، وهم من الأزديين - أي اليمن - على حين أن أغلب هؤلاء القواد كانوا من قيس ، ولذلك فعل بهم ما فعل . ولقد صب حقه وغضبه على موسى بن نصير ولم يراع له شيخوخته ولا بلائه وخدمته للإسلام والأمويين ودبر على ابنه عبد العزيز مؤامرة أودت بحياته ونقل رأسه إلى دمشق حيث أراه لأبيه الشيخ الذي تحل كل التجلد ودافع عن ابنه أعظم دفاع ... فوالله

ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائباً ، وليعز على عبد الملك ، وعبد العزيز ، والوليد أن يصرعوه هذا المصراع ، ويفعلوا به ما أراك تفعل (١) . . وأخيراً توسط بعض الوسطاء بين الخليفة وبين موسى وعقد بين الطرفين عقد تراض يدفع موسى بموجبه للخليفة مبلغاً ضخماً من المال لقاء الكف عنه وعن أولاده (٢) . وعلى الرغم من أن كثيراً من الشكوك والتساؤلات أثارت حول هذا العقد وحول مصير موسى وأولاده ، إلا أن الرأي مجمع على أن سليمان أساء كل الإساءة إلى موسى وأولاده ، وأنه عاملهم بما لا يستحقونه لقاء خدماتهم للإسلام وللبيت الأموي ، مما تمكن أخطاؤهم ونقيصاتهم .

ولقد استمر تيار الفتح بعد ذهاب موسى وعودته إلى دمشق ، وقاد ابنه عبد العزيز هذه الفتوح وضم بمملكة أريولة في شمالي إسبانيا إلى ديار الاسلام وضرب على صاحبها تدمير الجزية وعقد معه عقداً بهذا الشأن (٣) .

ولقد تابع عدد من ولاية الأندلس الغزو في بلاد الفرنجة [فرنسا الحالية] ، ومن أشهرهم عبد الرحمن الغافقي الذي عينه عبيدة بن عبد الرحمن القيسي والي شمالي إفريقية والياً على الأندلس ، فغزا فرنسا وغنم مغانم كثيرة جداً ، ومن جملة رجل من ذهب مفضضة بالدر والياقوت فكسرها ووزعها بين المحاربين ، فساء ذلك عبيدة كل السوء وأرسل يهدد عبد الرحمن ويتوعده لأنه لم يرسلها له خالصة من دون أفراد

(١) نفس المصدر . ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٢) نفس المصدر . ١٤٦/٢ - ١٤٨ .

(٣) الضبي ، أحمد بن يحيى - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس . دار الكتاب

المربي ، ١٩٦٧ م . ص ٢٤٧

الجيش فأجابه عبد الرحمن بلهجة المؤمن الواثق من ربه : إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمؤمنين منها مخرجاً^(٢) .

ولقد ذر قرن العصبية بين العرب في الأندلس من عهد هشام بن عبد الملك ، وانقسم القوم إلى قيس ويعين ، وكانت تعاود الطرفين ذكريات مرج راهط والثرات والدماء والأحقاد ، حتى أن هذا الوضع المضطرب الذي كان سائداً في الأندلس كان أحد العوامل التي ساعدت عبد الرحمن الداخل في تأسيس ملكه هناك .

فقد اعتقل عبيدة بن عبد الرحمن والي هشام الجديد على شمالي إفريقية عمال بشر بن صفوان الوالي القديم المنزول ، لأن الأول قيسي والثاني يعني ، ومن جملة المعتقلين أبو الخطار الكلبي ، فتحيل في إرسال رسالة إلى هشام بن عبد الملك يخبره بما حدث ، وهي رسالة شعرية تهم الأمويين أنهم عمداً سلطوا القيسيين على اليمنيين الذين نصروهم في معركة مرج راهط الشهيرة ، وأنهم نسوا ذلك وأن الأيام بين الطرفين ، وعندئذ سيدفع الأمويون ثمن أخذهم جانب القيسيين ضد اليمنيين^(٣) .

ولذلك اشتعل الصراع في شمالي إفريقية والأندلس بين قيس ويعين ، وكان البربر مستاءين من الأمويين وسياستهم القاضية بتفضيل العرب على غيرهم ، ولم يحسن أواخر الأمويين السياسة وضعفوا عن قيادة دفعة السفينة ، فنشب في الأندلس صراع رهيب مرير بين العرب والبربر ، وبين العرب أنفسهم بين قيس ويعين ، وفي هذه الظروف الحالكة السواد سقطت الدولة الأموية وحلت محلها الدولة العباسية .

(٢) نفس المصدر - ٣٦٦ .

(٣) دوزي ، ينهارد - تاريخ مسلمي إسبانيا : الجزء الأول الحروب الأهلية . تعريب حسن حبشي . القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٣ م ص ١٣٧ .

ب - عهد أمراء بني أمية في الأندلس ١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١ م .

١ - عبد الرحمن الداخل ١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨ م .

تمكن أبو مسلم الخراساني ، بدعايته الذكية وتنظيمه الدقيق وذكائه واستغلاله نواحي الضعف في الدولة الأموية ، أن ينهي حكم الأمويين وأن يحل محلهم العباسيين . وقد افتتح الخليفة العباسي السفاح الخلافة العباسية سنة ١٣٢ هـ وافتتح معه عهداً من أظلم عهود التاريخ قتلاً وحقداً وانتقاماً وإراقة للدماء ، فقد قتل العباسيون الأمويين أينما تقفونم ونبشوا قبور خلفائهم ، ولم ينجُ من هذا المصير إلا قبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وتبع العباسيون الأمويين بحقدهم وانتقامهم ولم يفوا بعهدهم ولم يوفروا شيخاً ولا طفلاً ، وكانت هذه الوحشية في الانتقام دافعاً قوياً لعدد من الأشداء للهرب إلى أقصى الأرض ، وكان ممن هرب من هذه الحجرة عبد الرحمن حفيد هشام بن عبد الملك الذي تمكن بشجاعته وصبره وذكائه وشخصيته الفذة من الهرب من بلاد الشام إلى المغرب الأقصى وهناك استغل الظروف المواتية التي كانت سائدة آنذاك ، وتآلف اليمنيين وضمهم إلى جانبه وحارب معهم ومع من انضم إليه من أنصار الأمويين والبربر أخواله حاكم الأندلس يوسف الفهري وهزمه وتمكن من تأسيس مملكة استمرت في الوجود قرابة ثلاثة قرون . ولقد حاول عبد الرحمن ، الذي لقب بالداخل فيما بعد ، لأنه أول من دخل الأندلس من الأمويين ميداً وحاكماً ، أن يتصالح مع يوسف الفهري ، قبل أن تبدأ الحرب بينهما ، وقد جنح الفهري إلى الصلح معه وإلى ثبني عبد الرحمن وإحياء ملك بني أمية في الأندلس ، ولكن الصميل الحاكم الفعلي للأندلس خاف من مثل هذا التحالف ، وخاف من طموح عبد الرحمن وجبروته ،

فكل بوعده إياه في نصرته وقال للرسولين اللذين أرسلهما عبد الرحمن يستنجزانه وعده إياه بالنصرة : تأملت الأمر فوجدته صعب المرام ، فبارك الله لكما في رأيكما وقولكما فإن أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف وزوجه ويحبوه ، انطلقا راشدين ^(١) .

ولقد حاول يوسف الفهري ثني عبد الرحمن عن عزمه فلم يفلح ، واصطدم الطرفان في معركة المصاراة الحاسمة سنة ١٣٨ هـ ، وهنا نجد عبد الرحمن الداخل قائداً فذاً وبطلاً شجاعاً عرف كيف يقود رجاله في هذه المعركة الحاسمة ، فخطابهم بقوله : هذا يوم هو أس ما بيني عليه ، إما ذل الدهر وإما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ترجوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون ^(٢) .

وقد صبر عبد الرحمن وأتباعه هذه الساعة فربحوا حكم الأندلس ، وانتصر عبد الرحمن وأعاد تأسيس ملك أسلافه هناك .

وقد تكشف عبد الرحمن عن حاكم قوى كل القوة يفهم أصول الحكم ويمد للحادثات ما يلائمها ، ويتوقع التوقعات . فقد منع أصحابه من الاثخان في أنصار الفهري بعد انتصاره عليهم : لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشد عداوة منهم ^(٣) .

وقد أثبت عبد الرحمن الداخل أنه صنو للمنصور العباسي ولشارلمان اللذين حاولا مقارعته ولكنها لم ينالا منه .

(١) ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب . تحقيق ج. ش. كولون و أ. ليفي بروفنسال . بيروت ، دار الثقافة ٤٤/٢ .

(٢) الشعراوي ، أحمد ابراهيم . الأمويون أمراء الاندلس الأول . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م . ص ٧٥ .

(٣) المقري المصدر المذكور آنفاً .

وبالنسبة فإن الأندلس لم تخضع قط للدولة العباسية إذ انفصلت عنها منذ قيامها ، وحاول المنصور جاهداً استرجاعها والقضاء على الحكم الأموي فيها ولكنه عجز ، وهو الذي لقب عبد الرحمن الداخل بصقر قریش . وكان عبد الرحمن ذا ثقة بنفسه واعتداد وشعور كبير بتفوقه وقيمة وسمو وعظمة ما أنجزه . من إعادة ملك بني أمية في الأندلس . ويبدو هذا الاعتداد في رسالة جوابية رد بها على شخص قرشي وفد عليه وكتب إليه يستعظم حقه عليه في النسب ويستقل حظه منه بالمطمع ، فوقع له على ظهر كتابه عدداً من أبيات الشعر أكثر ما تكون دلالة على ما ذكرناه .

شتات من قام ذا امتعاض	منتضي الشفرتين نصلاً
فجباب قفراً وشق بجرأ	مسامياً لجة ومحلاً
فشاد مجداً وز ملكاً	ومنبراً للخطاب فصلاً
ثم دعا أهله جميعاً	حيث اتأوا ، أن هلم أهلاً
فجاء هذا طريد جوع	شريد سيف أباد قتلاً
ألم يكن حق ذا على ذا	أعظم من منعم ومولى (١)

ولقد حارب عبد الرحمن الأعداء الإسبان في الشمال وهزمهم حتى اضطروا إلى عقد صلح معه مدته خمس سنين لقاء جزية ثقيلة من الذهب والفضة والخيل والسلاح والدروع (٢) .

(١) ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . كتاب الحلة الصبراء . تحقيق حسين مؤنس . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م . ٣٩/١ - ٤٠ .
(٢) عنان ، محمد عبد الله . دولة الإسلام في الأندلس . طبعة رابعة منقحة مزيعة القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م . ج ١ ، ق ١ - ١٩٩ .

كما كان أديباً ذواقة ، وتدل توقعاته وأشعاره والأقول المنسوبة إليه على أدب رفيع ونفس طموحة حساسة واعتداد بالنفس . وقد توفي عبد الرحمن سنة ١٧٢ هـ بعد أن ترك دولة قوية مرهوبة الجانب في الخارج ، موطدة الحكم في الداخل ، وورث أبنائه حكمها من بعده .

وليس لدينا سوى وثيقة واحدة من عهد ابنه هشام الذي حكم بين سنتي ١٧٢ - ١٨٠ هـ هي وصيته لابنه الحكم الرضي التي أوصاه بها قبيل وفاته . وتدل هذه الوصية على نفس طيبة مؤمنة نزاعة للسلم والخير ، محبة للشعب . فقد أوصاه بتقوى الله تعالى وأن يذكر دائماً أن الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، لذلك يقضي واجب الشكر لله النظر لعباده بالرحمة والعدل وعدم التمييز بين الناس حسب غناهم أو فقرهم ، ويطلب إليه أن يعاقب الظالم ، ولو كان وزيراً أو حاكماً ، كما يطلب إليه أن يراقب جيشه ، ويضبط جنده ، وأن يجعلهم حماة الدولة لا مخربوها ^(١) .

٢ - الحكم الرضي ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م .

الحكم الرضي شخصية متناقضة فيه قوة جده عبد الرحمن وحزمه وجبروته ، وفيه رقة أبيه هشام وشيء من خصاله ، وقد امتاز عهده بثورة شعبية رهيبة قام بها الفقهاء والعامة ضده شخصياً ، وكان مركزها ربض قرطبة (أي ضاحيتها) . وكانت حركة رهيبة عارمة كادت تؤدي بالحكم وحكمه ، ولكنه عاجلها بكل هدوء أعصاب وبكل برود ، ولكن بشدة دونها شدة أي شخص آخر . وتمكن من القضاء على الحركة ، واضطر زعمائها إلى الخروج ، بمن بقي من أتباعهم ، من الأندلس وركبوا البحر المتوسط بحثاً عن ملجأ بقيادة أبي حفص أحد زعمائهم ، فاستقروا

(١) الشعراوي ، المصدر المذكور آنفاً ، ٢٠٤ - ٢٠٥ .

في الاسكندرية ، ولكن عبد الله بن طاهر أخرجهم منها فذهبوا إلى كريت (أقريطش) وانتزعوها من الدولة البيزنطية واستقروا فيها وظلوا يحكمها قرابة قرن ونصف حتى استرجعها البيزنطيون منهم . وقد وزع الأمير الحكم ، الذي استمد لقبه الرضي من هذه الواقعة الرهيبة ، منشوراً على الولاة يقص عليهم ظروف الثورة وما حدث وكيف قمعا . وهو يقلل من شأن المشتركين فيها كل التقليل ، فهو يصفهم بأنهم فسقة أهل قرطبة وسفلتهم وأذنبتهم^(١) ... كما ويذكر أنهم ثاروا بقصد خلعه عن غير مكروه سيرة ولاقيح أثر ولانكر حادثة كان منافعهم^(٢) ... ثم يذكر أنه لما ظفر بهم قتلهم قتلاً ذريعاً ، ولكنه أمسك عن نهب الأموال ومسي الثرية والعيال وعن قتل من لا ذنب له من أهل البراءة والاعتزال^(٣) . كذلك حدثت محاولة في سرقسطة قام بها جماعة من البربر بقصد الاستقلال بذلك الثغر وطرد والي الحكم منه ، ولكن الوالي بمساعدة عدد من زعماء العرب والبربر ، تمكن من القضاء على هذه الحركة واعتقال زعيمها وإبقاء الثغر في طاعة الحكم . وقد دارت عدد من المراسلات بين الحكم وبين الفرقاء المعنيين حول هذه الحادثة يظهر فيها الحكم سروره وامتنانه بهذه النتيجة^(٤) .

ولما اقتربت وفاة الحكم أوصى ابنه عبد الرحمن بوصية جيدة هي دستور للحكم ، وهي أن يكون حكمه خليطاً بين الشدة والرافة ، وبين

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، ج ١ ، ق ١٢٥ - ٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الحشفي ، أبو عبد الله محمد بن حارث . قضاة قرطبة . القاهرة ، الدار المصرية

للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م . ص ٤٢ - ٤٣

الحزم واللين ، وأن يعرف أين وكيف يضع هذا ومتى وكيف يضع ذلك . ويبدو أنه كان معجباً بابنه عبد الرحمن ، فإنه بعدما أوصاه وذكر له أنه وطد له الأمور قال له : فقد هان علي الموت إذ خلفني مثلك (١)

٣ — عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٧ م .

نصل الآن إلى عصر الزهو الأول في عهد الحكم الأموي للأندلس ، ذلك أن عبد الرحمن الثاني أو الأوسط كما يلقب كان حاكماً صالحاً واستفاد من توطيد المملكة الذي حققه أبوه له فجنى ثمر ذلك استقراراً في الداخل ودفاعاً عن الحدود ، وقد حدثت في عهده حادثتان مهمتان في تاريخ الأندلس ، ذلك أن النورمانديين الذين يعرفون أيضاً باسم الفايكينغ Vikings هاجموا شواطئ الأندلس بعنف وقتلوا وسلبوا وفعلوا الأفاعيل فتصدى لهم عبد الرحمن وتمكن من ردهم عن سواحل الأندلس ، وبني لذلك الأساطيل . وهؤلاء النورمانيون هم الذين يسميهم المؤرخون المسلمون « الأرذمانيون » .

كما وأن السمعة الطيبة التي تمتع بها عبد الرحمن وحكمه وقوة الدولة في عهده جعلت امبراطور بيزنطة ثيوفلس الذي عاصر المأمون والمعتمد في الشرق يحاول كسب وده ، فأرسل له الوفود والرسائل وقد جمع بين الطرفين العداء للعباسيين وعلى الرغم من أن عبد الرحمن لم يكن في وضع يمكنه من مساعدة الامبراطور البيزنطي ضد خصومه العباسيين ، إلا أنه حاول هذه المحاولة لاعتقاده أنها إن لم تنجح فليس فيها خسارة .

وعلى الرغم من أننا لا نملك إلا رسالة عبد الرحمن الجواية لثيوفلس إلا أنها وحدها تكفي لنعرف مضمون رسالة الامبراطور له ، فقد نلخص عبد الرحمن رسالة ثيوفلس له ورد على كل بند من بنودها بما يناسب المقام .

(١) الشعراوي . المصدر المذكور آنفاً ، ٢٦٧ - ٢٦٨ .

فقد ذكر الامبراطور رغبته الأكيدة في إقامة علاقات ود وصداقة بينه وبين عبد الرحمن ، وإن ذلك امتداداً للصداقة التي كانت موجودة بين أسلاف الطرفين إبان الدولة الأموية . ثم يطلب من عبد الرحمن أن يرسل إليه رسالاً من عنده تؤكداً لهذه المودة .

ثم ينتقل حاكم بيزنطة ليطرق موضوعاً عاطفياً حساساً لدى الأمويين هو ذكر جدهم مروان وقرابتهم منه ، وأسف الامبراطور لما حل به وبأهل بيته ، وبنفس الوقت يطعن على أبي جعفر المنصور لأنه كان المحرك والسبب الرئيسي لما حل بالأمويين ، ويسميه عبد الرحمن باسم الفاجر أبي جعفر تربه الله^(١) .

بعد ذلك يتطرق الامبراطور إلى ذكر المأمون والمعتصم وسوء حكمها لرعيتهما وانحرافها وشدة وطأتهما ، وهنا يسمي عبد الرحمن المأمون والمعتصم باسم أمهما احتقاراً لهما فسمى المأمون ابن مراجل لأن أمه جارية اسمها مراجل ، والمعتصم باسم ابن ماردة^(٢) لأن أمه جارية اسمها ماردة . ثم تختتم الرسالة الامبراطورية بذكر أمر أبي حفص أمير الأندلسيين الذين غادروا الأندلس عقب وقعة الرض ولجؤهم إلى الاسكندرية ، ثم تركهم إياها ومهاجرتهم كريت البيزنطية واحتلالهم إياها ، وكيف أن الامبراطور عجز عنهم ويطلب من عبد الرحمن التدخل بينه وبينهم علّه يستعيد كريت منهم . وبعد أن نلخص عبد الرحمن رسالة الامبراطور بهذا الشكل ردّ على كل بند من بنودها .

(١) طرخان . ابراهيم علي . المسلمون في أوردبا في المصور الوسطى . القاهرة ، مؤسسة

سجل العرب ، ١٩٦٦ م ص ٢٧٥ - ٢٧٨ .

(٢) نفس المصدر .

فقد ذكر أنه يرغب في مودته كما يرغب الامبراطور في مودته ، وأنه
يتمسك بذلك إحياء لذكر مودة كانت بين الأسلاف .

كذلك يشكره لأسفه وألمه لما حل بذرية مروان من قتل وتشريد ،
وانتهاك للمحارم ، وينجي باللائحة على أبي جعفر على جرأته على الله وسوء
سيرته وظلمه وبطشه .

وعند الحديث عن المأمون والمعتصم يخصهما أيضاً بلعناته وتمنياته بقرب زوال
ملكهما . أما أمر أبي حفص فخارج عن اختصاصه لأنه طرد من الأندلس
وانضم إليه السفلة والأوشاب ، وقد اضطروا إلى الدخول تحت طاعة ابن
ماردة لقربهم من بلده ، ولم تكن نحسبك تعجز عنهم ولا تصعب عن
نكايتهم ، ولا تتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك ^(١) .

ثم يعده أنه إذا رد الله سبحانه وتعالى سلطان الأمويين في المشرق
إليه فإنه سينظر بمطف في مطالب ثيوفلس بما فيه صلاح الطرفين .
وأخيراً يخبره أنه أدخل رسوله عليه وقربه وحياء وسمع منه ، وأن
جوابه هذا قد أرسل مع رسولين من رسله ^(٢) .

٤ - محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٨ - ٨٨٦ م .

ثارت الفتنة في الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط ، وعجز
الأمراء الذين أتوا بعده عن السيطرة على الوضع الأمني في البلاد ، وانتزى
الثوار في أماكن كثيرة ، ولم يعد للأمير سلطة إلا على قرطبة نفسها
وضواحيها ، ولعل أخطر هذه الثورات وأشدّها ثورة ابن حفصون التي
اشتعلت زمناً طويلاً وهددت لأندلس تهديداً حقيقياً .

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

هذا وإن السبب في ذلك يكمن أولاً في ضعف الحكم ، ذلك أن الولاة بعد عبد الرحمن كانوا ضعفاء ولذلك استغل الثوار الفرصة وحاولوا تحقيق أغراضهم .

كذلك هناك انقسام أهل الأندلس ، إلى عرب وبربر ومولدين ومستعربين وتضارب مصالحهم ، وهناك أيضاً انقسام العرب إلى قيس وعين والمصبية بين الطرفين ، وهناك الاتهازيون الذين يريدون تحقيق مآربهم تحت شعارات يراقة لاتخدم إلا مصالحهم . وهناك الأعداء الخارجيون الذين بدأوا تحرّكهم الواسع ضد الأندلس وبدأوا يغذون الثورات والحركات الانفصالية والنزعات الإقليمية فيها .

فقد بلغ ضعف الأمراء الحكام أن أصبح الثوار يهددونهم بإحراق المدن وإضرارها بالنار إن حاولوا التعرض لهم كما فعل عبد الرحمن الجليلقي لما ثار واعتصم بمحصن منت شافر وأرسل إلى الأمير محمد يهدده بإضرار بطليوس بالنار إن وجه حملة ضده (١) . ولقد بلغ من ضعف الحكم المركزي أن أحد الثوار في الشمال تمكن من هزيمة جيش أرسله الأمير محمد لحربه بقيادة وزيره هاشم بن عبد العزيز وأسر الوزير نفسه (٢) . وناهيك بهذا الشيء دليلاً على ضعف الحكم والحاكم .

ولقد استغل بعض الثائرين أمثال ابن حفصون سوء إدارة بعض الحكام وحاول استغلال المصيبة ، فأذاع في الناس بياناً ذكر الناس فيه بالظالم السابقة وأنه يريد إنصافهم : طال ما عنف عليكم السلطان وانتزع أموالكم وحملكم

(١) ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس . مجريط ، ١٨٦٧ م ص ١٠٨ - ١٠٩

(٢) ابن حيان . المقتبس من أنباء أهل الأندلس . تحقيق محمود علي مكّي . بيروت

دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ م ص ٣٨٩ - ٣٩٢

فوق طاقتكم وأذلتكم العرب واستبعدتكم ، وإنما أريد أن أقوم بئاركم وأخرجكم من عبوديتكم (١) .

وقد ظلت الأندلس تتخبط في دياجير هذه الفتن حتى أنقذها الله تعالى بحكم عبد الرحمن الناصر .

٥ - عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م .

نصل الآن إلى عصر الزهو في تاريخ الأندلس ، ذلك أن حكم عبد الرحمن الناصر قد أزال قسماً كبيراً من المتنافسات في المجتمع الأندلسي وفجر الطاقات الخلاقة لدى هذا الشعب . وهو مثل حي على قدرة بعض بني البشر على القيادة الخلاقة والعطاء وبناء الحضارات . فقد تمكن هذا العبقرى أن يعيد توحيد الأندلس تحت قيادته ، وأن يقضي على الثوار جميعاً وأن يعيد توطيد هيبة الحكم وأن يشعر المواطن الثقة بنفسه وقيادته ولما تمكن أن يحقق الأمن والاستقرار ، وهما نعمتان من أجل النعم ، اطمأن الناس إليه وإلى مستقبلهم وتم التفاعل بين الحاكم والمحكوم ، فأدى الأمر إلى تلك المساهمة الحضارية التي ساهمت بها الأندلس في الحضارة الإسلامية تحت حكمه ، وحكم خلفائه من بعده .

كذلك حارب عبد الرحمن الناصر الإسبان في الشمال وكسبهم ورد كيدهم وتمكن من فرض هيئته عليهم حتى أن ملوك الاسبان المتنافسين بدأوا يفدون إلى بلاطه وبلاط ابنه من بعده ، يلتمسون العون ضد بعضهم بعضاً .

ولقد حارب الناصر الأدارسة في المغرب الأقصى ، الذين تحالوا مع الفاطميين ضده ، وكانت له اليد العليا عليهم .

(١) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً ١١٤/٢

وفي حقل الدبلوماسية ، فقد وصلت الخلافة الأندلسية في عهده إلى ذروة رفيعة عالية جمعت كثيراً من الدول تخطب ودها ، وعلى رأسها الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة زمن أوتو الكبير .

كذلك اهتم الناصر بالآداب والعلوم ، وانتشرت في عهده المدارس والجامعات وجذبت إليها العلماء والطلاب من جميع الأصقاع ، حتى من أوربا نفسها ، وبلغ من سمعة الناصر وبمد صيته أن بدأ أدباء المشاركة يفدون عليه كما فعل أبو علي القالي الأديب والفنوي البغدادي الذي وفد على الخليفة واختص بابنه الحكم ولي المهد .

واهتم الناصر بالعمران فشيّد الحصون والمدن ووسع جامع قرطبة وعمر مدينة الزهراء التي يقرن اسمها باسمه ، وتدل أوصافها وبقاياها المادية على أنها بناء ضخم رشيق جميل ذو تصميم هندسي رائع وجمال أخاذ وحدائق غناء . وكل ذلك دليل حي على غنى الدولة وحضارتها وتقدمها الفني والمادي .

وبالمجمل استلم الناصر دولة متهدمة بكل معاني الكلمة ، داخلياً وخارجياً وسلم ابنه من بعده دولة مزدهرة كل الازدهار ، قوية ، داخلياً وخارجياً يهابها الأعداء ويخطب ودها الأصدقاء ، ونافست في عهده قرطبة بغداد والقسطنطينية ، بل وبزتها .

ويظهر أن دلائل النجابة كانت لائحة على عبد الرحمن من صفه ، وهذا ما جعل جده يمينه ولياً لمهده على الرغم من وجود أعمام له أكبر منه في العمر ، كما وأن الأسرة الأموية ، وعلى رأسها أعمامه انقادت له بسهولة وبايسته طواعية وتعاونت معه تعاوناً صادقاً . وقد تجلّى ذلك في

الكلمة التي وجهها للناصر ، بعد أن بويع بالإمرة ، عمه أحمد بن عبد الله الذي خاطبه باسم الأسرة الأموية قائلاً : والله لقد اختارك الله على علم الخاص منا والعام ، ولقد كنت أنتظر هذا من نعمة الله علينا . فاسأل الله إيزاع الشكر ، وتمام النعمة وإلهام الحمد ^(١) .

ولقد كان الناصر عند حسن الظن به وكان على ثقة تامة بربه وبنفسه وبشعبه فحقق المستحيل . وقد بدأ بالأمور الأكثر أهمية وهي مسألة الثوار . وقد تمكن بزيج من القوة والدهاء وحسن السياسة الرائعة أن يستنزل أكثرهم من حصونهم وأن يشحن هذه المعازل برجاله ، وأن يستقدم الثوار إلى مأمته حيث أمنهم ووفى لهم بما وعدهم به ، كما فعل لما استأمن حفص بن عمر بن حفصون واستلم منه حصن يبشتر ، فقد أمر بهدم الحصن ، وأحضر إليه حفصاً هذا ووفى له بما وعده به ، بل وأنعم عليه وسكن نفاره وأصدر بياناً إلى جميع الولاة يخبرهم بما تم ويطلب إليهم إذاعة ذلك في الناس ^(٢) .

ولقد كان لهذه السياسة الحكيمة أثرها ، إذ أقبل الثوار يستأمنون إلى الأمير القوي الذي يفي بما يعد ، والذي لا يطلب الاستئمان إلا وهو قادر على الحرب ، فلحق بقية الثوار بشيخهم ابن حفصون ، أمثال محمد بن هاتم في سرقسطة وغيره من الثائرين .

ولما تمكن الناصر من توطيد الأمن في بلده سمى به هتمه إلى المزيد فتطلع إلى أمر لم يفعله أسلافه من قبل وهو التلقب بلقب أمير المؤمنين . لم تخضع الأندلس قط للعباسيين ، ولكن لم يشأ أمراؤها الأول أن

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، ٣٧٤ .

(٢) نفس المصدر ٣٨٧ - ٣٨٨ .

يتلقبوا بلقب أمير المؤمنين لقوة الخلافة العباسية آنذاك ورغبتهم في عدم الاصطدام معها ، وكان أمراء بني أمية يلقبون أبناء الخلائف والأمراء . فلما أتى عبد الرحمن وتمكن أن يعيد للدولة هيئتها ، ولاحظ ضعف الخلافة العباسية وهزال الخلفاء العباسيين ، كما ولاحظ كيف اتخذ الخلفاء الفاطميون لقب خليفة ، وقد اعتزم أن يدخل في صراع معهم من أجل المغرب الأقصى ، لذلك فقد قرر أن يتخذ لقب خليفة وأمير المؤمنين أواخر سنة ٣١٦ هـ ، لأن ذلك أكثر جلباً للهيبة له ، وينص المرسوم الذي أصدره بذلك صراحة على أن اتخاذ هذا اللقب واجب عليه ، وأن ترك هذا الواجب هو ترك لحق أضاعه ، وترك لاسم ثابت أسقطه (١) . كذلك ينص ذلك المرسوم على أن : كل مدعو بهذا الاسم [أي أمير المؤمنين] غيرنا منتحل له ودخيل عليه ومتسم بما لا يستحقه (٢) .

وقد أثبتت الأيام والأحداث أن قلائل من الخلفاء هم الذين استحقوا هذا اللقب بمثل الجدارة التي استحقها الناصر لدين الله .

ويدل الخطاب الذي وجهه الناصر إلى قواده وأنصاره وولاته يشرح الظروف التي أدت إلى هزيمته في غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ على نفسية صافية خالية من العقد والزيغ الذي يحيل الهزائم لانتصارات وهمية ، فقد قص الحادثة كما وقعت ، وإن يكن قد حاول تخفيف آثارها حتى لا تحدث ردة فعل سيئة لدى الناس . فهو يقص رحلته إلى بلاد الاسبان وحربه إياهم وكيف هزمهم بعد حرب شديدة . وهنا تقص الرسالة بشكل مفصل وأسلوب أدبي بليغ سير المعركة وهجوم الفرسان واستبسال المسلمين في

(١) ابن عذاري . المصدر المذكور آنفاً ١٩٨/٢ - ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر .

حربهم ضد الاسبان ، ويذكر أسماء من صرع من زعماء الاسبان ومشاهيرهم وقوادهم ، بعد ذلك يقص كيف سار في بلادهم يدك الحصون ، ويتتسف الزروع ، ويقتل الفرسان ، ثم يقص كيف أن جيشه في منصرفه إلى بلاده نصب له الأعداء كميناً قرب خندق عميق وكيف أصيب عدد من أفراد الجيش ، ولكن الله سلم الغالبية ورجع الجيش سالماً إلى مأمنه (١).

ولقد امتازت علاقة الناصر بوزرائه وولاته بالود الخالص ، وكانوا يعرفون رغباته فيتسابقون لتلبيةها ، كما فعل الوزير ابن شهيد عندما أهدى إلى الناصر هديته المشهورة ، فقد أهداه عدداً عظيماً من الحجارة والخشب ومواد البناء لعلمه بغرام الخليفة بالبناء (٢) .

وباعتباره أميراً للمؤمنين فقد رأى أن من واجبه أن يحمي عقائد الناس من الانحرافات الضالة والأفكار المنحرفة ، فأصدر بياناً عاماً شاملاً ضد تعاليم ابن مسيرة التي انتشرت في الأندلس بعد أن زار مؤسسها الشرق وتعلم على يد فئات معينة ذات اتجاهات مخالفة ، ففند تعاليمه وحذر من اتباعها وأنذر وأوعد (٣) .

وكما سبق وقلنا آنفاً ، ارتفعت سمعة الأندلس وسمعة خليفاتها العظيم ارتفاعاً عظيماً جعل الدول الأجنبية تخطب وده وكان فيمن خطب وده امبراطورا القسطنطينية قسطنطين ورومانوس اللذان أرسلوا الوفود لحضرته ومعها الهدايا ، وكان بعض هذه الهدايا كتباً طبية وكتباً في التاريخ الروماني . ولقد حدثت حادثة طريفة أثناء استقبال الناصر لوفد الروم ، ذلك أنه أراد أن يكون

(٢) عنان . المصدر المذكور آنفاً ، ٧٩١ - ٧٩٤ .

(٢) المقرئ . المصدر المذكور آنفاً ٣٣٦/١ - ٣٣٧ .

(٣) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٧٠٨ - ٧١٠ .

رفع
 عبد الرحمن النخعي
 (سكنه الله الفردوس)

الاحتفال معبراً ومناسباً لعظمة الدولة والخليفة ، وقد تقرر أن يلقي خطبة الافتتاح أبو علي القالي الوافد من بغداد ، ولقد ساء ذلك الأندلسيين وعلى رأسهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي . فلما انعقد المجلس وقام القالي ليتكلم أصابه البهر وأرتج عليه فلم ينس بيت . شفة بعد حمد الله والصلاة على نبيه ، فأخذ مكانه حالاً القاضي البلوطي وأكمل الخطبة كأحسن ما يكون ، وهي خطبة بليغة تشيد بمناب الناصر العظيمة وكيف أن الله تعالى جمع به الأندلس ، وأخذ الفتنة وأحل القوة محل الضعف وجعل الناس يرفلون في حلل السعادة . كل ذلك بفضل الناصر وهمته (١) . وقد ختم القاضي خطبته الرائعة هذه التي سرت الخليفة وخلصته من مأزق حرج بأبيات من الشعر فيها تعريض أنه مبخوس الحق في بلده وإن الغرباء هم أصحاب الخطوة ، وهذا تعريض صريح بالناصر واعتماده على أبي علي القالي وإطراحه أهل الأندلس وهم أحق من الآخرين :

هذا المقال الذي ما عابه فند لكن صاحبه أزرى به البلد
 لو كنت فيهم غربياً ما كنت مطرحاً لكنني منهم فاعتلاني النكد
 لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد (٢)
 ولما مات الناصر سلم ابنه وولي عهده الحكم الثاني المستنصر بالله دولة آمنة قوية مزدهرة مهابة الجانب عالية البنیان ونام قرير العين أنه أدى واجبه نحو ربه ودينه ووطنه فاستحق أن يسجل اسمه مع أعظم عظماء الاسلام ومن مؤسسي الحضارة الاسلامية العظيمة .
 وعند تقريرنا لشخصية الناصر وإنجازاته نقول إن شخصيته مزيج

(١) المقري . المصدر المذكور آنفاً ٣٤٥/١ - ٣٤٨ .

(٢) الضبي . المصدر المذكور آنفاً ٤٦٥ .

من شخصية جده الأعلى عبد الملك بن مروان وجده الأدنى عبد الرحمن الداخل ، يضاف إلى ذلك استشراف داخلي ، وأصالة ذاتية ، تمكنت من قيادته أفضل قيادة عبر حياته الطويلة وكفاحه الشاق الطويل .

٦- الحكم الثاني المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٦٧ م .

الحكم شخصية محببة إلى النفس ، فهو شخص رضي الطباع ليس عنده تلك الشدة والصرامة اللتان توفرتا عند والده ، كما وأنه فاقه في حبه للعلم والأدب والكتب ، إلى جانب حزم وعزم مكانته من أن يقف بوجه الأعداء الخارجين بشكل جيد ، ولقد زرع عبد الرحمن الناصر أفضل زرع فحصد الحكم أجود حصاد ، وكانت حصيلة ذلك الحصاد حضارة سامية بامقبة ، وعلوماً سامية ، وآداباً رفيعة ، ومؤلفات قيمة في شتى ميادين العلم ، إلى جانب مدارس كثيرة ، وجامعات راقية ، ومكتبة تعتبر من أعظم مكتبات العالم على مر العصور . فقد كان الحكم ، قبل كل شيء وفوق كل شيء ، مفرماً بالكتب جمع في قصره مكتبة حافلة نافذة على الأربع مئة ألف مجلد وأحسن الاستفادة منها ، وكان له وكلاء يجوبون أرجاء العالم الإسلامي ، بحثاً عن المخطوطات وشراؤها وإرسالها إلى الأندلس . وربما كان الحكم أعلم حاكم في دينا الإسلام ، ويوصف بالفضل وسعة الصدر والحلم والعلم والذكاء الحاد وبكل الصفات التي يتصف بها أحد بناء الحضارة .

وكان عهد الحكم عهد رخاء وهدوء ، لم تتخلله ثورات عنيفة ولا اضطرابات خطيرة ، وإنما وجه بالحرب التي كان أبوه بدأها ضد بقايا الأدارسة في المغرب الأقصى ، وهم الحسينيون الذين تحالفوا مع الفاطميين ضد الأمويين في الأندلس ، فأرسل الناصر الحملات خدماً إلى

وكان على الحكم أن يسير بالحرب ضدهم إلى نهايتها المحتومة ، وهي الظفر . وقد فعل .

وقد أثبت القائد غالب مولى الحكم أنه قائد جيد وأنه أهل للمهمة التي ندبه لها مولاه للقضاء على حكم الأدارسة في المغرب ، فأرسله الحكم إلى هناك للقضاء على زعيم الأدارسة المتحالف مع العزيز الفاطمي الحسن ابن قنون ، وخوله صلاحيات كبرى وأطلق يده في العمل ، ولم يجعل يداً فوق يده إلا يد الخليفة نفسه . وتدل رسائل الحكم إلى قواده ، إبان اشتداد المعارك بينهم وبين الحسن بن قنون على فهم تام للموقف وضرورة الحذر واليقظة ، كما أمرهم باستعمال الحلم والأناة ، والعفو عن من يظفر بهم من العصاة . كل ذلك كدليل على شكر الله تعالى على ما أنعم من ظفر^(١) . كذلك يطلب من قواده إشاعة ذلك بين جميع أفراد القبائل الخاضعة لابن قنون حتى يكونوا : على علم برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم وبتقبل إنابة منيهم ، وإجارتهم من الظلم المستجل لمخارمهم ، المستهلك لنعمهم ، المنتهك لحرمهم ، وإن أمير المؤمنين غير مقلع عنه ولا صارف بأس عزمه دونه ، واستعانتته على ذلك كله بالله تعالى حتى يأخذ له بناصيته ، فهو من ورائه محيط ، تعالى جدّه (٢) .

كذلك في رسالة تالية منه إلى مولاه غالب الذي أرسل له يشكو غلاء الأسعار عنده لوفرة الجيش ، ويذكر له لجوء الأدارسة إليه بأعداد شغيرة ، نجد الحكم يتبع نفس الخط من الحلم المشوب بالحذر ، فهو يخبر

(١) ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الاندلس . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٧ .

قائده ألا يهتم بالأطعمة والأرزاق ، فسيلها اليه متصل ، وموادها موصولة بك ، متلاحقة لديك (١) . وأن عليه أن يجعل همه الأول الحرب حتى يظفر بالمارق ابن قنون .

وقد أنتجت هذه السياسة ثمارها ، فقد عرض عبد الكريم بن يحيى الإدريسي صاحب عدوة فاس على الحكم خضوعه واستسلامه بعد أن هزم ، فقبل الحكم ذلك منه وبائع الحكم بالخلافة هو وأهله وأتباعه وأصدر وثيقة بذلك ، يعلن استسلامه وبيعته وتبرأه من الحسن بن قنون (٢) .

ثم توج ذلك بظفره بحسن بن قنون نفسه وأصدر بذلك كتاباً إلى الآفاق يشر بذلك وانتهاء الحرب في المغرب الأقصى بزوال هذا الخطر عن الأندلس ، وأصبحت تلك البقعة مكاناً يخضع لحكم الحكم بعد أن كان مصدر خطر عليه وعلى سلطته (٣) .

هذا وإن الفضل في هذه النهاية الموفقة يعود إلى مقدرة غالب العسكرية وإلى سياسة الحكم الحكيمة القائمة على التسامح والعفو وأخذ الأمور بالمعروف واصطناع العدو أكثر من تدميره .

ومما يدل على روح الحكم العالية وأخلاقه الرفيعة هو جوابه لوزيره جعفر بن عثمان الذي مرض مرضاً شديداً أشفى منه على الموت فأرسل إلى الخليفة كتاباً يسأله أن يخلفه في أهله . ولقد كان جواب الخليفة قطعة رائعة من النبل والكرم والتفضل ، فقد أبدى أله لما حل به من بأس وانقطاع رجاء ، ثم يذكر له أن كل مأسأله ورغب فيه لنفسه وأهله

(١) نفس المصدر . ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) نفس المصدر . ص ١٧٨ - ١٨٢ .

ومن يتخلف ، فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأملته ورجوته ، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا لما بلواناه من شركك ومجهود حرمتك ومحمود صحبتك (١) ...

كذلك أصدر الحكم أوامره إلى قضاته ، أن ينادوا في الناس بضرورة إخراج الزكوات وإعطائها للفقراء والمساكين (٢) . ولما ارتاح من الحرب في المغرب الأقصى أسقط عن الناس سدس مغرم الحشد سنة ٣٦٤ هـ (٣) وكل ذلك يؤكد الصورة الكريمة السمحة التي رسمناها له .

ولقد وصلت خلافة الأندلس في عهد هذا الخليفة إلى درجة لم تبلغها من قبل ولم تبلغها من بعد ، وقد تقاطرت إليه وفود الاسبان تلتبس عفوه وصفحه وتحالفه ، مع هذا الفريق دون الفريق الآخر ، فقد بلغ ملك الجلالقة أردون عزم الحكم على غزو بلاده فحضر بنفسه إلى بلاط الحكم مع عشرين شخصاً من أكابر دولته ليقني الحكم عن عزمه وليعقد معه صلحاً . وقد استقبله الحكم أفضل استقبال وأعطاه ما سأله . وإن المرء ليعجب لرفعة الحكم عندما زى ملك الجلالقة يقبل بساطه ويقول : أنا عبد أمير المؤمنين المتورك على فضله ، القاصد إلى مجده ، الحكم في نفسه ورجاله (٤) ..

ثم يذكر الملك للحكم أن الخليفة الناصر كان أحسن استقبال ابن عمه شانجة لما أتى لاجئاً إليه من أردون الذي اختارته الرعية على ابن عمه لظالمه ، وولته ملكاً عليه ، ولكن الناصر أكرم وفادة شانجة وأعادته إلى العرش وخلع أردون ، ولكن شانجة كفر النعمة . أما أردون

(١) نفس المصدر . ص ١٤٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر . ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) المقري . المصدر المذكور آنفاً . ١/٣٦٧-٣٦٨ .

فهو خاضع للحكم محكم له في نفسه وولده وماله وأهله . وقد هدا الحكم روعه ووعدته النصرة وأنه سيعيده إلى ملكه : وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك ، ونشد أواخي ملكك ونملكك جميع من أنحاس اليك من أمتك ، ونعقد لك بذلك كتاباً يكون بيدك ، نقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك (١) .

وهكذا نجد الحكم يقف على قمة المجد في التاريخ الأندلسي كله ، داخلياً وخارجياً ، ولكن الفضل في ذلك بالدرجة الأولى لحكم والده العظيم وجهوده المباركة ، ومن ثم لشخصية الحكم وسياسته الرشدة الحكيمة ، ولا نعتقد أن هناك عزاً أو مجداً أبجد من أن يصبح الخليفة الأموي في قرطبة ملجأً للوك الاسبان ، وموثلاً وحكماً يحكم بين الاخوة وأبناء العم المتنازعين ، ويصدر المراسيم النازمة لعلاقاتهم بعضهم ببعض ، ويرسم الحدود بين المتنازعين ، وكفى بذلك مجداً وعزاً .

٧ - هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م :

توفي الحكم وخلف طفلاً صغيراً قاصراً هو هشام المؤيد ، وقد خضع الحكم لمواطفه الشخصية فجعل ابنه القاصر ولياً لعمه ، فأدى الأمر إلى تدهور الوضعين الداخلي والخارجي ، وإلى صراع حاد حول الوصاية على الخليفة الصغير ، ولو أنه لم يخضع لمواطفه الشخصية ، وعين ولياً لعمه أحد إخوته الراشدين لتغير الوضع ، ولكن هذا ما حدث . ولا يمكن الحكم على شخصية هشام البتة لأنه تولى الحكم صغيراً ثم سقط تحت

(١) نفس المصدر .

وصاية المنصور بن أبي عامر القاسية التي سحقته ولم تسمح له أن يتحرك إلا ضمن حدود مرسومة مدى حكمه وحكم ابنه من بعده ، فلما زال كابوس العامريين عنه لم يكن بحالة عقلية أو نفسية تمكنه من حسن التصرف بزمام نفسه ، بله زمام الأمور في بلده ، فأدى الأمر إلى أوخم المواقب له وللأسرة الأموية وللأندلس عامة .

كان هناك فريقان يتنازعان السيطرة على الخليفة الصغير : الحجاب المصحفي يساعده ابن أبي عامر والقائد غالب . ولقد دار صراع بين الطرفين خسر فيه غالب المعركة ، وصفا الجو للمصحفي ولكن إلى فترة ، إذ نازعه السلطة المنصور بن أبي عامر وتمكن من التغلب عليه واعتقاله حتى الموت .

والمنصور بن أبي عامر شخصية فذة ، وهو مزيج من طموح لا يعرف حدوداً وشجاعة لا تهاب وقسوة لا ترحم ، وسياسة ثابتة . إنه يعرف ما يريد ويعرف الطريق إلى تحقيقه ، ويعرف ما لا يريد ويعرف الطريق إلى منعه ، وقد نبع من أصل وضيع ، وتمكن ، بوسائله البعيدة عن الأخلاق ، أن يصل إلى ما يصبو إليه ، وأصبح حاكم الأندلس الأوحـد ، وتغلب على الخصوم الداخليين والخارجيين ، وأن سياسته الداخلية تثير الإعجاب ، كما وأن حروبه وانتصاراته ، ولا سيما ضد الإسماني ، تثير أقصى عوامل الفخر والعزة في نفوسنا هذه الأيام . ولكن خطأ المنصور الأكبر أتى من إضعافه الخلافة الأموية ، القاعدة الشرعية لكل حكم في الأندلس ، بشكل رهيب ، دون أن يحاول إحلال نفسه محلها ، لعلمه باستحالة ذلك . ولقد سارت الأمور بشكل جيد طوال حياته ، لأن يده القوية كانت تمسك بكل شيء ، وعينه اليقظة كانت تراقب كل شيء . ولكن من يضمن

استمرار الأمور بعد زوال اليد القوية؟ ولذلك ما إن زال المنصور من الوجود حتى ورثه ابنه عبد الملك المظفر في الحكم وفي السيطرة على الخليفة المستضعف ، وقد سارت الأمور سيراً جيداً خلال حياته القصيرة لأن في عبد الملك لمحات من شخصية أبيه ، ولكن ما إن حل في الحكم عبد الرحمن بن المنصور الذي تلقب بلقب ناصر الدولة حتى بدأ الاضطراب الذي أودى به وبالخليفة وبالخلافة وبالأندلس . فقد حاول الحصول على مالم يجرؤ على التفكير فيه أبوه ولا أخوه ، حاول الحصول على منصب الخلافة بعد هشام المستضعف ولم يكن هشام في وضع عقلي أو نفسي أو مادي يمكنه من رفض أي طلب للشخص المسيطر عليه ، فأصدر مرسومه الشهير بجعل عبد الرحمن هذا ولياً له—هـ .

وهذا يعني انتقال الخلافة إلى أبي عامر . لقد صبر شعب قرطبة والأندلسيون والأمويون على احتكار آل عامر للحكم ، وصبروا على حجب الخليفة والتحكم في مصائر العباد والبلاد ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين ، بحال من الأحوال ، أن يصبروا على انتقال الخلافة لغير آل أمية ، فقد ارتبط مجد الأندلس ومجد قرطبة بهذه الأسرة العظيمة ، ولم ينس الشعب أمجاد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، ولم تنس قرطبة أنها مدينة بمظمتها وقوتها وجاها لهاذين الخليفتين العظيمين ، وحتى عندما كان المنصور يضيف أمجاده إلى الأمجاد السابقة ، اعتبر الشعب ذلك امتداداً لعمل الناصر والحكم وباسميهما تم ماتم من فتوح . لذلك ثار الشعب ثورة عارمة انتهت بالقضاء على آل أبي عامر كلياً وعلى الخليفة العاجز ولكن هذا الشعب الثائر عجز عن إيجاد البديل للعامريين ، ذلك أن المنصور أضـمـف جميع الأطراف ، وكان هو وحده كفوءاً للقيام بمهام الدولة

وتصرف الأمور ، فلما زالت اليد القوية التي كانت ملجئة لكل الأطراف انفجرت الأحقاد واثرت الثغرات وحارب القوم بعضهم بعضاً ، وكان ذلك من أكبر الكوارث التي أصابت المسلمين في الأندلس ، فسقطت الأسرة الأموية وانقسمت الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات التي سميت دول الطوائف ، واستغل الأسبان هذه الفرصة فشنوا حرباً لاهوادة بها على الأندلس وبدأوا يحققون ما يصبون إليه من استرجاع البلاد وإذلال العباد .

وليس لدينا وثائق كثيرة عن عهد المنصور بن أبي عامر ، ولكن الرسائل التي دارت بينه وبين المصحفي الذي كان أستاذه ثم صار أسيره تكشف عن بعض نواحي شخصيته ، فقد أرسل المصحفي من سجنه رسالة استعطاف إلى المنصور لعله يرق لحاله ويطلق سراحه ، ولكن النتيجة كانت عكسية إذا زاد سخطه عليه وأجابه بأشعار منها مايلي :

نفسى إذا سخطت ليست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم^(١)

كذلك كان المنصور قاسياً على نفسه وعلى من بخدمته أشد القسوة إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، وهو الذي غزا الإسمان أكثر من خمسين غزوة لم تنكس له في خلالها راية قط وكان النصر حليفه في كل معاركه ضد الإسمان ، وكانت قسوته هذه ، إلى جانب قيادته الرائعة ، من أهم مقومات شخصيته . ولقد برزت قسوته هذه كل البروز في رسالته التي وجهها إلى قواد وأفراد جيشه سنة ٣٩٠ هـ عندما خاض آخر معاركه ضد الإسمان ورجا أشرسها ، وفي تلك المعركة ولي قسم كبير من جنده الأدبار ، ولكن المنصور امتلأ القيادة بنفسه وصبر بشخصه مع حرسه

(١) نفس المصدر ٣٨٤/١ .

الخاص وأثير غلمانه وفريق من الجند فحول الهزيمة الماحقة إلى نصر مؤزر ، ووجه بعد المعركة رسالة قاسية مرة إلى أفراد جيشه يقرعهم على تحاذلهم وفرارهم ويصفهم باليعافير والرئال : ... فحين جاءكم شائجة بالأمنية وقاتلكم بالشريطة أنكرتم ما عرفتم ، ونافرتم ما ألقم حتى فررتم فرار اليعافير من آساد الغيل وأجفلتم لإجفال الرئال عن المقتنصين ، ولولا رجال منكم دحضوا عنكم العار وحرروا رقابكم من الذل لبرئت من جماعتكم وشملت بالموحدة كافتكم ^(١) .

وتدل وصيته التي أوصى بها ابنه عبد الملك ، لما خلفه في منصبه ، على فهم لأصول الحكم المستبد المستنير المطلق الذي آمن به المنصور وطبقه ، فهو يوصيه بالحذر وعدم الاسراف في الانفاق ، وأن لا يهيج العامة لأنها تريد الأمن وخفض العيش وقد حقق المنصور لها ذلك . كذلك يطلب اليه أن يتفرد بالتدبير دون صاحب القصر وألا يسمح له بالتدخل في شؤون الحكم وأن يستمر في الحجر عليه ، مع إعطائه ما يكفي من المال ومع الحفاظ على المظاهر . كذلك أوصاه بالإحسان إلى أقربائه وصلة رحمهم وبر أخيه وغلمانه . ويحث وصيته بتحذيره وتحذير غلمانه من التحالف مع بني أمية والركون اليهم بحال من الأحوال : وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك ، فإني أعرف ذنبي إليهم ^(٢) .

ولقد استمر عبد الملك بن المنصور الذي لقب بالمظفر في سياسة

(١) ابن الخطيب ، لسان الدين . تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من يوسع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . تحقيق ا. ليفي بروفنسال . بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ م . ص ٧٢

(٢) نفس المصدر ص ٨١ - ٨٢ .

والده على جميع الأصعدة داخلياً وخارجياً . كذلك استمر على حجيبة الخليفة مع التوسعة عليه ، فقد دعا عبد الملك هشاماً المستضعف الى نزهة في قصره وهناك خدمه حق الخدمة ، فسر ذلك هشاماً ووجه لعبد الملك كتاباً يشكره على ذلك ويلقبه بالمظفر (١) .

ولكن الولد الثاني للمنصور واسمه عبد الرحمن طمح إلى أكثر من ذلك ، طمح في الخلافة ، وكان ضعيفاً عاجز الرأي أساء إلى الجند وإلى أنصاره ، وإلى العامة ، فطلب من هشام أن يجعله ولي عهده ، فاستجاب له هشام وأصدر مرسوماً بذلك ، هو من أشأم المراسيم في تاريخ الأندلس كله ، يولي بموجبه عهده : المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر (٢) .

ولكن شعب الأندلس عامة وشعب قرطبة بخاصة كان له رأي آخر في الموضوع ، ولم يصبر على نقل الخلافة من البيت الأموي فنار ثأرهم وقتلوا الناصر العامري والخليفة الأموي ، وانقسم القوم إلى عرب وبربر ، وإلى يمن وعدنان ، وإلى عامريين وسواهم . ولم يتمكن من حل محل هشام في منصب الخلافة أن يفعل شيئاً ، وأزيلت رسوم العامريين في الأندلس وقتل أفرادهم وطوردوا وهدمت الزاهرة رائعة الحسن ، واستقل كل منتر في ناحية من نواحي الأندلس ليبدأ مايعرف بالتاريخ الأندلسي بعصر ملوك الطوائف ، وهو عصر من أحلك عصور التاريخ الاسلامي صورة .

(١) نفس المصدر - ٨٨ .

(٢) نفس المصدر ٩١ - ٩٣ .

ج - عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٩٤ م .

امتد هذا العصر أكثر من نصف قرن وقسمت فيه الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات الهزيلة ، وكانت كلها تدفع الجزية إلى الطاغية ملك قشتالة كما يسميه المؤرخون المسلمون المعاصرون ، وقد سيطرت على الحياة السياسية في الأندلس آنذاك ثلاث قوى : عربية ، بربرية ، عامرية فقد أوجد العرب عدداً من الدويلات كان أقواها دويلة آل عباد في إشبيلية ، وهم عرب من أصل قحطاني ، كما أوجد البربر عدداً من الدويلات في عدد من مدن الأندلس كآل زيري في غرناطة . وهناك العامريون أو بالأحرى غلمان العامريين وأتباعهم الذين تركزوا في عدد آخر من الدويلات كخيران العامري وكغيره الذين تركزوا في جزيرتي ميورقة ومنورقة .

وكما قلنا سابقاً : كانت هذه الدويلات تدفع الجزية لملوك الاسبان دفعاً لشرم وجلباً لنفعهم ، وكانت تحارب بعضها بعضاً وتستعين ، في كثير من الأحيان ، بجنود مرزقة من الاسبان للتغلب على هذا الرئيس أو ذاك . كذلك ازدهرت الحياة الأدبية في هذه الدويلات ازدهاراً رائعاً وكان قسم من حكامها أدباء وشعراء أمثال المعتصم بن صمادح والمعتضد بن عباد وابنه المعتد ، وكان كل حكامها يشجعون الأدباء والشعراء فقامت للأدب سوق رائجة كل الرواج ونشطت حركة التأليف بشكل رائع أخاذ . كذلك امتازت الحياة السياسية بين تلك الدويلات بلا أخلاقياتها ، إذ لم يكن يتحرج أحدهم عن عقد مودة وصداقة مع الآخر ، وفي نفس الوقت يتحالف مع خصمه أو أخصامه أو يفسد أتباعه عليه أو يدبر ضده إنقلاباً أو يثير عدااء الاسبان عليه .

وامتاز قسم كبير من الحكام بقسوتهم المفرطة على أعدائهم حتى تجاوزوا

حد المعقول الانساني . فقد ذكر كثير من المؤرخين أن آل عباد في إشبيلية كان لديهم خزانة ، أو حديقة جيب رواية أحد المؤرخين ، نصبت فيها رؤوس أعدائهم التي قطعوها ، وعلقوا في أذن كل رأس رقعة كتب عليها اسم صاحب الرأس والمناسبة التي أدت إلى قطعه ، وكانت تسمى حديقة الرؤوس ، ويجدون متعة في ذلك .

ولقد افتتح هذا المهدي القاضي ابن عباد لما استبد بحكم إشبيلية بمسرحية ظن أنها تثبت سلطانه وتسبغ الشرعية على حكمه ، فأعلن « اكتشافه » الخليفة المنكود البائس هشام المؤيد ، وأنه أصبح في خدمة الخليفة الشرعي : فهذا مولاكم أمير المؤمنين قد صرفه الله عليكم وجعل الخلافة بيلدكم لمكانه فيكم^(١) .

ولقد فسدت العلاقات بين الحكام ولم يعد أحد منهم يثق بالآخر لأنه يعلم أنه يخدعه ويماليء عليه وإذا وجد فرصة خانه وغدر به ، كما فعل المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية بابن ذي النون لما خدعه عن قرمونة ومناه بقرطبة فوثق به ابن ذي النون وسلمه قرمونة ، فكانت النتيجة أنه خسر قرمونة وقرطبة^(٢) حتى إنه لم يكن من المستغرب أن يفدر الولد بأبيه أو يتآمر ضده ، كما فعل إسماعيل بن المعتضد بن عباد لما تآمر ضد أبيه وحاول قتله وانزاع الملك منه ، ولكن الوالد نجا من المؤامرة وقتل ابنه وأذاع بياناً وجهه إلى ملوك الأندلس آنذاك يخبرهم بما حدث ، ويشبه فعل ابنه به بفعل المنتصر بأبيه المتوكل ، ويفعل أحد ملوك الفرس بأبيه

(١) عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي . طبعة ثانية

مزيدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م ص ٣٨ ،

(٢) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً . ٢٨٣/٣ .

دون ذكر الأسماء (١) . ثم يذكر أنه نفذ حكم العدل في المتأمرين بما يستحقونه (٢) . وأخيراً يطلب من الجميع الاعتبار بما حدث وكيف أن أبناء هذا الزمان عاقون لأبائهم (٣) .

ووسط هذا الحلك من أنحطاط الحياة السياسية والأخلاقية نرى بعض اللمعات التي تشبه لمعات البرق في ليلة حالكة السواد ، فقد اغتصب وكلاء المعتصم بن صمادح حاكم الرية قطعة أرض لشيخ وضموها للحدائق التي أنشأها المعتصم وسماها باسمه الصمادحية . ولم يتمكن المسكين من عرض ظلامته على الحاكم ، فاحتال بأن كتب رقعة ووضعها ضمن قصبة جوفاء وألقاها في الساقية التي تمر أمام المعتصم فعلاً فأخذها فوجد فيها الشكوى من اغتصاب أرضه : أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الأرض ، ويحملك الحرص على مايفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها (٤) ... ويبدو أنه كانت لاتزال في نفس المعتصم هذا بقية من خير فبحث الأمر فوجده كما ذكر الشيخ فأمر بإعادتها إليه .

ولقد اغتم الاسبان فرصة ضعف الأندلس وتقسّمها إلى عدد كبير من الدويلات فألحوا عليها بالهجوم ، واسترجعوا قسماً مهماً من الأراضي الأندلسية وتوجوا عملهم هذا باحتلال طليطلة عاصمة القوط القديمة . وقد أدرك الاسبان سقوط أخلاق الأندلسيين وفسادهم آنذاك ، وأدركوا أن ذلك من أهم أسباب ضعفهم وانتصار الاسبان عليهم ، نجد ذلك واضحاً في

(١) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٥٠ - ٥١ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) المقرئ المصدر المذكور آنفاً ٢٣٨/٤ - ٢٣٩ .

رسالة فردلند ملك قشتالة إلى أهل طليطلة لما حاصرها أشد حصار ، وحاول الطليطيون دفعه دون جدوى عن مدينتهم ، ودارت بين الطرفين مراسلات كثيرة ، وأخيراً أخبرهم أنه لن يرحل عنهم حتى يحكم الله بينه وبينهم : وقد نصرنا الآن عليكم برداءكم ... ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم (١) .

ولقد سقطت طليطلة بيد فردلند ووضعت بنود لحماية السكان المسلمين ولكن عبثاً ، إذ لم يف الأسباب منها شيء واستباحوها وفعلوا بها الأفاعيل . وقد وجه الفونسو السادس رسالة تهكمية ملؤها الصلف والوعيد إلى المعتمد بن عباد ، ولقب نفسه فيها الأنبيطور ذا الملتين . ولقد حاول المعتمد أن يرد عليه ، ولكن كيف يرد الضعيف العاجز الذي يدفع الجزية على القوى ذي اليد العليا (٢) ؟ كذلك وجه الفونسو رسالة تهديدية تقريبية إلى المتوكل على الله حاكم بطليوس فكان الجواب جواب العاجز الجبان . ولعل أروع تصوير لحال ملوك الطوائف آنذاك هو الرسالة الشفهية التي وجهها الفونسو إلى المعتمد قبل معركة الزلاقة : كيف أترك قوماً مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم : المعتمد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون ، وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه سيفاً ، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً ، قد أظهروا الفسوق والعصيان ، واعتكفوا على المغاني والميدان وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً ، وأن يدعها بين أيديهم شداً (٣) .

(١) ابن عذاري . المصدر المذكور آنفاً ، ٢٨٢/٢ .

(٢) عنان . المصدر المذكور آنفاً ٧٥ - ٧٦ .

(٣) نفس المصدر - ٧٤ .

قد لا تكون هذه الرسالة صحيحة ، ولكنها تصور الوضع أصدق تصوير . ولقد ظلت الأندلس تتخبط بين شقي الرحا : الفساد الداخلي والانقسام ، والمدو الخارجي المهدد بالابتلاع حتى أنقذها الله بالمرابطين . والمارابطون جماعة من البربر سكان شمالي إفريقيا اعتنقوا الاسلام ، وهم قوم على الفطرة ، فتأثروا به كل التأثير وتفاعلت نفوسهم مع مبادئه السامية ، ورزقهم الله قائداً فذاً هو يوسف بن تاشفين فتمكنوا من تأسيس امبراطورية ضمت الجزائر ومراكش الحاليين ، إلى جانب قسم كبير جداً من الصحراء الجنوبية ، وبرزت هذه الدولة كأقوى دولة في المنطقة ، وجمعت شعارها الجهاد في سبيل الله . ولم يكن أمام الأنداسيين خيار : إما أن يرعوا الخنازير في جبال قشتالة أو أن يرعوا الجمال في صحاري إفريقيا وقد اختار القوم المصير الثاني ، فأثبتوا أنهم ، برغم كل ما أصابهم من انحراف وتشوه وفساد، في صميمهم مسلمون ، يفارون على الاسلام ومصيره وغفر هذا الموقف لهم كثيراً من سيئاتهم .

وقد أجمع القوم على توكيد ابن عباد في استصراخ ابن تاشفين لنصرة الأندلس ، وكانوا يعرفون تقصيرهم وعجزهم وانهم جنوا على أنفسهم وشعبهم وبلادهم ودينهم ، وقد انعكس ذلك في الرسالة التي وجهها المعتمد بن عباد باسمه واسم ملوك الأندلس إلى يوسف بن تاشفين يستصرخه لنجدة المسلمين في الاندلس: أما بمدفإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهم ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتيـنا فاختـر لنفسك أكرم نسبتيـك^(١) .

(١) ابن خلكان : أبو المباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م

ولقد لبى يوسف بن تاشفين نداء الأندلس ونداء الأندلسيين واصطدم بجيوشه ، تؤازره جيوش أهل الأندلس ، بجيوش الاسبان بقيادة الفونسو السادس ، في معركة الزلاقة الشهيرة التي أدت إلى انتصار المسلمين وهزيمة الاسبان وتراجع المد الاسباني إلى جزر ولو إلى حين .

ولقد دارت بين يوسف بن تاشفين والفونسو السادس مراسلات كثيرة قبيل المعركة ، وحاول الفونسو خداع ابن تاشفين ، ولكن ذلك كله لم يجده نفعا ، ونشبت المعركة بين الطرفين ، والتي تعتبر من أروع معارك الاسلام وأجدها يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ٤٧٩ هـ ، وهي معركة الزلاقة . وتمكن المسلمون بتأزرعهم وتعاونهم وثباتهم وشجاعتهم ، وقبل كل شيء بإيمانهم العظيم بدينهم ومبادئه ، من تحطيم الجيش الاسباني تحطيماً يكاد يكون تاماً كاملاً وأصيب قائده الفونسو بجراح وهرب مع قلة من أفراد جيشه تحت جنح الظلام . وقد صور ذلك أجمل تصوير المعتمد في رسالته لابنه يصف المعركة : كتابي هذا ... وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين ... وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الأليم والخطب الجسيم فالحمد لله على مايسره وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الأذفونش والاحتواء على جميع عساكره ... بعد إتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاملتهم صوامع يؤذنون عليها (١) ...

ولقد أبلى المعتمد نفسه في هذه المعركة أحسن البلاء وأعظمه ، وذلك بشهادة يوسف بن تاشفين نفسه الذي أرسل رسالة يشرح المعركة وظروفها إلى تميم بن المعز بن باديس في المهدي بعد انتهائها : ... ولجأ

(١) المقري . المصدر المذكور آنفاً ، ١٠٢/٦ .

(أي المعتمد بعد أن هاجم جيش الفونسو جيشه وتخلي عنه الجميع) في الأخوية بعد أن عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغه أمنيته ، بعد أن وقف وقفة بطل مثله ، لا أحد يرد عليه ، ولا فارس من فرسانه وعبيده يرجع إليه ، لا يروعه أحد منهم فيزيم ، ولا يهابهم فيسأم (١) .. ثم يقص يوسف ماجرى بعد ذلك من وصول الصريخ إليه وهجومه بجيشه على الفونسو والتحام المعركة . وانظر إلى قوله لنفسه وأتباعه : هذا آخر يومنا من الدنيا فلتتموتوا شهداء (٢) ... فثبت الله أقدامنا وقوي أقدتنا والملائكة معنا ، والله تعالى ولي النصر لنا ، فولوا هاريين وفروا ذاهبين (٣) . وانظر إلى تواضعه واعتماده على الله تعالى ونسبة الظفر الذي حازه المسلمون على الأسباب إلى الله تعالى لا إلى نفسه أو جيشه أو شجاعته مع أنهم بذلوا أقصى ما يتوقع بذله من إنسان في تلك المعركة الضارية حتى تمكنوا من تحقيق النصر : ... وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون دون طمعة تلحقه ولا ضربه تشنعه (٤) .

ولكن معركة الزلاقة ، والنصر الذي حازه المرابطون والأندلسيون لم يحل مشكلة الأندلس ، ذلك أن معركة الزلاقة كانت معركة مهمة ولكنها لم تكن حاسمة ، فقد أصابت الأسباب بجروح عميقة ولكنها غير قاتلة كما وإن العلاقات ساءت بين المرابطين وبين ملوك الطوائف ، وبين ملوك الطوائف بعضهم بعضاً ، وخشى يوسف على جيوشه ، إن بقيت في الجزيرة الخضراء ، أن تصبح في جزيرة وسط

(١) غنائم ، المصدر المذكور آنفاً ٤٤٦ ، ٤٥٠ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

بحر من الأعداء . وأثار بعض الناس ، ولاسيما بعض قواده ، طمعه في احتلال الأندلس كلها وضمها إلى سلطانه . ولم يحسن ملوك الطوائف من جهتهم التصرف فأدت تلك الظروف كلها إلى أن قرر يوسف بن تاشفين إحتلال الأندلس كلها وضمها إلى ملكه ، وأن يقوم هو وجيشه بعبء الجهاد والدفاع عن الأندلس . ولقد نفذ يوسف فكرته هذه واحتلت جيوشه الأندلس بكاملها . ولقد اختلف مصير حكام الأندلس ، فأغلبيتهم كان مصيرهم القتل والأسر والنفي كما حدث للمعتمد بن عباد الذي احتل المرابطون مملكته ونفوه مع أسرته في القيود إلى أن مات في أقصى المغرب الأقصى حيث أمضى ما تبقى من حياته . أما الذين لم يقاوموا يوسف بن تاشفين وسلخوا له ممالكهم طواعية أمثال الأمير عبد الله بن زيري أمير غرناطة ، فقد كان مصيره أفضل من مصير المعتمد بن عباد ، فقد خير في النزول في أي مكان أراده باستثناء غرناطة ووسع عليه وعومل معاملة أفضل (١) . أما الحاكم الوحيد الذي نجا من هذا المصير فهو المستعين بالله بن هود حاكم سرقسطة ، ذلك أنه سلك سلوكاً حسناً وأرسل إلى يوسف بن تاشفين يبدي ولاءه وخضوعه واستعداده ليكون سداً بين يوسف وبين الأعداء الاسبان وتعهده بتقديم الهدايا والطرف: ونحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومناعين تطرف وقد قنعنا بمسالتكم فاقنعوا منا بها إلى مانعينكم به من نفيس الجواهر (٢) . ويبدو أن يوسف بن تاشفين رأى أن من الأفضل له وللأندلس وللخطة الدفاعية عنها أن يترك ابن هود في سرقسطة التي هي الثغر الأعلى سداً

(١) عبد الله . مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة المسماة بكتيبات التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ م ص ١٤٩ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر المذكور آنفاً ، ١٤٥/٤ .

منيعاً بينه وبين الاسبان وأن يعمل على تقويته في ذلك تقوية له ولالأندلس وللجهاز الدفاعي بكامله ، فذلك خير من ضمها مباشرة إلى ملكه والقيام بجيوشه بهذه المهمة ، ولذلك نراه يجيب ملتمس ابن هود أفضل إجابة وأكرمها ، ويرسل له رسالة تفيض بأنبل العواطف : وأما الذي عندنا ففؤاد صريح وعقد في ذات الله تعالى صحيح ^(١) ... وأصفينا في تفصيل جملة إلى تلخيصها [رسولا ابن هود] فألقينا إليها مراجعة عن ذلك مآلقناه ، وسفرنا لها عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه ، من جملة الوفاق وجماع الانتظام في سلك مايرضي الله تعالى والاتساق ^(٢) ... وبالجملة فقد انتهى عهد ملوك الطوائف في الأندلس إلى نهايته المنطقية إذ لم يكن بإمكان حاكم قوي كيوسف أن يسمح لهؤلاء الحكام بالانتزاع والتآمر والتقاتل والتخاصم ، مما قد يؤدي إلى تهديد جيوشه وسلامة الأندلس وسلامة القضية التي يدافع عنها ، ففعل مافعل وهو تحت تأثير المصلحة العامة أكثر مما هو تحت تأثير النوازع الشخصية . ولكنه يلام بعض اللوم لسوء معاملته لبعض ملوكهم كالمعتمد بن عباد الذي أبلى أروع البلاء وأعظمه في معركة الزلاقة ، وكان لموقفه المشهور في الدفاع عن الاستنجد بالمرابطين أثر كبير في ترجيح كفة المطالبين بهذه النجدة . وكنا نود لو أنه رعى له هذه المواقف السابقة فأحسن معاملته واحترم فيه شيخوخته وأدبه وأريحته وكرمه وجهاده وإخلاصه .

(١) ابن الخطيب ، المصدر المذكور آنفاً ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) نفس المصدر .

د - المرابطون ٤٥٣ - ٥٤١ هـ / ١٠٦١ - ١١٤٥ م .

نبعت حركة المرابطين في المغرب الأوسط ، وجعلت شعارها نشر الاسلام والدفاع عنه عن طريق التبشير به بين الوثنيين ، كما جعلت شعارها المrabطة في الثغور للدفاع عن بلاد الاسلام ، ومن هنا أتى اسم المرابطين ولقد كان لروادها الأوائل فضل كبير في نشر الاسلام بين القبائل الوثنية جنوبي الصحراء الجزائرية ، كما كان لهم فضل الدفاع عن الاسلام وحماية المسلمين من الأعداء الداخلين والخارجيين . وقد برز من زعمائها الأوائل يوسف بن تاشفين الذي تمكن أن يرأب الصدع في الحركة المrabطية وأن يعيد توحيد المرابطين تحت قيادته ، وأن يسير في بناء الدولة المrabطية إلى الغاية المنشودة ، وهي تأسيس دولة قوية ضمت القسم الأكبر من شمالي إفريقيا ، مع التوسع نحو الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي ، ونشر الاسلام والدفاع عنه .

وإن الدارس لشخصية يوسف بن تاشفين ليعجب للبساطة التي تحلى بها هذا القائد . فقد كان بسيطاً في حياته الخاصة والعامة ، سليم الطوية صافي السريرة ، ظاهره كباطنه ، وظل هكذا حتى أواخر أيام حياته ، لم يغيره الغنى والجاه والنفوذ . كذلك يمتاز بإيمانه العميق بمبادئه التي أعلنها ونذر نفسه من أجل تحقيقها ، حتى ذاع صيته في جميع أقطار الاسلام ، واشتهر بصلابته في إيمانه وإخلاصه في تقواه . هذا وإن هذه البساطة وهذا الايمان وهذا الاخلاص هي صفات النفس المؤمنة التي فطر الله الناس عليها ، ولذلك حبيته هذه الصفات من أتباعه البربر الذين اعتنقوا المبادئ التي نادى بها وأطاعوه وساروا تحت لوائه . ذلك أن البربر كانوا آنذاك قوماً أقرب إلى الفطرة فاستجابوا لدعوة الفطرة بقودهم

رجل فطرته سليمة وطويته صافية . وهذا يعلل إلى حد كبير ، نجاح يوسف في دعوته .

ولقد ظل يوسف ثابتاً على مبادئه حتى نهاية حياته ومخلصاً لها ما عاش من عمر ، على الرغم من الدنيا العريضة التي أتته والترف الذي أصاب حياة المرابطين بعد احتكاكهم بالأندلسيين وبعد أن أصبحت الأندلس قسماً من امبراطوريتهم . ولكن الوضع تغير بعد يوسف ولم يكن ابنه وخليفته من بعده على مثل أبيه ، فأخذ القوم بأسباب الترف وركنوا إلى الراحة والدعة ، وتقاعسوا عن أداء الواجب المفروض عليهم في الدفاع عن الأندلس وأصيبوا بعدد من الهزائم المروعة أمام الأعداء الاسبان ، وتفشى بينهم الترف والفساد ، ونبتت في عهد علي الحركة الموحدية التي قدر لها أن تدمر المرابطين وأن تحل محلهم . ولقد كان علي أقرب إلى الخير والصلاح منه إلى الشر والفساد ، ولكن الظروف كانت أقوى منه ، وحاول إيقاف التيار فعجز ، واضطربت إدارته وأوضاعه داخلياً وخارجياً . وبعد وفاته واستلام ابنه تاشفين مكانه تسارعت عوامل الهدم في البنيان المرابطي حتى تمكن الموحدون من القضاء عليهم والحلول محلهم .

١ - يوسف بن تاشفين ٤٥٣ - ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م .

لما شعر يوسف بن تاشفين بقوته وصلابة الأرض التي يقف عليها اتخذ لقباً مهماً ذا مغزى هو لقب أمير المسلمين ، وهو لم يتخذ لقب أمير المؤمنين ، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك لأنه كان آنذاك أقوى من الخليفة العباسي أو الخليفة الفاطمي . ولكن اتخذ هذا اللقب يعني القطيعة مع النظامين العباسي والفاطمي . وكانت الدعوة المرابطية أقرب بكثير ، بمبادئها ومثلها ، إلى الدعوة العباسية وإلى السنة والجماعة من الدعوة الفاطمية

والحركة الشيعية . ولم يكن في نية المرابطين وزعيمهم يوسف أن يقطعوا
علاقتهم بالعباسيين ، على العكس كانوا يريدون تعزيزها ، وحاولوا الاعتراف
بشرعية حركتهم وشرعية دولتهم عن طريق الحصول على تقليد من الخليفة
العباسي الموجود آنذاك . لذلك أصدر يوسف مرسوماً إلى جميع ولايته
يطلب منهم أن يلقبوه بلقب : أمير المسلمين وناصر الدين ^(١) ، وذلك :
لنمناز به على سائر أمراء القبائل ^(٢) . وكان ذلك في منتصف محرم
سنة ٤٦٦ هـ .

كذلك لجأ يوسف ، بعد أن صلب عوده وشاع ذكره وعرف أثره ،
إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه تقليداً يجعل ولايته شرعية على
المناطق التي سيطر عليها . وقد كان الخليفة عند حسن ظن يوسف به ،
وأرسل له تقليداً شرعياً يعدد فيه الوصايا ويوجه الوجهة الشرعية في حكم
البلاد والرعيا . وهو يذكر أنه حين انتهى إليه [إلى أمير المؤمنين] ماهو
عليه من ادراع جلايب الرشاد في الأصدار والإيراد ، واتباع سنن من
أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ... واتضح ماهو متشبث به
من صحة الدين واليقين ... في ضمن ماطوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه
به وولوعه ، من موالاته لأمر المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة
من كل مخوف باستحكام سعيها ... فوله الصلاة بأعمال المغرب والمعاون ،
والأحداث والخراج والضياح والأعشار والجبهة والصدقات والجوالي وسائر
وجوه الجبابات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء ، والمظالم وأسواق

(١) حرركات ، إبراهيم . المغرب عبر التاريخ . الدار البيضاء ، مطبعة دار السلمي ،

١٩٦٥ م . ص ٢٠٨

(٢) نفس المصدر .

الرقيق ، والعيار في الضرب والطرز والحسبة ... مسكوناً إلى استقلاله بأعباء ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رياه (١) ...

بعد ذلك ينتقل الخليفة إلى الوصايا المتنوعة المعروفة ، فيوصيه أول ما يوصيه بتقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار (٢) ، ثم يوصيه بالانتماء بكتاب الله تعالى والإستضاءة بمصباحه (٣) . وأن يحافظ على الصلوات ، وأن يسمي في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ، ولولي عهده العدة للدين القاسم بن عبد الله بن محمد بن أمير المؤمنين أدام الله تعالى به الامتاع ... ثم لنفسه ، جارياً في ذلك على ما ألف من مثله (٤) . ثم يوصيه بإخراج الزكاة على الوجه الشرعي ، بعد ذلك يوصيه بحسن السيرة والبعد عن الرذيلة وفعل الخير ، وأن يحسن لأتباعه وأنصاره وأن يعدل في الرعايا قبله ، وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وأن يحمي الطريق ، وأن يلقي القبض على إباق العبيد وإعادتهم إلى أصحابهم ، وأن يختار للشرطة رجالاً أكفاء أقوياء ، حتى يقتلعوا الشر من جذروه ، وحتى يدعموا أحكام القضاة خير دعم وأقواء ، وأمره بتفقد السجون ، وضبط النفقات ، وقطع دابر الرشوة والسرقات ، وأمره بالاستعداد الدائم والدائب للحرب والجهاد وأمره أن يختار عمال الخراج والعشور والصدقات من الأتقياء البررة ، وكذلك الحال في أمر الحسبة والطرز ودور الضرب والرقيق (٥) . وبالجملية رسم الخليفة

(١) القلشندي ، أبو العباس أحمد بن علي . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . القاهرة

دار الكتب المصرية ، ١٩١٤ - ١٩١٩ م . ٣١/١٠ - ٤٥

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

ليوسف برنامج عمل كاملاً ودستوراً للسير بموجبه لوسار بموجبه أي حاكم لغدت بلاده جنة الله في أرضه .

ولم يكتف يوسف بما حقق من شرعية ، وإنما لجأ أيضاً إلى حجة الاسلام الغزالي الذي كان معاصراً له فأرسل له أحد الفقهاء في حضرته فقص على الامام الغزالي سيرة يوسف في تقواه ، ودينه ، وجهاده ، ورسم له صورة مشرقة كل الاشراق ، فأصدر الامام الغزالي فتوى شرعية تثبت شرعية ولاية يوسف وتجعل الخروج عليه خروجاً عن الدين ومروقاً من الاسلام والايان . والملاحظ في هذه الفتوى أن الغزالي يجعل الاعتراف بالخليفة العباسي شرطاً أساسياً وركناً رئيسياً من أركان شرعية الحاكم الذي يعترف بالخليفة العباسي : ... وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمرد واستعصى فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يرده بالسيف وأن يقاتل الفئة المتمردة على طاعته ^(٥) ... وأن يستمر في قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية ، ومتى تركوا المخالفة وجب الكف عنهم ^(١) ...

ويبدو أن بعضاً من مناوئي يوسف احتجوا بعدم وصول تقليد من الخليفة العباسي ، ويرد الغزالي هذا القول بما يلي : ... وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة ، حكم الباغي على نايب الامام ، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد ، فهو نايب

(١) عنان ، محمد عبد الله . عصر المرابطين والموحدين في الاندلس . القاهرة ، لجنة

التأليف ، ١٩٦٤ م . ٤٢/١ - ٤٣ .

(٢) نفس المصدر .

بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام مصر أن يأذن لكل مسلم عادل استولى على قطر من أقطار الأرض ، أن يخطب له وينادي بشعاره ويحمل الخلق على العدل والنصفة .

ولا ينبغي أن يظن بالامام توقف في الرضا بذلك والإذن فيه ، وإن توقف في كتبه المنشور ، فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإصلاحها المعاذير^(١) . كذلك وجه الامام الغزالي خطاباً إلى يوسف بن تاشفين يفيض مدحاً وشكراً على ما فعله في نصرة المسلمين في الأندلس ، وقد افتتح الخطاب بـ « بلقب من المستغرب كل الاستغراب أن يطلقه الغزالي نفسه على يوسف وهو : أمير المؤمنين^(٢) » . وهذا ولا شك خطأ من النساخ ، لأن الغزالي نفسه يلقب يوسف في نفس الرسالة بـ « بلقب ظهر أمير المؤمنين^(٣) » . وواضح كل الوضوح من الرسالة أن الغزالي لا يلقبه قطعاً بـ « أمير المؤمنين » وإنما أمير المؤمنين الخليفة العباسي ويوسف أحد ولاته . ويسدو لنا أن أصل اللقب هو أمير المسلمين ، ولكن حصل خطأ أو التباس أدى إلى هذا . ويظهر أن سمعة يوسف ومقامه به من أعمال في شمالي إفريقيا والأندلس قد انتشرت في أرجاء العالم الاسلامي حتى وردت العراق وبغداد ، فيذكر الغزالي : « ولقد استطارت في الآفاق محامد سيرة ومحاسن أخلاقه على الاجمال^(٤) » . بعد ذلك ورد إلى العراق رسول يوسف وهو الفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي فأحسن نشر مناقب يوسف ومنجزاته ، وحدث القوم عن جهاده في نشر الاسلام في شمالي إفريقيا ، وعمله في

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ١/٥٣٠ - ٥٣٣ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

الرعية وحالة الأندلس قبل معركة الزلاقة واستنجاد القوم بيوسف ونجدة إياهم وهزيمة الأسبان ، ثم ما حدث بعد ذلك من تخاذل القوم وكيف اضطر يوسف إلى أن يعبر الأندلس مجدداً ، وأن ينهي حكم ملوك الطوائف وأن يضم الأندلس إلى مملكته ، وبأشر الجهاد بنفسه وجيشه في الأندلس نجد ذلك كله مبسوطاً في رسالة الغزالي ليوسف ، مع إعجاب شديد به وبرسوله الذكي الألعبي ، ودعاء للأمير أن يوفقه الله تعالى ويسدد خطاه ، ويحتم رسالته بقوله : ونسأل الله أن يخلد ملك الأمير ويؤيده تخليداً لا ينقطع أبد الدهر . ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستنكر لملك العباد التأييد والبقاء ، وليس كذلك ، فإن ملك الدنيا إذا زين بالعدل فهو شبكة الآخرة ، فإن السلطان العادل إذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير إلى سرير أعظم منه ، ومن ملك إلى ملك أجل وأرفع منه (١) .

ولما توطد الملك ليوسف وشعر باقتراب أجله بايع ابنه علياً بولاية العهد من بعده وأصدر عهداً وكتاب تولية بذلك سنة ٤٩٦ هـ ، وهو يعلن أنه ، في اختيار ولده لهذا المنصب من بعده ، لم يأل جهداً ولا نصيحة لله ورسوله في هذا الاختيار واستنصح أولي الحل والعقد من قومه ، فكلمهم أشار عليه بولده علي أن يكون ولي عهده وأميراً للمسلمين من بعده ، لذلك ولاه ولاية عهده ، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع ، ولا يعبد عن سمت العدل وحكم الكتاب والسنة (٢) . ثم يوصيه بعد ذلك بحسن الدفاع عن المظلومين ، وأن يداوم الجهاد وأن يحسن الدفاع عن العباد والبلاد . ثم يذكر أنه دعا لمبايعته من دنا ونأى من المسلمين فلبوا مسرعين

(١) نفس المصدر .

(٢) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً ١٠ / ١٦١ - ١٦٢ .

وأتوا مطعين وأعطوا صفقة أيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة والتزام سنن الجماعة (١) ...

وبعد صدور هذا التقليد أصدر يوسف كتاباً إلى جميع ولايته يعلن توليته لعهد من بعده لولده علي .

ويعيد في الكتاب ماسبق أن ذكره في التقليد من ضرورة الولاية بالعهد وعدم ترك الأمر فوضى ، وأن هذا الأمر مسؤولية على الحاكم ، وأن يوسف امتنح واستنار ، ثم اختار ولده علياً ، وإن علياً أهل للء هذا المنصب ، وأن أمير المسلمين استدعاه اليه مشروطاً عليه الشروط الجامعة بينها وبين الشروط فقبل ورضي (٢) ...

٢- علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠-٥٣٧ هـ / ١١٠٧-١١٤٣ م .

ولقد افتتح علي عهد به بأن أرسل الى الخليفة العباسي المستظهر بالله يخبره باستلامه إمرة المسلمين ويجدد ولاءه له ويطلب تقليداً ، وكان الخليفة عند حسن الظن به فأرسل له تقليداً مختصراً جعل ولايته شرعية (٣) .

ولقد امتاز عهد علي بعمليات عسكرية في الأندلس كان التوفيق حليفه في أول الأمر ، ولكن قلب الحظ له وللمسلمين ظهر الحزن ، وحدثت بعهد كوارث حقيقية وسقطت بيد الاسبان معاقل رئيسية مثل سرقسطة وغيرها . فقد امتلأ المرابطون فخرًا لما تمكنوا من احتلال قلعة شنترين في بلاد البرتغال ، وهي من أمنع القلاع وأقواها ، ونجد ذلك الفخر بارزاً في رسالة قائد جيش المرابطين سير بن أبي بكر بن تاشفين إلى علي بن

(١) نفس المصدر .

(٢) حركات ، المصدر المذكور آنفاً ٢٠٣/١ .

(٣) نفس المصدر ٢٠٢/١ .

يوسف بن تاشفين عن القلعة وكيفية احتلالها : ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع المنيقة المناصب على القاع ، قد استشرى دأؤها وأعيادها ، استخرنا الله تعالى على صمدها ، وضرعنا إليه في تسهيل قصدها (١) ... فقصدنا إليها وهجمنا هجوم الردى عليها ، في وقت انسدت فيه أبواب السبل ، وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل (٢) ... ولما ضمهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيم بتفريق أمواجه البوار ، ... اختاروا الدنية على المنية ورضوا بالامتسلام للعبودية وإسلام الأهل والذرية (٣) . وهذه القلعة التي اتهمنا إلى قرارها واستولينا على أقطارها أرحب المدن أمداً للعيون وأخصبها بلداً على السنين (٤) .

ولكن هذا العهد القصير من الانتصارات انتهى ليحل محله عهد أسود من الانهزامات وتسليم المدن ، وكان السبب الأكبر في ذلك سوء قيادة القوة المرابطة وتخاذل أفرادها أكثر مما هو قلة في عدد أفرادها أو سوء تجهيزها . فقد هاجم الفونسو المحارب مدينة سرقسطة ، وحاول إنجادها أخو أمير المساميين حاكم الأندلس وقائد جيشها الأمير أبو طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، ولكنه لم يفعل شيئاً وهاب لقاء العدو ونكص عن حربه ، وتخلّى عن البلدة وتركها لمصيرها المؤلم . ولقد حاصر العدو سرقسطة ، وأرسل أهلها وقاضيتها وأعيانها رسالة تهز الوجدان وتذيب الصخر يعلنون ولاءهم وطاعتهم ويطلبون حمايتهم واثقاظهم ولكن ذهبت تلك الرسالة صرخة في واد .

(١) المراكشي ، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العربي ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٣ م ٢٢٩ - ٢٣٢

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

فقد خاطبت الرسالة الأمير أجمل مخاطبة ، واعترف القوم بطاعته واستنجدوه على أعداء الله . ثم ينتقل القاضي والجماعة الى ذكر حالهم : فنحسن في كرب عظيم وجهد أليم ، قد جل العز والخطب ، وأهلنا لهلاك والعطب ، فيساغوثاه ثم ياغوثاه الى الله (١) ... وبالله وبالإسلام ، لقد انتهك حماه وفضت غراه ... وياحسرتا على حفرة قد أشفت على شفى الهلاك ، طال ماعمرت بالايان ، وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن ترجع مراتع الصلبان ومشاهد ذميمة لبعدة الاوثان (٢) ... وبإيولاه على مسجد جامعها المكرم ، وقد كان مأثوساً بتلاوة القرآن العظيم تطؤه الكفرة الفساق بذم أقدامها ... ثم ياحسرتاه على نسوة مكنونات عذارى يعدن في أوثاق الأسارى (٣) ... فإلى الله بك المشتكا ، ثم الى رسوله المصطفى ، ثم الى ولي عبد أمير المسلمين المرتضى (٤) ... ثم يذكرون له خيبتهم الكبرى لما قدم بعساكره التي ملأهم فخاراً وأملأ ، ثم انثنى دون حرب ولا ما يحزنون : ... فما أوليتنا غناء بل زدتنا بلاء وعلى الداء داء بل أدواء (٥) ... ثم يذكر له نتائج نكوصه هذا : ... بل أذلت الاسلام والمسلمين واجترأت فضيحة الدنيا والدين ، وبالله وبالإسلام لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام اذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح إحجام (٦) ... ثم ينتقل القاضي الشجاع الى تحذير المرابطين بأنه ان حم

(١) عنان ، المصدر المذكور آنفاً ، ١/٣٨٥ - ٤١٠

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

القضاء على سرقسطة فإنهم سيجلون عن الأندلس كلها : ... أتخسبون يامعشر المرابطين ... ان سبق على سرقسطة القدر ... أنكم تلعون بعدها ريقاً وتجدون في سائر بلاد الأندلس - عصمها الله - مسلماً من النجاة وطريقاً ؟ كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً ، وليخرجنكم منها داراً فداراً ... (١) ثم يختم كتابه هذا بتحميل الأمير تميم المسؤولية عند الله وعند المسلمين : ولن يسمعك عند الله ولا عند مؤمن عذر في التأخر والأرعوا ، عن مناجزة الكفار والأعداء ... (٢) ويقول له : ومهما تأخرتم عن نصرتنا فالله ولي الثأر لنا منكم ورب الانتقام ، وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الاسلام ... (٣) .

ولقد تركت سرقسطة لمصيرها الرهيب فاحتلها الفونسو المحارب ، ولقد كان لسقوطها رد فعل في مجال آخر ، ذلك أن خبر سرقسطة وكيفية سقوطها وصل الي علي بن تاشفين فتألم لذلك كل الألم ووجه الى جيش بلنسية الذي نكل عن نجدة سرقسطة رسالة قاسية كل القسوة كلها تقريع وإهانة وتوبيخ على ما فعلوه . ولكن هل يفيد هذا الشيء وحده دون عقوبة زاجرة تمنع أمثال هذا العمل وتعاقب الجناة والمقصرين الذين تسبوا في حدوث ما حدث ؟ وهل اتخذت الترتيبات اللازمة التي تمنع تكرار ما حدث ؟! فقد افتح رسالته لهم بهذه الجملة الرهيبة : يافرقه خبث سرايرها وانتكثت سرايرها (٤) ... فقد آن للنعم أن تفارقكم ، والأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية (٥) ... أي بني اللئيمة وأعيار الهزيمة الى

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ٥٤٥/١ - ٥٤٦ .

(٥) نفس المصدر .

ما يريكم الناقد ويردكم الفارس الواحد (١) . ثم ينتقل الى تهديدهم بالقتل ان عادوا للفرار : وأيم الله نقسم إنذاراً بكم وإعذاراً لكم : لنوردن الفار منكم الزحف ماعافه من موارد التلف ، ولنتجاوزن السوط الى السيف (٢) ...

ولكن ذلك لم يجد نفعاً لأن عوامل الترف بدأت تعمل عملها في النفوس وأحب القوم الدنيا وفضلوها على الاخرى ، لذلك نرى المرابطين يصابون بهزيمة أخرى شنيعة في معركة القلعة سنة ٥٤٣ هـ ، وأدت هذه الهزيمة الى مراسلات مريرة بين أمير المسلمين وقواد جيشه . وقد قرعهم مرة ثانية على هذه الهزيمة ووصفهم بأنهم أشجع الناس أقفاء وظهوراً وأجبنهم وجوهاً ونحوراً (٣) ...

ولقد أحدثت هذه الهزائم ذعراً مميّتاً لدى سكان الأندلس ، ولا سيما في الثغور ، حتى أن سكان بلنسية خافوا أن يتخلى المرابطون عنهم كما تخلوا عن أهل سرقسطة ، فأرسلوا رسالة استغاثة إلى سلطان المرابطين يناشدونه الله والاسلام ألا يتخلى عنهم ، ويصفون له ما أصابهم من ذعر وخوف لما رأوا جيوش المرابطين تولى الأدبار أمام الفونسو المحارب . وقد أجابهم علي بن يوسف جواباً لطيفاً مطمئناً إياهم إلا أنه لن يتركهم وحدهم وأنه سيدافع عنهم : ... وبعد فإننا لاندعكم بحول الله لضياح ، ولا نألوكم إلا اهتبالاً نذهب بمشيئة الله مانالكم من توقع وارتياح (٤) . ثم

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ١/٥٤١ - ٥٤٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر ١/٥٤٣ .

يخبرهم أنه أصدر أوامره الى جميع ولاية الأندلس بضرورة إمداد بلنسية بالأتوات والأمداد وأنه لن ينسأهم ولا يزالون من باله (١) .

ولا ينسى في هذه الرسالة أن ينحى باللائمة على أفراد جيشه ويذكر أنه ذكرهم ووعظهم فما ازدادوا الا جبناً ولم تنجع فيهم الموعظة ولا نفعهم الذكرى (٢) .

ولم يتكشف بقية حكام المرابطين عن أي أصالة أو مقدرة سياسية أو عسكرية ، وانما انصرفوا الى الترف ، وشغلوا أنفسهم بتوافه كثيرة وانصرفوا عن العدوين الخارجيين الاسبان ، والداخليين الموحديين الذين تناوشوهم في الداخل والخارج حتى أتتهم الضربة المميتة من الموحديين بزعامة عبد المؤمن الذي ورث زعامة الحركة الموحدية بعد وفاة مؤسسها المهدي بن تومرت ، وأصبح قائد الموحديين ، وتمكن من القضاء على المرابطين والحلول محلهم وتأسيس دولة جديدة في شمالي افريقية والأندلس عرفت باسم الدولة الموحدية .

هـ - الموحدون ٥١٥ - ٦٦٨ هـ / ١١٢١ - ١٢٦٩ م .

والحركة الموحدية حركة نبت في السوس الأقصى من المغرب الأقصى قادها شخص تسمى باسم المهدي وزعم لنفسه النسب القرشي ، وأنشأ مدرسة وأتباعاً . وأوجد لها جهازاً متقناً لحماية الدعوة ونشرها ، وتمكن بذلكه وصرامته وشجاعته ، واستفادته من كل الظروف التي أحاطت بالمرابطين أن يثبت أقدام الدعوة الموحدية ، وأن يترك خليفته من بعده

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

عبد المؤمن أن يصل بالحركة الى نهايتها المحتومة المعروفة وهي القضاء على
المرابطين والحلول محلهم في شمالي افريقية والأندلس .

ومبدأ الموحدين ، كما هو ظاهر من اسمهم ، التوحيد الخالص لله
تعالى ، وذلك واضح كل الوضوح في صيغة التوحيد التي وضعها المهدي
والتي كانت الدستور الذي سار عليه أوائل الموحدين وبنيت عليه الدعوة
الموحدية : لا اله الا الذي دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات
بأنه جل وعلا وجب عليه الوجود على الاطلاق ، من غير تقييد ولا تخصيص
بزمام ولا مكان ، ولا جهة ولا حد ، ولا جنس ولا صورة ولا شكل (١) ...

ولقد وسم الموحدون المرابطين ونبذوهم باسم المجسمين ، لأن في رأيهم ،
وهو الرأي الإسلامي الصواب ، أن الله تعالى موجود قبل الأمكنة
والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ، ومن جسمه فقد جعله
مخلوقاً ، ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن ، فمن مات على ذلك فهو مغلد
في النار (٢) . وفي رأيهم وزعمهم أن المرابطين يعتقدون بوجود مكان لله
تعالى ولذلك دعوهم بالمجسمين ، ومن هنا نستطيع تفسير العداء المرير الذي
كنوه لهم . ولم يهدأ هذا الحقد وهذا العداء حتى زال المرابطون . كذلك
هذا يفسر قسوة الموحدين على أعدائهم ومخالفهم من المسلمين ، لأنهم اعتبروهم
وثنيين ، وأهل الكتاب أولى بالرحمة والرافة من الوثنيين والمجسمين .

ولقد بذر البذور الأولى المهدي ثم تبعه تلميذه وصفيه عبد المؤمن
الذي قضى على المرابطين ووطد دعائم الدولة الموحدية في المغرب ، ثم عبر

(١) نفس المصدر ، ٥٥١/١ .

(٢) علام ، عبد الله علي . الدعوة الموحدية بالمغرب . القاهرة ، دار المعرفة ،

١٩٦٤ م . ص ٣٤٩ - ٣٥٥ .

الى الاندلس ورفع علم الجهاد ضد المرابطين وضد الاسبان ، وتمكن من احتلال قسم كبير من إسبانيا الاسلامية . ثم تبعه ابنه أبو يعقوب يوسف الاول الذي وطد الدولة الموحدية وقضى على عدد كبير من الثورات الداخلية ، وانتصر على الاسبان في عدد من المعارك الهامة . ولقد بلغت دولة الموحدين ذروتها زمن المنصور الموحي المعاصر لصلاح الدين الأيوبي والذي انتصر انتصاره العظيم على الاسبان في معركة الارك وطار صيته في كل أرجاء العالم الاسلامي حتى أن صلاح الدين رجا نصره ضد الصليبيين في بلاد الشام وأرسل له رسالة مع مبعوث خاص يستنجد به ويستمدده العون ضد الصليبيين .

ولكن هذا البناء الشامخ مالث أن انهار دفعة واحدة في عهد ابنه الناصر الذي أصيب بهزيمة ماحقة أمام الاسبان بمعركة العقاب التاريخية التي كانت المفتاح الذي فتح أبواب إسبانيا الاسلامية أمام الاسبان ، فلم تلبث حواضر الاندلس الكبرى كبلنسية واشبيلية وقرطبة أن سقطت بيد الاسبان ، وقامت ثورة عارمة فيما تبقى من الاندلس ضد الموحدين فأخرجوا منها وتشكلت مملكة غرناطة التي لبثت منارة للحضارة الاسلامية في تلك البقعة من الارض أكثر من قرنين من الزمان بعد سقوط الموحدين . كما وأن الموحدين ضعفوا كل الضعف في المغرب موطنهم الاصلي وقضي عليهم وحل محلهم بنو مرين .

ولقد قامت الحركة الموحدية أصلاً لهدفين رئيسيين ؛ القضاء على الفساد والانحراف الذي أصاب الحركة المرابطية وتوحيد القبائل كلها تحت هذا الهدف الواضح الصريح ، ورفع راية الجهاد خفاقة ، ليس لحماية ما تبقى من بلاد المسلمين في الاندلس فحسب ، بل لاسترجاع ما ضاع منها . وعلى الرغم من النجاح الجزئي الذي حققته الحركة أول أمرها في تحقيق

هذين الهدفين ، الا أنها لم تلبث أن سقطت في وهدة الفساد الداخلي والترف والصراع القبلي : وسجل التاريخ أن القسم الأكبر من اسبانيا الاسلامية سقط بيد الاسبان في عهد هذه الاسرة الحاكمة .

١ - المهدي بن تومرت ٥١٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٢١ - ١١٣٠ م .

المهدي شخصية قوية ذكية عرف كيف يستغل الامكانات المتوفرة لديه وعرف كيف يستغل الظروف المحيطة به وأخطاء المرابطين حتى حقق نجاحه المنقطع النظير . وقد أحسن انتقاء تلاميذه ومريديه بشكل جيد وخاصة تلميذه الأثير لديه وخليفته من بعده عبد المؤمن الذي تعهد به بنياته وأعدده إعداداً جيداً لاستلام الحركة الموحدية من بعده . وهو الذي وضع للحركة الموحدية مبادئها العامة وعقائدها ونظمها مما مكنها أن تقارع المرابطين وأن تتغلب عليهم . وقد ادعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه من سلالة الرسول عليه السلام واسمه كاسمه ومكانه المغرب الاقصى وأنه بعث ليملاً الارض عدلاً كما ملئت جوراً (١) . ولما توطدت دعوته ووثق من نفسه وقوته وأرسل رسالة الى سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين ينذره بالحرب وأن المرابطين كفار دماؤهم وأموالهم حلال (٢) ...

وقد خاض المهدي عدداً كبيراً من المعارك ضد المرابطين ، انتصر في أكثرها ، ولكن أصابه الخذلان في بعضها ، وتدل رسائله التي وجهها الى أتباعه يحرضهم على قتال المرابطين على ثقة بالنفس عظيمة ، وعلى ايمان بالمبدأ والعقيدة لا يتزعزع ، وعلى مقدرة عالية وكفاءة رفيعة في فن قيادة الرجال .

(١) ابن القطان . جزء من كتاب نظم الجمان لابن القطان . تحقيق محمود علي مكبي . الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . ص ٧٥ .

(٢) علام . المصدر المذكور آنفاً ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

وعنده أن جميع مخالفه كفار مجسمون ، وأن واجب الموحدين دعوتهم الى التوبة والانابة ، فإن قبلوا : فخلوا سبيلهم ، وهم اخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وان عاندوا الحق وأصروا على معونة أهل الباطل والفساد فاقتلوهم حيث وجدتموهم ... وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مغلد في نار جهنم وبئس المهاد . وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة (١) .

ولما أحس بدنو أجله أوصى أتباعه وصية شاملة ، وبين لهم فضل الله عليهم الذي قيضه لهم فهداهم به الى التوحيد الخالص وأزال به البدع والمنكرات ، وأن الله تعالى سيورث الموحدين أرض المرابطين وسلاطنتهم فعليهم أن يجددوا لله شكراً ، ثم يحذرهم الفرقة والخلاف ويطلب منهم أن يزرعوا الرأفة باللة لظة واللين بالعنف . ثم يحبرهم أنه استخلف عليهم من بعده رجلاً منهم هو عبد المؤمن بعد أن بلا أحواله واختبره ، فعليهم أن يسمعوا له ويطيعوه مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدل أو نكص على عقبيه أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركة وخير كثير (٢) .

٢ - عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ - ٥٥٥٨ / ١١٣٠ - ١١٦٣ م .

وضع المهدي أساس الدولة الموحدية ، وأكمل البناء عبد المؤمن وأعلاه حتى حقق أحلام المهدي في القضاء على المرابطين ودولتهم «ولكن ذلك تم بعد حروب كثيرة ومعارك ضارية ودماء غزيرة أهرقت بغير ماسبب وقد امتاز عبد المؤمن بقسوته الشديدة في معاملة أعدائه ، وفي صرامته

(١) نفس المصدر . ٣٤٩ - ٣٥٥ .

(٢) المراكشي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

وشدته في تطبيق مبادئ الموحدين . كما وأنه عبر البحر إلى الأندلس وبدأ الجهاد ضد الإسبان ، ولكن لم يصف له حكم الأندلس . وقد اعتقد هو واعتقد خلفاؤه من بعده أن المهدي معصوم عن الخطأ ، وقد ورد ذلك في كثير من رسائلهم ؛ وهذا ولاشك انحراف خطير في عقيدتهم عن العقيدة الإسلامية الحقيقية . وظل هذا الاعتقاد سائداً لديهم حتى ألغاه أحد متأخري خلفائهم وهو المأمون الموحيدي (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ) . كما وأن عبد المؤمن اتخذ لقب أمير المؤمنين ، وتبعه في ذلك بقية حكام الموحدين حتى زوال ملكهم . ولقد كان لعبد المؤمن شواغل ثلاث : القضاء على المرابطين نهائياً ، وقد تم له ذلك ؛ القضاء على الثوار في الأندلس وحرب الإسبان ، وهذا لم يحقق فيه إلا نجاحاً جزئياً ، توطيد أركان الدعوة الموحدية في أرجاء امبراطوريته الواسعة وحمل الكافة على السير بموجب ذلك . فأوجد نظام الطلبة والأشياخ الموحدين الذين يساعدون الحكام في تطبيق أحكام القانون ، ويقومون بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي العملية التي يسميها الموحدون التمييز أي تمييز الموحد عن المجسم .

وقد افتتح عبد المؤمن ملكه بتوجيه إنذار نهائي إلى المرابطين بضرورة الاستسلام ملأه بالوعيد والتهديد : ياعضد الفجار وعباد الفساق الأشرار فقد كاتبناكم بالبنان ، وخطبناكم بالبيان . . . فلم تحيوا ولا أطعتم بسل تناقلتم عن الحق وعصيتم . . . وهذه خيل الله قد أظلمكم وبلها وطمى عليكم سيلها ، فتأهبوا للموت ^(١) . . . ولقد اعتصم بقايا المرابطين في السوس ،

(١) ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أمدرز بيروت ، مكتبة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م ، أدات مكتبة المتحف ببغداد طبعه بالأرست ص ٢٩٢

واصطر عبد المؤمن أن يوجه الجيوش إليهم أكثر من مرة حتى تمكن من القضاء على بقاياهم وبقايا ثوارهم في تلك المنطقة سنة ٥٤٢ هـ .

ولما استقر لعبد المؤمن الأمر في المغرب الأقصى ، بعد حروب هائلة ومعارك دموية ، بات يتربص ويتأهب للعبور من جديد إلى الأندلس للغزو والجهاد ، وأرسل إلى ابنه وواليه على أشيلية رسالة يصف فيها حروبه في السوس وملاقاه الموحدون من شدة وقوة أعدائهم ، وكيف تغلبوا عليهم ، ويفتخر بما أنجزوا وما حققوا ، وهو يصم مخالفه بالكفر : فأما من ظلم نفسه واعتزل الحق وأهله ، فسيذوق من العذاب الأدنى مرأ ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً^(١) ...

ولقد انتشر الظلم والتعسف في دولة الموحدين في الأندلس زمن عبد المؤمن ، ووصل إلى سمعه ما يفعله بعضهم من ظلم الناس وعسفهم واستصفاة أموالهم واستباحة حرمتهم بل ودمائهم ؛ وهم : كما يبدو من رسالة عبد المؤمن إلى الموحدين في الأندلس ، من الطبقة الحاكمة من الموحدين . ولذلك يتوجه إليها عبد المؤمن بالوعيد والإعذار والإنذار ، ويمزج وعظاً بشدة ويحذرهم عاقبة البغي والمدوان ضد الآمنين ، ويقسم أنه لو علم الفاعل لسه من أليم عقابه ما يجعله عبرة للمعتبرين . كذلك يحذر من المكوس وأخذها وجبايتها كل التحذير ، ويبرأ إلى الله مما يعملون ويستعيذ به من شر ما يتصرفون . بعد ذلك يتوجه بخطابه إلى الموحدين ، ويطلب إليهم ألا يكلوا تنفيذ الأحكام إلى أحد سواهم ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب عن قصدكم من الخير وفواياكم ،

(١) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك . تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين . تحقيق

عبد الهادي التازي بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٤ م . ١٣١/٢ - ١٣٥ .

وباشروا الأحكام هناك مباشرة المتعهد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال كثير الاضطراب في الباطن والانتقال (١) . ثم يطلب إلى الحكام والموحدين أن يبحثوا عن باشر مثل هذه الأمور بحثاً دقيقاً ، وأن يرفعوا أمرهم إليه حتى ينالهم العقاب الرادع . كذلك يطلب إليهم ألا ينفذوا حكماً بالإعدام بأي فرد كان ، دون الرجوع إلى الخليفة شخصياً في ذلك مهما يكن ذنبه ، حتى يدرس الخليفة قضيته ويصدر حكمه فيها . ويطلب إليهم أيضاً البحث عن الخمر وإهراقها ومنع صنعها ومعاقبة معاقريها . ثم يطلب إليهم التقيد التام الشامل الكامل الصارم بما ورد في تعاليمه في رسالته هذه الموجهة إليهم ، وأن يطلعوا الجمهور عليها وأن يعمموها على جميع مراكز الإدارة ، وأن يأخذوا أنفسهم والآخرين بها ؛ ويحذروهم أنه بمصرده لما يكون منهم ، وأنه سيقابل بالواجب ما يصدر عن الجميع (٢) .

ولقد حاول عبد المؤمن جعل ولده محمداً ولياً لعهد ووجه الرسائل لقبائل الموحدين وزعمائهم في هذا الشأن ، ولكن الأمر لم يتم لمحمد وإنما تم لأخيه أبي يعقوب يوسف الأول ، وكان ذلك من حسن حظ الموحدين

٣ - أبو يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م .

ولقد افتتح أبو يعقوب ملكه برسالة وجهها إلى أخيه أبي سعيد واليه

(١) علام ، عبد الله علي . الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي .

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م ص ٣٩٤ - ٤٠٥ .

(٢) نفس المصدر .

في قرطبة ، تتضمن طائفة من النصائح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يبدو أن عبد المؤمن لم يتمكن من استئصال دابر الفساد والرشوة التي تفشت بين حكام الموحدين في الأندلس ، ولذلك اضطر الخليفة الجديد إلى إعادة تذكيرهم بما ذكرهم به أبوه عبد المؤمن من قبل بوجوب العدل وتحري الصدق وتجنب الظلم . وهو يبدأ رسالته بالرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ^(١) ، ثم يوالي الدعاء لأمير المؤمنين القائم بأمره والداعي إلى سبيله ^(٢) . بعد ذلك يذكرهم بأهمية التقوى في الاسلام وأن البناء الموحيدي كله قائم على التقوى ، لذلك يطلب إلى الجميع ألا يحكموا في الدماء من تلقائهم ، وأنه لا بد من رفع هذه القضايا إلى الخليفة ليفصل بها بنفسه ، ثم يذكرهم بضرورة العدل والاستقصاء واتباع الشرع الشريف فيما دون ذلك من الأحكام كالقطع والأرش والجلد وماشابهه ، ويبدأ رسالته وعظاً وتذكيراً ^(٣) .

ولقد ووجه أبو يعقوب بفتنتين كبيرتين إحداها في الأندلس والثانية في المغرب الأقصى وتمكن من التغلب عليهما . فقد ثار ابن مرادنيش من بقايا المرابطين في المنطقة الشرقية من الأندلس وتحالف مع الاسبان ضد الموحدين وجرت بين الطرفين معركة الجلاب سنة ٥٦٠ هـ وانتصر فيها الموحدون على ابن مرادنيش وحلفائه الاسبان ، فوجه أخو الخليفة في الأندلس رسالة تفيض سروراً وبشراً وانشراحاً . وقد ملئت بالمبالغات التي لاداعي لها لأن التغلب ، في معركة ، على ثائر ، دون إنهاء ثورته أو قتله ، لا يستحق أن يوصف بأنه :

(١) ابن صاحب الصلاة . المصدر المذكور آنفاً . ٣٠٢/٢ - ٣٠٦

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو ثر من الخطب^(١)
وأنه : كيوم ذي قار انتصف فيه الموحدون والعرب من المعجم^(٢)
فإذا كان هذا شعور القوم لدى انتصارهم في معركة جانبية ، فكيف يكون
شعورهم لو انتصروا في معركة حاسمة ؟ وهذا وحده كاف للدلالة على ضعف
تفكير وتفاهة مرسلي مثل هذه الرسائل .

كذلك ثار ثائر في أقصى بلاد السوس اسمه سبع بن منخفاد ، وبدو
أن الثورة كانت تهديداً خطيراً لسلطان الموحدين حتى اضطر الخليفة أن
يركب بنفسه وجنده لإخمادها ، وتمكن بعد حرب ضروس من قتل زعيمها
وإخماد أوار الثورة ، والقضاء على الفتنة .

فقد وجهت الرسالة إلى طلبة الموحدين ، وأشياخهم ، وأعيانهم في
قرطبة تحبرهم بصنع الله العظيم في القضاء على هذه الفتنة ، وتصف
الحركة إلى ميدان المعركة ، والطريق إليها ، وتصور المعركة أنها معركة
بين الشرك والتوحيد ، والكفر والإيمان ، وأن الله تعالى نصر حزبه ،
وأعز جنده ، ويظهر أنها كانت حركة خطيرة ، حتى اهتم بها الخليفة
كل هذا الاهتمام ، وطلب إشاعة هذا الخبر في كل مكان : ... وعرفناكم
بذلك مشروحاً لتحمدوا الله تعالى عليه ، وتأخذوا بحظكم منه ، وتعطوه
حقه من الاشاعة ، وتوفوه واجبه من النشر والاذاعة ، فقد انحسرت به
أدواء كانت في حد الإعضال ، وأخذت نيران من الفتن في اصطدام
واشتعال ، وستكون آياتها منبهة ، وعبرها مذكرة ، يصلح بها الفاسد
ويستقيم بها المائل^(٣) ...

(١) نفس المصدر ٢/٢٧٦ - ٢٨٣

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر ٢/٣١٠ - ٣٢١

ويبدو أن بيعة أهل الأندلس ، أو على الأقل ، بيعة أهل إشبيلية لأبي يعقوب بأمره المؤمنين قد تأخرت بعض الوقت لسبب ما ، فإنه تولى الخلافة سنة ٥٥٨ هـ ولم يبايعه أهل إشبيلية إلا سنة ٥٦٣ هـ ، ولا ندري كيف نفسر ذلك . ولكن الوارد في نص البيعة هو تجديد البيعة : ... على تجديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، خلد الله ملكهم وأعز نصرهم (١) ... فبايعنا على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة ، والتزمتها في السر واليسر والمنشط والمكره ، واعتقدناها عصمة ديننا وذخر معادنا (٢) ... وقد فعل نفس الشيء أهل غرناطة وأرسلوا يبعثهم لأبي يعقوب يعلنون أنها بيعة رضوانية وأنهم بايعوه بيعة إيمان وأمانة في السراء والضراء (٣) .

ولما تم لأبي يعقوب القضاء على فتنة غمارة ، وتوطد مركزه في المغرب والأندلس قرر الالتفات للمهمة الكبرى وهي الجهاد في الأندلس ، ورد عادية الاسبان عنها . وقد أرسل بهذا المعنى رسالة إلى واليه على غرناطة يخبره بعزمه على الحضور بنفسه إلى الجزيرة للجهاد ويخبره أنه أرسل أخاه بجيش قوي كمقدمة لتحقيق هذا الهدف : وإن أمر تلکم الجزيرة ، مهدھا الله ، لمن أكد ماتوجه إليه نظرنا ، وتوکل به اعتناؤنا واشتغل به فکرتنا لمصابقة الأعداء الروميين ، والمجسمين لبلاد الموحدين بها ، وإلحاحهم على جنباتها (٤) ... وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق . . في عسكر مبارك ... ليكون بقرطبة ... ورجونا من

(١) نفس المصدر ٣٤٠/٢ - ٣٤١

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر ٢٤٢/٢ - ٣٤٤

(٤) نفس المصدر ٣٥٤/٢ - ٣٥٦ .

تعاونه مع إخوانه الذين بإشبيلية ... أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثارهم (١) ...

ولكن أحوال المغرب المضطربة منعت الخليفة من الجواز المباشر إلى الأندلس ، على الرغم من أنه فعل ذلك فيما بعد ، وقد انتصرت جيوشه في الأندلس في عدد من المعارك ضد الأسبان ، وانضم إلى صفوف الموحدين أحد بقايا زعماء المرابطين إبراهيم بن همشك ، بناء على وعد بالعفو وعده إياه الخليفة . وإذا كان أبو يعقوب قد عجز عن تحقيق إنجاز ضخم ضد الأسبان في الأندلس فقد ترك هذه المهمة لابنه وخليفته المنصور .

٤ - أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م .

أبو يوسف هو أول من تلقب من خلفاء الموحدين بلقب فاختار لقب المنصور ، وبلغت في عهده دولة الموحدين ذروتها ، فقد تمكن من تحقيق إنجاز ضخم في تاريخ الأندلس بانتصاره العظيم على الأسبان في معركة الأرك المشهورة . ويبدو أن هذا النصر الذي حازه أصابه بالفرور ، وأعتقد أنه يستحق إمامة المسلمين في كل مكان وخلافتهم ، ولذلك لم يتنازل بالرد على صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عندما أرسل إليه رسالة مع رسول يطلب منه أن يمد المسلمين في بلاد الشام في صراعهم ضد الصليبيين ، واحتج بأن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين . ولكننا نعتقد أن المنصور لم يكن قادراً على أي عمل من شأنه مساعدة مسلمي الشام ضد الصليبيين ولولقبه صلاح الدين بالخليفة وأمير المؤمنين وغير ذلك من الألقاب الفارغة ، وذلك بسبب عجزه عن الإمداد ، ولكنه غطي عجزه وعزوره بهذا السبب الواهي ، ناسياً أن صلاح الدين بطل عظيم من أبطال الإسلام

وأن انجازاته أعظم بكثير من إنجازات المنصور ، وأن صلاح الدين لا يمكن أن ينسلخ عن ولائه للخليفة العباسي من أجل الخليفة الموحيدي .
ومها يكن من شيء ، فإن هذا لا يقدر في المنصور ومقدرته العسكرية والتنظيمية ، وإنجازاته الضخم في التغلب على عدو رهيب كالإسبان ، كما وأن رغبته في الجهاد كانت ملتهبة ، وكان مخلصاً في نواياه ، وكان شخصاً مثقفاً آوى إليه ابن الطفيل وابن رشد . ولم يطل عهده ، وذلك لأن جسمه كان ضعيفاً وتواترت عليه العلل حتى قضى نحبه بعد فترة ولاية لم تستمر أكثر من خمس عشرة سنة .

ويدل نص البيعة التي بايع بها الناس المنصور على رغبة في التشبه برسول الله ، فقد ذكرت أنهم يبايعونه على ما بايع به أصحاب رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه واليسر والعسر ، والنصح له ولولائه ولعامة المسلمين ... ولكم عليه ألا يجمر بموئكم ، وألا يدخر عنكم شيئاً مما تعمكم مصلحته ، وأن يعجل لكم عطاءكم ، وألا يحتجب دونكم (١) .

ولقد اقترن اسم المنصور بمركة الأرك الشهيرة التي حطم بها قوى الأذفونش وأوقف المد الإسباني ولو إلى فترة . فقد استغل الأذفونش فرصة انشغال الخليفة بمشاكل المغرب فأرسل له رسالة مليئة بالتهديد ، والتهكم والتحدي :
وأتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً . ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا نستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً ... وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطلت نفسك

(١) حركات . المصدر المذكور آنفاً ٣٢٩/١

عاماً بعد عام ، تقدم رجالاً وتؤخر أخرى . فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك^(١) . ثم يقترح عليه ، زيادة في التهكم ، أن يرسل إليه المراكب لتنقله إلى المغرب ليحارب المنصور هناك . فلما وصل هذا الخطاب إلى المنصور أجابه على ذلك بالآية الكريمة (إرجع إليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ثم أضاف : الجواب ما ترى لما تسمع^(٢) .

ولعل هذه الرسالة كانت حافزاً للمنصور الذي حشد قواه ، واصطدم مع قوى الأذفونش ٥٩١ هـ في معركة الأرك . وقبل المعركة مباشرة أرسل الخليفة منادياً ينادي بالجنود : إن أمير المؤمنين يطلب أن يغفروا له ، فإن هذا موضع غفران ، وأن يتعافروا فيما بينهم ، وأن يطيبوا نفوسهم وأن يخلصوا نياتهم له^(٣) . فبكى الناس وصاحوا من جانبهم نطلب الغفران من الخليفة وأنهم ييمن نيته ، وصدق طويته يرجون الخير من الرحمن^(٤) .

ولقد كانت نتيجة هذه النفوس الطيبة في تلك الساعة الحاسمة نصراً رائعاً على الأعداء .

ولم تطل حياة المنصور بعد هذا النصر العظيم ، إذ تعاورت عليه الملل والأمراض حتى أنهكته . ولما شعر بدمو أجله جمع أشياخ الموحدين ورؤساء البلاد ، ونعى لهم نفسه ، وهم من جهتهم أعادوا تأكيد البيعة بولاية العهد لولده الأمير عبد الله . ثم أوصى المنصور الحضور بالسادات ،

(١) ابن خلكان . المصدر المذكور آتفاً ٦/٦ - ٧

(٢) نفس المصدر .

(٣) عنان . المصدر المذكور آتفاً . ٢/٣ - ٢

(٤) نفس المصدر .

وبعض الأشياخ . ثم قال الخليفة المنصور بعد ذلك وعيناه تذرفان الدمع :

أوصيكم بتقوى الله ، وبالأيتام ، واليتيمة .

فسأله الشيخ أبو محمد عبد الواحد .

ياسيدنا يا أمير المؤمنين ، ومن الأيتام واليتيمة ؟

فقال : اليتيمة جزيرة الأندلس والأيتام سكانها المسلمون . وإياكم

والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أموارها وحماية ثنورها وتربية أجنادها

وتوفير رعيها ، ولتعلموا أنه ليس في نفوسنا أعظم من ههنا (١) ...

رحم الله المنصور الموحي ، لكأنه استشف حجب الغيب ، وأدرك

ما يخفيه القدر لتلك البقعة المنكودة من بلاد الاسلام والمسلمين ، فأراد

بوصيته هذه أن ينبه النافلين ويشجذ الهمم للخطر الداهم ، ولكن لا راد

لما أراد الله . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٥ - الناصر الموحي أبو عبد الله محمد ٥٩٥ - ٦١١ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٣ م

كما يقرن اسم المنصور الموحي بانتصاره العظيم في معركة الأرك ،

كذلك يقرن اسم ابنه الناصر بانهزامة الفاجع البائع الأثر في معركة العقاب

التاريخية . ذلك أن إسبانيا النصرانية ، ومن ورائها البابوية وأوربا كلها ،

حشدت قواها من جديد لتحطيم الاسلام في الأندلس ، واصطدم الناصر

بجيوش الإسبان في معركة العقاب ، ولم يحسن الناصر القيادة ، وأساء إلى

شيوخ الموحدين وزعمائهم ، فكانت النتيجة خسارة مروعة لمركة فاصلة من

معارك التاريخ ، وخلف الموحدون زهرة جيوشهم في ساحة المعركة ،

وفروا هارين إلى مأمئهم وبلادهم وتركوا الأندلس لصيرها . ومنذ تلك

المركة بدأت حواضر الأندلس الكبرى في السقوط بيد الاسبان مثل

(١) نفس المصدر . ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧

بلنسية وقرطبة وإشبيلية ، وماتبقى من الأندلس تمكن من طرد الموحدين وأعلن قيام مملكة غرناطة التي ظلت في الوجود حتى سنة ٨٩٧ هـ عندما احتلها الاسبان وأنشؤا مجدداً تليداً دام قرابة ثمانية قرون .

ولم يتميز من خلفاء الموحدين من هو جدير بالذكر ، إذ أغلبهم نكرات وحكموا مدداً قصيرة وقضوا معظم وقتهم في إخماد الثورات في بلادهم ، ولكن يجب أن نذكر الخليفة المأمون الموحي الذي أصدر مرسوماً ألغى بموجبه عصمة المهدي ، ذلك أن أئمة الموحدين وخلفاءهم كانوا يعتقدون بعصمة مؤسس حركتهم ، وكانوا يفتتحون كتبهم بالدعاء للمهدي المعصوم الامام المعلوم ، فأصدر مرسومه وبمقتضى به إلى الجميع وأخبرهم بمايلي : ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لامهدي إلا عيسى ... فتلك بدعة قد أزلناها ... وقد أسقطنا اسمه ولم تثبت له عصمة (١) . كذلك يجب أن نذكر الخليفة الموحي المرتضى الذي حكم بين سنتي ٦٤٠ و ٦٤٦ هـ لا شيء إلا لكتابه الذي وجهه إلى البابا أنوصان الرابع . وهذا ، بحسب علمنا ومعرفتنا ، أول خليفة مسلم يرسل رسالة إلى رأس الملة المسيحية في أوروبا ، والمهم في هذه الرسالة هو إصرار مرسلها على تذكير البابا بوحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه والد : فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، حمد من علم أنه الرب الواحد الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ، وزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد ، تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد (٢) .

(١) حركات . المصدر المذكور آنفاً . ١ / ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) عنان . المصدر آنفاً . ٢ / ٧٣٩ - ٧٤١

ومن رسالته هذه تعرف أنه كانت بينه وبين البابا مراسلات سابقة ، وأن البابا أرسل أحد كبار أساقفته إلى الموحدين ومملكتهم في مهمة من المهمات ، ونفهم من هذه الرسالة أن الموحدين كانوا يستخدمون عدداً من النصارى لديهم كمرتقة ، وأن الخليفة كان بحاجة إلى من يوجهه ولاء هؤلاء النصارى له ليخلصوا في خدمته ، وهذا في رأينا ، السبب الأهم في ترأسه مع البابا ، وفي استقباله مبعوثه . وهو يخبر البابا باستقباله مبعوثه بإكرام ويقول له : ومتى سنح لكم ... أن توجهوا ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين ... من تروته برسم ما يصلحهم في دينهم ، ويجريهم على معتاد قوانينهم ، فيتخيروه من أهل الفضل الراجح ، والسمت الحسن ، ومن يستلذ في التزاهة على واضح السنن (١) ...

و - مملكة غرناطة وبنو حفص وبنو مرين وبنو هود
٦٢٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٢ - ١٤٩٢ م .

تمكن بعض الزعماء كابن هود وابن الأحمر من إنقاذ قسم ضئيل من الأرض الأندلسية من برائن الإشبانية في غمرة الهزائم القاصمة التي مني بها الموحدون ضد الإشبانية ، وفي غمرة الاضطراب والفوضى اللذين شحلا الامبراطورية الموحدية من أقصاها إلى أدناها ، وفي غمار الثورة العارمة التي اجتاحت الأندلس ضدهم ، وتركزوا في بقعة صغيرة من الأرض جعلوا عاصمتها مدينة غرناطة التي قدر لها أن تبقى صامدة في وجهه غزوات الإشبانية لها أكثر من قرنين ونصف من الزمان ، هذا وإن صمود مملكة غرناطة هذه الفترة الطويلة من الزمن في وجه قوى تفوقها ،

(١) نفس المصدر .

وتغمرها يعود في رأينا إلى أسباب ثلاثة : أولها الدعم غير المحدود والمطلق الذي قدمه لها بنو مرين في المغرب الأقصى بشكل خاص ، وكان ذلك من أكبر الأسباب التي مكنت غرناطة أن تقف على قدميها هذه الفترة الطويلة . وثانيها الشجاعة والذكاء اللذان امتاز بهما عدد من ملوك غرناطة سواء على الصعيد المحلي ، أم الصعيد السياسي ، أم الصعيد العسكري أمثال السلطان إسماعيل ، والسلطان محمد الرابع ، والسلطان يوسف الأول والسلطان محمد الخامس الغني بالله ، الذين تمكنوا بذكائهم وشجاعتهم ودهائهم أن يمدوا مملكتهم الصغيرة بأسباب الحياة فترة طويلة من الزمن . وثالثها الخلاف الذي كان ناشئاً بين مملكتي الإشبان الرئيسيتين قشتالة وأراغون ذلك الخلاف الذي كان أحد الأسباب في إطالة عمر مملكة غرناطة . ولقد استثمر ملوك غرناطة هذا الخلاف أفضل استثمار ، وأبدوا مقدرة سياسية رائعة حتى تمكنوا من الحفاظ على وطنهم في وجه أقسى عدو وأشرس عرقة المسلمون في شبه الجزيرة الإيبيرية . فلما اندمجت للمملكتان الإشبانيتان في مملكة واحدة ، وضعف بنو مرين وعجزوا عن إمداد مملكة غرناطة بالقوى اللازمة ، ولما استلم العرش ملوك هزيلون ضعيفون فاسدون عاجزون أتت النهاية المحتومة لمملكة غرناطة التي سقطت بعد كفاح بطولي ملحمة أشبه بالأساطير ، وكما يسقط الفارس الشجاع المعلم عن جواده بعد حرب ضروس ضد أعداء غير متكافئين ، وبعد أن أنخن بالجراح القاتلة ، فلم يستسلم ولم يمن حتى سقط إلى الأرض ميتاً وسيفه في يده .

ولقد ثار ضد الموحدين في شرقي الأندلس ابن هود ، وأعلن خلاصه من سلطان الموحدين ، وتلقب بملك المسلمين ، وأرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣٠ هـ خطاباً يعترف بتبعية له ويطلب تقليداً شرعياً

منه . وكان الخليفة العباسي عند حسن الظن به وأرسل لابن هود تقليداً شرعياً مزهواً ، ملأه بالثناء على عمه العباس وعلى خلفاء بني العباس وأن النبي عليه السلام بشر عمه العباس أن الخلافة في عقبه الى يوم القيامة (١) بعد ذلك ينتقل التقليد الى ذكر صفات ابن هود الخارقة ، ويلقبه مجاهد الدين . وأول هذه الصفات ولاؤه للخليفة العباسي ، ولذلك قلده الخليفة حكم بلاد الأندلس ومايجري مجراها ومايفتتحه من ممالك أهل الشرك والعناد تقليداً صحيحاً شرعياً (٢) ثم ينتقل التقليد الى الوصايا المعروفة المألوفة في مثل هذه العهود : من تقوى الله عز وجل والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) ...

وان المرء ليعجب من هؤلاء القوم كيف كانوا يتمسكون بمثل هذه الأمور البسيطة التافهة ، على الرغم من معرفتهم بتفاهتها . فابن هود يعلم أن تقليد الخليفة لا يقدم ولا يؤخر ، وكذلك يعلم شعب الأندلس أنه لا يمكن أن تأتيه مساعدة ما من الخليفة ، كما وأن الخليفة نفسه يعلم أن تقليده عبارة عن كلمات جوفاء ، والكل يعلم ذلك ، ولكن الجميع يصرون على التمسك بهذه المظاهر التي ليس لها في ميزان القوى وزن يعادل وزن جناح بعوضة . فهذا القاضي أبو المطرف يرسل رسالة ، هي عبارة عن قطعة أدبية رائعة ، إلى ابن هود يهنئه بوصول هذا التقليد العظيم وكأنما وصلته قوة ضربة تستطيع تعديل ميزان القوى المنهار لصالح المسلمين ضد الاسبان (٤) . ولكن الأمر لم يطل بابن هود ، إذ انتهى أمره وأمسر

(١) ابن الخطيب ، المصدر المذكور آنفاً ، ٢٨٠ - ٢٨٥

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) المقرئ . المصدر المذكور آنفاً ٢٨٩/١ - ٣٠٠ .

أسرته بعد فترة ، وحل محله آل نصر - ويسمون أيضاً آل الأحمر - في حكم ما تبقى من الأندلس .

ولقد تلقب ملوك آل نصر بلقب أمير المسلمين . وقد أدركوا الوضع الصعب الذي وجدت فيه مملكتهم ، ولذلك كيفوا سياستهم الخارجية حسب الوضع الذي وجدوا فيه . فقد أقاموا علاقات ود وصداقة مع ملوك المغرب الأقصى وخاصة بني مرين . كذلك حاولوا أن يوجدوا توازناً بملاقاتهم الخارجية بين مملكتي قشتالة وأراغون ونجحوا في ذلك إلى حد مدهش . ولقد ذكر الأستاذ المرحوم الأمير شكيب أرسلان في كتابه : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية أن المرحوم الحاج محمد العربي بنونة من تطوان أهداه عدداً كبيراً من الوثائق الأندلسية هي رسائل وجهها ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون . وقد نشر الأمير شكيب أرسلان عدداً مهماً من هذه الرسائل في كتابه سالف الذكر وأثبتناها نحن في كتابنا هذا . ويذكر أن عدد الرسائل التي وصلتة أكبر بكثير مما نشر ، إلا أن تقادم العهد طمس خط أكثرها ، وعبت الأرضة جعل قراءتها صعبة متعذرة ، وبعد الجهد المضني تمكن السيد محمد العربي من نسخ هذا العدد القليل من المراسلات الكثيرة التي اتضح له خطه وتسنى له ضبطه .

وكما قلنا سابقاً : أغلب هذه الوثائق رسائل وجهها ملوك غرناطة إلى ملوك أراغون ، وقليل منها يوجهه أحد وزراء سلاطين غرناطة إلى ملك أراغون أو أحد أبنائه ، كما فعل رئيس جند غرناطة عثمان بن اهريس زمن السلطان اسماعيل بن فرج عندما وجه رسالة إلى ملك أراغون خايمي الثاني ، وكما فعل رضوان وزير السلطان يوسف الأول عندما وجه رسالة إلى الفونسو ملك أراغون ، هذا وتنطى هذه الرسائل التي

ينوف عددها على السبعة والعشرين عهد أربعة من ملوك غرناطة هم محمد الثالث (٧٠١ - ٨٠٧) وإسماعيل الأول (٧١٣ - ٧٢٥) ، ومحمد الرابع (٧٢٥ - ٧٣٣) ، ويوسف الأول (٧٣٣ - ٧٥٥) ، يقابلهم من ملوك أراغون خايمي الثاني والفونسو الرابع ودون بتره . والغريب في الأمر أن أسماء هؤلاء الملوك ترد في هذه الرسائل بأشكال مختلفة : مثل : ذون جقمي ، دون جايم ، الفنش ، الهنشو ، بطرة ، بتره ، وهكذا .

هذا وإن أسلوب هذه الرسائل واحد وديباختها متماثلة : تفتتح بالبسلة والصلاة على رسول الله عليه السلام ثم تنتقل الى ذكر سلطان أراغون وتحصر على ذكر ألقابه وشيء من الدعاء له ، ثم تنتقل الى ذكر اسم السلطان الغرناطي ، وأحياناً تذكر اسم البلدان التابعة له ، بعد ذلك تنتقل الرسالة الى ذكر الغرض والهدف منها : السلطان العظيم ، الملك المرفع الأدنى الأكرم ، المبرور المشكور ، الأخلص ذون جاقمي ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقرسفة وقط برجلونة ، وصل الله عزه ببقواه وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر مقاصده في الوفاق ومذاهبه ، وحافظ عهده عملاً بواجبه الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإننا كتبناه اليكم ... من حمراء غرناطة - كلاًها الله - وليس بفضل الله سبحانه الا الخير الأكل واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مبرور وعهدكم بالوفاء محفوظ ، وقصدكم في الصجابة مشكور ، ومنصبكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور^(١) ...

بعد ذلك تنتقل الرسالة الى ذكر الغرض منها . والخاتمة أيضاً موجزة

(١) أرسلان شكيب ، الحلال السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية . بيروت ،

مكتبة دار الحياة ٢/ ٢٩٠ - ٢٩١ .

وهي عبارة عن دعاء للملكين ثم تاريخ الرسالة : والله يقضي الخير لنا ولكم وهو سبحانه يصل اعزازكم بتقواه ويحملكم على ما يحبه ويرضاه ، ويوالي لكم أسباب عنايته ويوضح لكم طريق هدايته ، والسلام راجع سلامتكم كثيراً أثيراً . وكتب في يوم كذا من تاريخ كذا (١) .

وبعض هذه الرسائل اقترح بعقد معاهدة صداقة ومودة بين الطرفين وبعضها شكايات من خرق بنود ونصوص اتفاقات سابقة ، وطلب في إعادة الحق إلى نصابه ، فقد وجه السلطان إسماعيل إلى دون خايمي ملك أراغون رسالة يخبره فيها أن رسوله الذي أرسله برسالة منه يقترح عقد صلح ومودة بين الطرفين مدتها خمس سنين قد وصل وأبلغه اقتراح الملك وأن السلطان موافق على ذلك ، وأن رسالته هذه الموقعة بيده وتوقيعه وشعاره السلطاني دليل على ذلك . وشروط الصلح ذكرها السلطان في رسالته وهي الأمان للطرفين برأً وبحراً ، وحرية التجارة ، والتبادل التجاري بين الطرفين ، وتبادل الأسرى . وهناك شرط خاص بالأندلس ذكره الملك نحمذ الثالث وكذلك ذكره بقية ملوك غرناطة في معاهداتهم مع ملوك الإسبان ، وهو الإصرار على السماح للمدجنين المقيمين في أراضي الملك الأسباني بحرية الانتقال إلى بلاد الإسلام ، مؤمنين على أرواحهم وأنفسهم وأهلهم وأموالهم : ومنها أن لا تمنعوا من أراد الخروج إلى أرض المسلمين المدجنين الساكنين بأرضكم بأهلهم وأولادهم ، وأن يباح لهم الوصول إلى أرضنا سالمين ، مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم ، إلا الغرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة على ذلك (٢) .

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر ٢/٢٩٤ - ٢٩٦ .

وبعضها شكاية من غارة أطلقت من طرف أحد الجانبين على الآخر ، أو طلب بإخلاء سبيل أفراد أسرهم الفريق الآخر ، قصداً أو دون قصد ، أو تعويض عن خسارة تجارة أو ماشابه ذلك . ففي إحدى هذه الرسائل يطلب السلطان محمد الرابع من الدون خايمي ملك أراغون أن يبذل جهده لإطلاق سراح عدد من المسلمين أسرهم إسبانيون تابعون للملك أراغون ، وباعوهم في مملكته : وقد وجهنا إليكم صحيفة رسوليكم أربعة من النصارى من أرضكم ، فقصدنا منكم ، أيها السلطان ، أن توجهوا إلينا المسلمين الذين أخذتهم أجفانكم في سلوة ... ثم بيعوا ببيورقة ، وتعملوا في ذلك ما يقتضيه ، وفاءكم الصادق . ونحن قد أمرنا أن يبحث عما أخذ من أرضكم من النصارى في الصلح ، ويعمل في ذلك ما هو الواجب . وبما نعرفكم به أنه في هذه الأشهر السالفة أخذ عمر بطره أغرد من سكان أريولة شبطياً^(١) في المدور ، وأخذ بطرف الغيطة اثني عشر شخصاً من أهل المرية ، فنريد منكم ، أيها السلطان ، أن يعز عليكم هذا الحال ، وتعملوا ما يعملهُ سلطان مثلكم ، وتوجهوا إلينا هؤلاء المسلمين ، وتأمروا رجالكم بكف الضرر عن أرضنا على المعلوم من وفائكم وحفظكم للعهد^(٢) .

هذا هو محتوى الغالبية العظمى من هذه الرسائل ، وهي تلقي ضوءاً ساطعاً على العلاقات الدبلوماسية بين ملوك أراغون وملوك غرناطة ، ولا تخرج بقية الرسائل عن هذا المحتوى .

وهناك سلطان من سلاطين غرناطة لا بد من ذكره والتنويه به ، وتخصيص حيز له ، وللوثائق الصادرة عنه . هذا السلطان هو محمد الخامس

(١) الشبطي هو رئيس العصابة أو الغاوي على رأس مجموعة من للشجعان .

(٢) نفس المصدر ٣٠٦/٢ - ٣٠٨ .

الغني بالله ، الذي حكم بين سنتي ٧٧٥ و ٧٩٣ ، مع فترة انقطاع بين سنتي ٧٦٠ و ٧٦٣ هـ حيث جرت ضده مؤامرة خلعت على إثرها عن العرش ، ثم عاد بعد ذلك ، وظل في الحكم حتى وفاته . يمتاز هذا السلطان بذكائه ونشاطه وشخصيته القوية ، ودهائه وعلاقاته السياسية مع ملوك الإسبان ، وملوك بني مرين في المغرب الأقصى ومع حكام مصر وملوكها من المماليك ، وقد منح مملكته فترة من الاستقرار النسبي ، ونبع في كنفه الأديب والوزير المشهور لسان الدين بن الخطيب الذي كان عالماً من أعلام النثر العربي وذا مدرسة خاصة هي امتداد وتطوير لمدرسة كبار الكتاب الذين نبغوا زمن الأيوبيين والمماليك أمثال القاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني وابن عبد الظاهر وغيرهم . ويمتاز أسلوبه بالنفس الطويل والسجع المرصع ، واستعمال المحسنات البديعية ، واللفظية بكثرة هائلة ، ولكن ، مع ذلك ، يبقى أسلوبه رشيقاً غير ممل ، وإن تكن الأفكار تحتنق تحت مثل هذا الغطاء اللفظي الهائل . وهو مؤلف غزير ، وترك عدداً كبيراً من الكتب وعاش حياة حافلة ومضطربة ، وأخيراً فقد حظوة سلطانه ، ونفى إلى المغرب الأقصى ، وهناك قتل ودفن .

هذا وإن أغلب أو كل الوثائق الموجودة عندنا من زمن السلطان الغني بالله هي من إنشاء ابن الخطيب ، وبعضها مراسيم . والأندلسيون يسمون المرسوم ظهيراً ، أصدرها السلطان لشؤون داخلية ، مثل ذلك مرسومه الذي أصدره يعين بموجبه ابنه الأمير يوسف مشيخة الغزاة في الأندلس^(١) .

وتبرز في هذا المرسوم صفات ابن الخطيب ، ومميزات أسلوبه .

(١) المقري المصدر المذكور آنفاً . ٤٩/٢ - ٥٢ .

فالإطناب بالوصف والمبالغة المفرطة والتشابه ، والاستعارات ، والكنايات ، والترصيع ، والسجع أشياء شائعة كلى الشيوع . وإن الموضوع الرئيسي يختفى كل الاختفاء تحت ظل هذه الأشياء . فهو عندما يصف الأمير يوسف يصفه بما يلي : فهو الفرع الذي جرى فضله على أصله ، وارتسم نصره في نصله ، واشتمل حده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله ، وظهرت دلائل مسعاده ، في بدء كل أمر وإعادته ، لما صرف وجهه إلى ترشيحه ، لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحجه ، بالصبر والحلم والبأس والندى ^(١) ...

ولا تخرج بقية مراسيمه عن هذا المضمار .

ولقد أرسل السلطان الغني بالله رسالتين : الأولى إلى السلطان المملوكي الملك المنصور محمد بن عاجي الأول بن محمد الناصر بن قلاوون ، والثانية إلى أمير مملوكي هو الأمير يلبنغا الخاصكي . وإن الألقاب التي يطلقها ابن الخطيب على السلطان المملوكي تملأ صفحة كاملة ، ولو صدق لقب واحد منها لجمعه أعظم من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكنها ألقاب لاتسمن ولا تنفي من جوع . وقد أخطأ ابن الخطيب باسم السلطان فأسماه بإسم أحمد ، على أن الصواب ما أثبتناه أعلى . والغاية من الرسالة هي شرح أوضاع الأندلس ، وكيف أنها تحارب حرباً لاهوادة بها ضد عدو يفوقها أضعافاً كثيرة ، وأن لناصر لها إلا الله ، ويتطرق ابن الخطيب في رسالة سلطانه هذه إلى التاريخ الأندلسي من أوله حتى زمانه هو ، ويذكر شيئاً من الحروب التي دارت بين سلطانه وبين الاسبان ، وكيف أن الحرب كانت سجلاً بين الطرفين ثم انتصر المسلمون .

(١) نفس المصدر .

ويحتّم رسالته هذه بأن هذه الرسالة هي تجديد لعلاقات مودة كانت قائمة بين
جد السلطان الغرناطي ووالد السلطان الملوكي ، ويأمل أن تتجدد
العلاقات وتتطور (١) .

ولا يخرج مضمون رسالته إلى يلبنّا الخاصكي عن مضمون الرسالة السابقة
وفي إحدى رسائله ، يخبر الغني بالله أحد رؤساء تونس بمحاولة خلعه
عن العرش ، تلك المحاولة التي قام بها أخوه ، وتمكن من خلعه ،
والحلّول محله فترة ثلاث سنوات ثم استعاد الغني عرشه بمساعدة آل مرين
وقضى على المتآمرين ، واسمعه يقول : وربما اتصلت بكم الحادثة التي
أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذياً... متيمم حجرها
الكافل ، ورضيع درها الحافل ، الشقي الخاصر الخائن الفادر ، محمد بن إسماعيل
المستجير بنسبنا من لؤم غدرة ، الخفية عنا حيل مكره لثول قدره... (٢)
ثم يذكر له كيف فاجأ أخوه في الليل وكيف هرب إلى مراکش ، ومن
[هناك جمع جموعه ، وعاد ظافراً إلى دار ملكه وأن عودته كانت برداً
وسلاماً على الأندلس ، وإنقاذاً لها من الدمار : فلولا أن الله عز وجل
تدارك جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسكابنا لكانت القاضية... (٣)
ولا تختلف رسائله إلى سلطان بني مرين عن تلك التي وجهها إلى الآخرين ،
علماً أن بني مرين لهم مكانة خاصة لدى سلاطين غرناطة لإمدادهم الدائم
لهم بالمال والرجال والعتاد ،

ولقد وجدت علاقات ود وصداقه أيضاً بين بني مرين في مراکش ، وبين

(١) نفس المصدر ١/٣٠٠ - ٣٠٥ .

(٢) نفس المصدر ١/٣٦ - ٤١ .

(٣) نفس المصدر .

حكام مصر من المماليك ، وقد سبق للسلطان المريني أبي الحسن أن تبادل الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وقد استمرت هذه العلاقة زمن ابنه السلطان إسماعيل ، فقد أرسل السلطان المريني رسالة إلى السلطان المملوكي كال لنفسه ولنظيره المملوكي الألقاب الفارغة ، وحديثه عن والده وعن الصداقة التي كانت بينهما ، وكيف أنه أرسل وفداً مغريباً إلى الحج عن طريق مصر ، ومع الوفد مصحفان خطتهما يد السلطان المغربي ، وكيف أن السلطان الناصر أحسن استقبال الوفد ، وسهل طريقه ، وحاطه بالرعاية والحماية ، والاكرام ، والانعام ، وسمح لأعضاء الوفد بشراء أوقاف في المدينة المنورة من أجل رعاية المصحفين ، وكيف أن ذلك وقع من السلطان المغربي أحسن موقع وأجله ، ثم ينتقل السلطان المغربي إلى تعزية السلطان إسماعيل بوفاة والده وتهنئته بالملك الذي ورثه عن والده . مع أجل التهاني وأعذب الأمنيات . بعد ذلك يطلب إليه أن يسهل طريق موفده إليه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج ولتفقد أحوال الأوقاف التي تم شراؤها زمن أبيه الناصر .

هذا ، وإن من أشق الأمور على النفس الانسانية ، أن تتحدث بصراحة وصدق عن معركة خاضتها ضد خصم شرس وهزمت فيها . وهذا ما فعله هذا السلطان العظيم المجاهد ، إذ أنه اعترف بخسارته المروعة أمام الاسبان براً وبحراً . ذلك أن ملك قشتالة جمع قواته ، وأمدته أوربا كلها ، وهاجم مملكة غرناطة ، وكان قصده قطع اتصالها مع المغرب ، وقد تم له ذلك وهزم القوات الاسلامية في معركة طريف هزيمة منكرة ، وخسر الأسطول المغربي سبعاً وستين قطعة غزوية أجراها عند الله يدخر^(١) . كذلك أرسل جيشاً

(١) نفس المصدر ٦/١٢٠-١٢٩ .

ضخماً للأندلس ، ولكن هذا الجيش حوَّص في الجزيرة الخضراء بعد هزيمة الأسطول . غير أن السلطان المغربي تمكن من استعادة جبل طارق من القشتاليين ، وبذلك أُنْصِفَتْ نقطة اتصال مع الأندلس ، وقد كتب إلينا سلطان الأندلس يرغب في الاذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح ، فاذن له فيه الاذن العام ... (١) هنالك دعى النصارى إلى السلم فاستجابوا ... قِم الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها [الجزيرة الخضراء] من الفرسان ورجال وأهل وبنين ، ولم يرزوا مالا ولا عدة ، وللقوا في خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة (٢) .

رحم الله السلطان أبا الحسن المريني ، فقد كان ، إلى جانب جهاده العظيم ، وتقواه ، وبلائه في نصرة الأندلس ، عظيماً في تواضعه ، عاليّاً في هزيمته صادقاً مع نفسه ومع من حوله فاستحق ثناءنا وثناء كل من يفتقدون هذه الصفات لدى هؤلاء الحكام في هذه الأيام .

ولقد رد السلطان إسماعيل بن الناصر التحية بأحسن منها ، وأجاب برسالة محكمة مدبجة رد فيها على كل ماورد في رسالة السلطان المغربي ، وتقبل عزاءه في والده وشكره لثنايه القلبية على تسنمه عرش المملكة ، وأخبره أن الود الذي كان قائماً بين السلطان المغربي ووالد السلطان إسماعيل سيستمر ويزداد قوة في عهد ولده إسماعيل ، وأنه استقبل الوفد ، وقد سهل مهمته وطريقه ، ثم أبدى ألمه لما حل بالسلطان من هزيمة وما أصابه من خسائر ، وتغنى لو أمكن النجدة لفعل تم يذكر له أن أجر ذلك مدخر له عند

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

الله تعالى^(١) .

نصل الآن إلى نهاية القصة ، وهي نهاية محزنة مؤلمة لقصة مجيدة ، تقص علينا كيف انتهى ذلك المجد العظيم ، وكيف هوى ذلك الصرح الباذخ من صروح الاسلام المجيدة . فقد توحدت مملكتنا أراغون وقشتالة تحت عرشي فرناند وإيزابيلا ، وضعف ملوك بني مرين كل الضعف ، وحل محلهم آل وطاس ، كما وأن قوى الأندلس استنزفت في هذا الصراع الطويل الدامي المنهك غير المتكافئ ، ومزقتها الفتن والحروب والدسائس والصراع على العرش فاضطر آخر ملوك غرناطة أبو عبدالله الصغير أن يطلب السلم من المنتصرين الذين قطعوا كل اتصال للأندلس من كل الجهات ، وحاصروا غرناطة حصاراً لا يمكن فكه إلا بالاستسلام . وقد تم ذلك ووقعت وثيقة الاستسلام في الحادي والعشرين من محرم سنة ٨٩٧ هـ الموافق ١٤٩١/١١/٢٥ م .

وقد أخذ أهل غرناطة لأنفسهم من الموائيق واليهود أشدها وما اعتقدوا أنه يحميهم ويحمي أعراضهم وأرواحهم وأنفسهم وأولادهم وأموالهم وعقيدتهم من الاضطهاد ، ولكن كل ذلك كان سدى ، إذ أن المنتصرين نقضوا عرى هذا الاتفاق عروة عروة . ومتى كانت أوربا ترعى ذمة أو تحفظ عهداً بل العكس تماماً هو الصحيح ، ولكن المغلوب العاجز لاحيلة له سوى الركون إلى مثل هذه الأمور ، لأنه إن لم يفعل ذلك تطور الوضع إلى أسوأ .

فقد نصت معاهدة التسليم على أن تسلم قلاع الحمراء والحصن وأبواب غرناطة والبيازين إلى الملكين الإسبانيين خلال ستين يوماً من تاريخ توقيع الاتفاق ، وأن يقدموا رهائن من علية أهل غرناطة ضماناً لحسن تنفيذ هذا الاتفاق . ويتعهد الملكان الإسبانيان ومن سيأتي بعدهما من الحكام الآن وإلى الأبد أن يتركوا الشعب الأندلسي يحكم بموجب شريعته ، وأن تترك لهم

(١) نفس المصدر ١٢٩/٦-١٣٥ .

مساجدهم » وأن تترك لهذه المساجد أوقافها . كما وأن الملكين يسمحان لمن يريد العبور إلى المغرب أن يعبر بأمواله وأهله ، وينحهم الملكان الحماية والرعاية حتى يصلوا إلى مأمهم ؛ وأن يعامل الجميع على أساس أنهم رعايا خاضعون للملك إسبانيا ، وأن لا يلزموا بوضع شارة تميزهم عن غيرهم ، وألا يجبروا على التنصر ، وأن يحكم بينهم حكام وقضاة مسلمون بموجب الشريعة الإسلامية . هذه هي أهم بنود الاتفاق ، وقد ذيل الاتفاق بتعهد خطي من ملك ومملكة إسبانيا ووقع عليه ولي العهد والعطاء ، يؤكد بموجبه الملكان ويضمنان بدينهما وشرفهما الملكي القيام والوفاء بكل ما يحويه هذا العهد من نصوص . . . الآن وإلى الأبد (١) .

كما وأن هذا العهد ذيل بذيل يضمن بموجبه الملكان حقوق وامتيازات أبي عبد الله الصغير وحقوق نسوته وأولاده وأمه ، ويضمنان ما يمكنونه الآن وإلى الأبد ، مع الاعفاء من الضرائب ، ولهم حق بيعها وهبتها والتصرف بها وتوريثها لأعقابهم من بعدهم ، وإذا أحب الملك أبو عبد الله ونسوته وأمه العبور إلى المغرب فلهن ذلك ، ولهن الحق في الاحتفاظ بأملأكنهن أو بيعهن (٢) .

ولقد ظن أبو عبد الله الصغير أنه يستطيع البقاء في الأندلس بعد سقوطها بيد الإسبان وبعد أن أصبح تابعاً بعد أن كان متبوعاً ولكنه كان واهماً وبدأت المضايقات ، كذلك وأصبح وجوده مصدر إزعاج للملكين الكاثوليكين ، وأخيراً تفاوض الطرفان وتقرر أن ينتازل أبو عبد الله الصغير عن كل حقوقه وامتيازاته وأملأكه للملكين لقاء مبلغ من المال دفع إليه (٣) ، وانتقل إلى

(١) هنان ، محمد عبد الله . نهاية الافدلس وتاريخ العرب المتنصرين . الطبعة الثالثة .

القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ م . ص ٢٤٥ - ٢٥٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٧ .

المغرب مع أسرته ، مسجلاً بذلك انتهاء عهد من أجد عهود الحضارة الاسلامية ومفتتحاً عهداً من أسوأ عهود التاريخ الاسباني الأسود المتعصب هو عهد اضطهاد الموريسكيين الذين ظلوا في صراع مستميت مع حكام اسبانيا ومع الكنيسة الكاثوليكية المتعصبة في اسبانيا مدة تنوف على القرن حتى أخرجهم الاسبان من الأندلس جملة واحدة في مفتتح القرن السابع عشر .

ز - المدجنون والموريسكيون

المدجنون : لفظ أطلق على المسلمين الذين بقوا في بلاد الأندلس التي احتلها الاسبان وحافظوا على دينهم وعاداتهم فيها ، وذلك في جميع الأماكن التي احتلها الاسبان قبل سقوط غرناطة بيدهم . أما الموريسكيون : فلفظ أطلق على المسلمين الذين بقوا في مملكة غرناطة بخاصة وظلوا متمسكين بدينهم وعاداتهم على الرغم من الاضطهاد الرهيب الذي تعرضوا له .

ولقد اكتشف عدد كبير من الوثائق المدجنية المحفوظة بدار المحفوظات التاريخية بمديرد ، وأغلبها عقود تمت بين المستعربين أو بينهم وبين المدجنين بأسلوب عربي لا بأس به ، وكلها تستهل بالبسملة ، مقرونة أحياناً بعبارة « وبه تستعين » أو « الحمد لله وحده » وعلى كثير منها شهود مدجنون مسلمون إلى جانب النصارى .

ولقد ترك الموريسكيون لمصيرهم الفاجع ، ولم يستطع أحد أن يقدم لهم عوناً لقوة اسبانيا المسيحية آنذاك وضمف الدول الاسلامية المجاورة لها . ولم يستطع العثمانيون ، القوة الاسلامية الوحيدة الموجودة آنذاك في البحر المتوسط ، باستثناء الماليك المنحدرين نحو التحلل والانهيار ، أن تعمل شيئاً لانقاذ هذا الشعب التمس أو تخفيف آلامه . وقد تمكن أحد فقهاء مراكش أن يسرب إلى الموريسكيين ، ويسمهم الغرباء ، رسالة يبين لهم الطرق الشرعية

التي يمكن أن يلجأوا إليها حتى يتمكنوا من ممارسة شعائر الاسلام خفية :
فالصلاة ولو بالاعياء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم . . . والفصل من الجنبات
ولو عوماً في البحور (١) . . . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر ، فإن أمكنكم
التورية والإلغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالايان إن نطقتم بها
ناكرين لذلك . . . (٢)

وهناك قصيدة مورييسكية قالها شاعر مسلم اسمه محمد بن محمد يصف
آلام شعبة التي تذيب الصخر ويصور الاضطهاد الذي يصب عليهم ، أروع
تصور وأبشع : . . . ومن عبد الله ببلغته قضى عليه بالهلاك ، ومن ضبط
ألقي في السجن ، وعذب ليل نهار حتى يرضخ لباطلهم (٣) . ثم يختم قصيدته
بما يلي : ونحن إذ نياس من عدل الانسان نستغيث بالنبي معتمدين على
ثواب الآخرة ، وقد حثنا شيوخننا على الصلاة والصوم ، وأن نقصد وجه الله
فهو الذي يرحمنا في نهاية الأمر (٤) .

رحم الله هؤلاء الأبطال المجهولين الذين ضحوا بحياتهم وتحملوا أقسى
ما يتحمله انسان في سبيل عقيدته ، وقد سجل هؤلاء الأبطال أنهم مشاعل
تنير الطريق أمام الأجيال الصاعدة تعلمها كيف يكون الثبات على العقيدة
وكيف تكون التضحية في سبيل المبدأ . وفي نفس الوقت دمع هذا العمل
إسبانيا بالوحشية والفظاظة والعداء للجنس البشري الذي كلف كثيراً من
البشر أرواحهم وكان نقمة على الملايين من بني الانسان ، وأثبت أنه كان
أكبر نقمة أصيبت بها إسبانيا المسيحية المتعصبة نفسها

(١) نفس المصدر ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٤) نفس المصدر .

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

الوثائق

أ - زمن بني أمية حتى سنة ١٢٨ هـ / ٧٥٦ م

١ - خطبة زهير بن قيس في الناس .

لما تمكن البربر من النفوذ إلى مدينة القيروان - زمن مروان بن الحكم -
وعزم الناس على الفرار ، عظم البلاء على المسلمين فقام زهير بن قيس
خطيباً فقال :

يا معشر المسلمين : إن أصحابكم قد دخلوا الجنة ، وقد من الله عليهم
بالشهادة ، فاسلكوا سبيلهم ، ويفتح الله لكم دون ذلك .
فقام إليه حنش الصنعاني فقال :

لا والله ما نقبل قولك ولالك علينا ولاية ، ولا عمل أفضل من النجاة
بهذه العصابة من المسلمين إلى مشرقهم ثم قال .
يا معشر المسلمين : من أراد منكم القفول إلى مشرقه فليتبغي .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ١٨

٢ - خطبة موسى بن نصير في ذات الجاهم من مدن شمالي إفريقية .

عزل عبد العزيز بن مروان - والي مصر من قبل أخيه عبد الملك -
حسان بن النعمان عن إمرة إفريقية ، وولي مكانه موسى بن نصير ، فذهب

إلى بلدة ذات الجماجم ، حيث الجموع محتشدة والجيوش مجتمعة وهناك خطب في الجند فقال :

إن أمير المؤمنين رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ففرم ، ووجهه أميراً عليكم ، وإنما الرجل في الناس بما أظهر ، والرأي فيما أقبل ، وليس فيما أدبر . فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز - أكرمه الله - كفر النعمة ، وضيع الشكر ، ونازع الأمر أهله ، فقير الله ما به . وإنما الأمير - أصلحه الله - صنو أمير المؤمنين ، وشريكه من لا يهتم في عزمه ورأيه . وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ، ولم يأل أن أجهد نفسه في الاختيار لكم ، وإنما أنا رجل كأحدكم ، فمن رأى مني حسنة فليحمد الله ، وليحضر على مثلي . ومن رأى مني سيئة فليذكرها فأني أخطئ كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون . وقد أمر الأمير - أكرمه الله - لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفقها إلينا وله علينا قضاؤها على ماعز وهان مع المواساة إن شاء الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ٩٨ - ٩٩

٣ - خطبة موسى بن نصير في الناس بعد خطبته الأولى .

كان الوضع صعباً في إفريقية بسبب قرب العدو من المسلمين ، فلما قدم موسى بن نصير والياً على إفريقية ونظر إلى جبالها ومأحولها ، جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنما كان قبلي على إفريقية ، أحد رجلين . مسلم يحب العافية ويرضى بالدون من العظية ويكره أن يكلم ، ويجب أن يسلم ، أو رجل ضعيف العقيدة ، قليل المعرفة ، راضٍ بالهويته ، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر ، وأحمن النظر ، وخاض النمر ، وصمت به همته ، ولم يرض

بالدوّن من المنعم ، لينتجو ويسلم ، دون أن يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عذرها ، في غير خرق يريد ، ولا عنف يقاسيه ، متوكلاً في حزمه ، جازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستشيراً لأهل الرأي في إحكام رأيه ، متحنكاً بتجاربه ، ليس بالمتجانب إقحاماً ولا بالتخاذل إحجاماً ، إن ظفر لم يزد الظفر إلا حذراً ، وإن نكب أظهر جلادة وصبراً ، راحياً من الله حسن العاقبة ، فذكر بها المؤمنين ورجاهم إياها لقوله الله تعالى : (إن العاقبة للمتقين ^(١)) أي حزين ، وبعد : فإن كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى ويترك منه الأدنى ، فينتهز منه الفرصة ، ويدل منه على العوزة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة . وأيم الله : لا أريم هذه البقاع ، والجيال المتمتعة ، حتى يضع الله أرفعها ، ويدل أمنها ، ويفتحها على المسلمين بعضها ، أو جميعها ، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

الإمامة السياسية لابن قتيبة ٢ / ٩٩ - ١٠٠

٤ - رسالة عبد الملك بن مروان إلى حسان بن النعمان لما ولاه إفريقية
ولى عبد الملك بن مروان حسان إفريقية وأطلق يده في أموال مصر
من أجل احتلال إفريقية كلها

إني قد أطلقت يدك في أموال مصر ، فأعط من معك ومن ورد عليك ،
وأعط الناس واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٢٢

٥ - رسالة حسان بن النعمان إلى عبد الملك بن مروان لما تراجع أمام
الساكنة :

ان أُمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ، كلما بادت

(١) سورة هود الآية ٤٩ .

أمة خلفتها أمم ، وهم من الحفل والكثرة كسائمة الغنم .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٢٦

٦ - رسالة عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز واليه على مصر يوافقه على عزله حسان بن النعمان عن إفريقية وتولية موسى ابن نصير مكانه

أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك من عزل حسان وتوليتك موسى مكانه ، وعلم الأمر الذي عزله ، وقد كنت أنتظر منك مثلها في موسى وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت ، فاستوص بحسان خيراً فإنه ميمون الطائر ، والسلام^(١) .

٧ - رسالة جوابية من عبد العزيز بن مروان إلى أخيه عبد الملك عن نفس الموضوع

أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في عزل حسان وتوليتي موسى ابن نصير ، وقد كان لئله مني منتظراً في موسى ، ويعلمني أنه قد أمضى لي من رأيي ما أمضيت وولايتي من وليت : وقد علمت أن أمير المؤمنين يتفاد بحسان الذي فتح الله على يديه . ولم أعد - مع نظري لأمر المؤمنين - بأن عزلت حسان ووليت موسى في بين طائره وحسن أثره . فأما قول أمير المؤمنين قد كنت أنتظرها منك في موسى . فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصداً ، ولأمر المؤمنين أن يسبق بها إليه منتظراً ، حتى حضر أمر جهدت فيه نفسي لأمر المؤمنين ، ولنفسي الرأي والنصيحة . والسلام .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠٢ - ١٠٣

(١) ورد نص هذه الرسالة بشكل أكثر إيجازاً في البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٣٣ .

٨ - رسالة عبد العزيز بن مروان إلى موسى بن نصير يستوضحه حقيقة رقم السبي الذي أخبره به .

فتح موسى بن نصير مدينة زعوان ، وأرسل إلى عبد العزيز بن مروان يبشره بالنصر وأن خمس السبي بلغ ثلاثين ألفاً ، وكان ذلك خطأ من الكاتب ، إذ إن خمس السبي بلغ على الحقيقة ستين ألفاً لا ثلاثين ألفاً ، فلما وصل الخطاب إلى عبد العزيز استكثر الرقم ، وظن أن ذلك وهم من الكاتب فأرسل إلى موسى يستوضحه حقيقة الرقم ويقول :

إنه بلغني كتابك وتذكر فيه أنه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين ألف رأس فاستكبرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب ، فاكتب إلي بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم .

٩ - رسالة جوابية من موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان حول نفس الموضوع السابق .

بلغني أن الأمير - أبقاه الله - يذكر أنه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله علي وأنه ظن أن ذلك وهم من الكاتب ، وقد كان ذلك وهماً على ما ظنه الأمير ، والخمس - أيها الأمير - ستون ألفاً حقاً ثابتاً بلا وهم (١) .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠١ - ١٠٢

١٠ - رسالة عبد العزيز بن مروان إلى أخيه الخليفة عبد الملك بالفتح ومعها الرسالة التي أرسلها موسى بن نصير إلى عبد العزيز يبشره بالفتح .

أما بعد : فإني كنت وأنت يأمر المؤمنين ، في موسى وحسان ، كالتراهنين ،

(١) ورد نص هاتين الرسالتين في البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٣٣ .

أرسلنا فرسيتها إلى غايتها فأتيا معاً . وقد مدت الغاية لأحدهما ، ولك عنده مزيد إن شاء الله . وقد جاءني ، يا أمير المؤمنين ، كتاب من موسى ، وقد وجهته إليك لتقرأه وتحمد الله عليه ، والسلام .

١١ - رسالة جوابية من الخليفة عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز .

أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذي مثلته في حسان وموسى ، ويقول لك عند أحدهما مزيد ، وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً ، وقد أجريت وحدك ، وكل مجز بالخلاء مسرور ، والسلام .

الإمام والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٠٣

١٢ - رسالة من الخليفة عبد الملك بن مروان إلى موسى بن نصير إثر انتصارته هذه يرده عليه مائة ألف درهم كان قد صدره عليها ، وذلك تعبير عن سروره وشكره له وامتنانه منه لافتتاحه شبالي إفريقية كله حتى وردت خيوله المحيط الأطلسي .

أن أمير المؤمنين قد أمر لك بمئة ألف التي أغرمها لك ، فخذها من قبلك من الأخماس .

الإمامة والسياسة ٢ / ١٠٩

١٣ - خطبة طارق بن زياد قبل معركة وادي بكة مباشرة في جيشه الذي حشده لمحاربة الاسبان وملتهم لوزريق .

أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من ورائكم والمدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصديق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه في أسلحته ، وأقواته موفورة . وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم امرأ ذهبت

ريحكم ، وتعضت القلوب في رعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم ، بمناجزة هذا الطاغية . فقد ألقى به إليكم مدينته الحصينة ، وإن إتهان الفرصة فيه لممكن ، إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خلة أرخص متاع فيها النفوس ، إلا وأنا أبداً بنفسي . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ، ذوي التيجان ، قد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزباً ، واختاركم ملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستأحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظكم منه ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون نعيمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا أنني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه . وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم للزريق فقاتله - إن شاء الله تعالى - فاحملوا معي ، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت دون وصولي إليه فاخلفوني في عزيتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون (١) .

نفخ الطيب للمقري ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦

(١) إن النص الوارد في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٤٠٤ - ٤٠٥ يكاد يكون مطابقاً للنص أعلاه ، على حين أن النص الوارد في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١١٧ - ١١٨ أكثر اختلافاً وأقصر .

١٤ - خطبة موسى بن نصير في جنده أثناء حصاره حصناً من
حصون سرقسطة

استمعى أحد الحصون الواقعة شمالي سرقسطة على جند موسى ، فجعلهم
وخطبهم فقال بعد أن حمد الله
أيها الناس : إني متقدم أمام الصفوف فإذا رأيتموني قد كبرت وحملت
فكبروا واحملوا .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٢٥

١٥ - رسالة من الوليد بن عبد الملك إلى موسى بن النصير لما طلب
منه الإذن بغزو الأندلس

خضها بالسرايا حتى ترى ، وتختبر شأنها ، ولا تفرر بالمسلمين في بحر شديد
الأهوال (١) .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٣٧

١٦ - رسالة جوابية من موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد
الملك :

انه ليس بحر متسع ، وإنما هو خليج بين ما وراءه .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ / ١٢٢

١٧ - رسالة جوابية من الوليد بن عبد الملك إلى موسى بن نصير

وإن كان ، فلا بد من إختباره بالسرايا قبل اقتحامه .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٣٧

(١) ورد نص مشابه في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ / ١٢٢ .

١٨ - رسالة م- موسى بن نصير إلى مولاة طارق بن زياد ، الذي أصاب ست سفن يأمره بإتمامها سبعة وشحنها والتوجه إلى الأندلس :
أتمها سبعة ثم سر بها إلى شاطئ البحر ، واستمد لشحنها ، واطلب قبلك رجلاً يعرف شهور السريانيين ، فإذا كان يوم أحد وعشرين من شهر آذار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره في ذلك اليوم . فإن لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فإنها موافقة لشهور السريان ، وهو شهر يقال له بالأعجمية مارس فإذا كان يوم أحد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما أمرتك إن شاء الله . فإذا أجريت فسر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية إلى جانبها صنم فيه تمثال ثور . فاكسر ذلك التمثال وانظر فيمن معك إلى رجل طويل أشقر بعينه قبل ^(١) ، ويده شعل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم على مكانك حتى أغشاك إن شاء الله .

١٩ - رسالة جوابية من طارق بن زياد إلى موسى بن نصير :
إني منته إلى ما أمر الأمير ووصف ، غير أنني لم أجد صفة الرجل الذي أمرتني به إلا في نفسي .

الامامة والسياسة لابن قتيبة ١١٥/٢ - ١١٦

٢٠ - رسالة طارق إلى موسى لما اتصل بالجبل المذكور في رسالة موسى السابقة .

إني فعلت ما أمرتني به وسهل الله سبحانه وتعالى الوصول .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٤٠٤

٢١ - رسالة طارق بن زياد إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد

(١) القبل : إقبال السواد في العين على الأنف أو ما يشبهه الحول .

بعد قتله لدريق وانتصاره في معركة وادي بكة .

إن الأمم قد تداعت علينا من كل جانب فالنوث الفوث .

الإمامة والسياسية لابن قتيبة ١١٨/٢

٢٢ - رسالة موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك

يبشروه بفتح الأندلس ويقول :

إنها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ، ولكنه الخسر .

الإمامة والسياسية لابن قتيبة ١٢٣/٢

٢٣ - عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى تدمير ملك أوريولة

في شمالي الأندلس :

بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب عبد العزيز بن موسى بن نصير

لتدمير بن عيدوش أنه نزل على الصلح ، وأن له عهد الله وذمته وذمة

نبيه ﷺ ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن

ملكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم

ولا يكرهون على دينهم ولا تحرق كنائسهم ، ولا ينزع عن ملكه ماتعبد ونصح

وأدى الذي اشترطنا عليه ، وأنه صالح على سبع مدائن : أوريولة

Oriluela ، وبلنتة Baltna ، ولقنت Alicante ، ومولة Mula ، وبلانة

Villena ، ولورقة Lorca ، واله Ella ، وأنه لا يؤوي لنا آبقاً ،

ولا يؤوي لنا عدواً ، ولا يخيف لنا آمناً ، ولا يكم خبر عدو غلمه ، وأن

عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد

شعير ، وأربعة أقساط طلاء ، وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي

زيت ، وعلى العبد نصف ذلك . شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة

القرشي ، وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهري ، وأبو قائم الهذلي . وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة^(١) .

بغية المتمس للضي ص ٢٧٤

٢٥ - خطبة موسى بن نصير بين يدي سليمان بن عبد الملك لما

أراه رأس ابنه عبد العزيز :

حق سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير وابنه عبد العزيز الذي خلفه في حكم الأندلس ، فدبر لابن أشخاصاً قتلوه وأحضرُوا رأسه إلى سليمان ، فأرى سليمان الرأس إلى موسى وقال له : أتعرف رأس من هذا الرأس ، فقام موسى خطيباً بين يدي سليمان فقال بمد حمد الله والثناء عليه : هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين ، فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمري الله ما علمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً ، شديد الحب لله ورسوله ، بعيد الأثر في سبيله ، حسن الطاعة لأمر المؤمنين ، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين . فإن يك عبد العزيز قضى نجبه فغفر الله له ذنبه . فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائباً ، وليجز على عبد الملك ، وعبد العزيز ، والوليد ، أن يصرعوه هذا المصراع ويفعلوا به ما أراك تفعل ، ولهم كانوا أعظم رغبة فيه ، وأعلم بنصيحة أبيه أن

(١) ورد نص هذا العهد الشهير في عدد من المصادر والكتب الثانوية ، فقد ذكره السيد عبد العزيز سالم في تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس - ١١٦ وذكر أنه نقله عن الروض المطار للحميري - ٦٣ . كذلك ذكره محمد عبد الله عنان في دولة الإسلام في الأندلس القسم الأول الجزء الأول ٥٥ - ٥٦ وذكر أنه نقله عن معجم الغزيري ومعه ترجمة لاتينية كما ذكره حسين مؤنس في فجر الأندلس ١١٤ - ١١٥ وعبد الرحمن الحجي في أندلسيات المجموعة الثانية ٢٥ - ٢٦ وإبراهيم هلي طرخان في المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ١٣٢ - ١٣٣ .

يسمعوا فيه كاذبات الأقاويل ، ويفعلوا به هذه الأفاعيل .
فرد عليه سليمان قال :

بل ابنك المارق من الدين ، والشاق عصا المسلمين ، المنابذ لأمير
المؤمنين ، فهلاً أيها الشيخ الخرف .
فقال موسى :

والله ما بي من خرف ، ولا أنا عن الحق بندي جنف ، ولن ترد
محاورة الكلام ، مواضع الحمام . وأنا أقول كما قال العبد الصالح :
(فصر جيلٌ ، والله المستعان على ماتصفون)^(١) . أفتأذن في رأسه يا أمير
المؤمنين ؟ فأذن له سليمان :

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢/١٥٣ - ١٥٤

٢٤ - عهد سليمان بن عبد الملك بمقاضاة موسى بن نصير :

غضب سليمان بن عبد الملك على موسى بن نصير ، ونكبه وصادره ،
وطالبه بأموال كثيرة ، حتى توسط بينها بعض الرؤساء ، قم الاتفاق على
أن يفندي موسى نفسه بمبلغ أربعة آلاف ألف دينار ونيف ، وفيما يلي
نص هذا العهد .

هذا ما قاضي عليه عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين موسى
ابن نصير : قاضاه على أربعة آلاف ألف دينار وثلثين ألف دينار وخمسين ديناراً
يؤديها إلى أمير المؤمنين . وقد قبض منها أمير المؤمنين مائة ألف وبقي على
موسى سائر ذلك ، أجهله أمير المؤمنين إلى سير رسول أمير المؤمنين إلى
ابن موسى الذي بالأندلس يمكث شهراً بالأندلس ، وليس له أن يمكث

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

وراء ذلك يوماً واحداً حتى يقفل راجعاً بالمال ، إلا ما كان من إفريقية ومادونها . وليس لموسى أن يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ امتخلف الله أمير المؤمنين من ذمة ، أو فيء أو أمانة فهو لأمر المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته . فإن أدى موسى الذي سمي أمير المؤمنين في كتابه هذا من المال إلى ما قد سمي أمير المؤمنين من الأجل فقد برىء موسى وبنيه وأهله ومواليه ، وليست عليهم تبعة ولا طلب في المال ، ولا في العمل ، يقرون حيث شاؤوا . وما كان قبض موسى أو بنيه من عمال موسى إلى قدوم رسول أمير المؤمنين إفريقية فهو من الذي على موسى من المال يحسب له من الذي عليه ، ما لم يقبض قبل وصول رسول أمير المؤمنين فليس منه في شيء ؛ وقد خلى أمير المؤمنين بين موسى وبين أهله ومواليه ، ليس له ظلم أحد منهم . غير أن أمير المؤمنين لا يدفع إليه طارقاً مولاه ولا شيئاً من الذي قد أباه عليه أول يوم .

شهد أيوب ابن أمير المؤمنين ، وداود ابن أمير المؤمنين ، وعمر بن عبد العزيز ، وعبد العزيز بن الوليد ، وسعيد بن خالد ، ويعيش بن سلامة ، وخالد بن الريان ، وعمر بن عبد الله ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الله بن سعيد ، وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين^(١) .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٤٦/٢ - ١٤٨

(١) أورد هذا النص عبد الكريم التواني في مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ص ٩٣ . وذكر أنه أخذه عن كتاب ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٧٥ . والنص المثبت أعلاه أرواحه وأكمل وفيه أسماء الشهود .

رسائل سليمان بن عبد الملك إلى عدد من الناس من أجل أبناء
موسى بن نصير .

قرر سليمان التخلص من أولاد موسى بن نصير ، إذ كان أحدهم
والياً على إفريقية والمغرب وهو عبد الله ، والآخر ، وهو عبد العزيز
كان والياً على الأندلس ، ولذلك لجأ إلى الحيلة بأن أرسل أشخاصاً من
قبله إلى عبد العزيز بن موسى في الأندلس يحوزون ثقته ، فإذا تم الأمر
وثبوا به وقتلوه . ولذلك فاوض كلاً من حبيب بن عبيد ، وابن وعلة التميمي ،
ومسعد بن عثمان بن مياسر ، وعمرو بن زيال اليحصبي ، وعمرو بن كثير ،
وعمر بن شرحبيل ، وكتب إليهم يحرضهم على عبد العزيز ويذكر لهم أن
من قتل حل محله والياً على الأندلس ، وفي نفس الوقت طلب من عبد
الله بن موسى واليه على المغرب أن يرسل هؤلاء الأشخاص من قبله إلى
أخيه عبد العزيز في الأندلس لمساعدته في حفظ البلاد وجهاد الأعداء .

٢٦ - رسالة سليمان بن عبد الملك إلى عبد الله بن موسى بن نصير
لاني نظرت فإذا عبد العزيز بإزاء عدو يحتاج فيه إلى الغناء والبلاء ،
فسأل أمير المؤمنين فأخبر أن معك رجالاً منهم فلان وفلان - عني بهم
الأشخاص المذكورين أعلاه - فأشخصهم إلى عبد العزيز .

٢٧ - رسالة سليمان بن عبد العزيز بن موسى بن نصير

أما بعد : فإن : أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك إلى
الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له أن بإفريقية رجالاً منهم فكتب أمير
المؤمنين إلى عبد الله بن موسى يأمره بإشخصهم إليك فوهم أطرافك
وثغورك واجعلهم أهل خاصتك ،

٢٨ - رسالة سليمان إلى كل فرد من أفراد الفريق المرسل إلى الأندلس :

إني قد بعثت لكم بكتاب إلى أهل الأندلس بالسمع والطاعة لكم والعذر في قتله ، فإذا أولاكم أطرافه فاقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا إليه حتى تقتلوه .

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٥٠ - ١٥١

٢٩ - خطبة يزيد بن أبي مسلم لما أصبح والياً على إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك وقد عزم على أن يسم اسم حراسه على أيديهم .
إني رأيت أن أرسم اسم حرسى في أيديهم . كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه . وفي يساره حرسى ليعرفوا بذلك بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به .
ولكن ذلك أساء لأفراد الحرس وكان أحد الأسباب الرئيسية في الثورة عليه وقتله .

البيان المغرب لابن عذاري ١ / ٤٦

٣٠ - رسالة أهل إفريقية إلى يزيد بن عبد الملك لما ثاروا بعامله يزيد بن أبي مسلم وقتلوه وولوا مكانه العامل السابق محمد بن يزيد ، وذلك لأنه سار فيهم سيرة قبيحة .

إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك .

٣١ - جواب يزيد بن عبد الملك لأهل إفريقية .

إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم^(١) .

(١) أورد الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٤/٥٤٤ والجيشياري في كتاب الوزراء والكتاب ٣٦ نصين مطابقين .

وأقر محمد بن يزيد والياً على إفريقية .

وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥٤ / ٥

٣٢- رسالة من أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي إلى هشام بن عبد الملك لما أخذ عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية والمغرب الجديد عمال بشر بن صفوان الوالي القديم المعزول في القيروان ، ومن بينهم أبو الخطار ، فحبسهم وعذبهم ، وأغرمهم ، وقد احتال في إرسالها إلى كاتب هشام الأبرش الكلبي الذي قرأها أمامه ، وهي شعر ، وهذا نصها :

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا	وفي الله، إن لم تنصفوا ، حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط	ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكمو حره الوغي بصدورنا	وليس لكم خيل تمد ولا رحل
فلما رأيتم واقد الحرب قد خبا	وطاب لكم منا المشارب والأكل
تفاقلتو عنا كأن لم يكن لنا	بلاء وأنتم ما علمت لنا فعل
فلا تجزعوا إن عضت الحرب مرة	وزلت عن الرقاة بالقدم النعل
وقدرت جبل الوصل وانقطع التوى	ألا ربما يلوى فينقطع الجبل (١) .

تاريخ مسلمي إسبانيا لدوزي ١ / ١٣٧

٣٣- رسالة جوابية من عبد الرحمن النافقي إلى عبيدة بن عبد

الرحمن القيسي :

ولي عبيدة بن الرحمن القيسي والي شمالي إفريقية عبد الرحمن النافقي الأنسلس ، ففزا بلاد فرنجة وغسمن غنائم كثيرة جداً ، ومن جملتها

(١) وردت هذه الرسالة في بغية الملتبس للضي من ٢٧٧ ، وكذلك وردت في الحلة السيرة لابن الأبار ١٠ / ٦٤ ، وفي البيان المغرب لابن عذارى ١ / ٥٠ . وبين نصوصها خلافاً كثيرة ، ولكن النص المثبت أعلاه أكلها .

رجل من ذهب مفضضة بالدر والياقوت فكسرها ووزعها بين المحاريين
بعد إخراج الخمس . وبلغ ذلك عبيدة فغضب غضباً شديداً ، وأرسل إلى
عبد الرحمن يتوعده فأجابه عبد الرحمن بقوله :

إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمتقين منها خرجاً .

بغية الملتبس للضي ص ٣٦٦

ب- عهد أمراء وخلفاء بني أمية ١٣٨ - ١٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١ م

١- عبد الرحمن الداخل ١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٦ - ٧٨٨ م

٣٤- رسالة الصميل إلى عبد الرحمن الداخل .

لما عبر عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس أرسل رسولين إلى الصميل
حاكم الأندلس الفعلي الى جانب يوسف الفهري يدعوهم إلى نصرته ، فوعده
ذلك واتفق مع الأمويين المقيمين في الأندلس على نصرته . ثم رجع عن
رأيه وقوله ووعدده وقال للرسولين :

تأملت الأمر فوجدته صعب المرام . فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما ،
فإن أحب غير السلطان فله عندي أن يواسيه يوسف وزوجه ويحبوه ،
إنطلقا راشدين .

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٤٤

٣٥- رسالة زوجة يوسف الفهري له تخبره بنزول عبد الرحمن

الداخل ساحل الأندلس عند المنكب وتقدمه الى مدينة طرش واسمها

بالإسبانية Torrox

كان يوسف الفهري حاكم الأندلس غائباً عن قرطبة في شهلي البلاد
في معسكره ، ولما نزل عبد الرحمن المنكب وتقدم إلى طرش انضم إليه

بنو أمية واليمانية . ووصل الخبر إلى زوجة يوسف الفهري فأرسلت له رسالة مختصرة على جناح السرعة تخبره بالأمر وتقول :

ابن معاوية قد دخل ، ونزل طرش عند الفاسق عبيد الله بن عثمان وأصفت معه بنو أمية . وإن خليفتك على البصرة زحف إليه بن خف من أهل الطاعة ليخرجه فهزم وضرب أتباعه . ولم يقع قتل . فالرأي رأيك ١١ .

تاريخ المسلمين في الأندلس لسالم - ١٨٤

٣٦ - فصول من رسالة يوسف الفهري إلى عبد الرحمن الداخل قبل الحرب بينهما يعرض عليه الرعاية ويحاول خداعه .
أما بعد ، فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكب ، وتأبش من تأبش إليك ونزع نحوك من السراق وأهل الخير والغدر ونقض الأيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا . وبه - جل وعلا - نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش حتى غمضوا ذلك واستبدلوا بالأمن خوفاً وجنحوا إلى النقص ، والله من ورائهم محيط ، فإن كنت تريد المال وسعة الجناب فأنا أولى لك بمن لجأت إليه ، لكفك وأصل رحمك وأنزلك معي إن أردت وبحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته في ألا أغدر لك ، ولا أتمكن منك ابن عمي صاحب إفريقية ولا غيره (٢) في كلام كثير .

البيان المغرب ٢ / ٤٥ - ٤٦

- (١) ورد نص مشابه بشكل كبير لنصنا المثبت أعلاه في كل من : الامويون أمراء الأندلس الأول للشعراري ٧٥٥ وتاريخ مسلمي إسبانيا لدوزي ٢٠٠٠ ولم يذكر مصادرها .
(٢) ورد نص مطابق للنص أعلاه في كل من ، دولة الإسلام في الأندلس لعنان ١٥٣ ، في ١٠ - ١٥٣ وتاريخ المسلمين في الأندلس لسالم ١٨٤ - ١٨٥ وقد أخذ الإندلس نصيها عن ابن عذاري .

٣٧ - خطبة عبد الرحمن الداخل أمام جيشه يوم معركة المصارة التي حدثت بينه وبين جند يوسف الفهري .

هذا يوم هو أمس ما بيني عليه : إما ذل الدهر ، وإما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تريحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون .

الأمويون أمراء الأندلس الأول تأليف أحمد إبراهيم الشعراوي - ٧٥

٣٨ - خطبة عبد الرحمن الداخل في جيشه قبل المعركة الحاسمة مع جيش الفهري أمام قرطبة .

إنا لم ننجى للمقام ، وقد دعانا هذا الرجل إلى ما علمتم وعرض ما سمعتم ، ورأيي لرأيكم تبع ، فإن كان عندكم صبر وجلد وحب للمكافحة فأعلموني ، وإن يكن فيكم جنوح إلى السلم فأعلموني .
فاتفق القوم على القتال .

فقال الأمير :

أي يوم هذا ؟

قالوا : يوم الخميس يوم عرفة .

فقال :

لنعب البحر اليوم . فالأضحى غداً الجمعة ، وهو يوم فأل طيب لعائلتي .
فيه سبقت الخلافة لها . والمتراخفان أموي وفهري ، والجنندان قيس وعين ،
قد تقابل الأشكال . جدد . أرجو أنه أخو مرج راهط فأبشروا وجدوا .

تاريخ مسلمي إسبانيا للدوزي - ٢١٠

٣٩ - قول عبد الرحمن الداخل لأنصاره يكفهم عن الإثخان في قتل أصحاب الفهري بعد انتصارهم عليهم يوم قرطبة .

لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم .

نفح الطيب للمقري ٤ / ٤١

٤٠ - رسالة أرسلها عبد الرحمن الداخل ، بعد تغلبه على الفهري وتلقاه بالإمرة ، إلى سليمان بن يقظان الأعرابي الذي أرسل يراوغ في البيعة لعبد الرحمن ، فوق له بمايلي :

أما بعد : فدعني من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدن يداً إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بناتها عن وصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد (١) .

نفع الطيب للمقري ٣٩/٤

٤١ - رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن الداخل مولاه بدر بعد أن أطرحه وهجره وجفاه ، وذلك لإكثاره الدالة عليه :

أما كان جزائي في قطع البحر وجوب القفر ، والإقدام على تشتيت نظام مملكة ، وإقامة أخرى غير المهجر ، والذي أهانني في عيون أكفائي ، وأثمت بي أعدائي ، وأضعف أمري ونهبي عند من يلوذ بي ، وبتر مطامع من كان يكرمني ويحفدني (٢) على الطمع والرجاء . وأظن أعداءنا بني العباس لو حصلت بأيديهم مابلغوا بي أكثر من هذا . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٤٢ - جواب عبد الرحمن الداخل مولاه بدرأ على رسالته السابقة وقد احتدم غيظاً :

وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك ، وسوء خطابك ، ودناءة أدبك ولثيم معتقدك . والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متناً ،

(١) ذكر كل من ابن عذاري في البيان المغرب ٨/٢ والشعراوي في الأمويون أمراء الاندلس ١٢٥ نصاً قريباً كل القرب من نصنا أعلاه .

(٢) حفد خدم .

أتيت بما يهدم كل مئذنة مشيد بما تمنى به ، مما قد أضجر الأسماع تكراره
وقدحت في النفوس إعادته ، مما استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا
بإستئصال مالك ، وزدنا في هجرك وإبعادك ، وهضنا جناح إدلالك ، فلعل
ذلك يجمع منك ، ويردعك حتى نبليج منك ما نريد إن شاء الله تعالى -
فنحن أولى بتأديبك من كل أحد إذ شرك مكتوب في مثالبنا ، وخيرك
معدود في مناقبنا .

نفح الطيب للمقري ج ٤/ ٣٩ - ٤٠

٤٣ - رسالة أخرى من بدر إلى مولاه عبد الرحمن يشكو ويدل
بعد أن صادر ماله وسلبه نعمته وسلطانه ، واطرحه وأقصاه .
قد طال هجري ، وتضاعف همي ، وفكري ، وأشد ماعلي كوني
سليماً من مالي ، فحسبي أن تأمر لي بإطلاق مالي ، واتحد به في معزل
لا أشتغل بسلطان ، ولا أدخل في شيء من أموره ماعشت .

٤٤ - جواب عبد الرحمن الداخل إلى بدر عن رسالته السابقة :

إن لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب منها روحك لكان بعض
ما استوجبته ، ولا سبيل إلى رد مالك ، فإن تركك بمعزل في بلهنية الرفاهية
وسعة ذات اليد ، والتخلي من شغل السلطان ، أشبه بالنعمة منه بالنقمة ،
فياأس من ذلك فإن اليأس مريح .

نفح الطيب للمقري ٤/ ٤٠

٤٥ - رسالة أخرى من بدر إلى مولاه عبد الرحمن الداخل يتوسل
إليه وذلك عندما حضره عيد ولم يكن معه ما ينفق على نفسه وأهله .
... وقد أتى هذا العيد الذي خالفت فيه أكثر من أساء إليك وسمي

في خراب دولتك ، ممن عفوت عنه ، فبتبك (١) النعمة في ذراك واقتعد
ذروة العز . وأنا على ضد من هذا سلبياً من النعمة ، مطرحاً حضيض
الهوان ، أياس مما يكون ، وأقرع السن على ما كان .

٤٦ - جواب الداخل إلى بدر وقد امتلأ غيظاً وغضباً منه
فأمر بنفيه إلى الثغر الأعلى وكتب على رقعته :

لتعلم أنك لم تزل بمقتك حتى ثقلت على العين طلعتك ، ثم زدت إلى
أن ثقل على السمع كلامك ، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك ،
وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر . فبالله إلا ما أقصرت ، ولا يبلغ بك
زائد المقت إلى أن تضيق معي الدنيا . ورأيتك تشكو لفلان وتتلأ من
فلان ، وماتقولوه عليك . ومالك عدو أكبر من لسانك فما طاح بك غيره
فاقطعه قبل أن يقطعك .

نفح الطيب للمقري ٤٠/٤

٤٧ - حوار عبد الرحمن الداخل مع جندي من جنود جيشه :

ثار ضد عبد الرحمن الداخل شخص اسمه الحسين الأنصاري واعتصم
بسرقسطة ، فسار إليه عبد الرحمن وحاربه وانتصر عليه واحتل منه
سرقسطة ، فلما تم هذا أقبل جندي من جنود عبد الرحمن فهنا الأمير بصوت
عال وبلا مبالاة ، فقال له الداخل :

والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ عليّ فيه النعمة من هو فوق
فأوجب علي ذلك أن أنعم فيه علي من دوني لأصليتك ماتعرضت له من
سوء النكال . من تكون حتى تقبل مهنئاً رافماً صوتك غير متلجلج

(١) اي تمكن .

ولامتهيب لمكان الإمارة ولاعارف بقيمتها ؟ حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك !
وإن جهلك ليحكمك على العود لثلب فلا تجدد مثل هذا الشافع في مثلها
من عقوبة .

فقال الجندي :

ولعل فتوحات الأمير يقرن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي ، فتشفع لي
متى أتيت بمثل هذه الزلة ، لا أعدمنيه الله تعالى .

فسر الأمير بذلك الجواب وقال :

ليس هذا باعتذار جاهل .

ثم قال :

بهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينهنا عليها .
ورفع مرتبته .

نفح الطيب للمقري ٤١/٤

٤٨ - رسالة من عبد الرحمن الداخل إلى أحد عماله وقد قصر في عمله :

أما بعد : فإن يكن التقصير لك مقدماً ، فعد الاكتفاء أن يكون
لك مؤخراً ، وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيها أحببت .

البيان المغرب لابن عذاري ٥٨/٢

٤٩ - رسالة جوابية ، من عبد الرحمن الداخل ، في هيئة توقيع

وصيغة شعرية ، لشخص قرشي وفد عليه وكتب إليه ، يستعظم حقه
عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمطمع . فوقع في ظهر جوابه .

شتان من قام ذا امتعاض منتضى الشفرتين نصلاً

فجباب قفراً وشق بجرأ مسامياً لجة ومحلاً

فشاد بجدأ وبزملكأ ومنبرأ للخطاب فصلاً

وجند الجند حين أودى ومصر المرحين أخلى
 ثم دعا أهله جميعاً حيث انتأوا ، أن : هلم أهلاً
 فجاء هذا طريد جوع شريد سيف أباد قتلاً
 فنال أمنا ونال شبعاً وحاز مالاً وضم شمللاً
 ألم يك حق ذا على ذا أعظم من منهم ومولى
 كتاب الحلة السراء لابن الأبار ١/٣٩ - ٤٠

٥٠ - كتاب أمان وصلح أصدره عبد الرحمن الداخل لجيرانه
 نصارى قشتالة :

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن ، للبطارقة
 والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة ومن تبعهم من
 سائر البلدان . كتاب أمان وسلام . وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ
 ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من
 الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع
 ألف درع وألف بيضة ومثلها من الرماح ، في كل عام إلى خمس سنين .
 كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة (١) .
 دولة الاسلام في الأندلس لعنان > ١ ، ق ١ - ١٩٩

٥١ - وصية عبد الرحمن الداخل لابنه عبد الله البلنمي لما
 حضرته الوفاة .

مرض الداخل مرض الموت ، وكان ابنه هشام وسليمان غائبين ، فأوصي

(١) نقل عن النص اعلاه من مخطوطة الإحاطة لابن الخطيب في الأسكوريال كما
 وان الغزيري نقل هذا النص في فهرسه . ويشك الاستاذ عنان على الأقل في صحة الأرقام
 الواردة في هذا العهد .

ابنه عبد الله بمابلي :

من سبق إليك من أخويك ، فابراً إليه بالخاتم والأمر ، فإن سبق
إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه . وإن سبق إليك
سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الناس له .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب - ١١

٢ - هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٨ - ٧٩٦

٥٢ - وصية هشام لابنه وولي عهده الحكم قبيل وفاته :

يا بني يجب أن لاتنسى أن الملك لله يعطيه من يشاء ويأخذه من يشاء . وقد
منحنا الله السلطة ، ووضع في أيدينا صولجان الملك برحمته الواسعة ، فعلينا أن
نقدم له الحمد والشكر على نعمائه ، وأن ننفذ إرادته بالمعاملة الطيبة لكل
الناس ، خاصة أولئك الذين يلجأون إلينا طالبين حمايتنا .

كن عادلاً سوياً مع الفقراء والأغنياء ، ولا تترك للظلم سبيلاً إلى دولتك
فالظلم طريق الضياع ، وكن في ذات الوقت رحيماً عطوفاً على من يعتمد
عليك فكلهم خلق الله .

إمنح حكم أقاليمك ومدنك لأناس طيبين الأخلاق ذوي تجربة .
أزل العقاب بالوزراء والحكام ممن يميلون مع الهوى ، ولا يعدلون في
شعبك ؛ وكن معهم حازماً قوياً .

كن رقيقاً حازماً مع قواتك وجيوشك حينما تعوزك الضرورة إلى وضع
السلاح في أيديهم ، واجعلهم حماة الدولة لا تخريبها ، وادفع إليهم رواتبهم
واجعلهم واثقين دائماً من وفائك بوعودك . لاتتوان عن كسب إرادة شعبك
ففي تعاطفهم يكمن أمان الدولة ، وفي خوفهم يكمن الخطر ، وفي كرههم
يكمن الانهيار المحقق .

كن عطوفاً على الفلاحين الذين يعملون ليوفروا لنا القوت الضروري ولا تسمح بتخريب زروعهم .

وختم هشام وصيته ونصائح له لابنه الحكم بقوله :
وعلى الجملة فاحكم بطريقة تجعل ألسنة شعبك تلهج بشكرك وهم يعيشون
سعداء في ظل حمايتك وعطفك ، يجنون مباحج الحياة في ثقة وهدوء ،
ففي كل هذا يكون الحكم الصالح ، فإذا استطعت تحقيق ذلك كنت سعيداً
وجنيت الشهرة كأعظم أمير في العالم (١) .

الأمويون أمراء الأندلس الأول للشعراوي ٢٠٤ - ٢٠٥

٥٣ - رسالة وجهها إدريس الأول العلوي الذي أسس دولة الإدارة
في المغرب الأقصى إلى المصريين يدعوم لطاعته .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله رب العالمين لأشريك
له الحي القيوم ، والسلام على جميع المرسلين ، وعلى من اتبهم وآمن
بهم أجمعين .

أيها الناس : إن الله بعث نبيه محمداً ﷺ بالنبوة ، وخصه بالرسالة
وجباه بالوحي ، فصدع لأمر الله ، وأثبت حجته ، وأظهر دعوته ، وإن
الله - جل ثناؤه - خصنا بولايته ، وجعل فينا ميراثه ووعدنا وعداً سيفي له
به ، فقبضه إليه محموداً لأحجة لأحد على الله ولا على رسوله ﷺ ، فله الحجة
البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة ، غداً بنعمته صغاراً ، وأكرمنا

(١) يذكر المؤلف أنه نقله عن الإسبانية من كتاب كورديه ص ١١٥

Conde, T.A. Historia de la dominacion de les Arabes en Espana.. Parie,

1840, P-115

بطاعته كباراً ، وجعلنا الدعاة إلى العدل القائمين بالقسط المجانين للظلم ،
ولم نغل - إذ وقع الجور - طرقه عين من نصحنأ أمتنا والدعاء إلى سبيل
ربنا ، جل ثناؤه .

فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا ، واتهموا حرمتنا ،
وأيتموا صغيرنا ، وقتلوا كبيرنا ، واثكلوا نساءنا ، وحملونا على الخشب ،
وتهادوا رؤوسنا على الأطباق ، فلم نكل ، ولم نضعف ، بل نرى ذلك تحفة
من ربنا - جل ثناؤه - وكرامة أكرمنا بها ، فمضت بذلك الدهور
واشتملت عليه الأمور ، وربى منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير... (١)
في كلام طويل .

ناريخ المغرب العربي في العصر الوسيط لابن الخطيب - ١٨ حاشية

٥٤ - مقتطفات من رسالة وجهها إدريس الأول إلى إبراهيم الأغلب
مؤسس دولة الأغالبة يدعوه لطاعته .

أرسل إليه رسالة يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ، ويذكره
قربته من رسول الله ﷺ ، وفي أسفل كتابه هذان البيتان :

اذكر إبراهيم حق محمد وعترته ، والحق خير مقول
وادعوه للأمر الذي فيه رشده وما هو لولا رأيه بجهول
فإن آثر الدنيا فإن أمامه زلازل يوم للعقاب طويل

الحلة السيرة لابن الأبار ١/٥٥

(١) يذكر محققا الكتاب أن هذه الرسالة أخذت من مخطوطة مخنونة في مكتبة الإمبروزباتا
ميلانو بإيطاليا تحت رقم ١٦٥ ورقة ٢٨٢ - ٢٧٥ بعنوان سيرة الإمام المؤيد بالله محمد
ابن القاسم (إمام اليمن) .

٥٥ - رسالة خريش بن عبد الرحمن الكندي إلى إبراهيم بن الأغلب .

كان خريش من أبناء العرب المقيمين في تونس فخلع المسودة ، وأتاه العرب والبربر من كل ناحية ، فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول :

من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب .

أما بعد : فإني أقت عن الخروج قبل يومي هذا لأنني كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب ، فلمعري لقد أرانا الله فيكم ماقوي به أهل دعوة الحق عليكم . فلما وليت أنت وعلمت أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك ، عرفت قلة طمعهم فيك . ولو كان أحد بمن ولي هذا الثغر بمن لآزى طاعته يستحق أن رضى ولايته لكنت أنت ذلك . وقد كان علي ابن أبي طالب . رحمة الله عليه ، يقول : إذا ولي عنكم عدوكم من أهل الملة فلا تتبعوهم ، ولست أطلبك أن خرجت من الثغر ، فلا ترد أن تصلى بحربي ، وإيكن رأيك طلب سلمي ، والسلام :

وكتب في آخر كتابه :

قل جهرة لأبي إسحاق تنصحه	هذا فراقكم للغرب قد حانا
فلا يمود إليكم منه أحد	حتى يعود من الأجداث موتانا
فارجع عن الغرب أو ألق السوادية	لا تحترمك المنايا حين تلقانا
وسوف تعلم أن الموت يسمع لي	إذا التقت بنواحي الفحص خيلانا

٥٦ - جواب إبراهيم بن الأغلب إلى خريش .

من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال .

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنحلة إذ سقطت عليها : استمسيكي

فأني أريد الطيران ، فقالت النخلة : ماشعرت بسقوطك فيكرمني طيرانك
فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة
غيري ، ماوصلت أنت ومن معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بطاعتي
ونصرة دولة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فكيف وعندي من شيعته
وأبناء أنصاره من يعلم الله أنني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأما
ماذكرت عن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - فذاك أمر غاب
عنك ، وإن كان كما ذكرت فلست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف
هدى في نقمة على جور ، وخلافكم خلاف فرقة دين وشق عصا
المسلمين ، ونقمتهم ماهو لله رضا ، وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً
أنا سنتبعكم ، وإن صبرتم أنا سنغفركم . وأماذكرك الفحص فإن تركتك
حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك .

وكتب إليه شعراً في آخر رسالته :

بلغ خريشاً بأني سوف أصبحه	كأساً سيقرع منها سن حيراناً
تهدي الطعام له سمر مثقفة	تغري أسنثها في الحرب أعدانا
من كل أزرق يفتال النفوس به	يضحي به من دم الأجواف ملأنا
وسوف تعلم هل ألقى السواد إذا	أرمت إليك المنايا حين تلقانا
اني سأهدي إليك الموت في عطب	فاشرب منيته من كف عمرانا

الحلة السيرة لابن الأبار ١٠٣/١ - ١٠٤

٣ - الحكم الربضي بن هشام ١٨٠/٢٠٦ هـ ٧٩٦ - ٨٢٢ م

٥٧ - كتاب وجهه الحكم الأول الربضي الى جميع عماله في جميع نواحي الأندلس وكورها يشرح فيه واقعة الربض وظروفها .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله ذو الفضل والمن والطول والعدل ، إذا أراد إتمام أمر ، وتهيمه لمن جملة أهله وكفيه ، سدده وأعزه ، وأنفذ قضاءه بفلحه ، ولم يجعل لأحد من خلقه قوة على عناده ودفاعه ، حتى يمضي فيه حكمه له ، وعليه كما شاء ، وختم في أم الكتاب ، لأبديل لكلماته عز وجل . وأنه لما كان يوم الأربعاء لثلاث عشرة من رمضان ، تداعى فسقة أهل قرطبة وسفلةهم ، وأذنبتهم من الشرطانيين ، الدفئة ، الملوحي شراً وبطراً ، عن غير مكروه سيرة ولا قبيح أثر ، ولانكر حادثة ، كان منا فيهم ، فأظهروا السلاح وتلبنوا الكفاح ، وهتفوا بالخلعان ، وتأنقوا بالخلاف ، ومدوا عنقاً إلى مالم يجعله الله له أهلاً من التأمير على خلقه والتسور في حكمه . فلما رأيت ذلك من غدرهم وعدوانهم ، أمرت بشد جدار المدينة فشد بالرجال والأسلحة ثم أنهضت الأجناد خيلاً ورجالاً ، إلى من تداعى من الفسقة في أرباضها فأقبحوا الخيل في شوارعهم وأزقتهم ، وأخذوا بفوهاتها عليهم ، ثم صدقوهم الحملات ، وكوروهم بالسدات المتواليات ، فما صبر العبدان أن كشفوا السوءات ، ومنحوا أكتافهم المتواليات ، وأمكن الله منهم ذوي البصائر المؤيدات ، فأسلمهم الله بجريرتهم ، وصدعهم بينهم ، وأخذهم بنكبتهم فقتلوا تقتيلاً ، وعموا تدميراً ، وعروا تشويهاً وتشيلاً ، جزاء عاجلاً على الذي نكثوه من بيعتنا ، ودفعوه من طاعتنا . ولمذاب الآخرة أخرى وأشد تنكيلاً .

فلما قتلهم الله بجرمهم فيها ، وأحسن العون عليهم لنا ، أمسكت عن نهب الأموال وسبي الذرية والعيال ، وعن قتل من لا ذنب له من أهل البراءة والاعتزال ، إزدلالاً إلى رضى الله ناصري عليهم ذي العزة والجلال ، تهنأت صلحه وقلحه ، واستوزعت حمده وشكره . فاحمدوا الله ذا الآلاء والقمع ، معشر الأولياء والرعية ، الذي أتاح لنا ولجميع المسلمين في قتلهم وإذلالهم ، وقمعهم وإهلاكهم ، مما أعظم به علينا المنّة ، وخصنا فيه بالكفاية ، وتمم علينا وعليكم به النعمة ، فقد كانوا أهل جرأة مقدم ، وذعرة ضلالة ، واستخفاف بالأئمة ، وظهير إلى المشركين ، وحطوط إليهم وتحنن لدولتهم . فله الحمد المكرور والاعتراف المذخور ، على قطع دابرهم وحسم شرهم ، أحبت إعلامك بالذي كان من صنع الله عليهم لولائك بنا ومكانك منا ، لشاركتنا في نصرته ، وتحمد الله ومن قبلك من شيعتنا ومعتقدي طاعتنا على جميل صنعه فيه ، وتشيعوا شكره عليه إن شاء الله (١) .

دولة الإسلام في الأندلس لبنان - ١ ، ق ٢٤٥ - ٢٤٦

٥٨ - رسالة الحكم الرابضي الجوابية إلى الفرج بن كنانة واليه على سرقسطة الذي أخبره أن شخصاً اسمه عمارة استمال قوماً من البربر وهاجم سرقسطة فملكوها ، ثم تداعى العرب والبربر إلى معونة فرج الوالي ، فهزموا عمارة ومن معه وعادوا إلى طاعة الحكم وأرسل فرج إلى الحكم يخبره بما تم ، فكتب إليه يقول :

أما بعد : فقد بلغنا كتابك تذكر الذي زاولت من صلاح ما قبلك وشغلك عن الكتاب إلينا بأمر عمارة ، وما كان من أمره ، وأمر من خرج معه ،

(١) ذكر المؤلف أنه نقل هذا النص عن مخطوط ابن حبان المقتبس ص ١٠٣ - ١٠٤

وثقص الذي اختلف عليك من أمر أهل المدينة ، بدخول من داخلهم من
البربر ، وما كان من نفيهم من نفر إبيك من خيارهم ، ووجوهم ، وأهل الدعة
والصلاح منهم ، نصرة لك ومعرفة بما فيه الطاعة من العافية والسعادة .
ووثوب من وثب عليك من شرارهم ، وأهل السفه منهم ، وحسن مراجعتهم
بعد الذي كان منهم ، وممن تذبذبهم على ما فرط من فعلهم وزل عن رأيهم .
وقد كان من استجماع كلمة خيارهم ووجوهم ، وصالحهم على نصرتك ، ومدافعة
من وثب عليك من سوادهم ، ماعفا من ماركب من رعاهم ومن شد من
سفائهم ، ودعا ذلك إلى العفو عنهم ، والصفح عن زللهم ، وإنا كاتبون إلى عامتهم
مع رسلك إلينا بما سألته ومعجل ذلك إليهم ، أصبت رأيك فيما جمعت من
كلمة الفريقين ، وأصلحت من أمرهم . وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك
فيما حملناك من أمانتهم وعصبنا بك من أمرهم ، ووقع لك منا موقع المعرفة
والسلام .

٥٩ - رسالة الحكم إلى الفرج بن كنانة عن نفس المناسبة في

مدرجة .

قد كان من أمر عمارة وابنه واستجماع من قبلك من العرب على دفعها
إليك ما قد عرفت ثقة بك وبنصيحتك وما بلوا من طاعتك فاحتفظ بها في
ليلك ونهارك واحذر الضيعة فيها والفقه عنها إلى قدوم المغيرة ذلك الثغر
إن شاء الله . واعلم أنك ضامن لها إن فاتا من يديك ، فانظر لنفسك
بالاحتفاظ بها أبلغ التحفظ إن كانت لك بما قبلنا حاجة . ولا تلومن إلا
نفسك إن ضيعت ، والسلام .

قضاة قرطبة للخشي ٤٢ - ٤٣

٦ - رسالة جوابية من الحكم الربضي إلى الفرج بن كنانة في أمر وجوه من العرب ساعدوه في القضاء على حركة عمارة وما كان منها .

أما بعد : فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب في طاعتهم ومناصحتهم ، وخاصة من قد سميت من أهل البلاء منهم ، وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرفنا إليك رسلك بجوابات كتبك وكتبهم ، وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجزأة ، والسلام .

٦١ - رسالة الحكم الربضي إلى حبيش بن نوح ومن معه من وجوه العرب في سرقسطة أثر حركة عمارة .

أما بعد : فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذي كان من صنع الله لنا في ذلك الثغر بما قمتم فيه ، وحاولتم من صلاح ما فسد منه وأخطرتم من دمائكم وأنفسكم في نصرة عاملكم وعزوه ، وبجاهدة من نزع عنه ودفع أمره حتى أصلح الله الأمر وجمع الكلمة وقوم الطاعة ، وكل الذي كتبتم تذكرونه وتمننون به قد وقع منا بأفضل موقع في معرفته وحسن الجزاء به ، وجميل انكافأة عليه . وقد ولينا المغيرة بن الحكم أمر ثغركم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق بلائكم ، وحسن طاعتكم ، وغنائكم ، وأن يتسع لكم فيما جعلته إليه بما أنتم أهله من طاعتكم وصبركم ومناصحتكم ، وفضل ما قدمتم من ذلك . والله المستعان ، والسلام .

قضاة قرطبة للخشني - ٤٣

٦٢ - وصية الحكم الربضي لابنه عبد الرحمن الأوسط قبيل وفاته :
إني وطدت لك الدنيا وذلت لك الأعداء وأقت أود الخلافة وافقت عليك الخلاف والمنازعة ، فاجر على ما نهجت لك من الطريقة . وأعلم أن أولى الأمور بك وأوجبها عليك حفظ أهلك وعشيرتك ثم الذين يلونهم من

لما أليك وشيعتك ، فهم أنصارك وأهل دعوتك ومشاركتك في حالك ومرك ،
 فيهم أنزل تفتك وإياهم واسي من نعمتك وعصابتهم ، واستشعر دون التوثين
 إلى مراتبهم من عوام رعيتك الذين لا يزالون نافرين على الملوك أفعالهم ، مستقلين
 لأعبائهم ، فاحسم عليهم بيسط العدل لكافتهم ، وإحسام أولي الفضل والساد
 لأحكامهم وعمالاتهم دون أن ترفع عنهم ثقة الهية . وإن رأيت فيمن يرضي
 من صناعاتك رجلاً لم تنهض به سابقة ويشف بخصلة ، وتطمع نفسه وهمته ،
 فأعنه واختبره وقدمه واصطنعه ، ولا يرينك خمول أوله فإن أول كل شرف
 خارجيته ، ولا تدعن مجازاة المحسن بإحسانه ، ومعاقبة المسيء بإساءته ، فإن
 عند التزامك لهذين ووضعها يرغب فيك ويرهب منك ، وملاك أمرك كله
 بالمال وحفظه ، بأخذه من حله وصرفه على حقه فإنه روح الملك المدبر بجهانه ،
 فلا تجعل بينك وبينه أحداً في الأشراف على اجتنائه وادخاره والتنقيف
 لانفاقه وعطائه . وختام وصيتي إليك بإحكامك في أحكامك فاتق الله ما استطعت
 وإلى الله أكلك - وإياه استحفظك - فقد هان على الموت إذ خلفني
 مثلك (١) ...

الأمويون أمراء الأندلس الأول للشعراوي ٢٦٧ - ٢٦٨

٤ - عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ - ٨٥٧ م

٦٣ - خطاب عبد الرحمن الأوسط لما أصبح حاكماً بعد وفاة والده

في أهل بيته وخاصيته ووزرائه .

أصبح عبد الرحمن بن الحكم حاكماً وأميراً على الأندلس بعد وفاة والده .
 فلما استلم الإمرة بعث في إخوته وأهله ووزرائه فبايعوه وبايعته العامة .

(١) ذكر الشعراوي في الأمويون أمراء... انه نقله عن مخطوطة الإحاطة . ويذكر

لفس النص عنان في كتابه دولة الاسلام في الاندلس ١٠١ ، ق ١ - ٢٤٨ ، وذكر أنه
 نقله عن مخطوطة ابن حيان المقتبس .

ثم صلى على أبيه الحكم ، فلما قضى صلاته وواراه جلس بالأرض مطأطئاً...
ثم افتتح القول :

الحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه وعزماً من أمره ، وأجرى
الأمور على مشيئته ، فاستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذل خلقه بالفناء ، تبارك
اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليماً . وكان
مصائبنا بالامام - رحمه الله - مما جلت به المصيبة وعظمت به الرزية فمند الله
نحتسبه وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر ، وعهد
إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم ، ولسنا بمن يخالف عهده ، بل لكم
لدينا المزيد إن شاء الله (١) .

البيان المغرب لابن عذاري ٢ / ٩٠

٦٤ - رسالة جوابية من عبد الرحمن الأوسط إلى ولده المنذر :

أرسل المنذر إلى والده الأمير عبد الرحمن يسأله الاذن في اعتلاء
المنبر في البلدة التي هو وال عليها يوم الجمعة للخطابة ، فأجابه والده بما يلي :
قالت الحكماء : لو كان الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب .
وإني لأشفق عليك مما تحسنه ، فكيف مما توهم عليك بعض التقصير فيه ؟

المقتبس لابن حيان ٨٩ - ٩٠

٦٥ - رسالة جوابية منه إلى أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة :

أرسل الأمير عبد الرحمن جيشاً وأسطولاً قوين سنة ٢٣٥ هـ لمحاربة
أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة لشدة عبثها وأذاها ، فأنكى الجيش بأهل
الجزيرتين . فأرسل إليه أهلها يذكرون ما نالهم من نكايه المسلمين فأجابهم

(١) ورد نص قريب من نصنا أعلاه في كتاب تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن
الخطيب - ١٨ .

بكتاب فيما يلي فصول منه :

أما بعد : فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم للجهادكم وإصابتهم ما أصاب منكم من ذراريكم وأموالكم ، والمبلغ الذي بلغوه منكم ، وما أشفيتم عليه من الهلاك ، وسألتم التدارك لأمركم . وقبول الجزية منكم ، وتجديد عهدكم على الملازمة والطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهمهم ، والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا فيما عوقبتم به صلاحكم وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه . وقد أعطيناكم عهد الله وذمته .

البن المغرب لابن عذاري ٢ / ٨٩

٦٦ - رسالة جوابية من الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إمبراطور بيزنطة ثيوفلس :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه الذي كان عليه من مضي منكم لأولينا في المودة الصادقة ، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا ، وإرسال قرطوبوس Kartius رسولك إلينا لتجديد تلك المودة وترتيب تلك المصادقة ، وتسأل أن يتعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما تتمسك به وتتواصل له ، ونبعث رسلاً من عندنا إليك لعلوك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت إليه ، لنثبت بقدمهم عليك مودتنا ، وتم به صداقتنا .

وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان . رضي الله عنه وصلى عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه وآسيت لما استلب من سلطانسه واستبيح من حرمه واستحل من دمه ، وما كان من الفاجر أبي جعفر (١) ، تر به

(١) يقصد بأبي جعفر الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور الذي حكم بين سنتي

الله ، وجراءته على الله واغتراره به ، واتهاكه لحارمه . والله قد أحصى عليه ذلك ، فأسفه منه ، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين : ابن مراحل ^(١) وابن ماردة ^(٢) أخيه بعده ، من إلحادهما في غلتها ، وإساءتها لسيرتها ورغبتها في رعيتهما وشدة وطأتهما عليهما . واستحلالهما دماءهم وأموالهم ، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم ، وتأذن الله برد دولتنا وسلطان آبائنا ، الذين نبأت عنهم الكتب ونظقت بهم الرسل ، وأوجب لهم الإجماع وجازاه إليهم البرهان . والذي حضضت عليه من الخروج إليهم وطلب الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له وما عطف عليه من أمر أبي حفص ^(٣) ومن معه من جالية بلدنا وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك وخضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته وما سألت من أجل الانكار لذلك ، والألفة منه ، وحكيت من أمراء إفريقية في نزعمهم عن ابن ماردة وخلافهم عليه واستقلالهم لدولته . وكل ما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك فقد قرأناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا ، وأحببته من مصادقتنا وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، بما كان عليه أولوك لأوليننا ، فقد رغبتنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وأن تتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم عليه .

(١) ابن مراحل هو الخليفة العباسي المأمون رسمي بذلك لأن أمه جارية اسمها مراحل ١٩٨ - ٢١٨ هـ .

(٢) ابن ماردة هو الخليفة العباسي المعتصم رسمي بذلك لأن أمه جارية اسمها ماردة ٢١٨ - ٢٢٩ هـ .

(٣) أبو حفص زعيم أندلسي طرده الحكم الرضي من الأندلس بعد ثورة الربض فخرج منها مع جماعة ، ونزل الاسكندرية فظل فيها حتى طرده منها عبد الله بن طاهر قائد المأمون ، فهاجم جزيرة كريت واحتلها واستقر بها مع جماعته .

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة وحضضت عليه من الخروج إلى مافلته وذكرته من تقارب إنقطاع دولته ودولة أهله وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا وأزف من حين ارتجاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز مواعده إيانا ، ونعتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا في طاعة من قبلنا ، من أهل شامنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم نزل نسمع ونعترف أن النعمة تنزل بهم . والدائرة تحمل عليهم من أهل المغرب ، بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأقتهم إن شاء الله تعالى .

أما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ومن صار معه من أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم في طاعته ، وما سأت من النظر في أمورهم والإنكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سفلتهم وسوادهم وفسقتهم وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤتتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة لأنهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ، ولا تنصب عن نكايهم ، ولا تتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك ، وإذا ترى مكانهم به من موضعك ، وإن الله بحوله وقوته ، وفضله ومنته ، رد إلينا سلطاننا بالشرق ، وما كان تحت أيدي آبائنا منه نظرنّا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذي يكون من معاونتك على مадعوت إليه وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ، ولم يضع لك عندنا مارعيتك من حقنا وقت فيه من حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطبوس علينا وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا ، وعن كل ما يجب لصديق أن يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالحى من قبلنا . فاكتب إلينا مفهماً بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا ، الذي يجب عليك من سائر خبرك وممتعة

عافيتك ، لننظر فيما يتصرفان به من عندك على حسب ما يأتينا به من عندك
إن شاء الله . (١)

المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى لطرخان ٢٧٥ - ٢٧٧

٥ - محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٧ - ٨٨٦ م

٦٧ - رسالة الثائر عبد الرحمن الجليقي للأمير محمد بن عبد
الرحمن الأوسط .

استقر الثائر عبد الرحمن الجليقي زمن الأمير محمد في حصن اسمه منت
شافر ، وتحالف مع ثائر آخر اسمه السربناقي واتسع نفوذهما كثيراً . وأخيراً
جهز الأمير محمد حملة ضد الجليقي هذا بقيادة وزيره هاشم وابنه الأمير
عبد الله . ولكن أخبار الحملة وصلت الجليقي قبل وصولها إليه فكتب إلى
الأمير متوعداً :

بلغني أن هاشماً خرج إلى جهة الغرب ، ولست أشك أنه قد أطعمه
في أخذ الثار مني كوني في حصن مغلق . وبالله لئن جاز لبلة إلي لأضرم
بطليوس بالنار ثم أعود إلي حالي الأول معك .

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ١٠٨ - ١٠٩

٦٨ - رسالة وزير الأمير محمد هاشم بن عبد العزيز إلى الوليد بن
عبد الرحمن لما سقط في الأسر .

ثار مروان الجليقي في شمالي الأندلس ضد الأمير محمد فأرسل له جيشاً

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ نص هذه الرسالة من كتاب لبني بروفنسال : الاسلام في
المغرب والاندلس تعريب السيد محمد عبد العزيز سالم وزميله ص ١١٥ - ١١٨ . كذلك
ورد نص مختصر كل الاختصار لهذه الرسالة في كتاب دولة الاسلام في الاندلس لعنان ح
ق ١ - ٢٨٣ ، ويذكر أنه اخذه عن مخطوط ابن حيان المقتبس .

بقيادة وزيره هاشم لمحاربته ، ولكن مروان تمكن من هزيمة هذا الجيش بمساعدة نصارى الإسبان وأسر هاشم نفسه .

فلما أسر هاشم سنحت الفرصة لحساده من الوزراء والولاة عند الأمير للذيل منه والطمع فيه ، ولم يخلص له ويدافع عنه سوى الوليد بن عبد الرحمن الذي دافع عنه لدى الأمير واعتنى بأسرته إبان أسره ، وبلغ هاشماً ذلك فسر به وأرسل للوليد من أسره الرسالة التالية .

... (١) آثرها وأخذ إليها . وقد تقدم نهي الله تعالى عنها وتحذيره منها فقال (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا) ... (٢) وقال تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح) (٣) . ما آسى - أكرمك الله - إلا على مفارقتي تجاوب الأذان ، وتبدلي من ذلك بصليل النواقيس والصلبان ، وأن تعالجي منيتي فأصير مرسوماً ببلدة كفر ، أخشي المصير منها إلى الحشر ، فيألمها حسرة ، فقتت الكبد الحرى ، وأحرقت جمرتها الأحشا .

وقد كفيتني - أبقاك الله - ما كنت أرغبه من الرغبة إليك في الخنو على من تخلفتهم ، والحفظ لمن فارقتهم ، والتسلية لمن فجعتهم ، بما قد أتيت من ذلك ، وأربيت على المنى منه . فالله ولي مجازاتك ومتحمل مكافأتك ، لا شريك له .

(١) الاسطر الاولى من الرسالة مقطوعة غير معروفة ، ولعلها ذم للدنيا كما يبدو من سياق الرسالة ، او لعلها أسف لمقامه في دار الكفر ، كما يبدو من الرسالة فيما بعد .

(٢) سورة فاطر الآية ٥ .

(٣) سورة الكهف الآية ٤٥ .

إن خضر خروج رسول إلى ماقبلنا فلا تخلني بفضلك من عظم المنة علي
بكتابك ، والصلة لي بعلم حالك ، فإن لي من الشوق إليه ، والتطلع له
ضعيف ، مابقؤادي من لوعة الحزن التي أملتني الحياة ، وحيث إلي الوفاة
إن شاء الله تعالى .

٦٩- رسالة جوابية من وليد بن عبد الرحمن إلى الوزير الأسير
هاشم بن عبد العزيز :

أسأل الله راعباً إليك فك أسرك ، وتعجيل تخليصك ، وتيسير اطلاقك .
ورد كتابك ياسيدي ، فسكن من حرق بك ، وأطفأ من غلتي
فيك ، وهدأ من عويلي عليك ؛ فيالطفاه على فراق عزتك ، وفقدان
رؤيتك ، لطفاً ما أن ينقطع لاينصرم ، ولئن صرت - خلصك الله - من
حكم الله إلى مشيئته ، ومن نافذ قدره ، إلى سابق علمه ، لما قصرت
في المحاماة عن سلطانك ودينك ، والتعرض للشهادة بجهدك ، فما أن تجد
بلاحيك ولائتك خلاً في عرضك وحزمك ، ولا اضاءة في تديرك وضبطك .
والله بعد كفيل من وراء استنقاذك محيط ، وعلى فكاكك قدير ،
لاشريك له ، وهو الصانع في الأمور ، المسهل للعسير ، فلا تيأس ياسيدي
من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

... (١) وثق بالله تعالى بالفرج العاجل ، فكأنني بك إن شاء الله
عز وجل - عن قريب قد خلصت من أسرك خلوص القمر من سواره .
فقرت عيوننا بالنظر إليك ؛ وأسونا الأسي بالأنس بك إن شاء الله
عز وجل .

(١) يلي السطر الأخير من الصفحة الماضية قطوع آخر الصفحة ، والمبارات فيها
مطموسة لاتسمح بتبين قراءة مقبولة . والفراغ مقداره ثلاثة أسطر .

وكل من تخلفهم من الأهل والولد معافون في الأبدان دون القلوب
 وجداً بك وحنيناً إليك . وقد خلفك فيهم من حوط الله تعالى ثم من
 حوط سيدنا الأمير - أبقاه الله - ورحم به ولين كنفه وحض تفقده
 ما ينبغي لك أن تسقط معه جثوم الغم عنك ولزوم الأسف لك إن
 شاء الله .

المقتبس لابن حيان ٣٨٩ - ٣٩٢

٧٠ - رسالة الوليد بن عبد الرحمن بن غانم للأمير محمد بن عبد
 الرحمن يطلب منه تقليده منصباً عالياً .

عظمت نعمة الخليفة سيدي - أيده الله - عن الشكر ، وجلت أياديه
 عن النشر ، فتى رمت ذكر أدنى شكره ، وحمد أيسر ما اشتمل علي
 من فضله ، تكاءدني الشكر ، وأعجزني الحمد . ولكني غير مؤتمل في
 ذلك عن الاستفراغ في القول ، والاجتهاد في العمل . إذ لم أرهما يدوران
 إلا على نعمة سلفت ، ويقتصران إلا عن زيادة انتظرت ، وأنا بينها خيم
 وعليها معول . والله الناقل لعباده بطاعتهم له ، وشكرهم إياه ، من دار
 الشقاء إلى دار السعادة ، ومن نصب العاجل إلى راحة الآجل ، والسلام .
 ٧١ - توقيع الأمير محمد للوليد على رسالته السابقة .

إن الله شاكر يحب الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وقد ناديت
 فأسمعت ، ولكل أجل كتاب والسلام .
 ثم استوزره إلى أيام .

المقتبس لابن حيان - ١٧٧

٧٢ - توقيع الأمير محمد بن عبد الرحمن لفتى من نهباء مواليه
 أرسل له عدة رسائل بليغة يعرض له فيها برفع مكانته واستعماله .

لم يتقدم لك عندنا خبرة نقدمك بها ، غير مارأيتنا من حسن مخاطبتك
فيما يرد علينا من كتبك ، فإن كنت كاتبها فقد أحسنت ، وإن كنت
اخترت بفضل همتك وجودة اختيارك من يحسن ذلك عنك فقد أبلغت في
العناية ، وفضلت في المهمة . وأنت بكلتا الحالتين عندنا متقدم . وقد
رجونا بنفادك في تهذيب كتبك ، تهذيبك لخدمتك ، فولينساك على الرجاء
فيك ، فصدق الظن بك ، وحافظ على أدنى حظك تنل أقصاه ، فقلما
أحسن امرؤ في بدء أمره ، إلا حسنت عاقبته ، وحمدت منقبته .

أخبار مجموعة ١٤٥ - ١٤٦

٧٣- رسالة القاضي محمد بن زياد إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن
يطلب منه إصلاح وتوسعة جامع قرطبة .

أول... (١) أن يبصره أحد على مثلها . وقد كان الامام - أصلحه الله -
قد بعث شتوة عام أول الحاجب والوزراء وأصحاب البنيان ليعاينوا ماوهي
فيه ، وطلفت معهم على جميع ذلك مراراً . فرأيت حائطيه قد مالا ،
وعفيت جوائزه (٢) ، فأمر الامام - وفقه الله - أصحاب البنيان أن يحتالوا
فيه بما يقويه ويمسك تداعيه الشتوة إلى أن يتمكن وقت العمل . فعملوا
بذلك ، وعملوا أرجلاً رافدة لحائطيه ، قماشاً بذلك . ونحن نحذر أن
يأبي الشتاء العام عليه ، وتركبه الأمطار بكثرتها وهو على حاله هذه ،
فيوشك أن ينخر سقفه على سطحه فيندق لبعده مهواها ؛ ونسأل الله العافية
من ذلك ومن شنة ذكره أنه إلى مايتضاعف فيه من النفقة .

والامام - أصلحه الله - فقد جدد جامع أستجة وجامع شذونة ، وعمّر

(١) بياض بالأصل مقداره ثلاثة أسطر .

(٢) الجائر قطعة من الخشب لتحمل خشب البيت والجمع بجوائز .

بيوت العبادة بكل جهة ، فكيف بهذا المسجد العظيم الذي هو بيضة المسلمين في جميع سلطان الامام - أصلحه الله - وعماد مساجدهم . وغيظ عدوهم ؟ فرأي الإمام - أعزه الله - في الأمر بإصلاحه ، وتجديد العزم في تلافيه موقفاً إن شاء الله .

وليعلم الأمير - وفقه الله - أن الذي قدره الله من تأخير بنيانه إلى أن أتى الله بدولته نعمة منه تعالى بها عليه ، وهبة عظيمة وهبها الله ، وكرامة جسيمة بها جاءه ، ليتم بنيانه على يده ، ويحسن بذلك ذكره في الخلوف بعد الخلوف من عامريه ، ويجزل ثوابه عليه جللاً يسطع نوره فقد جاء في الحديث أن الله عز وجهه يقول : ابن آدم : لي حاجة .

وقال معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ ... (١) ورحمة الله تعالى عليه .

المقتبس لابن حيان ٢٢٣ - ٢٢٥

٧٤ - جواب الأمير محمد بن عبد الرحمن للقاضي محمد بن زياد على رسالته السابقة :

إننا لسنا ننفق نفقة أحب إلينا ولا آثر عندنا من الاتفاق فيما ذكرت به وحضضت عليه ، ونحن آمرون بالنظر في بنيان المسجد الجامع المكرم والاجتهاد في رم شعثه ، والأخذ بالجد في ذلك وتمجيله ، مع الابلاغ في تقويته وتحسينه ، ونوكل كفاتنا بعمله والقيام عليه . ونأمرهم ألا يرفعوا أيديهم عنه ، غبنا أو حضرنا ، حتى يبلغ تمامه بحول الله وقوته . ونحن نحملك مع ذلك التفقد لذلك ، والمعونة عليه ، وإحسان النظر في معانيه

(١) بياض بالاصل مقداره ثلاثة أسطر .

لتشركنا في عظيم ثواب الله والمعونة عليه . فانفض بذلك راشداً إن شاء الله تعالى .

المقتبس لابن حيان - ٢٢٥

٧٥- بيان أذاعه الثائر ابن حفصون في الناس

ثار ابن حفصون وقويت شوكته ، فذهب لحصاره في معقله جيش يقوده الأمير منذر بن محمد ، وبينما كان يحاصره حضره الموت فتوفي ، ورجع الجيش عن الحصار ، فقويت بذلك شوكة ابن حفصون ، ووجد من الناس إقبالاً ، وكان يخاطب الناس بقوله :

طال ما عنف عليكم السلطان ، وانتزع أموالكم ، وحمّلكم فوق طاقتكم ، وأذلتكم العرب واستعبدتكم ، وإنما أريد أن أقوم بشاركم ، وأخرجكم من عبوديتكم .

البيان المغرب لابن عذاري - ٢ - ١١٤

٦- الأمير عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠/٥ - ٨٨٨ - ٩١٢ م

٧٦- توقيع الأمير عبد الله لبعض بماليكه وقد اعتذر إليه من تقصير وقع منه .

وإن مخايل الأمور لتدل على خلاف قولك ، وتنبئ عن باطل تنصامك ، ولو بؤت بذنبك واستغفرت لجرمك لكان أحجى لك ، وأسدل لستر العفو عليك .

٧٧- جواب المملوك :

إنما أنا بشر وما يقوم لي عذر .

٧٨- جواب الأمير عبد الله .

مهلاً عليك ورويداً بك . تقدمت لك خدمة ، وتأخرت لك توبة ،
وما للذنوب مجال بينها ، وقد وسعك الغفران .

تاريخ اسبانيا الاسلامية لابن الخطيب - ٢٦

٧٩- رسالة من الأمير عبد بن محمد إلى أحد عماله وقد تواترت
إليه كتبه بلا فائدة .

أما بعد : فلو كان نظرك فيما خصصناك به واهتباك به على حسب
مواترتك بالكتب ، واشتغالك بذلك عن مهم أمرك ، لكنت من أحسن
رجالنا غناء ، وأتمهم نظراً ، وأفضلهم حزماً . فأقلل من الكتب فيما
لاوجه له ولا نفع فيه ، واصرف همتك وفكرتك وعنايتك إلى ما يبدو فيه
اكتفاؤك ، ويظهر فيه غناؤك ، إن شاء الله .

البيان المغرب لابن عذاري - ٢ - ١٥٤

٧ - الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر

٣٠٠ - ٣٥٠ / ٥ - ٩١٢ - ٩٦١ م

٨٠- الخطاب الذي وجهه إلى عبد الرحمن الناصر عمه الأمير
أحمد بن عبد الله .

توفي جد الناصر الأمير عبد الله ، وأوصى بالإمارة من بعده لحفيده
عبد الرحمن . وقد اجتمع الناس كلهم لمبايعة الأمير الجديد ، ومعهم
أسرة الأمير المتوفى وإخوته وأبنائه . وتكلم باسمهم جميعاً عم الناصر
عبد الرحمن - واسمه الأمير أحمد بن عبد الله - فقال :

والله لقد اختارك الله على علم للخاص منا والعالم . ولقد كنت أنتظر
هذا من نعمة الله علينا .

فأسأل الله إيزاع الشكر ، وتمام النعمة ، وإلهام الحمد .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان - ٣٧٤

٨١ - خط عبد الرحمن الناصر في أسفل كتاب الصلح بينه وبين

حفص بن عمر بن حفصون الثائر العاتي بإمانه :

يا الله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب ، وجميع أيمان البيعة لازمتي
من المهود المشددة والأيمان المؤكدة والمواثيق المنلظة ، ولأنقضت شيئاً
نما جمعه هذا الكتاب تبديله ولأنقصان شيء منه ، ولأرضيت ذلك في
سر ولا جهر . وإن كل مافيه من الشروط والمهود والمواثيق لازمتي ،
والله شهيد علينا . وخططنا هذه الأحرف بيدنا ، وأشهدنا الله عز وجل
على أنفسنا ، وكفانا بالله شهيداً ، ماوفى عمر بن حفصون بما نص في هذا
المهد وصحح فيه ، إن شاء الله ، والله المستعان^(١) .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان - ٣٨١

٨٢ - كتاب أصدره عبد الرحمن الناصر إلى الأقاليم عقب استلامه

حصن ببشتر ، واستثنان حفص بن عمر بن حفصون .

... وعهدنا إلى الوزير أحمد بن محمد حدير ، بالتقدم إليهم لحضور
خروجهم ، ومباشرة زولهم ، وإكمال الأمان لهم ، وقبض الأيدي عنهم ،
فنهض إلى ذلك ، وقصد له ، فلما صار بمدينة طلجير ، المبتناة على مدينة
بشتر ، هبت بالطاغين عنها ، فتساربوا خارجين ، وتهافتوا ذاهبين ، وتفرقوا
أيدي سباً إلى جوانب شتى . فقد [سار] كل واحد إلى منزعه ، وأم
مكان طماعيته ، ولحق بمدائن الطاعة فصاروا في غمار الرعية . وتمكث
خلفهم عميدهم حفص بن عمر طائر الفواد ، خالق القلب ، لم تطب نفسه
عن الخروج خواراً ، ولا مسكن منه الأمان نفاراً ، يخشى كل يد أن
تضبط عليه ، وكل شجرة أن تتعلق به ، قد خامره من الرعب ما كاد

(١) مأخوذ من مخطوط ابن حبان المقتبس

أن يربي على العطب . فطمأن الوزير أحمد بن محمد حدير من جزعه
وسكن من جأشه ، ووفاه من آمالنا المبسوطة لينا وثق به ، واطمان
إليه ، فخرج آخر الخارجين ، ولحق بالآمنين ، فأصبحت مدينته بقعة
الضلالة ، ومنبر الخلاف ، ومعدن النواية ، بما أحاط بها من أسوارها
وأبنيتها وقصابها ، وداخلها من جنتها ومصانمها ، مغوية من قطينها ، خاوية
على عروشها « كأن لم يفن بها ساكن ، ولا استوطنها قافل .
ثم يذكر أنه أمر بهدم بيشت وتجزئها وجعلها قاعاً صفصفاً .
ثم يقول :

ثم استقدمنا حفصاً اللائذ بالتوبة إلى ما تفضلنا عليه من التأمين والتمكين
وعدنا عليه من العفو والتطمين ، وأخذنا فيه بالفضل المبين ، الذي جعلنا
الله أهله ، وغلب على مذهبنا إشاره ، وجمعنا له من ذلك ، ما اغتبط
به ، وسكن إليه ، وقرر نفسه عليه . فاعلم ذلك ، وقف عليه
واستشعر حمد الله . ومر بقراءة كتابنا هذا إليك على المسلمين قبلك في
جامع موضعك ليحمدوا الله عز وجهه على عظيم ما اصطنعه إليهم ووجهه
لهم ، وليحدثوا من شكره تعالى على ما درأ عنهم ، والتقرب بنوافل الحمد
إليه ، ما يستدام له رضاه عز وجهه ، ويستجلب به المزيد من فضله ،
إن شاء الله ، وهو المستعان . وكتب يوم الخميس من ذي الحجة سنة خمس
عشرة وثلاث مئة .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ٣٨٧ - ٣٨٨

٨٣ - أمان أصدره الناصر للثائر محمد بن هشام الذي كان ثائراً
بمروقتة ، ثم آمنه الناصر وأهله لقاء تسليم سرقسطة للخليفة .
... أن يمنح الأمان لـ محمد بن هاشم وإخوته وجميع أهله وأصحابه

من مدينه سرقسطة ، وجميع من يتصل بهم من أهلها ، لمدة التي يرضاها
الناصر ، وأن يملكه سرقسطة تليكاً يدخل فيها من يشاء ، وإلى العدد
الذي يرضاه من رجاله . ويكون أهل سرقسطة ومن يقيه محمد بن هاشم
منهم من أهله وأتباعه آمنين بأمان الله ، محفوظين بعهد الله ، مستمسكين
بمثل أمان محمد بن هاشم ، غير معتقبين في أنفسهم . ومن أحب إخراجه
معه من خواص أهله وولده إلى مدينة تطيله أو غيرها من مدن الثغر
وحصوله مسجلاً على الموضع الذي يتخيره ، ويبقى بسرقسطة من أحب
منهم ، ويختلف عليهم ، وعلى المولى بسرقسطة بعده إحسان صحبتهم ، وعليه
أن يباعد منزله عنهم ، لا يقربه شيء من دور محمد بن هاشم ، أو ينزل
القصر القديم بعد خروج محمد بن هاشم عنه ، بجميع ماله فيه ، وعلى أن
يسجل الناصر لدين الله ، لأخيه يحيى بن هاشم على ما كان يبيده من
مدينة لاردة وأحوازها ، فإن انقضت المدة التي يضربها الناصر لمحمد ،
توجه إلى الحضرة وأقام بها ثلاثين يوماً أو نحوها ، مظهراً لصدق طاعته
ماحياً لكل ما انتثر في أقطار الأرض من معصيته . وهو في توجهه إليه
آمن في طريقه ، ومدة مقامه ، ومنصرفه ، غير مقطوع ، ولا معترض
دون الانصراف ، إذا انقضت المدة التي وضعت له . وله على السلطان إذا
وفى بما عقد عليه من الشخص إلى باب سدته ، أن يكتب له عهداً على
مدينة سرقسطة ويصرفه إليها عاملاً وقائداً ، ويعزل عنها عامله وقائده ،
بعد أن يناله من كرامته ، ويظهر عليه من آثار نعمته ، ما يعود معه إلى
أحسن الأحوال التي كان عليها قبل هفوته .

وقد اشترط عهد الأمان واشتمل أيضاً على مايلي :

أن يقدم محمد بن هاشم إلى الناصر رهائن من ولده وإخوته وصحبه
وكاتبه ، وأن يكون جماعتهم لدى الناصر بحال حفظ وتكرمة وأمان في

المسير والمقام ، يدلهم ستة أشهر ، بأكفائهم ونظرائهم من إخوانهم خاصة
 إلى أن يظهر لأمر المؤمنين براءة محمد بن هاشم من عمالة المشركين ،
 وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين ، وعلى أن يقطع محمد بن هاشم من المشركين
 في ظاهره وباطنه ، من حد بلد برشلونة إلى شرطانية إلى بنبلونة إلى إلبه
 والقلاع وإلى جيلقية ، ولا يكاتبهم ولا يداخلهم ولا يصالحهم على طرف من
 أطراف الثغر إلا عن إذن أمير المؤمنين ، وأن يورد جباية بلده لمحلها ،
 بعد أن يسقط عنه جباية عام ، وألا يتقبل حراً نازعاً ولا عبداً آبقاً
 لأمر المؤمنين ، ولا لأحد من رعيته ، وأن يوثق من ظفر به من هذه
 الطبقة ويصرفه إلى مكانه ، وألا يتعقب أحداً ممن سجل له عليه ، أو
 يسجل بعد ، ممن حاربه مع أمير المؤمنين وفارقه إليه أيام الطاعة ، وأن
 يحدد البيعة لأمر المؤمنين ويلتزم شروطها ، وأن يغزو مع أمير المؤمنين
 ويعادي من عاداه ويحارب من حاربه ويسلم من سألته من أهل الملوك
 وغيرهم ، ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته ، وإن كان
 ابنه أو أخاه ، يلتزم كل ما ألزمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن
 الإرادة ، لا ينقض تناول البيعة ، ولا يحرف عن التصحيح بالعلم ، فقد
 التزم أمير المؤمنين في عقده مثل ما سألته محمد في ذلك وأوجبه على نفسه
 مع دركه لهذه المن ، أن صدق الطاعة ، أن يوليه مدينة سرقسطة ،
 وما وقع في سجله معها ولاية مستمرة ، ولا يعز له طول أيامه عنها ، ثم
 لا يؤاخذ به بذن ولا يعدد عليه اقتراف خطأ ولا عمد ، ولا تقبل فيه مقالة
 كاشح ولا طعن ، ويصير ذلك له وصية فيمن بعده ، يلزمهم الوقوف
 عندها على سبيل الخلفاء في خالافات عهودهم إن شاء الله . ووقعت الأيمان
 في هذا الأمان من الناصر لدين الله مستوفاة مغلفة ، أخذ على محمد بن
 هاشم أشد منها ، فحلف في مقطع الحق بمسجد سرقسطة الجامع خمسين

عيناً منسوقة بحضور قاضي الجماعة بقرطبة والفقهاء وأعلام المسكر ، والملا من أهل بيت محمد بن هاشم ، ووجوه أهل الثغر على التزام ماعقد على نفسه منه ، واعتداده إياه دياتته .

دولة الاسلام في الأندلس لعنان ٤١٠ - ٤١١

٨٤ - المرسوم الذي أصدره عبد الرحمن الناصر في صورة خطاب موجه إلى جميع ولاية الأندلس يلقب نفسه بأمر المؤمنين ويطلب ألا يخاطب إلا بذلك وذلك سنة ٣١٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإننا أحق من استوفى حقه وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، والذي فضلنا الله به وأظهر أثرنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسر على أيدينا إدراكه ، وسهل بدولتنا مرامه . وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء المالمين بنا وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بدولتنا . والحمد لله ولي النعمة والانعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا أن الهادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضمنه واسم ثابت اسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، واجر مخاطباتك لنا عليه إن شاء الله . والله المستعان .

وكتب يوم الخميس لليتين خلنا من ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ (١)

اليان المغرب لابن عذاري ٢ / ١٩٨ - ١٩٩

(١) ورد نص هذا المرسوم الشهير في عدد من المصادر والكتب ، فقد ذكره لسان الدين بن الخطيب في تاريخ اسبانيا الإسلامية - ٣٠ وذكره عنان في كتابه دولة الإسلام -

٨٥ - كتاب وجهه الناصر الى عماله يطلب منهم القيام بصلاة الاستسقاء :

حدث قحط شديد في الأندلس سنة ٣١٧ هـ فأمر الناصر عماله أن يستسقوا بالناس حسب ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله عز وجل إذا بسط رزقه ، وأغدق نعمته ، وأجزل بركاته ، أحب أن يشكر عليها ، وإذا زواها وقبضها أحب أن يسألها ، ويضرع اليه فيها . وهو الرزاق ذو القوة المتين ، والتواب الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد فأوجبت به الرغبة ، عز وجهه فيه ، والخشوع لعزته ، والاستكانة له ، والالاحاح في المسألة فيما احتبس به ، والتوبة من الأعمال المنكرة التي توجب مسخطة منه ، وتبدل نعمته ، وتستروحه رضاه تعالى جده . وقد أمرنا الخطيب ، فيما قبلنا بالاستسقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة ، ولجمعة الثانية التي تليه ، إن أبطأت السقيا ، والبروز يوم الاثنين بعدها لجماعة المسلمين عندنا إلى مصلاتهم ، أو يأتي الله قبل ذلك بغيثه المغني عنه ، ورحمته المنتظرة منه ، المرجوة عنده . فمر الخطيب بموضعك أن يحتمل على مثل ذلك ، ويأخذ به من قبله من المسلمين وليحملهم بذلك المحمل ، ولتكن ضراعتهم إلى الله تعالى ضراعة من قد اعترف بذنبه ، ورجارحة ربه . والله غفور رحيم ، وهو المستعان لاشريك

- في الاندلس - ٤٣٠ وذكره - ييمون حايك في كتابه الناصر لدين الله - ٧٣ ، وذكره سالم في كتابه تاريخ المسلمين في الاندلس - ٣١٩ وذكر أنه نقله عن

Una cronica Auonima de Abd al Rahmæn III al Nasir. ed, Rar, Lévi Provençal y Emilo Garcia Gomery Madrid, 1950, P. 79

وهناك خلافاث ثانوية في نصوصها

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٤٢٣ - ٤٢٤

٨٦ - كتاب وجهه الناصر إلى أنصاره وولاته يشرح ظ-روف
غزوة الخندق سنة ٣٢٧ هـ التي هزم فيها .

التقى الناصر ، في شمالي الأندلس بجيش من نصارى الشمال ، وهناك
هزم هزيمة شديدة ، فلما رجع إلى مقر ملكه أصدر هذا الكتاب يشرح
ماحدث . وهو من إنشاء عيسى بن فطيس الكاتب .

... واستعزم الله أمير المؤمنين ليلته ، واستخاره عن رحمته في
النهوض إلى مدينة شانت مانكش دار الكفرة وجمع النصرانية ، إلى أن
استركن عدو الله وضائق الحيل عليهم ووثقوا بحصائنه ، ليعلمهم أن كلمة
الله هي إظهار دينه ونصر أوليائه وإعزاز خلفائه في مشارق الأرض
ومغاربها ، ولوكره المشركون . فضم صاحب المقدمة عمال الثغور
عندهم وفرسانهم وخيلهم ، واكتنف الجمع في مجنبي العسكر مع من والاهم
وجرد الرجال من الخيول بأسلحتهم ، وصمد لجمع الشركين ، فاستقبلهم
بنية صادقة ونفس صابرة وجموع كثيفة وكتائب تلاء القضاء ، ومغالب
تضييق عنها الشباب ، ويصير في سهل الأرض كالآكام ، تتألق عليهم
سوابغ الدروع ، فإذا تداعوا قلت : موج متراكم ، وإذا وقفوا فكأعما
النقع عليهم ليل مظلم ، فلما قربت العساكر من محل الخنازير ، ثابوا فيما
بينهم ، وثاروا إلى خيولهم وعلوا الشراطين ، ينظرون إلى كتاب دين الله
بقلوب فد خلصها الذعر ، وقبضهم عن التقدم الوجل ، وجملوا بينهم وبين

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ هذا النص من مخطوط ابن حبان المقتبس السفر الخامس

المسلمين وادي بشرقة ، ثقة بوعورته وقلة مخاوضه ، فلم ترعهم إلا مقدمة الجيش ورائه قد سهل الله عليهم جوازه ، وتبعهم الأتقال ، وتحيز أمير المؤمنين كدية سامية يتطلع منها على عسكر المسلمين ، فأمر بالاضطراب فيها للعسكر ، وتقدمت الخيول بين يديه . وقد تلاحقت جموع الكفرة ، وقدموا صلبانهم ، ووثقوا بشيطانهم الذي غرهم . وكان المسلمون على نشطة إلى لقاءهم ، فلم ينتظر أولهم إلى أن توافى آخرهم ولا فارسهم أن يقتعد براجلهم ، وتخطوا الرماح إلى السيوف والطحين إلى الضرب ، وكروا في حومة المنايا كرم يحمي حليله ، وبخشي بعد ساعة أن تسبى ذريته ، فلم ير المسلمون حرباً مثلها ، ولا شهدوا يوم وغى أطول من يومهم ذلك . ونصر الله تعالى يهون عليهم ما هم فيه ، حتى فضوا جموع المشركين ، وزلزلوا ردؤهم التي كانت أكاليل الجبال وردم الشعاب ، وضمهم إلى معسكرهم . وأثارت منابك الخيل من القنم ماغيب من كان القلب عمن يليه من عيين الحرب ويسارها . وكان محمد بن هاشم في وقتها حائناً سعيه ، قد طال به مدامها ، واستدارت حوله راحمها ، فكبأ به فرسه ، ولم يعلم أحد بمصرعه ، فصار في أيدي الخنازير أسيراً ، فاستشفوا به الحياة بعد اليأس منها ، فجادلوا بنفوس قد عاودتها رمقها ، وانحاز المسلمون إلى معسكرهم ، قد قتلوا من أعلام المشركين وقوامسهم وأهل البأس من فرسان الحرب ، ومن صبر لوقع السيف ، فكانت مصيبتهم بمن قتل منهم عظيمة . فلما أصبح أمير المؤمنين لخلته ، أمر بحمل من عقر فرسه وصلة من أغنى في حربته ، وتعرض المشركون للحرب تعرض من قد تنخل لعدو قد أصابهم ، ونكايته قد فلقت قلوبهم ؟ فلما كان في اليوم الثالث من احتلاله ، عهد أمير المؤمنين إلى صاحب العسكر بمصاحبتهم بالحرب ، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصى بنبالونة وألبة والقلاع وأهل

قشتيلية ، إلى مشركي قلمزية ، وكل صنف من أصناف العجم معهم ، وهتف على المسلمين بالخروج تحت راياتهم ، والتأهب للقاء عدوهم ، وأعدوا في نهوضهم ، ونزل صاحب العسكر ، فرتب تعيينهم ، فكثف الردء ، وضم إليها الرجال ، وألزم القلب بنفسه ، وميز فيه خيل اليمين والميسرة وقدم إليهم المقاتلة ، وأقام بين يديه جملة الخيل عدة . فإذا رأى في جهة من جهات الحرب خللاً سدّه واستدركه ، أو فتقاً رتقه ، حتى كانت أيدي المسلمين في المايط عاليه ، فتلظت الحرب واحتدمت ، وكأن المنايا إفا قصدت فيها أعلام الكفرة وقوامسهم ، فصرع قومس غرماج ، وابن أخي الخنزير ابن فردلند ، وشيخ النصرانية وعميدها ابن دخير ، إلى العدد الجم من فرسانهم وأهل الصبر منهم ، وانجحت الحرب عن هزيمتهم ، وانكشف أجبل قد كانوا علوها وسدوا بالخيول والرجال ماينها ، وظنوا أن لا غالب لهم ، فزلزلوا زلزالاً شديداً ، وانصرف المسلمون بعد الظفر والسلامة في المنقلب ، فباتوا بأنعم بال وأسكن حال . فلما ظن أعداء الله أن قد ملوا حريهم ، وتجددت لهم مدودهم ، رفعوا معسكرهم ، وقدموا صلبانهم وخرجوا بفارسهم وراجلهم ، فألقوا إلى مايلي منهم العسكر سراع خيولهم فبادر المسلمون إليهم تبادر الأسود الصارة ، ففادروا موقوفهم ، وجالدوا بسيوفهم ، حتى انفرج الموقف عن قتل عظيم من عظمائهم أعولوا عليه واستداروا حواليه ، وانصرفوا قد أذلهم الله ووهنهم ، وهون عليهم جمعهم ووفور مددهم في ضبط المعيشة وقلة التبسط ومصابحة الحرب وممارستها ، حتى كأنهم أهل حصن حوصروا فيه ، أو فل جيش لا يستطيعون الرجوع إليه . وأقام أمير المؤمنين ومن معه من جيوشه وحشده وأهل البصار والحفايظ ، وبلغ أمير المؤمنين أقصى أمله من إذلال جميع المشركين والاحتلال بساحتهم ، وانخياز طاغيتهم في أعلى شاهق ، يرجو النجاة

لنفسه ، فأمر بالرحيل وقد ضاعف النظر ، والعدو في ضبط ساقه جيشه
لما توقع خروج الكفرة في أثره ، وأصبح منتقلاً ، فما أقدم أعداء الله
أن ينظروا من الجيش إلا من بعد على رأس جبل . ونهض يطلاً بلادهم
وطأة متناقل ، حتى انصرف إلى نهر دويرة ، واستقبل عمارته من حصن
مانكش التي اتصلت بنكاية أهله ، فلم يدع في جيلقية حصناً إلا هدمه
ولامعاشاً إلا انتسفه ، حتى انتهى إلى مدينة روضة ، وهي خالية على
عروشها ، فأقام على هدمها وهدم حصن ديلش معها يومين كانا أطول
على أعداء الله من عامين ، لما غير فيها من نعمهم ، وهدم من مساكنهم
وقطع من شجرهم . وكان أمير المؤمنين غير التقدم على نهر دويرة إلى
شنت أشنتين وغرماج لنقص الزروع لديه وضيق العلف بإفساده ، فرفع
إليه من حضره من أهل مدينة الفرج وحصونها يشكون ما يلحقونه من
مشركي وادي إبنيه ومعاقليها ، وترددوا عليه ضارعين إليه ، أن يجعل
ممر الجيش المؤيد على حصونهم وعمارتهم ، وذكروا أن ذلك أنفع لهم
ولأهل الثغور معهم من الإيغال في بلد المشركين ، ونكاية من لا ينالهم
بغارة ، ولا ينهض إليهم بقوة ، فصرف الجيوش عند ذلك إلى وادي إبنيه ،
فلم يدع فيها حصناً إلا هدم ، ولا قرية إلا هدمت ، ولا معاشاً إلا
استقصى جميعه . فلما صار في آخره ولم يبق موضع يقوم الجيش بالتردد
عليه ، أمر الأدلاء بالكشف عن أفضل الطرق إلى حصن أتيشه ،
وأرفقها بالمسلمين في منصرفهم برازح ظهرهم ، وأحوط عليهم طريقهم ،
وأجمعوا على قصد حصن قشرب ، وأبأسوا من الخروج على غيره . فلما
استقبل أمير المؤمنين لأمه ، وقطع بعض محلته ، استقبل شعراء لا يتخللها
المتفرد بحمده ، ولا يتخلص منها الخنف لو لم يكن أحد يعترضه . ثم أشرف

على خضادق قفره ، ومهاوي تتقاذفه ، وأجراف منقطعة قد عرفها
المشركون وقدموا إليها ، وألقوا إلى ساقطة الجيش فرسانهم ومتقدمي
رجالهم جملة ، لو أصيبت بحيث يترأى الجمعان لكنت سبب هزيمتهم ،
ولكنهم وثقوا بالوعد ، وانتظروا تقدم الجملة وترادف الأثقال . فحامي
أمير المؤمنين برجاله وخاصته عن المسلمين ساعات من النهار ، حتى تقدم
أكثرهم وجازت الخندق لقتالهم ، إلا من ضعفت دابته أو ضعفت تعبته
عن استنفارها . فلما رأوا الخلل تصايحوا من قنن الجبال ، وانحطوا من
أعاليها انحطاط الأوعال ، فأصابوا من الأمتعة والدواب المثقلة . مالوا أصابوا
مثله في مجال حرب أو سهل من الأرض ، لما أنكر مثله عند مقارعة
الرجال ، وتصرف الأحوال . وحامي صاحب العسكر عن كل من أجاز
الخندق وخلص من مضايقة حتى أسهلوا ، واجتمع لأمير المؤمنين جيوشه
وانتظمت جموعه وسلم الله رجاله ، فلم يصب منهم أحد . وفي ذلك دليل
للسامع عن الوقعة أنها لم تدر بغلبة ولا ظفر المشركون فيما ظفروا به فيها عن
مساواة ولا كثرة . ولكن ضيق المسالك ، ووعر الطريق ، وسوء فهم
الدليل ، خلى لما جلبه إلى أقدار الله تعالى التي لا تصرف ، ومحنة التي لم
يزل يمتحن بها أوليائه ليُعظم ويتلي عبيده ليرهبهم . وأمير المؤمنين شاكر
لله تعالى على عظيم نعمه ، وواقف على تصرف محنته ، مستسهل ما اختص
به في حب طاعته ، ضارع إلى الله في التقبل لقوله وفعله . وكتابه
إليك ، وهو قافل بالمسلمين على أحسن أحوالهم ، وأسهل طريقهم ،
وأجمعهم لمعيشهم ، إن شاء الله . فامر بقراءة كتاب أمير المؤمنين على
على الناس قبلك ، إثر صلاة الجمعة ليشكروا الله على ما أنعم به من نصر
إمامهم وسلامة إخوانهم ، والصنيع الذي عمهم ، فإنه يجب الشاكرين
ويزيد الحامدين .

واعهد بنسخه إلى عمال الكور حولك إن شاء الله تعالى . والله
المستعان . وكتب يوم الإثنين لثمان خلوف من ذي القعدة سنة سبع
وعشرين وثلاث مائة .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٧١١ - ٧١٤

٨٧ - مقتطفات من رسالة الوزير ابن شهيد التي وجهها إلى الناصر
لما أهداه هديته الفخمة المشهورة .

أهدى الوزير ابن شهيد الخليفة الناصر هدية فخمة جداً لم يهد أحد
مثلها لأحد من الخلفاء ، ووجه معها رسالة إلى الخليفة ، فيما يلي
مقتطفات منها :

... وكان قد أربى - أيده الله - بابتياغهم من مال الأخماس ، فاتبعهم
من نعمته عندي ، وصيرتهم من بعثي . ومع ذلك عشر قناطير سكر
طبرزد لاسحاق فيه .

وفي آخر الكتاب :

ولما علمت تطلع مولاي - أيده الله تعالى - إلى قرية كذا بالقبنائية ،
المنطقة لغرس شرفها ، وترداده - أيده الله تعالى - لذكرها ، لم أهنأ
بعيش حتى أعملت الخيلة في ابتياعها بأحوازها ، واكتتبت وكيله ابن بقية
الوثيقة فيها باسمه ، وضمها إلى ضياعه . وكذلك صنعت في قرية شيرة من
نظر جيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه إليها ، فمازلت أتصدي
لمسرتها بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها ، واحتاز
ذلك كله الوكيل ابن بقية ، وصار في يده له - أبقاء الله سبحانه -
وأرجو أنه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة إن
شاء الله تعالى .

ولما علمت نافذ عزمه - أبقاه الله تعالى - في البنيان ، وكلفه به ، وفكرت في عدد الأماكن التي تطلع نفسه الكريمة إلى تخليد آثاره في بنيانها - مد الله في عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله - علمت أن أسسه وقوامه الصخر والاستكثار منه ، فأثارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة أحكمها سعدك وجدك اللذان يبعثان مالا يتوهم عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاماً ، وينتهي تحصيل النفقة فيه إلى نحو الثمانين ألفاً أعجل شأنه في عام ، سوى التوفير العظيم الذي بيديه العيان قبلاً إن شاء الله تعالى .

وكذلك ماثب إليّ في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة ، فإن ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج إليه إلى ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه في السنة إلا نحو الألفي عود ، ففتح لي سعدك رأياً أقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كاله بورود الجليلة لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الحسين ألفاً والستين ألفاً (١) .

نفع الطيب للمقري > ١ - ٣٣٦ - ٣٣٧

٨٨ - رسالة ثانية من ابن شهيد إلى الناصر .

أهدى لابن شهيد غلام جميل ، وأدرك أن الناصر يريد ذلك الغلام لنفسه ، فأهداه إياه وأرسل معه رقعة فيها هذان البيتان :

أمولاي هذا البدر سار لأفقمكم وللأفق أولى بالبدر من الأرض

(١) اورد الحايك في كتابه الناصر لدين الله ١٨٩ - ١٩٠ نصاً مقارباً كل القرب للنص اعلاه .

أرضيكم بالنفس وهي نفيسة ولم أر قبلي من بمهجته يرضي
فحسن ذلك عند الناصر .

٨٩- رسالة ثالثة من ابن شهيد إلى الناصر .

ثم أتت ابن شهيد جارية جميلة جداً فأهداها للناصر وأرسل معها
هذين البيتين :

أمولاي هذي الشمس والبدر أولاً تقدم كما يلتقي القمران
قران لعمرى بالسعادة قد أتى قدم منها في كوثر وجنان
فما لها والله في الحسن ثالث ومالك في ملك البرية ثان

نفع الطيب للمقري > ١ - ٣٣٨ - ٣٣٩

٩٠- رسالة أرسلها الأمير الحكم بن الناصر ويأمر أبيه الناصر
إلى الفقيه المشاور أبي إبراهيم .

احتفل الناصر احتفالاً مهيباً لما أعذر أولاد ابنه أبي مروان عبيد
الله ، ودعا الناس والعلماء والعدول فحضروا جميعاً إلا الفقيه المشاور أبو
إبراهيم من كبار المالكية وعليه المدار ، فساء غيابه الناصر ، فطلب من
ابنه الحكم أن يكتب له مفعلاً مقرعاً ، فكتب إليه الحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وتولاك ، وسددك ورغاك : لما
امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي - أبقاه الله - الأولياء الذين يستعبد بهم
وجدك متقدماً في الولاية متأخراً عن الصلة . على أنه قد أندرك - أبقاه
الله - خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده ، لا أعدمه الله توالي
السرة . ثم أندرت من قبل إبلاغاً في التكرمة . فكان منك على ذلك
كله من التخلف ماضات عليك فيه المذرة ، واستبلغ أمير المؤمنين في
إنكاره ومعاتبتك عليه ، فأعيت عليك عنك الحجة . فعرفني - أكرمك

الله - ما العذر الذي أوجب توقفك عن إجابة دعوته ، ومشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه ، لنعرفه - أبقاه الله - بذلك ، فتسكن نفسه العزيزة إليه إن شاء الله تعالى :

٩١ - جواب الفقيه أبي إبراهيم .

سلام على الأمير سيدي ورحمة الله . قرأت - أبقى الله الأمير سيدي - هذا الكتاب وفهمته . ولم يكن توقفي لنفسي ، إنما كان لأمر المؤمنين سيدنا - أبقى الله سلطانه - لعلمي بمذهبه ، وسكوني إلى تقواه ، واقتفاؤه لأثر سلفه الطيب ، رضوان الله عليهم . فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتنونها بما يشينها ، ولا بما يفض منها ويطرق إلى تنقيصها ، ويستعدون بها لديهم ، ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصادهم . فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت إن شاء الله تعالى .

نفع الطيب للمقري ١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

٩٢ - رسالة جوابية من الأمير الحكم بن الناصر إلى ابن رماحس بحق ابن رفاعه .

وفد أبو علي القالي على الأندلس من العراق زمن الناصر ، واختص بولي عهده الأمير الحكم . وذات مرة تذاكر أبو علي مع الأندلسيين بيت عبدة بن الطيب الذي هو :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل
فقلط القالي في لفظ أعرافهن مرتين ، وفي كل مرة يلفظها أعرافها فانصرف عن موكبه ابن عنان الذي هو ابن رفاعه وقال : ومع هذا يوفد على أمير المؤمنين ، ويتجشم الرحلة لتعظيمه ، وهو لا يقيم وزن

بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه . والله لاتبتمه خطوة . فلما
انصرف كتب أميره ابن رماحس إلى الحكم بما جرى ، فأجابه بما يلي :
الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطيء وافد أهل العراق
إلينا ، وابن رفاعة أولى بالرضا عنه من السخط ، فدعه لشأنه ، وإقدم
بالرجل غير منتقص من تكرمته ، فسوف يعليه الإختبار إن شاء الله
تمالى أو يحطه .

نفح الطيب ح ٤ - ٧١

٩٣ - رسالة جوابية من الخليفة الناصر إلى القائد أحمد ابن إسحق .

كان أحمد بن إسحق القرشي من أصل أموي ، وأصبح من كبار
القواد زمن عبد الرحمن الناصر ، ثم أرسله الناصر لحصار سرقسطة .
وكان أحمد هذا شديد الطموح حتى إنه كان يفكر في الثورة ضد
الناصر نفسه ، وتنصيب نفسه خليفة ثم أرسل للخليفة من سرقسطة رسالة
يطلب منه أن يجعله ولياً لعهدده بدلاً من الحكم أو عبد الله ابني عبد
الرحمن الناصر ، فاعتاظ الناصر منه كل الغيظ ، وأرسل له
الرسالة التالية :

أما بعد : فإننا كنا نرى الاستجداد إليك استصلاحاً لك ، فأبى الطبع
الغريزي إلا ما استحكمت منه فيك إلى أن استحوذ عليك . فالفقر يصلحك ،
والغنى يطفئك إذ لم تكن عرفته ولا تعودته . أو ليس كان أبوك فارساً
من فرسان ابن حجاج أخسهم حالاً عنده ، وأنت يومئذ نخاس الحمير
ياشيلية ، فأقبلتم إلينا ، فأويناكم ونصرناكم وشرفناكم ومولناكم ، واستوزرنا
أباك ، وقلدناك أعنة الخيل أجمع ، وفوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم ،
فهاوت بالتنفيذ لنا وقلة المبالاة بنا . ثم مع هذا ، الترشيح للخلافة

فبأي حسب أو أي نسب ، وفيكم قال القائل ؛

أتم خثار الخسار وليس خز كخيش
إن كنتم من قریش تزوجوا من قریش
أو كنتم قبط مصر فذا التعاطي لإيش

أليست كانت أمك حمدونة الساحرة ، وأبوك المجذوم ، وجدك بواب
حوثرة يقتل الجبال في أسطوانة ويخيطن الحلفاء على باب داره ؟ فلعنك الله
ولعن من أنشبتنا في الاستخدام بك . فيا مأبون ويا مجذوم ، ويا ابن الكلب والكلبة
اقبل صاغراً^(١) .

الناصر لدين الله للحايك - ٩٤

٩٤ - خطبة أحمد بن محمد الهمداني الألبيري بين يدي الخليفة

الناصر لما قدم عليه .

لما قدم عليه قام بين يديه خطيباً فقال :

الحمد لله المحتجب بنور عظمته عن أبصار بريته ، والدال بمحدث خلقه
على أوليته ، والمنفرد بما أتقن من عجائب دهره وسنن صمديته ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وخضوعاً لعزته
وعظمته ، وأشهد أن محمداً عبده الأُمِّي ورسوله المكي ، انتخبه من
أكرم الأرومات واصطفاه من أطيب البيوتات ، حتى قبضه الله إليه واختار
له مآلديه ، وقد قبل سعيه وأدى أمانته ، فصلى الله عليه وسلم تسليماً .
ثم إن الله تبارك وتعالى لما ابتعثه من أكرم خلقه ، وكرمه برسالاته
وأنزل عليه محكم تزييله ، واختار له من أصحابه وأشياعه فمن بعدهم خلفاء

(١) لم يذكر المؤلف المصدر الذي استقى منه هذا النص .

جعل منهم أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون . فجعل الله الأمير - أعزه الله -
وارث ما خلفوه من معالمهم ، وباني ما أسسوه من مشاهدهم ، حتى أمن
السالك ، وسكن الخائف رحمة من الله ألبسه كرامتها ، وطوقه مجد
فضيلتها . والله يؤتي ملكه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

فالله أعطاك التي لأفوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها
ثم إني عبد الأمير - أبقاه الله - الناشئ في غذي نعمته ، النهوك في
محبتة ، قادت بي همة أخذت بضبعي طرفي إلى من الاعتراف بالعجز عن
مبلغ كنه بلاغة المنتطع عن أسلاف مجده :

وما عسى قائل يثني عليك بما أثناه في الوحي تقديس وتطهير
فت البرية إلا أن ألسنتنا مستنطقات بما تخفي الضمائر
وقلت فيك أيها الأمير مقالاً شرفته بفضلك ، وأنهيته بكرم
مجدك ، وهو :

إذا لمعت بين المغافر والزررد	أيام ملكاً ترهي به قضب الهند
إذا أنفست الأبطال كفت عن الورد	ومن بأسه في منهل الموت وارد
به فأنت النعمى فجلت عن الحد	من ألبس الله الخلاقة نعمة
لأصبح من مروان واسطة العقيد	فلو نظمت مروان في ملك فخرها
كما انجلت الظلماء عن قمر السعد	تجلى عن الدنيا فجلى ظلامها
ملبسة نوراً كموشية البرد	إمام الهدى أضحت به العرب غضة
ذمام هشامي الهوى خالص الود	كنافي لديه أن جعلت وسيلتي
لباس أبيه عبدك الفارس النجد	يؤكد ما يدلي به من متانة
وخيل إلى خييل بأبطالها تردي	فتي من رآه والرماح شواجر

رأى أسداً ورداً يجب إلى الوغى وربتما أربى على الأسد الورد
فأنعم عليه في" ياخير منهم بإظهار تشريفي وعقد يد عندي
ولا تشمت الأعداء أن جئت قاصداً إلى ملك الدنيا فأحرم في قصدي
فعمد الإمام المرتضى كل نعمة وشكري لما يوليه من نعمة عندي
فلا زال في الدنيا سعيداً مظفراً وبوىء في دار العلى جنة الخلد (١)

الذيل والتكملة لابن بشكوال > ١ ٤٠١ - ٤٠٣

٩٥ - نص الكتابة الموجودة على لوح حجري مثبت في أعلى الجاناب
الأيمن من باب جامع قرطبة الرئيسي المسمى باب النخيل ، والذي يحمل أمر
عبد الرحمن الناصر بتوسيع جامع قرطبة وتجميله .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين
الناصر لدين الله ، أطال الله بقاءه ، بينان هذا الوجه ، وإحكام إتقانه
تعظيماً لشعائر الله ، ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر
فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر ،
مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر . قم ذلك بعون الله في شهر ذي
الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة على يد مولاه ووزيره وصاحب
مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن أيوب .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٤٤٥ - ٤٤٦

٩٦ - بيان أذاعه الخليفة عبيد الرحمن الناصر يحذر الناس من عقيدة
ابن مسرة ، ويهاجمه ويهاجمها ، ويحذر من اعتناقها .
نشأ ابن مسرة في الأندلس ، وتفقها بها ، وأبـدى بعض الآراء

(١) اورد لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة ١٥٧ - ١٥٨ نصاً قريباً من

النص اعلاه .

المنحرفة في التأويل والقدر والوعيد وغيرها ، فثار ضده الفقهاء ، فهرب إلى الشرق ، وهناك تفقه وتعلم على أيدي المعتزلة وغيرهم . ثم رجع إلى الأندلس ، ونشر تعاليمه فيها ، وأصبح له أتباع ومريدون . ثم توفي ابن مسرة سنة ٣١٩ هـ .

ولكن تلاميذه استمروا في نشر تعاليمه فيها مدى عشرين عاماً ، حتى ثار الفقهاء والعلماء ضد هذه التعاليم ، ورفعوها للناسر ، فأصدر المنشور التالي ضد ابن مسرة وتعاليمه وهو من إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن ابن عبد الله الزجلي ، وقد أنفقته إلى الآفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله تعالى جده وعز ذكره جعل دين الاسلام أفضل الأديان ، فأظهره وأعلاه ، ولم يقبل من عباده غيره ، ولأرضي منهم سواه ، فقال في محكم تنزيله : (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه...) الآية (١) . وقضى في محتوم أمره ونفاذ حكمه أن تنسخ به الديانات ، ويختتم برسالاته الرسالات ، فبعث محمداً خاتم النبيين وأكرم الأكرمين وأعز الخلائق على رب العالمين ، بأن كتب الصلاة والسلام عليه في عرشه قبل أن يخلقه ، واصطفاه لأمانته قبل أن يكونه ، وأرسله بأفضل دين سماه حنيفاً إلى خير أمة أختارها ... كما قال عز من قائل ، إذ عرفنا فضل ما هدانا إليه من الدين ، وكرمنا به على سائر الأمم : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...) الآية (٢) . فله جل جلاله وتقدست أسمائه الشكر على خصائص هذه الفضيلة ، والحمد بالمنة الجليلة ، فقد استنقذ من الغواية

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

وهدي ، فأحسن الهداية وأبان الحجة ، وكفانا بواضح المناهج مؤنة
 الفكرة ، ونظم زمام الأمة ، وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة
 في تأليف الجماعة ، واجتبا فيهم رعاية الفرقة حيث يقول عز وجله ،
 لنبيه ﷺ ... به وبعباده المخلص بهداه ، ورأفة بسطها على خير ...
 وإعلاماً لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه ... وكراهته لاختلافهم بعد
 رسول الله ﷺ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا
 إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
 فيه ...) (١) الآية . فخوف وحذر ، ونهى عن افتراق الكلمة ، ونبه
 على البعد ، ونفى الله الخبيث عنها ، وفضلها على سائر البلدان ، واستقر
 فيها الدين ، كهيئته يوم أكمله الله لعباده . ولما استوسقت الطاعة ،
 وشملت النعمة ، وعم الأقطار ، بعدل أمير المؤمنين ، السكون والدعة
 طلعت فرقة لا تبغى خيراً ، ولا تأتمر رشداً ، من طغام السواد ، ومن
 ضعف أراهم ، ومن خشونة الأوغاد ، كتباً لم يعرفوها ، ضلت فيها
 حلومهم ، وقصرت عنها عقولهم ، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا ، وتفقهوا
 فيما لم يدركوا ، واستنولى عليهم الخذلان ، وأحال عليهم بخيله ورجله
 الشيطان ، فزبنوا لمن لا تحصيل لهم ، ولقوم آمنين لا علم عندهم ، فقالوا
 بخلق القرآن واستياسوا وآيسوا من روح الله ، ولا يأس من روح الله
 إلا القوم الكافرون ، وأكثروا الجدل في آيات الله ، وحرموا التأويل
 في حديث رسول الله ﷺ ، فبريت منهم الزمة بقوله تقدرت أسماءه :
 (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنسى يُصرفون ، الذين كذبوا
 بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يلعنون إذ الأغلالُ في أعناقهم)

والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجرون^(١). فهذا أبلغ الوعيد، وأفزع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفيه : (ليضل* عن سبيل الله له* في الدنيا خزي* ونذيقه يوم القيامة عذاب* الحريق ...)^(٢) ثم تجاوزوا في البهتان ، وسدوا على أنفسهم ألوان الغفران فأكذبوا التوبة ، وأبطلوا الشفاعة ، ونالوا محكم التنزيل وغامض متن التأويل بتقدير عقولهم : (فأما الذين في قلوبهم زيغ* فيتبعون ما تشابه منه* ابتغاء الفتنة* وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله* ، والراسخون في العلم يقولون آمنا* به كل* من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب)^(٣) . فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث ، وترك نصح السبيل ، فأسأوا الفهم عن العوام . وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح ، واستبدلوا على نقلة الحديث ، ووضعوا من الكتب لوضعها ، وتابعوا شهواتهم فيها ، وتابعوا فيما ... ورطهم ، ورأوا لتخضع وحشة بحثها لازم الضلالة وداعية الهلكة ، والشذوذ عن مذهب الجماعة ، من غير نظر نافذ في دين ، ولا رسوخ في علم ، حتى تركوا رد السلام على المسلمين ، وهي التحية التي نسخت تحية الجاهلين ، خلافاً على أدب الله تعالى وقوله جل جلاله : (وإذا مُحييتم بتحيةٍ فحيثوا بأحسن منها أو ردوها)^(٤) وقالوا بالاعتزال عن العامة وشدوا ... وكشفوا بتكرهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ فلجوا في جهالتهم ، وتاهوا في غيرهم ، ونكسوا على رؤوسهم حقداً على الأمة الحنيفية ، واعتقاداً لبنضتها .

(١) سورة غافر الآية ٧٢

(٢) سورة الحج الآية ٩

(٣) سورة آل عمران الآية ٧

(٤) سورة النساء الآية ٨٦

واستحلالاً لدمائها ، وذرعاً إلى انتهاك حرمتها وسي ذراريتها ، قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، لولا أن سيف أمير المؤمنين
من ورائهم ، ونظره محيط لما صار غيهم فاشياً ، وجهلهم شائعاً ،
واتصل بأمير المؤمنين من قدحهم في الديانة وخروجهم عن الجادة ما شغل
نفسه وأقضى مضجعه ، وأسهد ليله ، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق
أيديهم ، وأوعز إيعازاً شديداً ، وأنذر إنذاراً فظيماً ، وعهد عهداً مؤكداً
شافياً كافياً ، نظر به لوجه تبارك اسمه ، وقدم فيه بين يدي المقاب
الشديد ، وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضوره ، ليفزع
قلب الجاهل ، ويفت كبد المستهتر الجار ، وينقض عزم الماند المعاجل ،
ويضطر الغواة إلى الإثابة الصحيحة التي يتقبلها الله منهم ، أو يكشف عن
الأذهان سرايرهم ، فيكون عليهم شهيداً ، ويأتيهم عذاب غير مردود .
ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره ، ويرسله في بدوه
وحضره ، وأن ينفذ عهوده إليك وإلى سائر قواده وجميع عماله بها ،
يقرأ على منار المسلمين ، ولا يحرم القاضي بأعم الداني من تطهير هذا
الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهته وفتنته . فلم يحل الديار ، ولا تعمق
الآثار ، ولا استحق البلاء على قوم ، ولا أهلك الله أمة من الأمم إلا
بمثل ما تكشف هذه الطغمة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن
العظيم ، وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه وسلم . هذا عند
وروده عليك في قلبك ، ونشره في سماع رعيته . وتتبع هذه الطائفة
بجميع أعمالك ، وابث فيهم عيونك ، وطالب فيهم غورهم جهلك . فمن
تحلى منهم بما انتسب إليهم ، وقامت عليه البيئات بذلك عندك ، فاكتب
إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم ، وأسماء الشهود عليهم ، ونصوص
شهادتهم ، لنعهد باستجلابهم إلى باب مدته ، لينكولوا بحضوره ، فيذهب

غيط نفسه ، ويشفي حين صدره . وإياك أن تهون من أهل الريسة ،
وتتخطام إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة ، فإن فرطت في أحد
الأمرين أو كليهما فقد برىء الله منك ، وأحل دمك ومالك ، فاعله واعتد
به إنشاء الله تعالى .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان ٧٠٨ - ٧١٠

٩٠ - مقتطفات من رسالة امبراطور القسطنطينية قسطنطين إلى الخليفة

عبد الرحمن الناصر .

مطلع الرسالة :

من قسطنطين ورومانين المؤمنين بالمسيح الملكين العظميين ملكي الروم
(في سطر)

ثم :

إلى عظيم الاستحقاق والفخر الشريف ، الشريف النسب عبد الرحمن
الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس - أطال الله بقاءه .

(في سطر آخر) .

من جملة ما كتبه إليه .

أن كتاب ديوسقوريدوس لا تجتنب فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان
اليوناني ويعرف تلك الأدوية ، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ،
أيها الملك ، بفائدة الكتاب . وأما كتاب هروشيوس فعندك في بلدك من
اللاتينيين من يقرأون باللسان اللاتيني ويستطع نقله منه إلى اللسان العربي (١) .

الناصر لدين الله للحايك - ١١٢

(١) أهدى ملكا الروم إلى الناصر ، فيما أهدياه ، كتابين أحدهما كتاب الحشاش
لديوسقوريدس ، والثاني كتاب هروشيوس في تاريخ الروم . لغة الاول يونانية والثاني لاتينية .

٩٨ - خطبة القاضي منذر بن سعيد البلوطي أمام الخليفة الناصر

في حفل استقبال وفود الروم .

وصلت وفود القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر فاحتفل بها أيمًا احتفالاً ، وندب للكلام في يوم الاجتماع أبا علي القالي ضيف الخليفة والقادم عليه من العراق . فلما تكامل الجمع قام القالي ليتكلم ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم صلى على نبيه محمد ﷺ ، ثم أصابه البهر ، فانقطع وعجز عن متابعة الكلام ، فقام القاضي البلوطي دون أهبة وتابع ما انقطع من كلام أبي علي القالي فقال :

أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قدقت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا إليّ مشر الملأ بأسماعكم ، وأتقنوا عني بأفئدتكم . إن من الحق أن يقال للحق صدقت ، وللمبطل كذبت . وإن الجليل تعالى في سمائه ، وتقدس بصفاته وأسمائه ، أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم . وفيه وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة . وإني أذكركم بأيام الله عندهم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لم تشعركم ، وأمنت سربكم ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم . ولاء الله رعايتكم ، وأُسند إليه إمامتكم ، أيام ضربت الفتنة سراقها على الآفاق ، وأحاطت بكم شمل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمين سياسته إلى

تهديد كنف العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم الله معاشر الملأ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؛ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضة فحماها ونصرها . فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد اقترافها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرت يداً على عدوكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم ، فأنشدكم الله ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ، ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ورفض الدعة ، وهي محبوبة ، وترك الركون إلى الراحة ، بطوية صحيحة وعزعة صريحة ، وبصيرة نافذة ثاقبة ، وريح هابة غالبة ، ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجد ظاهر ، وسيف منصور تحت عدل مشهور ، متحملاً للنصب ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حداثها ولم يبق لها غارب إلا جبهه ، ولانجم لأهلها قرن إلا جده ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، وبلغ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصين والأدنيين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فج عميق وبلد مسحيق لأخذ جبل بينه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده . وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير قائم : (وعد الله

الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخاف الذين من قبلهم) ^(١) ... الآية . وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ، ولكل نبأ مستقر ، ولكل أجل كتاب . فاحمدوا الله ، أيها الناس ، على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه . فقد أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثفهم جمعاً وأجلهم صنماً ، لاتهاجون ولا تذاذون . وأتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتمسوا الطاعة لخليفتم وابن عم نبيكم ﷺ ، فإن من نزع يداً من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومرق من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها ، والتمسك بعروتها حفظ الأموال ، وحقق الدماء وصلاح الخاصة والدعاء ، وإن بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتوفى العهود ، وبها وصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام وبها سدت الله الخلل وأمن السبل ، ووطأ الأكثاف ، ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالإعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ^(٢) ... الآية .

وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه ، من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملائكم ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وهتك حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه

(١) سورة النور الآية ٥٥

(٢) سورة النساء الآية ٥٩

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا وأختم بحمد الله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم ، فهو خير العافرين (١) .

نفع الطيب المقرئ - ١ - ٣٤٥ - ٣٤٨

٩٩ - أبيات من الشعر ختم بها القاضي منذر بن سعيد البلوطي خطبته سألقة الذكر :

هذا المقال الذي ما عاب به فند لكن صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً ما كنت مطرحاً لكنني منهم فاعتالي النكد
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد (٢)
بقية الملتبس للضي - ٤٦٥

٨ - الحكم المستنصر بالله بن الناصر لدين الله

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م

أ - مشكلة الإدارة ، حلفاء الفاطميين في مصر ، في المغرب الأقصى

١٠٠ - توقيع الحكم بترفيح مولاه غالب وجعله قائداً أعلى للجيش ، وذلك بناء على طلبه هو ، وقد وافق الحكم على هذا الطلب ، ووقع له بالموافقة على ظهر طلبه . والخطاب في التعليق موجه إلى الوزراء ، والضمير في عندهم يعود إليهم .

(١) ورد نص هذه الخطبة الشهيرة ، بشكل أو بآخر ، في كل من معجم الأدباء لياقوت الحموي - ١٩ ، ١٧٦ - ١٨٠ و ٤٣٠ - ٢٣٠ والناصر لدين الله للحايك ١١٣ -

١١٤ والمسلمون في أوروبا لطرخان ٢٨٧ - ٢٩٠

(٢) ذكر المقرئ نفسه في كتاب نفع الطيب - ١٣ - ٣٥٠ نص هذه الأبيات الثلاثة بشكل فيه بعض الاختلاف عن النص أعلاه .

هذا ماتضمنه غالب لنا بلسانه ، وأبأنه عندنا وبين أيدينا له ضامناً ، ثم خطه يمينه في كتابه هذا . وقد قبلناه وأمضيناه ورضيناه وأجزناه فليزِم توقيعنا هذا ويستقر في البيت عندكم ، إن شاء الله ، ورأينا أن نوقع اسم القيادة العليا على غالب مولانا لغنائه وجميل مقامه ، فلا يخاطب من الآن إلا به تشريفاً له ، إن شاء الله . والله المستعان .

المقتبس لابن حيان - ٦٩

١٠١ - رسالة الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا

في المغرب .

أصبح الحسن بن قنون [ويسمى أيضاً كنون] خطراً على الحكم لأنه حسني ويعمل حليفاً للمعز لدين الله الفاطمي في المغرب الأقصى ، ومن بعده حليفاً لابنه العزيز بالله ، وقد حارب جيوش الخليفة الأموي الحكم ، وانتصر في بعض المعارك ، فاقترح على عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا من طرف الحكم الصلح وتبادل الرهائن ، فأرسل عبد الرحمن إلى الحكم باقتراح الثائر ، فأجابه الحكم بمايلي :

كيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر ، وفي دينه مستبصر . ولكم في كل أيامه محارب ؟ هذا هو الضلال ، والمحال عين المحال ، وسبب الخبال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من أصر إصراره وتمادي تماديه ، إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان - ٤٩٦

١٠٢ - رسالة أخرى من الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد أصيلا

يوصيه استشعار الحزم والخلد .

إن أفضل ما احتمل عليه وعمل به استشعار الحزم ، وادراع

التحفظ ، واستنصاح الاتهام ، وإذكاء العيون وبث الجواسيس ، والاستكثار منهم . ومن حملة الأخبار ، حتى لا يخفى الحسن - أهلكه الله - حركة ، ولا يتوارى له مذهب .

دولة الإسلام في الأندلس لعنان - ٤٩٥

١٠٣ - وصية الحكم الوزير محمد بن قاسم بن طاهر إلى أرسله إلى المغرب الأقصى لما تزايد خطر الحسن بن قنون الحسني هناك ، فأرسله بجيش لحربه ، وأوصاه بما يلي :
فتقدم في توصيته :

بتقوى الله ربه ، وإيقاظ رأيه وعزمه ، واستعمال جهده وجده ، في مغاورة الفاسق حسن وإخماد ناره ، وأمره أن متى أظهره الله تعالى على طائفة من أنصاره أو المقتربين به أو غلب على أهل أرض من في طاعته ، أن يأخذ بالعمو ويؤثر الصفح ، ويقبل واضح العذر ، ويحسن التجاوز مذكراً حمد الله تعالى وشكره ، موجباً طاعته ، متحرياً بالعدل في سيرته ، معتقداً لإعمال حسن النية في حب السلامة ، وإيثار العافية ، وإصلاح البلاد ، والاستصلاح للرعية ، وليحفظ من حق الله تعالى فيهم ماضيهم ، فإن خير الولاية من يصلح منهم ما أفسدت من أنفسها الرعية بحفظ ما أضعفت من أمورها ، وجمع ما افترقت من شؤونها ، وأمره أن يستعين بمن دخل في طاعته ، ووفى ببيعته وعهده على من أدبر عنه .
فإن إقبال المدير بعد إدباره ، وطاعة المطيع بعد عصيانه فت في أعضاء أهل العصية ، وحجة على أهل المخالفة . وأمره بإقامة كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ في أرض يغلب عليها بمشيئة الله تعالى ، ويظفر بأهلها ، ويمحو منها آثار الشيعة المارقة ، ويعلي سنة الأئمة الراشدين ، حتى ينالهم

من بركة ذلك وحلاوته وفضله ومنته مانال الجماعة من رعية أمير المؤمنين
بحول الله وقوته .

المقتبس لابن حيان ٧٩ - ٨٠

١٠٤ - رسالة أرسلها إلى الحكم المستنصر بالله قواده: ابن رماحس
وسعد ، وقيصر ، وعبد الرحمن بن يوسف بن أرطليل يصفون عرضاً
عرضه عليهم ابن قنون وجوابهم له :

فقد ذكروا أن الملحد حسن دعاهم إلى الدنو منه لافتتاح القبول في
إيقاع السلم ، والتوصل من الذنب ، والإنابة إلى الطاعة بعد الاستيئاق
بالتراهن على عادة أهل الشرك مع المسلمين ، عند مثل هذه المشاهد
المحصنة : آيياً لنفسه (١) ، ولهم (٢) من إيتائه هذه الخطة ، وتمنعه بها
وأن تؤخذ عليه أنفاق كياده التي مازال يفتحها ، ويعرفهم أنه نافذ البصيرة
متأكد العزيمة ، ممرء المريرة في التمادي على مجاهدة الملحد ، ومجاهدة من
كان معه وعلى مذهبه ، حتى يفتح الله عز وجل فيه وفيهم وهو خير
الحاكمين . وأما سائر الناس من جميع القبائل المتشبين عنه ، والواقعين
تحت رهبته وسيف إخافته ، ونكال رهقه ، فأمنون بأمان الله التام ،
فليكن منكم إلى خاصتهم وعامتهم ، دسيس إعلام ، وتقديم تعريف باعتقاد
هذا المذهب ، ومبايعة الرب تعالى عليه ، وإشاعته في جميع الناكثين من
جميع القبائل ، الصاغين إلى الملحد والناشبين في حباله ، ليكونوا على
علم برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم ، وتقبل إنابة منيهم ، وإجارتهم
من الظالم المستحل لحارمهم ، المستهلك لنعمهم المنتهك لحرمهم . وإن أمير

(١) الضمير هنا يعود لابن رماحس .

(٢) الضمير هنا يعود للقواد الآخرين .

أمير المؤمنين غير مقلع عنه ، ولا صارف بأس عزمه دونه ، واستعانتة على ذلك كله بالله تعالى ، حتى يأخذ له بناصيته ، فهو من ورائه محيط ، تعالى جده (١) .

المقتبس لابن حيان - ٩٧

١٠٥ - فصل من الكتاب الوارد ذكره سابقاً .

إن أفضل ما احتمل عليه ، وعمل به ، استشعار الحزم ، وإدراع التحفظ ، واستتصاح الاتهام ، وإذكاء الميوت ، وبث الجواسيس ، والاستكثار منهم ومن حملة الأخبار ، حتى لا يخفى لحسن - أهلكه الله - حركة ، ولا يتوارى له مذهب .

المقتبس لابن حيان - ٩٧

١٠٦ - رسالة أخرى من الحكم المستنصر إلى عبد الرحمن بن يوسف بن أرمليل حول نفس الموضوع .

أما بعد : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك تذكر فيه ما أنك به حمود بن محمد وحنون بن سروح ، ويحيى السراقة ، من أتباع الملحد - أهلكه الله - عند خروجك لللازمة الطلائع ، على عادتك ، من استئذانهم إياك ، في القرب منك ، والمشاهدة لك . وأنت أجبتهم إلى ذلك وفهمت منهم ما أبلغوك من رغبته في الإنابة ، وقد ضرب الله تعالى بينه وبينها بسور من الخذلان ، قطع به دونها في حينها وأوان قبولها ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وكيف يذهب الآن هذا المذهب ، وهو في طغيانه مستمر

(١) ليس واضحاً تماماً من نص الكتاب ما إذا كان هذا الكتاب قد أرسله القواد للحكم أم أن الخليفة الحكم هو الذي أرسله لهم جواباً على كتاب سابق ، وإن كان يبدو لنا من نص الكتاب أنه موجه من الخليفة إلى القواد .

وفي دينه مستبصر ، ولكم في كل أيامه محارب ؟ هذا هو الضلال ، والحال عين الحال ، وسبب الخبال . وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من أصر لإصراره وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه ، وهو خير الفاتحين لاشريك له . فلا يتعرض أحدكم لمقابلة أحدٍ ممن يأتي معه . فانظروا في أمركم ، وجدوا في تثقيب ماله قدمتم نظراً يبدل على إجتاع نفوسكم ، وتآلف بصائرهم ، وتضافر أيديكم ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والله المستعان لارب سواه .

المقتبس لابن حيان - ٩٨

١٠٧- فصل من كتاب أرسله الخليفة الحكم المستنصر بالله إلى أحد قواده
حول نفس الموضوع

... وإن الله تعالى جده أحل حسن بن فنون من المعصية له والتمطيل لحقوقه ومفارقة أولياء الطاعة محل من لا تسمع له كلمة ، ولا يوثق منه بآثابة . وأمير المؤمنين في محاكمته مستنصر ، وفي مجاهدته ومطالبته حتى يمكنه الله منه بحوله ويظفره وينصره عليه إن شاء الله .

المقتبس لابن حيان - ٩٨

١٠٨- رسالة الحكم المستنصر بالله إلى قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس حول حسن بن فنون وذلك جواب رسالة أرسلها له عبد الرحمن وإنه ^(١) احتاج إلى إحداث تنصل مختلف ، فتسح له أبواباً ، وسبب فيه أسباباً ، ونهج له سبلاً ، ولو كان ما عامله به أمير المؤمنين محجوباً عن الموالاة والمشاركة والناصحة لاحتاج إلى كشفه ، ولكنه ظاهر مكشوف ، وبين معروف ، فإنه لما استنصره على بني عمه المشاقين له أمر بجوابته ، معرفاً لما هو عليه من حسن

(١) الضمير هنا عائد إلى حسن بن فنون .

الرأي فيه ، والإتيار له ، والرغبة في قوام أمره ، وأن الذي رآه أن يدعو بني عمه إلى الصلح الذي رضىه الله عز وجل وندب إليه ، وأن يخاطبهم ، فإن صاروا إلى ما دعاهم إليه ، وإلا حاربهم ، فصار معه إلباً عليهم بحكم الله عز وجل ، فإنه يقول : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (١) فكان جوابه عن هذا الفصل الجامع لصلاح الدين والدنيا الذي يلزمه شكره ، أن وضع يده في بنيان طنجة ، وقد كان سلفه أقدر على ذلك ، فأمسكوا عنه تمهيداً للمواقب ، واستدفاعاً للنوائب ، واستدامة للصلاح . ثم أطلق لسانه بما لو سمعه من غيره لكان الحقيق بإنكاره ، المحل الذي أحل الله أمير المؤمنين به ، ومحافظة على ماسبق إليه من فضله ، وأسلفه من إكرامه ، فقطع القربة ، وصار إلى هذه الحال الموبقة . وصار بنو عمه إلى الانقياد والتسليم والتحكيم لما رآه ، والشكر على ما قضاه ، وضادهم هو فيما إنتحاه ، فأحفظ أمير المؤمنين ما كان منه ، وتمادى هو في جماعته بلسانه ويده ، فأقام الخطبة لمن أقامها ، مجاهراً بالمكروه ومظاهراً بالطبيعة ، وموقداً لجر العقوق ، حتى أخرجه عن سجيته ، وذهب به عن فطرته .

والنار: قد تلتظي من ناضر السلم

ثم عاد أمير المؤمنين إلى إشار الفضل الأعلى عليه ، والحلم الذي هو أملك له ، فتأنى فيه ، وانتظر فيئته ، فركب رأسه ، واستمر في غيه .

المقتبس لابن حيان - ٩٩

١٠٩ - فصل آخر من نفس الكتاب السابق .

وأما مادعا إليه الآن من الإنابة والمراجعة والتحكيم في النفس والولد

(١) سورة الحجرات الآية ٩

والمال والبلد ، فكلمة حسنة لا يدع أمير المؤمنين قبولها إذا صدقها فعل
وحققها برهان ، احتمالاً على قول النبي ﷺ إذ أتى مكة فقال : « لاتدعوني
قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، وأخذاً
بالعفو الذي وصف الله به نفسه ، وأجبه من أوليائه . لكن ذلك لا يكون
إلا بفعله معروفة مكشوفة ، كما كان فعله ظاهراً بقتله الجند صبراً ،
وقذفهم في النار الجامحة ، فإن كان معتقداً ما قاله ، أو منظوياً على صحة ،
مؤثراً له ، راعياً في استئصال حظه من حسن رأي أمير المؤمنين ورضاه
وتوطين بلده لولده ، وإن مذهبه تمحيص ما فرط ، وتكفير ما سبق ،
والإصحاح بمولاته وانقياده ، أخذ البيعة على أهل بلده ، وخرج مطهراً
لنفسه إلى باب مدته . فإنه إذا أتى ذلك خرج مما دخل فيه ، وفاز
بالقدح المعلي ، والمنزلة الكبرى عنده ، وصدر عنه لباساً ثوب كرامته
وغذي نعمته التي قد عرفها ولبسها .

المقتبس لابن حيان - ١٠٠

١١٠- رسالة الحكم المستنصر إلى صاحب البحر عبد الرحمن بن
رماحس والقواد الذين معه سعد ، وقيصر ، وعبد الله بن مروان يعنفهم
لتقصيرهم في مسألة بنيان طنجة .

... فلو أن لهم في الاعتزام منزلة لاستبيان ذلك وهم على حركاتهم
التوانية ، ولكنهم أخذوا بالهوين ، وأخذوا إلى الأرض كأنهم بمفازة
من إنكار أمير المؤمنين ونجوة تغييره ، فإن هذا الكتاب قد جعله إغذاراً
لهم وإنذاراً ، فإن ظفر منهم وراءه بما يحصى سيئاتهم ، وإلا كان نظره
من ورائهم .

المقتبس لابن حيان - ١٠٥

١١١- رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب ، الذي أرسله إلى العدو لمحاربة ابن قنون فذهب إليها ، وحارب ابن قنون ، وأرسل من هناك رسالة إلى الخليفة ، يذكر أن عدداً من أتباع ابن قنون طلبوا الاستئذان إليه ، وأنه أجابهم إلى ذلك ، ويطلب منه أن يرسل له محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني الشاعر .

... وإن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد بن حسين الطبني إليك على ما رغبت فيه ، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة في جميع أحواله ، مع نفاذ ذريته وصدق ممارسته لما يرمي إليه ، واعترف أحمد بن يعلي - رحمه الله - بذلك ، وشكرنا له تصحيحه ومناصحته ، ولن يألوك عوناً وتزييناً ، إن شاء الله .

المقتبس لابن حيان - ١٠٩

١١٢- رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى القائد غالب ، الذي أرسل يذكر له خبر معركة دارت بينه وبين حسن بن قنون ، وكيف أنه انتصر فيها عليه وألزمه الحرب .

... يحمد مقامه ويشكر فعله ، ويستثب صبره وجده ، ويعترف أن أمير المؤمنين جاد في حرب الفاسق حسن ومحامته إلى الله ما امتدت به حياة يحكم الله بينها بعدله . وقد أمر بإخراج الأخوة التجيين يوسف وهاشم وهذيل بن محمد بن هاشم ، وأخوة الماصي بن حكم بن عهم ، وحמיד بن قياطن ، وعدة من ثقات أصحابه ومئة غلام من الرماة المالك وطائفة من فرسان الرياضة إليه .

وإن بني خزر اللاحقين يباب سدة أمير المؤمنين للاحقون به إثر كتاب أمير المؤمنين ، إذ رغبوا الكون معه ، والتصرف بين يديه إلى أن

يلحق بنو عمهم ، إذ صاروا اليوم في بادية فاس على ما ذكره رسول عبد
الكريم صاحب عدوة الأندلسيين منها ، وأمر عند احتلالهم بحفظهم وتكريمهم
وتلقيهم أحسن التلقي ، لشرفهم وقديم طاعتهم وتأميلهم .

المقتبس لابن حيان - ١٢٥

١١٣ - رسالة الحكم المستنصر بالله إلى مولاه غالب صحيفة
الوزير يحيى بن هاشم التجيبي عندما أرسله مدداً إلى غالب في
العدوة المراكشية .

... وإن المهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالخفوف إليك
والبدار نحوك ، وأن يتصرف كيف رأيت تصريفه ، فهو مدد لك ، وعون
على محاولتك . فانظر في جميع ما بين يديك ، ومن يحويه عسكريك ، ونظر
من أفرده أمير المؤمنين ببعثه ، وقلده ما بين يديه .

المقتبس لابن حيان ١٢٩ - ١٣٠

١١٤ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب ، الذي
أرسل له رسالة يشكو غلاء الأسعار لديه لكثرة أفراد الجيش ، ويذكر
له لجوء عدد من بني إدريس الحسينيين إليه بأعداد غفيرة .

... وقد كفأك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام ، فموادها
موصولة بك ، ومتلاحقة لديك ، حتى يفتح الله في الظالم القاطع بعدله ،
ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة ، وأهراء الأندلس المقتصة ، فلم
لم يبق منها غير ما في الأهراء الخاصة بقرطبة ، لاحتمل إليك جميع
ما فيها . كما أنه لو تقاصرت يدك ، والثوى عزمك ، وانتكأت الأحوال
بك - ولن يفعل الله ذلك - لاستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة ،
واتخاذها وطناً مستقراً ، ولأجاز لمجاهدة الفاسق كل جندي في ديوانه

منع كل متصرف في مملكته ، غضباً لله - تعالى جده - وإنكاراً لما ركبته
 الملحد من انتهاك محارمه ، واستهلاك نعمه . فأقبل على ما بين يديك ، إقبال
 من لا ينجي نفسه بانصراف ، أو انحراف ، إلا بعد الظهور على عدوك
 بحول الله وقوته ، أو اضطراره إلى الجنوح ، والرجوع عن غيه ، والإنابة
 إلى رشده ، باللحاق بباب سدة أمير المؤمنين ، فهذه أقل الأحوال المرتضى
 بها منه ، أو نفيه عن أرضه ، وإخراجه عن جميع ذلك البلد ، بعون
 الله عليه وقوته . وإذا تصفحت مكانك من العبودية ومحلك من النصيحة
 والخدمة ، ومكانك من الخصوصية والنعمة ، والنصاب الذي نصبت فيه
 والحل الذي أحلته ، والاسم الذي حملت عند عدو الإسلام ، من فرق
 الشرك في الحسنة والتجربة ، ومقارعة الحروب ، ومساجلة الخطوب ،
 والوقوع تحت وقائهم المثخنة ، والمنازلة لأقرانها المتألبة ، حتى طالت يدك
 على من طاولك وقرعت قناتك من قارعك ، أثبت لك هذه الأحوال المتظاهرة
 والحقوق المتوافرة عن الرضى بغير ما يرضاه أمير المؤمنين منك ، أو الانقياد
 لما لا يستفيد لك حسن رأيه ، أو الانصراف إلا على ما لم تزل متصرفاً
 عليه من الظهور والعلاء بفضل الله تعالى ، المرجو لك ، والموثوق به
 في كفايتك ورعايتك ، فاستقبل نظرك استقبال من استشعر مذهب أمير
 المؤمنين ، ووطن فيه على أن لا مرجع له عنه ، إلا بما يجب ، أو
 يموت فيمطر .

المقتبس لابن حيان - ١٣٠

١١٥ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر إلى مولاه غالب : الذي
 أرسل له يخبره في رسالة انتصاره على حسن بن قذون في إحدى
 المعارك ، وهرب حسن واحتلال غالب حصن الكرم وشحنه بالرجال .

... وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك ، والبحر دونك ، وربما
تعذر ركوبه ، فاجعل الطعام ذخيرتك ، وحفظه تجارتك ، فالأموال بحمد
الله موفورة ، واحتملها في كل وقت ممكن ، فمن مذهب أمير المؤمنين
إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار إلى سبته يقرها هناك بالقرب
منك ، فيسهل كل وقت إنفاذ الحاجة منها إليك ، فاسكن إلى ذلك ، واحتط
في الطعام جهداً ، ووطن على الصبر نفسك ، ولا تمنها برجوع إلى بيتك
حتى يقطع الله دابر الفاسقين ، ويفرق ملاً الملحدين الضالين الذين صاروا
حزباً للغوي وللباغ معاً على المسلمين . ولو أمكن وجوه أهل المسكن أن
يقيموا أزواجاً من البقر يذرعون بها في الأرضين المحوزة من الفاسقين
بحيث لا يوصلون بذلك إلى أهل البلاد ضرراً ، ولا يلحقونهم تضيقاً ، لكان
ذلك من أفضل ما يقع بمرافقة أمير المؤمنين ، إذ مذهبه تعمير البلد ، وتأمين
أهله ، وتعريفهم ألا إقلاع له عن عرصته حتى تكون كلمة أهله واحدة ،
وأيديهم مترادفة ، والدين قيماً ، والسنة متبعة بحول الله وقوته .

كذلك ضمن هذا الكتاب ما رآه الخليفة من إقامة البرد قبله ، وأنت
ترتب في المسكر لديه وبمدينتي طنجة وأصيلا منها ، ما يراه الوزير القائد كافياً
بالركض بالأخبار ، لانتظام الناحية :

« فتعجل باتخاذ الدواب لها ، وتمهد إلى الخارجين بالمسكر عنه بدفع
أجر خدمته لكل شهر ، وإلى الخازن بإجراء العلوقة على الدواب ،
والنفقة على الفراقين ، والخدمة إن شاء الله » .

المقتبس لابن حيان .

١١٦ - فقرات من رسالة جوابية أرسلها الحكم المستنصر بالله إلى
عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة فاس ، جواب رسالة كان أرسلها إلى
الخليفة الحكم يظهر فيها طاعته وولاءه له .

.. وقد قبل أمير المؤمنين معاذيك ، وأصغى إليها ، فإن يرد الله عز وجل بك خيراً في عاجلتك وآجلك يشرح صدرك لطاعة أمير المؤمنين ومولاته ، وييسرك لما يلبسك رضاه ويقربك منه ، فإنه جامع في ذلك أحوالاً تحمد مواردها ، ومصادرها ، وإحياء ما أماتته الأيام منها وتجديد ما أخلقه المنحرفون عنها ، ورفع بأس الجور الذي قد أظلم أهله وغشيم وشملهم ، وأطبق عليهم ، وأوقعهم تحت الذل والصغار ، والتغريب بحرهم ونعمهم ، واستهلاكها ، واتهاكها من بين أيديهم ومن خلفهم ، وأن تكون زكواتهم التي أوجبها الله عليهم مصروفة إلى الأصناف التي وضعها الله فيهم ، فإن فقد صنف منها صرف إلى مصالحهم ، لا يستكثر بشيء من ذلك في مال الفيء فإن الله عز وجل قد وسع فيه عليه ، وبسط يده في وجوهه ، وسبله التي يذب الله بها عن بيضة المسلمين ، ويحمي حوزتهم ، ويدبراً عنهم عدوهم ، ويملاً من مغائهم أيديهم ، حتى أخضع الله تبارك وتعالى بفضلهم لهم رقابهم ، وأسكنهم قواعدهم ، وكثر في عيونهم عددهم ، بروابط الخيل التي ارتبطها أمير المؤمنين في دروبهم وعلى أيديهم ، وجيوشه المصروفة إليهم ، إذ ليس اليوم في جميع الأندلس من مشارقها إلى مغاربها بأسط يداً ، رافع رأساً إلا تحت الرغبة والرهبة من الله تعالى عليه وعليهم ، فله الحمد كثيراً ، كما هو أهله ، إلى أن قام حسن بن قاسم الظالم لنفسه ، الحاطب على ظهره ، فاتح باب الفتنة بخساره ، الكاسر أقلها باختياره ، والمستوقد لنارها ، لحين أطفأها تعالى وأخمدتها ، لنير ضرورة حافزة له من تلقاء أمير المؤمنين ، ولا مكروه ناله بل قابل الحسنة بالسيئة ، وكافأ الصلة بالقطيعة .

في كلام كثير انقطعت عليه الرسالة .

المقتبس لابن حيان ١٢٦ - ١٢٧

١١٧ - نص بيعة عبد الكريم بن يحيى صاحب عدوة الأندلسيين
الحكم بعد أن هزم واستسلم وأعلن ولاءه وبايع الحكم حسب مايلي ،
وكان ذلك سنة ٣٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب بيعة عبد الكريم بن يحيى ، وجماعة
الأندلسيين بني عمه ، من أهل حاضرة فاس كتبوه وثيقة ، وحجة على
أنفسهم ، وأشهدوا الله وملائكته ، وأنبياءه ، ورسله ، وأولي العلم من
خلقه ، ومن حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا الله عز وجل ، والإمام
العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وألزموا أنفسهم طاعته ،
ليوالوا من ولاءه ، ويعادوا من عاداه ، وينصروا من نصره ، ولا يلبسوا
ولا يدلسوا ولا يوالوا أحدا سواه ، ألزموا ذلك أنفسهم بالأيمان المؤكدة
اللازمة لهم ، وفي أعناقهم عهد الله المؤكد اللازم لهم ، والشئ إلى مسكة
وغيرهم صدقة أموالهم للمساكين ، وبالله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب
المهلك المدرك ، الرحمن الرحيم ، أنهم لبراء من الشيعة وأهلها ، وأن
يواقوهم ، ولا يرأسوهم سراً ولا إعلاناً ، تقاربوا منهم أو تباعدوا عنهم ،
وأنهم مستمسكون بالطاعة العاصمة من الزيغ ، والخلافة المكرمة ، القائمة
بالحق ، التي وطد الله مبناها ، وشرفها وعظمها ، على من سواها ،
وأشهدوا الله ، وملائكته ، ورسله ، وأهل العلم من خلقه ، على ماألزموه
أنفسهم من القيام بالطاعة ، والعمل بفروضها ، ومسنونها ، وأوجبوا ذلك
على أنفسهم كوجوب ماألزمهم من فروض دينهم ، إذ لا تتم دياتهم إلا
بالتصحيح لإمامهم واتباع أمره والوقوف عند نهيه ، فعند أدائهم الطاعة
يسلم لهم دينهم ، ودينهم ، وآخرتهم ، وأولاهم . ومن نكث فإنما
ينكث على نفسه ، ومن أوفى بماعهده عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً . وتاريخه

عقب رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وذلك بحضور من علماء البلد وفقهائه وأهل الفضل منهم الذين أئزموا أنفسهم الطاعة ، والتزموا الأيمان المؤكدة ، وذلك في صحة من عقولهم ، وأبدانهم ، وكفى بالله شهيداً . وحط في أسفله خمسة وثلاثون أسماؤهم .

المقتبس لابن حيان ١٧٤ - ١٧٥

١١٨ - عهد الحكم المستنصر بالله إلى أبي العيش بن أيوب زعيم قومه من كتامة ، وهم فرقة لجأت إلى الحكم ، وتركت الفاطميين ؟ فمهد إليه الحكم بالرئاسة على قومه الذين عاهدوه على طاعة الحكم وعددهم ٣٥٠٠ فارس و ٦٤٠٠ راجل . والسجل من إنشاء الوزير الكاتب صاحب المواريث - جعفر بن عثمان بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب من عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب ، إنه ولاء النظر في قبيلة أطانة مهران من كتامة مؤثراً له ، ومظهراً لحسن رأيه فيه ، وثقته به فيما فوضه إليه ، للذي أحبه من استصلاحه ، واستصلاح أحواله وأحوالهم ، وصلة أسبابهم ، وتمهيد أمورهم ؛ وأمره بتقوى الله العظيم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، والتزام طاعته ، وطاعة خليفته التي افترضها عليه ، مستشعراً لها ، مخلصاً فيها ، محافظاً عليها ، معتقداً للقيام بوظائفها وشروطها ، والوقوف عند حدوده والانهاء إلى عهده ، والتصرف معها كيف تصرفت به ووافقت محبوبه أو خلافه ، عالماً بآله في في ذلك من خير العاجلة والآجلة ، وأن يعطي صفقة أيمانه بين يدي الوزير القائد الأعلى ، غالب - مولى أمير المؤمنين على الوفاء بما التزمه من الطاعة والنصيحة ، وأن يأخذ على ذلك أيمان وجوه القبائل المصروفة إليه وعلى مسالمة من سأل به ، ومحاربة من حاربه ، دنوا منه أو بعدوا عنه .

وأمره أن يحتمل في أحكامه على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة محمد ﷺ المرسل بها ، وأن يأخذ أخذ نفسه بمراعاتها والاهتداء بها ، فإنها مفتاح جنته ، والنور الذي لا يضل من استضاء به ، ولا يستبهم باب من أبواب الصواب عليه ، وأن يقف عندما أمره به من استصلاح أحوالهم ، والعفاف عن أموالهم ، واستعمال العدل فيهم ، والأخذ لهم ، ومنهم وعليهم ، والتسوية فيه بين شريفهم ومشروفهم وقويهم وضعيفهم ، وفتح بابه ، ورفع حجابيه ، ومباشرة أموره بنفسه ، وحملهم على واضح الديانة ، ومناهجها المستقيمة ، وماعقده منها الكتاب والسنة ، ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدودها ، والأذان لها على حسب ما كان في عهد رسول الله ﷺ والراشدين من بعده وماعليه جماعة المسلمين فيه ، والافطار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول الله ﷺ فإنه قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكلوا العدة ثلاثين يوماً » وأن يأخذ زكواتهم من الجيوب المرفوعة عندهم ، والشرات الموجودة بأرضهم ، وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائعها ، غير مقصر عنها ، ولا متجاوز لها ، ولا مبدل لشيء منها ، وذلك من الذهب والفضة ، ربع العشر إذا كان المال حاصلًا بيد المزكي وغير خارج عنه في دين أو تجارة . وليس فيما دون عشرين مثقالاً زكاة والزكاة كلها في كل عام مرة ، وزكاة الإبل في كل خمس شاة ، وليس فيما دون هذا زكاة ، إلى أن تبلغ إلى عشر ففيها شاتان ، فإذا انتهت إلى خمس عشرة ففيها ثلاث شياه ، وإذا انتهت إلى عشرين ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين ، فإذا بلغت خمساً وعشرين ، ففيها بنت مخاض ، فإن لم توجد فإن لبون ذكر ، إلى خمس وثلاثين ، فإذا كانت ستاً وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين ، فإذا كانت ستاً وأربعين ، ففيها

حقّة إلى ستين ، فإذا كانت إحدى وستين ففيها جذعه إلى خمس وسبعين
فإذا كانت ستاً وسبعين ، ففيها ابتنا لبون إلى تسعين ، فإذا كانت إحدى
وتسعين ففيها حقتان ، فإذا كانت مئة وعشرين فما زاد ففي كل أربعين ،
ابنة لبون ، وفي كل خمسين حقّة . وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وليس
فيما دون هذا العدد صدقة إلى مائة وعشرين ، فإذا زادت ... (١) ، وإذا
زادت على هذا العدد ففي كل مائة شاة .

وإذا بلغت البقر ثلاثين ، ففيها تبيع ذكر ، وليس فيما دون هذا
العدد زكاة ، إلى أن تبلغ أربعين ، ففيها مسنة ، فإذا زادت على ذلك
ففي كل ثلاثين تبيع ، وفي كل أربعين مسنة ، ولا يجمع بين مفترق ،
ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وذلك أن يكون لثلاثة رجال مئة
وعشرون شاة لكل واحد أربعون تلزمه عنها شاة واحدة ، وأن يكون
لرجلين مائتا شاة وشاة يجب عليهما فيها ثلاثة شياه ، فإذا أظلم المصدق
فرقاها ، فلم يكن على كل واحد منها إلا شاة .

والمأخوذ في الصدقة الثني والجذع ولا تؤخذ الربى ، وهي التي قد
وضعت ، ولا الأكولة ، ولا فحل الغنم . وأن تؤخذ الزكاة من جميع
الحبوب المدخرة ، وليس فيما دون خمسة أوسق زكاة ، والوسق ستون
صاعاً ، والصاع أربعة أمداد بمدة النبي ﷺ ، فإن زاد العدد على هذا
كانت الزكاة فيه العشر إذا سقته السماء والعيون ، وإن كان بعلاً أو سقي
بالنواضح ففيه نصف العشر ، ولا زكاة في تين ولا جوز ولا لوز ، ولا في
الفواكه كلها ، رطبها ويابسها ، وتخرج زكاة النخيل والأعناب ، وتخرج

(١) بياض بالأصل ، وقد زاد المحقق في أسفل الصفحة الزيادة التالية :

فشانان إلى ميتين ، فإن زادت واحدة على المائتين ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة .

زكاة الزيتون من زيتته إذا عصر ، ولا زكاة على أهل الذمة : رجالهم ونسائهم ، ولا في شيء من أموالهم ، ولا مواشيهم ، إنما عليهم أداء الجزية وإن ضربوا من بلد إلى بلد فعليهم العشر بعد أن يبيعوا . وعليه أن يعدل في قبض الزكاة ، وتوزيعها على الثمانية أصناف الذين سماهم الله ، فإن لم يجد في بلاده جميعهم عادت حصص المفقودين منهم إلى أولياء الحق ، الذين يجاهدون الكفار والملحدين ، على ما يراه قواد أمير المؤمنين المتصرفين ^(١) بالمغرب ، وألا يستأثر منها بغير الثمن الذي أوجبه الله للعاملين عليها ، غير متزيد ، ولا متجاوز له ، ولا يبق في شيء ، من البلد المصروف إليه مرصداً يأخذ فيه من محتاز أو عابر سبيل شيئاً . ولا يتعرض لهم في إتاوة ولا قبالة ، ولا مغرم من المغارم ، ولا رسم من رسوم المآكل ، ولا ظلامة ولا كلفة يعود أثقلها على أموالهم في بره وبحره .

وأمر أن يعرف للمؤلفة قلوبهم وأهل الطاعة السابقين لهم حقوقهم ، ويقرب منازلهم ، وأن يجمع أهل العداء والظلم وقاطع السبل حتى تأمن طرق المسلمين بأرضه فلا تهتك حرمة ، ولا تستهلك نعمة ، ولا يبطل حل ، ولا يعطل حد حتى تكون الأمة سواء في عدل أمير المؤمنين وفضله ، وينال المقيم والظاعن بركة عهده ، وأن يلتزم إنهاء الأخبار على وجهها ، واستطلاع الرأي فيما أظله منها مما لم يقع في عهده هذا فيأتي ما أتاه منها على بيان وهداية إن شاء الله ويستشعر الحزم والعزم والمناصحة ، والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه والفاسقين عن طاعته . فمن قرأ عهد أمير المؤمنين هذا من أهل قبيلة أطانة ، أو قرىء عليه فليسمع لأبي العيش بن أيوب ، وليطع فإنه حجة له ولسامعيه إذا عملوا بما فيه ، وحجة له عليهم إذا خالفوه ، والله المستعان لارب غيره .

المقتبس لابن حيان ١١١ - ١١٤

(١) هكذا وردت في الأصل والصواب المتصرفون .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

١١٩ - الكتاب الذي وجهه الحكم المستنصر بالله الأموي إلى الآفاق وإلى جميع عماله وولاته وكتابه يخبرهم بحربه في المغرب الأقصى ، وظفره على الحسين بن قنون واستنزاه إياه من حصونه

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله المحيط الذي لا يحاط به ، والظاهر الذي لا يظهر عليه ، الواحد الذي لا يكثر ، والقادر الذي لا يقادر ، مقدر الأقدار ومصرف الأعصار ، ومكور الليل على النهار ، المتعالي عن العيان والممكن بكل مكان ، والموصوف بما علمنا من صفاته ، المعروف بما أُرانا من آياته ، المعين على طاعته بقدرته ، الميسر لموجبات جنته ورحمته ، الذي انطلق كل شيء خلقه برحمته ، وألزمه الدليل على الافتقار إليه ، وأوقعهم تحت مهانة الفناء ، قبل خلقه لهم ، ولم يجعل لأحد منهم أجلاً معروفاً ليسكن إليه ، ولا أمداً مكشوفاً يطمئن إليه ، بل أبقاه على شك من كرة لحظ أوردته نفس . وأرسلهم بين أمد ممدود وأجل محدود ، حتى - إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - فتبارك الله أحسن الخالقين - والحمد لله الذي اصطفى من عباده صفوة ، اختصهم بكرامته ، وأعزهم بفضيلة نبوته . وجعلهم وسائط بينه وبين عباده ، فأيدهم بالسلطان والبرهان وعضدهم بالآيات والبيّنات ، والشواهد المعجزات ، وبعمهم مبشرين ومنذرين مرغبين في ثوابه ، محذرين من عقابه ، يتلو بعضهم بعضاً من كل جيل وعلى كل زمان . ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكاناً ، وأرفعهم لديه منزلة محمد ﷺ وأرسله إلى الناس كافة ، بدين الإسلام الذي نسخ الأديان ، ونهج به مناهج الإيمان : وأيده بالقرآن ، والحجة القاطعة والبرهان ، فدعاهم إليه تبارك وتعالى ودلهم عليه ، وشرع لهم شرائع طاعته ، وأوضح لهم الأعمال الموجبة لجنته وأفصح عن الحلال والحرام ، والمفروض والمسنون وأرأهم الصراط المستقيم وهداهم السبيل المستبين ، وأنباهم أن الإسلام دين أصفیائه ، وملة أنبيائه

وأوليائه ؛ الذي كرم الله دعوته ، وأفلج حجته ، وأعلى منزلته ، وجعل كلمة
حزبه العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وأظهر فضله لقوله تبارك وتعالى :
(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ^(١) وقوله : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ^(٢) . وقوله : (إن الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ^(٣) فجاهد ﷺ حق جهاده
من رغب عنه ، أو أبى منه ، أو فارق جادته ، أو أخرج رأسه من ربقة
حتى أبان الله عز وجل فضله وكثر عدد أهله ، ودخل الناس أفواجاً فيه
ولزمت به الحجة ، وارتفعت عنه الشبهة ، وقامت به المصرة ، وتمت نعمة الله
على من اعتقده وأرشده ، ووقفه وسدده ، وجعل له نوراً بين يديه ، ومن
خلفه . ثم رفعه الله تبارك وتعالى إليه عزيزاً عليه ، مكرماً عنده أثيراً
عليه ، وجعله الشهيد على جميع العالمين ، وأفرده بالشفاعة يوم الدين ، إكراماً له
ومن آمن به ، ﷺ وعلى جميع المرسلين وعلى آله الطيبين ، وسلام عليه
وعليهم في العالمين . والحمد لله الذي اصطفى من عترته ، وانتخب من دوحته
خلائف في أمته حملة لستته ، وحفظة على شريعته ، رعاة لخلقه ، قومة بعقوده
وجعلهم خلفاء على عبادته ، زادة عن حزبه ، علماء بهم ، وتكريماً لهم ، وتركياً
لبصائرهم ، وتنبيهاً على فضل سرائرهم ، فقاموا بحقه عليهم ، ولم يرضوا من أحد
بغير مارضيه الله لهم ، ولا أغمضوا على داخله أذخها مارق ، ولا شبهة
قام بها فاسق ، ويتعاقبون ذلك بينهم ، ويورثه سالفهم خالفهم ، حتى أورث
الله تعالى مقالهم ، وارث شرف أنسابهم ، وحائز كرم أحسابهم ، والمهتدي
بهديهم ، والمتحمل على سننهم ، والسائر سيرتهم ، والرافع لعلم مناقبهم ، أمير

(١) سورة آل عمران الآية ١٩

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢

المؤمنين بجميل نظره فيما قلده الله من رعاية خلقه ، فأعمل ذلك جهده وصبره وكده ، حتى عاد الدين غصاً على حاله في عهدهم ، واجتمع الناس على أوضحه منهاجاً وأعدله طريقة ، وأهداه سبيلاً ، وصاروا على الحق أعواناً ، وفي تعاطيه بينهم إخواناً ، واطمأنت بهم قواعد الإيمان ، واعتدلت بعمله عليهم صروف الزمان . فالصلاح شامل ، والخير شائع ، والسبل مبسوطة ، ودروب المسالك محصنة ، وأطرافهم مثقفة ، وعدو الاسلام مقموع ، وأيدي المسلمين عليهم غالبية ، فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم . ولما كف أمير المؤمنين غرب المشركين ، ودفع بأسهم ، وأوقعهم تحت الخشية والذلة ، وانخسوع له والاذعان إليه ، صارت أوامره ونواهيته نافذة عندهم ، وماضية لديهم ، عاد بشرف نفسه ، وعلو همته ، وتمكن رغبته ، في رعايته المسلمين ، حيث كانوا وحمائهم ، وتحصين شرائعهم ، وجهاد المتطاولين إلى تبديلها ، ونقض ما أحكمه الكتاب والسنة منها ، من أرباب البدع ، وغواة التشيع ، وأئمة الإلحاد المارقين عن الدين ، إخوان الشياطين ، فكان أول جانب من فواجهم رد إليه نظره ، ووكل به همته ، جانب المغرب لقربه منه ، وانكشف ما كان يركبه أهله به من سوءهم تبديل دينهم ، والدخول بينهم ، وبين ربهم وإخراجهم عن سنة نبيهم ﷺ ، وما أمضاه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من أحكامهم على سبيل إجماع أسلافهم وما ينالونهم في التوقف عن ذلك من انتهاك حرمتهم ، واستحلال محارمهم ، إذ لم يسعه الإمساك عن تلافيهم ، وانتشالهم عن أيدي المردة الظلمة لهم . وقد بسط الله يده ومكن له في أرضه ، وأعز من سلطانه ، وكثر عدده ، وقامت حجته عن وجهه عليه بما آتاه الله من فضله وأحضره إياه من توفيقه وإرشاده ، واستهلاله لكل جليلة في ابتغاء مصلحة من مصالح المسلمين ، بكرمه بما جليها ، ويدخر له خير آجلها ، ويثبت قدمه في السعي لها ، ويؤتي أعوانه وأصحابه في كل ذلك عزماً نافذاً ، ورأياً ثاقباً

ونية لا تدخلها فرة ، ولا تعثرها سامة ، فأبى الله تعالى جنده ، ونصره وأعلاه ، وأظفره بمن قد كان جاهره بمصية وأعلن مخالفته وتجانف عن طاعته ، وأخذ له بناصيته ، وأوقعها تحت رغبته ورهبته ، حتى استوثقت الطاعة في جميع بلاد المغرب ، وقامت الدعوة بمنابر قواعده ، وارتفعت الخطباء عليها بما يجب من تعظيم الله عز وجل وتحميده وتمجيده ، والثناء على رسوله ﷺ ، وأجيلة ذلك بالدعاء لأمير المؤمنين وجماعة المسلمين .

ولما أن عاد الوزير القائد غالب مولى أمير المؤمنين إلى البصرة للذي كان يلعبه من تحريك الفاسق ابن الفاسق بلقين بن زيري إلى جانب تاهرت واستقر بها عاملاً على التقدم إليه ، حاول الحركة إلى الجانب الذي يليه كر عدو الله راجعاً ، وعاد على عقبه ناكصاً ، قد ملأ قلبه ذعراً ، وجوانحه فرقاً ، عهد أمير المؤمنين إليه أن لا يتقدم عن مكانه إشفاقاً من معرة الجيوش على من يليه من أولياء الطاعة إلى جانب فاس وما يليها ، وأن يذهب بالكثير من معاشهم وأقواتهم ، إذ كانت زروعهم غير مستحصدة ولا متمكنة ، فأناه وجوه من رجال فاس وذلك المغرب كله ، ووجه إليه عبد الكريم بن يحيى ومحمد بن حسن صاحباً عدوتي فاس رهائنهما ، ووجه علي بن خلوفاً التيلي بابنه ورهائنه أيضاً وتوالى عنده رسل بني أبي العافية سائلين موالاتهم من عز سلطانه ، ورفع عنهم من بأس الفرقة الضالة المضلة التي كان أطبق عليهم وأحاط بهم مستظهرين بذلك على خالص معتقدم وتمكن طاعتهم والتزامهم إياها مخلصين وإجابتهم إياها مهطمين ، وإحراقهم منابر الضالين المعمورة بما لا يرضي الله تعالى جده ولا رسوله ﷺ ، وامثالهم مذهب الجماعة في صلواتهم وأذانهم وسننهم وأحكامهم ، وضربهم السكك باسمه وعلى عياره ، فتمت بذلك نعمة الله تعالى على أمير المؤمنين وعليهم به ، واستلكت طاعته أضغانهم ، وألفت بين قلوبهم ، وتضافرت على المخالفين أيديهم ، والحمد لله رب العالمين .

وأمير المؤمنين يأمر أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك ، تسر المسلمين

بما تضمنه ، ويحمدوا الله عليه إن شاء الله ، وهو المستعان ، وكتب في صدر
ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

المقتبس لابن حيان ١٧٨ - ١٨٢

ب - شؤون داخلية

١٢٠ - مرسوم أصدره عقبة بن الحجاج السلوي يجعل مهدي بن
مسلم قاضياً في قرطبة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي
ابن مسلم حين ولاء القضاء ، عهد إليه بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع
مرضاته ، في سراره وعلائحته ، مراقباً له مستشعراً لخشية الله ، معتصماً بحبله
المتين ، وعروته الوثقى ، موفياً بعهده ، متوكلاً عليه ، واثقاً به ، متقياً منه :
فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ إماماً يهتدي بنورها
وعلماً يعيشو إليها ، وسراجاً يستضيء بها ، فإن فيها هدى من كل ضلالة
وكشفاً لكل جهالة ، وتفصيلاً لكل مشكل ، وإبانة لكل شبهة ، وبرهاناً
ساطعاً ، ودليلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما في القلوب ، وهدى ورحمة
للمؤمنين .

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد وقولية القضاء الذي
رفع الله قدره ، وأعلى ذكره ، وشرف أمره ، إلا لفضل القضاء عند
الله جل جلاله ، لما فيه من حياة الدين ، وإقامة حدود المسلمين ، وإجراء

(١) ليس واضحاً تاريخ هذا المرسوم ولكن يظن أنه في عهد أحد خليفتي إمام
الناصر أو ابنه الحكم .

الحدود على مجاريها على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من وجبت له ولما رجا عنده فيما يمضيه ويتقدم فيه ويحكم به من إيثار حق الله عز وجل وطلب الزلفى لديه والقربى إليه ، وأن يحاسب نفسه في يومه وغده فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها ، الباهظ عبؤها ، فإنه يحاسب وموعد .

وأمره أن يواسي بين الخصوم بنظره ، واستفهامه ، ولطفه ، ولحظه واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلي به ، ويستأنى بكل عي اللسان ناقص البيان ، فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق الله تعالى عليه قاضياً ، وللواجب فيه راعياً ، فقد يكون بعض الخصوم الحسن بحجته ، وأبلغ في منطقته ، وأسرع في بلوغ المطلب ، وألطف حيلة في المذهب ، وأذكى ذكاء ، وأحضر جواباً من بعض ، وإن كان غير الصواب مرماه وخلاف الحق منهاه ، فإن لم يتعاهد القاضي مثل هذا ، ويجعله من القربات إلى الله عز وجل بالتحفظ والתיقظ والاسترابة والاحتباس من أهل الخب واللد والعناد والتلبس بشهادات الزور وتحيف الحقوق أهلك القوي الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه . وفي تقدم القاضي في النظر في ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب الله فيه إثبات الحق ... الباطل : إن الباطل كان زهوقاً .

وأمره أن يكون وزرائه وأهل مشورته والعينون له على أمر دنياه وآخرته أهل العلم والفقه والدين والأمانة من قبله ، وأن يكتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ممن في غير ناحيته ، ويقابل آراء بعضهم ببعض ، ويجهد نفسه في إصابة الحق ، فإن الله جل ثناؤه يقول في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد عليه السلام : وشاورهم في

الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (١) . وأن يكون حجاباً وأعوانه ممن يستظهر به على ما هو لسبيله أهل الطهارة والعفاف ، والطلب لأنفسهم والبعد عن الدنس ، فإن أفعالهم منسوبة إليه ، ومنوطة لديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ، ولم يعلق به ريب إن شاء الله .
وأمره أن يديم الجلوس والقيود لمن استرعاه الله أمره ، وقلده شأنه وأسند الحكم له وعليه ، ويقل السأمة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف إليهم قلبه ، وذهنه ، وشغله ، وفكره ، وفهمه ، ولسانه ، بما يوسعهم به عدلاً ، وإنصافاً ، وإصلاحاً ، واستصلاحاً ، فإن في ذلك قوة لمنبتهم ، وإحياء لتأصيلهم ، وتحقيقاً لجليل ظنونهم ، وثقة منهم بورعه وزاھته وطيب طعمته ، فإن فيهم الضعيف عن التودد ، والزمن الثقيل . وعليه في كل وقت التعمد ووهناً لأهل التلدد والفجور والتفحم في ملتبسات الأمور ، وأن يكون قعوده لهم وتصرفه في النظر بينهم بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك أقوى له وأتقن لما يحكمه ويبرمه من سياستهم وتدبيرهم إن شاء الله .

وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ، ويستقصيها حتى لا يبقى شيء منها ، ومن الزكّين تزكيتهم ، ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين ، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين والأمانة والثقة والدعة ممن يعرفهم ، ويطن أحوالهم ، ولا يعجل بإمضاء حكم حتى يستقصي حجج الخصوم وبيناتهم ومزكيهم ، ويضرب لهم الآجال ، ويوسع فيها عليهم ، حتى تنجلي له حقائق أمورهم ، وتنكشف له أغطيّتها ، فإذا أتى عليها علماً ، وأيقنها إيقاناً ، لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده وعند من يشاوره من فقهاءه .

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمره أن يطالع بكتبه في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المؤامرات
فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج إليه في النوازل : إبراهيم بن
حرب القاضي ، ليرد عليه منه ما يعمل به وتمثله ، ويقتصر عليه وبصير
إليه ، لتكون موارد أموره ، ومصادرها ، ومبتدأ فواتحها بالتسديد ،
مقرونة خواتمها بالتأييد ، إن شاء الله .

هذا عهدي إليك ، وأمرني إياك ، وإسنادي إليك ما أسنده ، وتفويضي
إليك ما فوضت ، فإن تعمل به مؤثراً رضا الله وطاعته ، قائماً بالحسبة ،
مؤدياً حق الأمانة ، يكن حجة بين يديك وظهيراً لك ، وإن لم تعمل
به يكن حجة عليك . وإذن أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك
ويوفقك ويسددك ، إنه خير موفق ومعين ، وصلى الله على محمد .

قضاة قرطبة للحشني ٩-١١

١٢١ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر بالله الخليفة الأموي إلى
وزير جعفر بن عثمان الذي مرض مرضاً شديداً أشفى منه على
الموت ، فأرسل إلى الخليفة كتاباً يسأله أن يخلفه في أهله . وقد أجابه
الخليفة بما يلي ، علماً أن الوزير شفي من مرضه بعد فترة ، وكان ذلك
سنة ٣٦١ هـ .

قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك ، ووقع بأسك ، وارتفاع رجائك
فغظم علينا ذلك ، وكثر غمنا به وأشفقنا منه ، وزجوا أن يأتي الله بخير
ويعقب بما فيه . فإن كان ما لا بد من كونه قريباً أو بعيداً ، أو تخطانا ، فكل
ما سألت ورغبت في نفسك وأهلك ومن تتخلف فعلى أفضل الذي رغبته
وأردته وأملته ورجوته ، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا ، ولما بلوانه
من شكرك ومحمود حرماتك ومحمود صحبتك ، وإن لم يرد علينا من قبلك
وناحيتك قط ما أغمنا ولا ما أنكرنا ، ولا سوءتنا قط بشيء ظاهر أو باطناً .

الوثائق ١٤

فإن تكن المصيبة فإننا لله وإننا إليه راجعون ، وإن تكن العافية فالحمد لله رب العالمين على جديده أفضاله ، وجميل بلائه ، وعلى كل أحواله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

١٢٢ - نداء أمر قاضي قرطبة زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله ان ينادى به بعد صلاة الجمعة من عام ٥٣٦٣ هـ يحث الناس على أداء زكواتهم وإخراجها للفقراء .

أمر القاضي محمد بن إسحاق بن السليم أن ينادى بالناس عند أبواب المسجد الجامع في قرطبة بما يلي :

أيها الناس - رحمكم الله - يقول لكم القاضي - وفقه الله - إنه ليس بنائب عنكم ما فيه ضعفاؤكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة ، فحصلوا زكاة أموالكم ، وكفارة أيمانكم ، ووصايا أموالكم ، وعجلوا بها على فقرائكم ومحاوليكم ولا تناسوهم ، فهم غداً خصاؤكم عند الله ربكم ، وهو شهيد عليكم لارب غيره .

المقتبس لابن حيان - ١٤٩

١٢٣ - مرسوم أصدره الحكم المستنصر بالله الأموي بإسقاط سدس مفرم الحشد سنة ٥٣٦٤ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أمير المؤمنين لم يزل منذ اصطفاه الله تعالى لخلافته ، وارتضاه لحمل أمانته ، وقلده أعباء بريته ، ناظراً لجميع المسلمين حامياً عنهم ، مهتلاً بأمورهم متماهداً لأحوالهم ساعياً فيما يرفه عنهم ، ويرغد عيشهم ويرضي لهم ، ويصل جبل جماعتهم ويسط العدل والأمن فيهم ، تهون عليه في ذلك رغائب الأموال ونفيسات الذخائر وجلائل الأعلاق ، فيأبى ودعاهم ، ويرفع عنهم ، ويرعاهم بعين عن مصالحهم غير نائمة ، وجوانح على النصيحة لهم منطوية ، ونفس قد حشاها

الله عليهم رأفة وملأها رحمة ، لا يشغله دانيهم عن قاصيهم ، ولا حاضرم عن
باديهم ، ولا يليه ما بسط له من ملكه وعز سلطانه وعلو أمره ، وتمكين
الله - تبارك وتعالى - له عن العناية بعلم حق يرفعه ، وتوهين باطل يضعه ، وبحكم
عدل ينفذه ، وتخفيف مغرم يرجو ثوابه ، فكان أول ما استقبل به نعمة الله
في استخلافه إياهم وإكرامه له بصرف أمر الأمة إليه ، أن أسقط من
الجبايات المستقرة على الرعية أعداداً عيً ذوي الادراك عن حصرها ، وشع
في العالمين ذكرها ، وأبقى الله عز وجل له فخرها وأجرها ، بما لم تكن
الخلفاء - رضي الله عنهم - مع عظيم فضائلهم وجليل مآثرهم لتسخو ولا
تطيب نفسها عنه ، فهانت عليه في التزلف إلى ربه ، واحتقرها في استصلاح
رعيته ، ثم لم يكتف بذلك ولا أقنعه ، حتى وضع عن الرعية بعد قليل مثله
وشفعه بشبهه ، باذلاً له بنفس متسعة لفعل الخير ، وباع رحيب بيسط الفضل
وهمة أكبر من الدنيا ، يقارض ربه فيحسن مقارضته ، ويتاجر به فتربح تجارته
فكلما جدد الله تعالى له صنماً زاد في ملكه تمكيناً ، وعلى أعدائه ظهوراً
إزداد لله خشوعاً ، وبنعمته اعترافاً ، ولفضله عليه شكراً ، وإلى من قلده
أمره إحساناً . وأن أمير المؤمنين ، لما تظاهرت آلاء الله تعالى عليه ، وحسن
بلائه عنده ، رأى أن يجدد له الشكر ، ويمتري فيه الزيد بإسقاط سدس
جميع معزم الخشود الواجب تقاضيتها منهم لسنة أربع وستين وثلاث مئة
تخفيفاً ، عن رعيته وإحساناً إلى أهل مملكته ، وعهد أن يكون هذا الاسم
المسقط مكشوفاً لجميع الرعايا ليعبد عن احتيال العمال ويسوغ الرعية النعمة
به ، ويستوي في معرفته العالم والجاهل ، واليقظ والذاهل . فإذا ورد عليك
كتاب أمير المؤمنين هذا فاحتفل في إنذار الناس بأقطار عملك ، ولا يتخلفن
منهم إلا من عذر أحد عنك ، وأمر بقراءته عليهم إثر صلاة الجمعة ليفهمه
قاصيهم ودانيهم . ويحمد الله عز وجل على ما وهب لهم من رأفة خليفتهم

وكريم نظر إمامهم لكافهم ، فيستندرون عونه بالشكر ، ويستلهمونه المون
على القيام بحقه ، وأداء مفروض طاعته والنصيحة له ، فإنه يستجيب للداعين
وزيد الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، إن شاء الله ، وهو المستعان .

المقتبس لابن حيان ٢٠٧ - ٢٠٨

١٢٤ - رسالة أرسلها الخليفة الحكم المستنصر بالله الأموي إلى أصبغ

ابن محمد بن فطيس يوليه نصف كورة رية

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإنما تستدام النعمة بشكرها ،
وتعرف النصيحة باستعمالها ، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها
وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة ، فاسع للمحافظة
عليها بمقدار عقلك وكفايتك ، أو بحسب نقصك وتقصيرك ، فاستعن بالله
وخذ بالرفق في أمرك ، وقلة الرعية في شأنك ، واجتنب التحامل على
رعيته ، فإنها من حفي عناية أمير المؤمنين بموضع لا يترك معه البحث عن
أحوالها والكشف عن سيرتك فيها إن شاء الله . ورأى تقليدك شطر
كورة رية ، وهي من أم كور الأندلس عليه ، برأً وبحراً ، وجباياتها
وضياعها . فانظر أي خادم تكون ، وشاكراً للنعمة تظهر ، إن شاء
الله تعالى .

المقتبس لابن حيان ٧٧ - ٧٨

٣ - علاقات خارجية -

١٢٥ - محاورة بين الحكم المستنصر بالله الأموي وبين ملك

جيلية أردون .

بلغ أردون ملك الجلالة عزم الحكم على غزو بلاده ، فحضر بنفسه

مع عشرين شخصاً من أكابر دولته ، ليثني الحكم عن عزمه وليعقد معه صلحاً . فلما دخل عليه استقبله الحكم أفضل استقبال . ثم دار بين الملكين حوار هو التالي :

قال الحكم لأردون :

ليسرك إقبالك ، وينبطك تأميلك ، فلدينا من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما طلبته .

فقال أردون بعد أن قبل البساط :

أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتورك^(١) على فضله ، القاصد إلى مجده الحكم في نفسه ورجاله ، فحيث وضعني من فضله ، وعوضني من خدمته ، رجوت أن أتقدم فيه بنية صادقة ، ونصيحة خالصة .

فقال الحكم :

أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا ، وسينالك من تقدينا لك وتفضيلنا إياك على أهل ملتك ما ينبطك ، وتعرف به فضل جنوحك إلينا واستظلالك بظل سلطاننا .

فقال أردون :

إن شائجة ابن عمي تقدم إلى الخليفة الماضي مستجيراً به مني ، فكان من إعزازه إياه ما يكون من مثله من أعظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم وأملهم . وكان قصده قصد مضطر قد شتأته رعيته ، وأنكرت سيرته ، واختارتي لمكانه من غير سعي مني - علم الله ذلك - ولا دعاء إليه ، فخلعته وأخرجته عن ملكه مضطراً مضطهداً ، فتطول عليه - رحمه الله - بأن صرفه إلى ملكه ، وقوى سلطانه ، وأعز نصره . ومع ذلك فلم

(١) المعتمد .

يقم بفرض النعمة التي أسديت إليه ، وقصر في أداء المفروض عليه ،
وحقه وحق مولاي أمير المؤمنين من بعده . وأنا قد قصدت باب أمير
المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني وموضع أحكامي ، محكماً له في
نفسي ورجالي ومعالي ومن تحويه من رعيتي ، فشتان ما بيننا بقوة الثقة ،
ومطرح الهمة .

فقال الحكم :

قد سمعنا قولك ، وفهمنا مغزاك ، وسوف يظهر من إقراضنا إليك على
الخصوصية شأنه ، ويترادف من إحساننا إليك أضعاف ما كان من أيننا
- رضي الله تعالى عنه - إلى نذك ، وإن كان له فضل التقدم بالجنوح إلينا
والقصد إلى سلطاننا ، فليس ذلك مما يؤخرك عنه ، ولا ينقصك مما أئلفناك
وسنصرفك مغبوطاً إلى بلدك بذلك كتاباً يكون بيدك تقرر به حد ما بينك
وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد إلى يدك ، وسيترادف
عليك من أفضالنا فوق ما احتسبته .

نفخ الطيب للمقري = ١ / ٣٦٧ - ٣٦٨

١٢٦ - رسالة جوابية من الحكم المستنصر بالله الأموي إلى العزيز

بالله الفاطمي .

كتب العزيز بالله الخليفة الفاطمي إلى الحكم المستنصر بالله الأموي
رسالة يهجوّه ويسبه ، فرد عليه الحكم برسالة كتب في أولها قصيدة مطالعها
هذا البيت :

ألسنا بني مروان كيف تقلبت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إلى أن قال :

إذا ولد المولود مناتهلت له الأرض واهتزت إليه المنابر

ثم قال :

وبعد : فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولوعرفناك لهجوناك ، والسلام (١) .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي - ٤ - ١٤٩

٩- هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر

٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م

أ- المنصور بن أبي عامر

١٢٧ - رسالة أرسلها المصحفي من سجنه إلى المنصور بن أبي عامر

يستعطفه لعله يطلق سراحه :

هبني أسأت فأين العفو والكرم إذ قاذني نحوك الإذعان والندم
ياخير من مدت الأيدي إليه أما ترني لشيخ رماه عندك القلم
بالت في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

١٢٨ - رسالة جوابية من المنصور بن أبي عامر إلى المصحفي :

أثرت الرسالة السابقة تأثيراً سيئاً لدى المنصور وكان لها نتائج سلبية
إذ أنها زادت غضبه ، وجعلته رجل يصمم على اعتقال المصحفي مدى الحياة
وأجابه بالآيات التالية :

ألا يا جاهلاً زلت بك القدم تبغي التكرم لما فاتك الكرم

(١) أورد المقرئ في كتابه نفح الطيب - ٥ - ٩٨ نصاً مطابقاً لنصنا أعلاه . وأما
ابن خلكان فيذكر الرسالة وحدها ، ويفضل الأشعار ، وذلك في كتابه وفيات الأعيان

أغریت بی ملکاً لولا تثبته ما جاز لي عنده نطق ولا كلام
فاياس من العيش إذ قد صرت في طبق إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا
نفسی إذا سخطت لیست براضية ولو تشفع فيك العرب والعجم^(١)
نفح الطيب للمقري ح - ١ - ٣٨٤

١٢٩ - محاوره بين المصحفي وبين عدد من وزراء المنصور في
مجلس محاكمته .

أتى بالمصحفي ذات مرة لمحاكمته ، وكان في مجلس المحاكمة عدد من الوزراء
من بينهم محمد بن حفص بن جابر . وأحمد بن عباس ، وابن جهور . فلما بلغ
الجلس في آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ إليه بعين أو يد . فلما
أخذ مجلسه تسرع إليه الوزير محمد بن حفص بن جابر ، فعنقه واستجفاه
وأنكر عليه ترك السلام وجفاه ، وجعفر معرض عنه ، إلى أن كثر القول
عنه ، فقال المصحفي للوزير محمد بن حفص :

يا هذا : جهلت المبرة فاستجهلت معلميها ، وكفرت النعم فقصدت بالأذى ولم
ترب مقدمها ، ولو أتيت نكراً لكان غيرك أدري ، وقد وقعت في أمر ما
أظنك تخلص منه ، ولا يسمعك السكوت عنه ، ونسيت الأيدي الجميلة والمبرات
الجميلة .

فلما سمع محمد بن حفص ذلك قال :
هذا البهت بعينه ، وأي أياديك الغر التي مننت بها وعنيت أداء واجبها
أيد كذا أم يد كذا ؟ وعدد أشياء أنكرها منه أيام إمارته .

(١) أورد المقري نفسه في نفح الطيب ح - ٢ - ١٣٢ نصاً يختلف بعض الاختلاف
عن النص أعلاه . وكذلك فعل ابن الأبار في الحلة السبراء ح - ١ - ٢٦٥ - ٢٦٧ . أما
ابن عذاري في البيان المغرب ح - ٢ - ٢٨٦ فيذكر فقط رسالة المصحفي للمنصور
من السجن .

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُجْتَرِي
السُّلَيْمَانِيُّ الْفَزْدَوِيُّ

فقال جعفر المصحفي :

هذا ما لا يعرف ، والحق الذي لا يرد ولا يصرف ، دفعي القطع عن منك
وتبليغي لك إلى منك ،
فأصر محمد بن حفص على الجحد .

فقال جعفر المصحفي :

أنشد الله من له علم بما أذكره إلا اعترف به فلا ينكره ، وأنا أحوج
إلى السكوت ، ولا تحجب دعوتي فيه عن الملكوت .
فقال الوزير أحمد بن عباس :

قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن . وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت
فيه من محتك وطلبك .

فقال المصحفي :

أخرجني الرجل فتكلمت ، وأحوجني إلى ما به أعلمت
فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص فقال :
أسأت إلى الحاجب ، وأوجبت عليه غير الواجب ، أو ماعلمت أن منكوب
السلطان لا يسلم على أوليائه ، لأنه إن فعل ألزمهم الرد بقوله تعالى : (وإذا
حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ^(١)) . فإن فعلوا طاف بهم من
إنكار السلطان ما يخشى ويخاف . لأنه تأنيس لمن أوحش ، وتأمين لمن أخاف
وإن تركوا الرد أسخطوا الله . فصار الإمساك أحسن ، ومثل هذا لا يخفى
على أبي الحسن .

فانكسر ابن حفص ، وخجل مما أتى من النقص .

نفح الطيب للمقري ج ١ - ٣٩٨ - ٣٩٩

(١) سورة النساء الآية ٨٦

١٣٠ - رسالة وجهها إلى هشام المؤيد المنصور بن أبي عامر لما عقد الصلح بينه وبين الموفق . والرسالة من إنشاء أبي المطرف بن المثنى :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مولاي وسيدي وسيد العالمين ، وابن الأئمة الراشدين ، عزيزاً سلطاناً ، منيراً زمانه ، سامية أعلامه ، ماضية أحكامه ظاهراً على من ناواه ، قاهراً لمن عاداه ، كما يجب - أيـد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدي على أحسن ما يكون عليه .

العبد المخلص ، والمولى المتخصص ، الذي حسن مضمرة ، واستوى سره وجهه ، ولاح استبصاره وجده ، وتناهى سعيه وجهده ، في مضمار الجري إلى الطاعة ، وبذل إنعائه واتقياده ، واستبعد إمكانه وإجهاذه ، فيما يفى بتمكين الإمامة المهديّة والخلافة المرضية ، ويشد مباني المملكة المصدقة لتبشير اليمن والصدقة ، والله سبحانه ولي العون والتأييد ، والملي بالتوفيق والتسديد لارب غيره .

وبعد - أبقى الله أمير المؤمنين - فإن كتابي إليه سلف معبراً عن النزغة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكة ، وقديماً نزع الشيطان بين المرء وصديقه والأخ وشقيقه ، وضرب ساعياً بالتشتيت والتشغب ، والتبعيد والتقريب ، بين الأب الحساني الشفيق والابن البر الرفيق ، ثم يعود ذوو البصائر والنهي وأولو الأحلام والحجبا ، إلى ما هو للشحناء أذهب ، وبالتحامل أولى وأوجب وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية الافتراق ، وبالاتصال والاتفاق ، ومحاسنة التباين والخلاف ، وبدو التآلف والانصاف ، وعادت النفوس إلى صفائها ، وانطوت على وفائها ، وخبت نار الفتنة ، وامتد رواق الهدنة ، وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ، والمعروف من الامتزاج في كل الأحوال ، والتشابك وجلاء

الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون . وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين ومولانا وسيدنا ، رضي عي لبنان وشريـكي عنان ، وأليفنا تناصر ، وحليفنا تظافر ، فنحن عن قوس واحدة في نصرتها نرمي ، ومن ورائها نذود جاهدين ونحمي . قدفتنا الجياد في السبق إلى الطاعة وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايمة ، فما نفتأ نسعى في تمهيدها ونذهب ، ولانفك نكدح لها وننصب . والله الكفيل بإنجاحنا بعزته وقدرته وحوله وقوته ، لا إله إلا هو .

وإن الذي عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعي القطيعة عنا ، ما طرد وتأتى ، وسنح وتنبأ ، إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا - أعزه الله - وعين نقيته ، فمن تمسك بعروته وعاد بعصمته ، فقد فاز قدحه ، وتبلغ في ظلم الأمور صبحه ، واستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأي الأصيل ، واستنار بأضوأ سراج ، وسلك على أقصد منهاج ، ولم يزايل الرشاد آراءه ، وصاحب السداد أنخاءه . والله تقدر اسمه لا يزال يعرفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويفسح به آماننا بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أزاحه ، لم أجد في "فسحة ولاغنى" ، ولاسعة من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدي من ذلك على الجلية ، وإعلامه بالصورة ، فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح رسولي وعبدي وخاصتي مملوكه لينهي إليه الحال على حقيقتها ، ويوفيهما بكليتهما ، وأقرن به رسول الموفق ، متحملاً مثل ما تحمله رسولي ، ومتقلداً كالذي تقلده . ولأمر المؤمنين مولاي وسيدي الفضل العظيم في الإصفاء إليهما ، والوعى عنها ، والسماع منهما جميع ما يوردانه ويوضحانه ، ويستوفيانه ويشرحانه ، والتطول بالراجمة فيه بما

يستوجبه ويقتضيه ، واصلاً لزمنته وأياديه إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ / ٥٢٤ - ٥٢٦

١٣١ - رسالة أرسلها إلى المنصور بن أبي عامر ابن عبد البر .

عمر الله ببقاء سيدي ذي السابقتين بهجة أوطانه ، وملكه عنان زمانه ، ومد عليه ظلال أمانه إني - أبقى الله الملك الكريم والسيد الزعيم - لما أضاءت لي أهلة مفاخركم في سماء الفخار ، وأشرقت شمس مكارمكم على مفارق الأحرار ، وأبصرت شمائلك الزهر تهدي إليك من الهمم محامدها ، ومحاسنك الغر توقظ لك من الآمال رواقدها ، أيقنت أنه بحق انقادت لك القلوب بأعنتها ، وتهادت إليك النفوس بأزمتها ، فأليت أن لا ألم إلا بحماك ، ولا أحط رحلاً إلا بفناك ، علماً بأنك نثرة الفخر ، وغرة الدهر ، فتيمنت سارياً في ساطع نورك ، متيمناً بيمين طائرِكَ ، محققاً للربح ، موقناً بالفلج والنجح ، حتى حلت في دوحة الحمد ، وأنجت بدولة السمد ، واستشعرت لبسة الشكر والحمد ، وجعلت أنظم من جواهر الكلام ما يربي على جواهر النظام ، وأنشر من عطر الثناء ما يزري بالروضة الفناء ، وحاشا للفهم أن يعطل ليبي من أقمارك ، أو يخلي أفقي من أنوارك فأراني منخرطاً في غير ملكه ، ومنحطاً إلى غير ملكه . لاجرم أنه من استضاء بالهلال غني عن الذبال ، ومن استنار بالصباح ألقى سنا المصباح . وتالله ماهزت آمالي ذوائبها إلى سواك ، ولاحدث أوطاري ركائبها إلى من مذاك ، ليكون في أثر الوسمي في الماحل ، وعلي جمال الحلي على العاقل ، لسيادتك السنية ، ورياستك الأولية ، التي يقصر عنها لسان إفصاحي ، ويعيا في بعضها بياني وإيضاحي ، فالقراطيس عند بث مناقبك تفتي ، والأقلام في رسم مآثرك تحفى ، وما أمل الجذب في حياة

المخصب ، ولا جذل المذهب برضا المعتب ، كأمل في التعزز بحوزتك ،
 والتجمل بجملتك ، والترفع بخدمتك . فالسعيد من نشأ في دولتك ،
 وظهر في أمتك ، واستضاء بعزتك ، لقد فاز بالسبق من لحظة عين
 رعايتك ، وكنته حوزة حمايتك ، فأنت الذي أمنت بعدله نواب الأيام ،
 وقويت بسلطانه دعائم الإسلام ، تختال بك المعاني اختيال العروس ، وتخضع
 لجلالك أعزة النفوس ، سابقة أشهر من الفجر ، وفطنة أنور من البدر ،
 وهمة أنفذ من الدهر .

لقد فاز من أضحى بكم متمسكاً يشد على تأميل عزكم يدا
 سلكت سبيل الفخر خلقاً مركباً وغيرك لا يأتيه إلا تجلدا
 فأنتم لواء الدين لازال قيماً بأرائكم في ظلمة الخطب يهتدى
 ليهنكم مجد تليد بنيتم أغار سناه في البلاد وأنجيدا
 ومثله ، أبقاه الله سبحانه ، يستثمر إيراقة فيثمر جناه ، ويستمطر
 إيراقة فيمطر حياه ، لاسيما وأني نشأة حقها إحسان أولئك الطاهرين ،
 وإلفها إنعام أكابر الأختيار الطيبين ، وجدير بقولك وإقبالك ، وبرك
 وإجمالك ، من أصله ثابت في أهل محبتكم ، وفرعه ثابت في خاصتكم :

وما رغبت في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده
 فكل نوال كان أو هو كائن فلهظة طرف منك عندي نده
 فكن في اصطناعي محسناً كمجرب بين لك تقرب الجواد وشده
 إذا كنت في شك من السيف قابله فيما تنافيه وإما تمده
 وما الصارم الهندي إلا كفيده إذا لم يفارقه النجاد وغمده
 ولا بأس أن يتطول مولاي بغرس النعمة في أزكي التراب ، ووضع
 الهناء موضع النقب . والله سبحانه يقي مولاي آخذاً بزمام الفخر ، ناهضاً

بأعباء البر ، مالكا لأعنة الدهر . وصنع الله سبحانه لسيدى أُم الصنع
وأجله ، وأفضله وأكمله بمنه ، لارب سواه .

نفتح الطيب للقري ١٢٩ - ١٣١

١٣٢ - بلادغ وجهه المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩١ هـ إلى قواد
جيشه وأفراده وغلمانه بعد غزواته الهائلة لإسبانيا .

غزا المنصور الإسبانيا سنة ٣٩٠ هـ وكاد يهزم ، ولم ينتصر إلا بعد
حرب شديدة هائلة ، وبعد انتهاء المعركة وجه إلى الجنود والقواد البيان
التالي ، وهو من إنشاء كاتبه عبد الملك بن إدريس .
فصل منه :

وكثيراً ما فرط من قولكم أنكم تجهلون قتال المعادل والحصون ،
وتشتاقون ملاقات الرجال الفحول ، فحين جاءكم شانجة بالأمنية ، وقاتلكم
بالشرطة ، أنكرتم ماعرقتكم ، ونافرتم ما ألقتم ، حتى فررتم فرار اليعافير
من آساد الغيل ، وأجفلمت إجفال الرئال عن المقتصين ، ولولا رجال منكم
رحضوا عنكم العار ، وحرروا رقابكم من الذل لديرئت من جماعتكم ،
وشملت بالموجوة كافكم ، وخرجت للإمام والأمة من عهدكم ، ونعمت
المسلمين في الاستبدال بكم ، ولم أعدم من الله تعالى عاجل نصر وحسن
عقبى ، فلا بد أن يتصر دينه بمن شاء .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب - ٧٢

١٣٣ - وصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك المظفر في
مرضه الذي مات به .

يا بني : لست تجد أنصح لك ولا أشفق عليك مني ، فلا تعدين وصيتي
فقد جردت لك رأيي ورويتي على حين اجتماع من ذهني ، فأجملها مثلاً .

بين عينيك ، وقد وطأت لك مهاد الدولة ، وعدت لك طبقات أوليائها
 وغارت لك بين دخل المملكة وخرجها ، واستكثرت لك من أطعمتها
 وعددها ، وخلفت لك جباية يزيد على مايقويك بجيشك وبنفقتك ، فلاتطلق
 يدك في الإنفاق ، ولا يقتص لظلمة المال ، فيختل أمرك سريعاً ، فكل
 سرف راجع إلى اختلال الاحالة فاقصد في أمرك جهدك ، واستثبت فيما يرفع
 إليك أهل البطالة . والرعية فقد استقصيت لك تقويمها ، وأعظم منها
 أن تأمن البادرة ، وتسكن إلى لين الجنبه . وصاحب الثغر قد علمت
 مذهبه . وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه ، والآفة ممن يتولاه ويلتمس
 الوثوب باسمه ، فلاتنم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء الظن
 والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب
 القصر على أتم وجه ، فليس لك ولا لأوليائك شيء يقيم الحث في عين
 بيعته إلا ما تقيمه لوليا من هذه النفقة ، وأما الانفراد بالتدبير دونه ،
 مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فإني أرجو أني وإياك منه في سعة
 ماتمسكنا بالكتاب والسنة . والمال الخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكته
 وعدة لحاجة تنزل بك ، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لاتبدلها
 إلا عند الشدة ، تخاف منها على سائر جسدك ، وأخوك عبد الرحمن قد
 صيرت له في حياتي مارجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي ،
 وأخرجته عن ولاية الثغر لثلا يجد العدو مساعاً بينكما في خلاف وصيتي
 فيسرع ذلك في نقض أمري ، ويجلب الفاقة إلى دولتي . وقد كفيته
 الحيرة فيه ، فاكفني الحيف منك عليه . وكذلك سائر أهلك فيما صنعت فيهم
 بحسب ما قررت به خلاصي من مال الله الذي بيدك . وخلافتك بعدي أجدي
 عليهم مما صرفته إليهم ، فلا تضيع أمر جميعهم ، والحظم بعيني فإنك أبوم
 بعدي ، فخرج ذكورهم باستخدامك ، وألحف إنائهم جناحك ، جبر الله جماعتهم

وأحسن الخلافة عليهم ، وإن اتقادت إليك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل
وإن اعتاصت عليك فلا تلقين بيدك إلقاء الأمة ، ولا تبطرك وبأصحابك
النعمة والسلامة فتنسوا آمالكم في بطون بني أمية وشيعتهم بقرطبة ، فإن
قاومت من توثب عليك فيهم فلا تذهل عن العزم فيهم ، وإن خفت الضعف
فاتبذ بخاصتك وغلماذك إلى بعض المعادل التي حصتها لك ، واختبر غذك
إن أنكرت يومك ، وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنائك
فإني أعرف ذنبي إليهم .

ثم التفت إلى غلمانته فقال :

تنهوا لأمركم ، واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيك
ومولاكم ، ولا تفرنكم بوارق بني أمية ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم ،
وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ، فليس يرأسكم بعدي
أشفق عليكم من ولدي ، وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ، وأن تكونوا
كرجل واحد ، فإن لا يفل فيكم ^(١) .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٨١ - ٨٢

١٣٤ - رسالة أرسلها المنصور بن أبي عامر لما أصبح صاحب السلطنة في

الأندلس إلى الخليفة الفاطمي في مصر :

منع العين أن تذوق المناما	حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس	قد أحلوا بالشرعين الحراما
إن قضوها نالوا الأمانى وإلا	جملوا وزنها رقاباً وهاما
عن قريب نرى خيول هشام	يبلغ النيل خطوها والشاما

الرحلة السراء لابن الأبار ج ١ - ٣٧٥

(١) أورد هذه الوصية عثمان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس - ٨١ هـ وقد نقلها

عن كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الأول ٥٦ - ٨ هـ

ب- ابنا المنصور بن أبي عامر عبد الملك المظفر وعبد الرحمن ناصر الدولة :

١٣٥ - كتاب وجهه هشام المؤيد بن الحكم إلى عبد الملك بن المنصور
ابن أبي عامر يشكره لاهتمامه بأمره ، لأنه دعاه إلى نزهة في قصره
وخدمه حق الخدمة ، ويلقبه في هذا الخطاب بالمظفر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أتم الله عليك نعمته ، وهناك قسمه ، وألبسك
عفوه وعافيته ، لما رأيناك - سلمك الله - من صنع الله الجسم وفضله العظيم
لنا عليك ما شفى الصدور ، وأقر العيون ، استخرنا الله تعالى في أن سميناك
المظفر ، فنسأل الله سؤال إلحاف ، وضراعة ، وابتهاال إليه أن يعرفنا وإياك
بركة هذا الاسم ، ويحليك معناه ، ويعطينا وإياك وكافة المسلمين فضل ما
حملت منه ، وأن يخير لنا ولهم في أفضيته ، ويقرنه بيمينه وسعادته بيمينه
وخفي صنعه ، وكذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا ، وفي الكتب
الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا ، وسائر ما يجري فيه اسمك معنا
ودوننا ، إنافة بمحلك لدينا ، ودلالة على مكانك منا ، وكذلك ما شرفنا فتاك أبا
عامر محمد بن المظفر تلادنا - أسعده الله - بالإنهاض إلى خطة الوزارتين
وجمعناه بهما في التكني على المشيخة والترتيب ، إترك في الدولة . وأنت
الحقيق منا بذلك كله ، وبجميل الزيد عليه ، لأنك تربيتنا ، وسيف دولتنا
وولي دعوتنا ، ونشيء نعمتنا ، وخريج أدبنا . فأظهر ما جددناه لك في الموالي
وأهل الخدمة .

واكتب به إلى أقطار الملكة وتصدقه بشكر النعمة ، أحسن الله
توفيقك ومتعنا طويلاً بمحافاتك ، وآنسنا ملياً بدوام سلامتك ، إنه ولي قادر

عزيز قاهر ، إن شاء الله تعالى (١) .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٨٨

١٣٦ - مرسوم أصدره هشام المؤيد بتلقيب عبد الرحمن بن المنصور

بن أبي عامر بلقب الحاجب المأمون ناصر الدولة :

الحاجب المأمون ناصر الدولة أبو المطرف حفظه الله ، بسم الله الرحمن

الرحيم .

أدم الله حفظك ، وأحسن على الصلاح عونك . رأينا - أكرمك الله -

لما ظهر لنا من جميل طاعتك ، وبدارك إلى ما يلزمك من المناصحة والقيام

بأعباء المملكة على أفضل الطرق المحمودة والمساعي المشكورة تسميتك في

كتبنا إليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك . زائداً على أول أسمائك مظهرة

لأنعمنا عليك . وأنت عندنا أهل لذلك ومستحق به ، فاعتمل فيما ينفذ من

الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك . نسأل الله عوناً شافياً

وتأكيداً كافياً إن شاء الله تعالى .

البيان المغرب لابن عذاري ج ٣ - ٤١

١٣٧ - مرسوم أصدره هشام المؤيد بجعل عبد الرحمن بن المنصور

بن أبي عامر ولياً لهده وهو من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص

أحمد بن برد .

هذا ما عهد أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله - أطال الله بقاءه - إلى

الناس عامة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة ، وأعطى عليه صفقة يمينه

بيعة تامة ، بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة ، وأهمه ما جعله الله إليه

(١) أورد صاحب البيان المغرب ج ٣ ، ١٦ - ١٧ نصاً مقارناً كل مقاربة للنص أعلاه .

من إمامة المسلمين ، وخصه به من إمرة المؤمنين ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يصرف ، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ، ونزل مقدور ذلك به ، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه ، ولم يوردها ملجأً تنعطف عليه ، أن يكون يلقي الله مفرطاً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها ، ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش ، وغيرها من يستحق أن يسند الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ، فمن يستوجه بدينه وأمانته . وهديه وورعه ، بعد اطراح الموادة ، والتبرى من الهوى والتجري للحق ، والتزلف إلا الله عز وجل بما لا يرضيه ، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، عالماً بأن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح ، وموقناً أن لا وسيلة إليه أَرْضَى من الدين الخالص فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده الخلافة ، ويعوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده ، في فضل نفسه وكرم خيمه ، وشرف همته ، وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب ، الناصح الحبيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر - وفقه الله - إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ، فرآه مسارعاً للخيرات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للمأثرات ، وارثاً للمكرمات يرفع بضبعيه إلى أرفع منازل الطاعة ، وينمو بعينيه إلى أعلى درج النصيحة أب منقطع القرين ، وصنو معدوم الغريم . ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه ، ويحوي من حبل المجد بما حواه ، مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - لما أطلعه من مكنون العلم ورعاه من مخزون الأثر ، أمل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأن يتحقق به ما أسنده أبو هريرة إلى النبي ﷺ : « أن لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب

بعضاه ، فلما استوى له الاختبار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مذهباً ، ولا على غيره معداً ، خرج إليه من تدبير الأمر في حياته ، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد مماته ، طائعاً راضياً ، ومجتهداً متخيراً ، غير محاب له ولا مائل له بهوادة . ولا مترك نصح الاسلام وأهله فيه ، وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين - أعزة الله - وأمضى أمير المؤمنين - أعزه الله - عهده هذا وأنفذه وأجازه وبثله ، لم يشترط فيه مشنوية ولا خياراً ، وأعطى على الوفاء بذلك - في سره وجهره وقوله وفعله - عهد الله وميثاقه ، وذمة نبيه ﷺ ، وذمة الخلفاء الراشدين من آلِهِ وآبائه ، وذمة نفسه بأن لا يبدل ولا يغير ، ولا يحول ولا يتأول ، وأشهد على ذلك الله وملائكته ، وكفى الله شهيداً . وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب . وهو - أعزه الله - جازر الأمر ، ماضي القول والفعل ، محضر من ولي عهده المؤمنون ناصر الدولة أبي المظرف عبد الرحمن بن المنصور - وفقه الله - وقبوله لما قلده ، والتزامه بما التزمه . وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ .^(١)

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ٩١ - ٩٣

١٣٨ - رسالة جوابية أرسلها زاوي بن زيري البربري إلى هشام المؤيد وأهل قرطبة عن رسالة أرسلها له هشام المؤيد .

وقعت الفتنة بعد مصرع الناصر بن المنصور بن أبي عامر ، وتحزب أهل

(١) ورد نص هذا العهد الشهير في عدد من أمهات المصادر مثل البيان المغرب لابن عذاري ج ٣ ، ٤٤ - ٤٦ ، وفتح الطيب للمقري ج ١ ، ٤٠٠ - ٤٠٢ ، وصبح الأعشى للقلقشندي ج ٩ ، ٣٦٦ - ٣٦٧ ، والذخيرة لابن بسام ، والمبر لا بن خلدون ، ونهاية الأرب للنويري ، وفي نصوصها خلافاً ييرة لا بد منها .

قرطبة ضد البربر ، وتغلب هؤلاء على أهل قرطبة ، وعجز أهل قرطبة عن دفعهم ، فأرسلوا رسالة عن أسان هشام إلى زاوي ابن زيري زعيم البربر يطلبون منه الصلح . ويرغبونه بالمال والمنصب ، فأجابهم بما يلي :
أما نقض عهد سلطاني ، ومخالفة أصحابي ، فلا سبيل إليه ، وأما السعي في الإصلاح فإني متأدي في تأليف كلمة المسلمين ، فوالله لا قصرت فيه حرصاً مني على ما يقربني إلى الله من قطع الفتنة ، وحقن الدماء ، وإصلاح ذات البين .

البيان المغرب لابن عذاري ج ٣ - ١٠٨

١٠ - المستعين بالله سليمان بن الحكم ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م

١٣٩ - عهد الخليفة المستعين بالله سليمان بن الحكم بالخلافة من بعده

لولده محمد :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين ، لما جنبه الله عليه ، وحببه إليه من الاجتهاد للمسلمين ، والنظر لهم والفكر في عواقبهم ، والحرص على مصالحهم ، والإشفاق من اختلافهم وافتراق كلمتهم ، رأى أن يجتهد لهم لماته ، كما اجتهد لهم في حياته ، بأن يرفع لهم علماً يهتدون به ، وينصب لهم وزراً يلجأون إليه وموئلاً يتعطفون عليه ، يؤلف شملهم ويجمع كلمتهم ويلم شعثهم ، ويسكن نفرتهم ويؤمن روعتهم ، مقتدياً في ذلك بالأئمة المهتدين ، والخلفاء الراشدين الذين نظروا للأمة من بعدهم ، واشفقوا من اختلاف كلمتهم ، وتفرق مذاهبهم عندما يفجؤهم ما لا محيد لهم عنه ولا بد منه بغتات الأقدار ونفاد الأعمار الليل والنهار ، فأطال استخارة الله - عز وجل - والرغبة إليه في إمداده بتوفيقه ومعاضدته بتسديده وحمله على ما فيه الخير له ولجميع المسلمين

وجميل العاقبة في الدنيا والآخرة ، فألقى الله في روعه وثبت في خلده ، وقرر في نفسه ، أن محمد بن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة ، بولاية عهد المسلمين غير محاب له ، ولا آخذ بهوادة فيه ، بل لما قد علمته الخاصة والعامة من تكامل خلال الخير له ، واجتماع أدوات الفضل فيه وما هو عليه في دينه وهديه ، وورعه وفضله ، وطهارة أثوابه ، وعفاف مذهبه وصلب نفسه واكتمال همته ، وسعة علمه ، وكمال أدبه ، واضطلاعه بأعباء الخلافة ، ومعرفته بمغاني السياسة ونفاذه في التدبير والادارة ، فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله تعالى فيه وعزم عليه ، وجعل ولاية عهد المسلمين إلى محمد بن المستعين بالله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج لجماعة المسلمين عما ألزمه الله في حقهم وتبرأ إلى الله مما كلفه في أمرهم ، وأدى الأمانة التي حملة الله في الاجتهاد لجماعتهم ، وقضى ما وجب عليه من الاحتياط في الاختيار لإمامتهم ، مبتغياً بذلك ثواب الله العظيم ، وفضله الجسيم ، نظراً لأمة محمد عليه السلام وتحصيئاً عليها ، واحتياطاً لها ، وهروباً من التقصير في حقها . والله يلهمه وجماعة المسلمين ، الخير والخيرة ، واليمن والبركة ، والسعادة والغبطة ، فيما وفق أمير المؤمنين له ، وألهمه إليه . فأعلم ذلك من عقد أمير المؤمنين وعهده وما أنفذه من فعله ، وتقدم إلى أصحاب الصلوات في جوامع عمالك بالدعاء له في خطب الجمع بما أدرجنه طي كتابنا هذا ، والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه في جماعة المسلمين ، بما فيه الخير لهم ، وجميل العاقبة في دينهم ودنياهم ، وأن يقارضه بجميل نيته لهم ، وكريم مذهبه فيهم وإنه ولي المجازاة بالاحسان عن الاحسان ، والمتمن بالفضل والامتنان ، إن شاء الله .

وكتب في النصف من جمادى الآخرة سنة ٤٠٠ هـ

تاريخ إسبانيا الاسلامية لابن الخطيب ١٢٦ - ١٢٧

١٤٠ - رسالة جوابية من ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة

إلى الخليفة المرتضى .

أرسل الخليفة المرتضى إلى ابن زيري رسالة يدعو به إلى طاعته ، فقلب الكتاب وكتب على ظهره (قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ^(١)) .

١٤١ - رسالة ثانية من المرتضى إلى ابن زيري

قد جئتك بجميع أبطال الأندلس وبالفرنج فماذا تصنع ؟

١٤٢ - جواب ابن زيري المرتضى على كتابه هذا وقد كتبه على

ظهر كتابه .

إليهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ^(٢) .

١٤٣ - رسالة جوابية من خيران إلى ابن زيري .

على أثر الرسائل السابقة تحارب المرتضى مع ابن زيري ، وقد خاف الفتي خيران ، وهو من كبار الفتيان العامريين ، من المرتضى وطموحه ، فخامر ضده واتفق مع ابن زيري أن ينهزم عن معه إذا نشب قتال بين المرتضى وابن زيري . فلما تحارب الطرفان استمرت الحرب أياماً فأرسل ابن زيري إلى الفتي خيران يستنجزه وعده ، فأجابه بما يلي :

(١) سورة الكافرون ١-٦ أورد المؤلف مطلع السورة فأكملناها نحن .

(٢) سورة التكاثر ١-٨ أورد المؤلف مطلع السورة فأكملناها نحن .

إنما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ، ولو كنا ببواطننا معك
ماثبت جمعك لنا ، ونحن تنهزم عنه ونخذله في غد .
وقد تم الأمر كما رسم ، وهزم المرتضى .
نفح الطيب للمقري ٣٠ / ٢

ج - ملوك الطوائف ٤٢٢ - ٤٨٧ / ١٠٣١ - ١٠٩٤

١ - علاقة الملوك بعضهم بعضاً .

١٤٤ - بيان أذاعه القاضي ابن عباد حاكم إشبيلية ، لما اكتشف
شخصاً يشبه الخليفة هشام المؤيد فأعلنه خليفة وأذاع البيان التالي :
أن اشكروا الله على ما أنعم عليكم به ، فهذا مولاكم أمير المؤمنين هشام
قد صرفه الله عليكم ، وجعل الخلافة ببلادكم لمكانه فيكم ، ونقلها من قرطبة
إليك ، فاشكروا الله على ذلك .

دول الطوائف لعنان - ٣٨

١٤٥ - رسالة المعتضد بن عباد إلى يحيى بن ذي النون .

استولى يحيى بن ذي النون على قرمونة من ابن برزال ، فأراد المعتضد
أخذ هذه البلدة لنفسه ، وكان يعلم أن يحيى يطمع في قرطبة ، فأرسل إليه
سراً يقول :

إن قرمونه قريبة من بلدي ، وهي أليق بي لأنها بعيدة عن بلادك
فاصرفها إلي ، وتكون يدي ويدك واحدة على مدينة قرطبة حتى تكون
لك (١) .

(١) ذكر لسان الدين بن الخطيب في تاريخ إسبانيا الإسلامية - ٢٣٨ . نصاً قريباً من
النص أعلاه .

فأجابه ابن ذي النون إلى ذلك بعد أن توثق منه بالآيمان، وسلمه قرمونة ، فشحنها بالرجال والأسلحة ؛ ولم يف له فيما يتعلق بقرطبة . وحاول ابن ذي النون احتلال قرطبة ، ولكنه عجز واستغاث أهل قرطبة بالمعتمد ابن المعتضد فأنجدها وملكها .

البيان المغرب لابن عذاري ٣ / ٢٨٣

١٤٦ - الكتاب الذي وجهه المعتضد بن عباد ملك إشبيلية إلى ملوك الأندلس . لما تأمر ضد ابنه إسماعيل ، واكتشف المؤامرة فقتله . والرسالة من إنشاء ابن عبد البر كاتب المعتضد .
مقتطفات :

إن الغوي اللعين ، العاق الشاق ، إسماعيل ابني بالولاد لا بالوداد ، ونجلي بالمناسب لا بالمذاهب ، كنت قد ملت بهواي إليه ، وقدمته على من هو أسنى منه ، وحبك الشيء يعمي ويصم ، والهوى يطمس عين الرائي ، إذ يلم ، فأثرته بأرفع الأسماء والأحوال ، ووسعت عليه في خطيرات الذخائر والأموال ، وأخضعت له أكابر رقب الجند ووجوه الرجال ، ودرسته في مباشرة الحروب وأجريته على مقارعة الخطوب . ولم يكن مما أحسبه أني إنما أشحذ على نفسي منه الشفرة ، وأوقد بالتدريب والتخريج تحت حصى الجمرة ، وما كنت خصصته بالإيثار واستعملته بالمكافحة والقرار ، إلا لجزالة كنت أتوسمها فيه ، كانت عيني بها قريرة ، وشهامة كنت أتوهمها فيه كانت نفسي بها مسرورة ، فإذا الجزالة جهالة ، والشهامة شرة وكهامة ، وقد تفتن الآباء بالأبناء ، وينطوي عنهم ما ينطوون عليه من الأسواء ، مع أن الآراء قد تنشأ وتحدث ، والنفوس قد تطيب وتجنث ، بقرين يصلح أو يفسد ، وخليط يغوي أو يرشد ، كما أن داء العرق يعمدي ، كذلك

قرين السوء قد يردي . ومن اتخذ الغاوي خديناً عاد غاوياً ظنيناً (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) .

ويصف الكتاب بعد ذلك أدوار المؤامرة التي دبرها ولده إسماعيل منذ فراره وعوده ، وعفو والده عنه ، ويقول :

فإذا به كالحية لاتغني مداراتها ، والعقرب لاتسلم شباتها ، وكأنه قد استصغر ما أتى ، واستحقر ماجنى ، فزرا وسرا ، ماصارت به الصغرى التي كانت العظمى .

ثم يصف ائتماره بأبيه ، وتسوره القصر ليلاً ، وفشل المؤامرة ، والقبض على المتآمرين .

حتى أظفر الله بهم ، وأقت حدود الله تعالى على الجميع منهم ، وأنفذت حكم العدل فيهم .

ثم حاول أن يبرز تصرفه بما يلي :

فأعجب ياسيدي لأبناء الزمن وأبناء الفتن ، وانقلاب عن الابن المقرب الودود ، إلى الحال الوائر الحسود والناثر الحقود ، واعتبر من ورد المساء من موطن المسرة ، وطلوع المحنة . وقد أربت هذه الحال على كل ماجر عليه عقوق من الأبناء والبنين من السلف المتقدمين ، فلم يكن أكثر مما وجدناه من ذلك في الأخبار والآثار ، استيحاشاً وشروداً ، ونبواً وندوراً إلا ما شذ لأحد ملوك الفرس ، وآخر من بني العباس . وجمع هذا اللعين في إرادته ومحاولته بين الشاذ والناذر ، والمنكر الدائر ، وزاد إلى استيحاشه الذم ، التعرض لإباحة الحرم ، وإلى مارام من إتلاف المهجات ، السافح فيها كان يجري على العورات المصونات . وهو زمان فتنة ، وشمول إحنة ودمنة ، والناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وأصدق من هذا قوله تعالى :

(إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) (١) . نفثت ياسيدي
نفثة مصدور ، وأطلت في الشرح والتفسير ، خروجاً إليك عن هذا الخطب
الخطير ، والملم الكبير ، وهو خبر فيه ممتبر (٢) .

دول الطوائف لعنان ٥٠ - ٥١

١٤٧ - رسالة أرسلها الفتح بن خاقان إلى أحد ملوك الطوائف
مهنئاً بالنصر والتمكين :

أدام الله تعالى أيام الأمير للأرض يتملكها ، ويستدير بسعده فلكها ،
وقد استبشر الملك ، أيدك الله ، وحق له الاستبشار ، فقد أوماً إليه
السعد وأشار ، بما اتفق له من توليتك ، وخفق عليه من ألويتك ، فقد
حيي منك بملك أمضى من السهم المسدد ، طويل نجاد السيف رحب المقلد
يتقدم حيث يتأخر الذابل ، ويتكرم إذا بخل الوابل ، ويحمي الحمى
كربيعة بن مكدم ، ويسقي الظبا نجيماً كلون العندم ، فهنيئاً للأندلس ،
فقد استردت عهد خلفائها ، واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها ،
فكان لم تمت أعاصرها ، ولم يمت حكمها ، ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة
والزهرا ، ونكحها عقائل الروم وما بذلا غير المشرفية مهراً . والله سبحانه
أسأله إظهار أيامك ، وبه أرجو انتشار أعلامك ، حتى يكون عصرك
أجمل من عصرهم ، ونصرك أغرب من نصرهم ، بمنه وكرمه وبمنه .

نفع الطيب للمقري ج ٢ ١٩٦ - ١٩٧

١٤٨ - رسالة من شيخ مجهول إلى المعتصم بن صمادح صاحب المرية
بني المعتصم قصوره المروقة بالصمادية ، واغتصب وكلاؤه جنة لأحد

(١) سورة التغابن الآية ١٤

(٢) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب ج ٣ ، ٢٤٥ - ٢٤٨ نصاً قريباً من النص أعلاه .

الصالحين الفقراء وأحقوها بالصاحبة ، وحاول صاحبها الاتصال بالمعتصم فلم يتمكن ، ولا سيما أن اللجنة كانت لأيتام تحت وصايته ، فاحتال الرجل أن كتب ظلامته ، ووضعها في أنبوب قصبة مشمع ، وألقاها في الساقية التي تدخل وتخترق حدائق المعتصم وبينما كان المعتصم يوماً يشرب على ضفة هذه الساقية شاهد القصبة ، فأمر من أحضرها له ، فلما أزال الشمع وجد في الأنبوب ورقة تقول :

إذا وقفت ، أيها الغاصب ، على هذه الورقة فاذكر قول الله تعالى :
(إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) (١) . لا إله إلا الله . أنت ملك ، قد ومنع الله تعالى عليك ، ومكن لك في الأرض ، ويملك الحرص على مايفنى أن تضم إلى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرضٍ لأيتام حرمت بها حللها وخبثت طيبها . ولئن تحجبت عني بسلطانك ، واقتدرت عليّ بعظم شأنك فنجتمع غداً بين يدي من لايجب عن حق ، ولاتضيع عنده شكوى . فلما قرأ المعتصم ذلك بحث عن الأمر ، فوجده كما ذكر الشيخ في رسالته ، فأعاد اللجنة إليه .

نفح الطيب للمقري ج ٤ / ٢٣٨ - ٢٣٩

١٤٩ - رسالة أرسلها المعتمد بن عباد إلى المعتصم بالله ، وقد اتهمه بالسمي عليه لدى يوسف بن تاشفين :

يا من تفرس بي يريد مساءتي لا تقرضن فقد نصحت لمندم
من غره مني خلألق سهلة فالسم تحت ليلان سم الأرقم
الحلة السيرا لابن الأبار ٢ - ٨٥

(١) سورة ص الآية ٢٣

١٥٠ - رسالة المعتصم إلى عباد شعراً يمدحه وبشكره :

شكري لبرك شكر الروض للمطر	ونفح بشري به أذكي من الزهر
وجاءني خبر عنه فقلت له	بالله قل وأعد يا طيب الخبر
يا واحداً علماً في كل منقبة	جلت ويا ثالثاً للشمس والقمر
لئن حرمت لقاءً منك أشكره	لقد حللت سواد القلب والبصر

١٥١ - جواب المعتصم بن عباد للمعتصم على رسالته سائلة الذكر :

أنفحة الروض رقت في صبا السحر	من بعد ما بات والأنداء في سمر
لا بل تحية محض الود بلغها	بر شريف المعالي ماجد النظر
أما لعمر أبي يحيى لقد وصلت	من بره صلة أحلى من الظفر
يا من وردت الوفاء العمر مرتويماً	من عهده إذ يساقى الناس بالغمر
أحرزت سرو السجاياء ثم قارنـه	ظرف اللسان اقتران الكأس بالوتر
إذا اعتبرت من الأخلاق أنفسها	كنت المنافس فيه السامي القدر
عليك مني سلام لا يزال له	فرض تؤديه آصال إلى بكر

الحلة السراء لابن الأبار ج ٢ / ٨٧ - ٨٨

١٥٢ - رسالة أرسلها إلى المعتصم التجيبي ولده عبيد الله عن

الدولة لما أرسله والده رسولاً إلى يوسف بن تاشفين في أواخر أيامه ،
فاعتقله يوسف ، فأرسلها لوالده من السجن .

أبعد السنن والمعالي خمول	وبعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعد ما كنت حراً عزيزاً	أنا اليوم عبد أسير ذليل
حللت رسولاً بفرناطة	فحل بها بي خطب جليل
وثقت إذ جئتُها مرسلأ	وقد كان يكرم قبلي الرسول
فقدت المزية أكرم بها	فما للوصول إليها سبيل

١٥٣ - جواب والده المعتصم عن تلك الرسالة :

عزيز علي ، ونوحى ذليل على ما أقاسي ودمعي يسيل
لقطعت البيض أغمادها وشقت بنود وباحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه ويوسف أنت فصبر جميل
الحلة السراء لابن الأبار > ٢ / ٨٨ - ٨٩

١٥٤ - رسالة ابن غرسية إلى ابن الحداد .

أرسل ابن الحداد ، أحد الأدباء المقيمين بكنف المعتصم بن صمادح في
المرية سنة ٤٥٥ هـ رسالة إلى ابن غرسية المقيم بكنف علي المرتضى إقبال
الدولة ، يعاتبه لأنه يخص بدائحه إقبال الدولة ، دون ابن صمادح ، فأرسل
له هذه الرسالة ، وهي رسالة عنيفة صيغت بشكل مقذع ، يذم فيها
العرب ويمدح المعجم ، لأن المعتصم عربي ، وإقبال الدولة غير عربي وقد
أثارت هذه الرسالة ردود فعل عنيفة ، وتصدى للرد عليها كثير من الكتاب
فترة طويلة من الزمن .

أأحسبك أزريت ، وبهذا الجيل البجيل ازدريت ، ومادريت أنهم
الصهب الشهب ، ليسوا بعرب ذوي أنيق جرب ، أساورة أكاسرة ، مجد
نجد ، بهم ، لارعاة شويهات ولا بهم ، شغلوا بالمآذي والمران عن رعي
البعران ، وبجلب المز عن حلب المز ، جبابرة قياصرة ، ذوو المغافر
والدروع ، للتنفيس عن روع المروع ، حماة الروح ، نماة الصروح ،
صقورة ، غلبت عليهم شقورة ، وشقورة الخرصان ، لكنهم خطبة بالخرصان
ماضهم أن شهدوا أجماداً أو كافحوا يوم الوغى الأنداداً
أن لا يكون لوهم سواداً

شرهوا برنات السيوف ، لارببات الشنوف ، وبركوب السروج عن

الكلب والفروج ، وبالنفير عن النفير ، وبالجنائب عن الحبايب ، وبالخب
عن الحب ، وبالثليل عن السليل ، وبالأمر والذمر عن معاقرة الحمر
والزمر ، وبالقين عن العقين ، وعن قنيان القيان . طياتهم خطياتهم ،
وغلاتهم آلاتهم ، وحصونهم حصنهم ، أقيال آبائهم من بين الأنام أقتال .

أولئك قومي إن بنوا شيدوا البنا وإن حاربوا جدوا وإن عقدوا شدوا
مُحلمٌ عُلِمَ ، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية ، والعلوم المنطقية الرياضية
كحكمة الأستروميق والموسيق ، والعادة بالأرتماطيقي ، والجومطربيقي ، والقومة
بالألوطيقي والبوطيقي . ماشئت من تدقيق وتحقيق ، حبسوا أنفسهم على
العلوم البدنية والدينية ، لاعلى وصف الناقة الفدنية ، فلامهم ليس بالسفساف
كفعل نائلة وإساف . أصفره بشأنكم ، إذ بزق خمر باع الكعبة أبو
غيشانكم ، وإذ أبو رغالكم قاد فيل الحبشة إلى حرم الله لاستئصالكم .
أزبيدك أم كفاك وذلك أني رأيتك في انتحالك كنت أحق

فلا فخر معشر العربان الغربان ، بالقديم المفري للأديم ، ولكن الفخر
بابن عمنا الذي بالبركة عمنا ، الإبراهيمي النسب ، الإسماعيلي الحسب ،
الذي انتشلنا الله تعالى به وإياكم من العمية والنواية ، أما نحن فمن أهل
التثليث وعبادة الصلبان ، وأتم من أهل الدين المثلث وعبادة الأوثان .
ولاغرو إن كان منكم صبره وسبره ، ففي الرغام يلقي تبره ، والمسك بعض
دم الغزال ، والنطاف العذاب مستودعات بمسك الغزال :

لله ما قد برا صفوة وصفوة الخلق بنو هاشم

وصفوة الصفوة من بينهم محمد النور أبو القاسم

بهذا النبي الأمي أفاخر من تفخر ، وأكابر من تقدم وتأخر ،
الشريف السلفين ، والكريم الطرفين ، الملتقى بالرسالة ، المنتقى للأداء

والدلالة ، أصلي عليه عدد الرمل ومدد النمل . وكذلك أصلي على وأصلي
جناحه ، سيوفه ورماحه ، أصحابه الكرام عليهم من الله أفضل السلام^(١) .
دول الطوائف لعنان ٢٠٥ - ٢٠٦

١٥٥ - رسالة أرسلها المتوكل على الله حاكم بطليوس إلى وزيره
ابن الحضرمي ، الذي أساء السيرة فسجنه ، فأرسل له من السجن
رسالة يستعطفه فأجابه بما يلي :

ياسيدي وأكرم عددي ، الشاكي ماجتته يده لايدي ، ومن أسأل
الله التوفيق في ذاته إذ حرمه في ذاتي ... نعم فإني رأيت الأمر قد ضاع
والإهمال قد انتشر وذاع ، فأشفقت من التلف ، وعدلت الى ما يعقب إن
شاء الله الخلف ، وأقبلت أستدفع من مواقع أنسي ، وأشاهد ما ضيعته
بنفسي ، فلم أر إلا لججاً قد توسطتها ، وغمرات قد تورطتها ، فشمرت عن
الساق للجبته ، وخدمت النفس مبهجتها ، حتى خضب البحر الذي أدخلني
فيه رأيك ، ووطئت الساحل الذي كان يبعدني عنه سميك ... وقد
أطعمت في العدو ، ولبست لأجل دهري الاستكبار والعتو ، واستهنت
بجيرانك ، وتوهمت أن المروءة في التزام زهوك ، وتعظيم شأنك ، حتى
أخرجت النفوس عليّ وعليك ، فأنجذب مكروه ذلك إليك . ومع ذلك
فليس لك عندي إلا حفظ الحاشية وإكرام الفاشية .

دول الطوائف لعنان - ٨٩

(١) لقد أثارت رسالة ابن غرسية هذه مرارة في الأوساط الأدبية المعاصرة ، ورد
عليه كثيرون ، منهم أبو جعفر أحمد بن دودين البنسي . وقد عاش في النصف الثاني من
القرن الخامس الهجري . وأورد ابن بسام رده على ابن غرسية في الذخيرة . ومنهم أبو الطيب
عبد المنعم بن عبد الله القروي المتوفى سنة ٤٩٣ هـ في رسالة عنوانها : حديقة البلاغة
وروجه البراعة بذكر المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية . وكذلك فعل كثيرون مثله .

١٥٦ - رسالة أرسلها بلكين بن باديس حاكم مالقة وجيان وغيرهما لما أصبح حاكماً عليهما بعد وفاة والده ، إلى وزير أبيه ، وقاضيه أبي عبد الله الجذامي ، بتشبيته في الوزراء والقضاء .

هذا ما التزمه واعتقد العمل به بلكين بن باديس ، للوزير القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي ، سلمه الله ، اعتقد به إقراره على خطة الوزارة والقضاء في جميع كوره ، وأن يجري من الترفيع والإكرام له إلى أقصى غاية ، وأن يحمل على الجراية في جميع أملاكه بالكور المذكورة حاضرتها وباديتها الموروثة منها والمكتسبة ، القديمة الاكتساب والحديثة ، وما ابتاع منها من العالي (١) ، رحمه الله ، ومن غيره ، لايئزمها وظيف بوجه ، ولا يكلف منها كلفة على كل حال ، وأن يجري في قرابته وخوله وحاشيته وعامري ضيعه على المحافظة ، والبر ، والحرية ، وأقسم على ذلك كله بلكين بن باديس بالله العظيم ، والقرآن الكريم ، وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له ، وكفى بالله شهيداً . وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان وأربعين وأربع مئة والله المستعان .
الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ٤٤١/١

١٥٧ - رسالة أرسلها إلى أكابر البربر في قرطبة يحيى بن عملي ابن أخي حاكمها القاسم بن حمود ، يفرجهم بعنه ذلك أن القاسم بن حمود تمكنت أحواله في قرطبة ، فحسده ابن أخيه يحيى بن علي حاكم سبتة فأرسل إلى أكابر البربر في قرطبة بمائلي :

(١) العالي هو إدريس بن يحيى ، من بني حمود ، وقد حكم غرناطة وقرمونة ، وادعى الخلافة ولقب بالعالي ، وخلع سنة ٣٨٤ هـ بعد أن حكم أوبع سنين .

إن عمي أخذ ميراثي من أبي . ثم إنه قدم في ولايتكم التي أخذتموها
بسيوفكم العبيد والسودان .

وأنا أطلب ميراثي ، وأوليكم مناصبكم ، وأجعل العبيد والسودان كما هم
عند الناس .

وقد تم الأمر كما رسم ونشبت الحرب بين الطرفين .

نفح الطيب للمقري ٣١/٢

١٥٨ - رسالة أرسلها إلى المهتمد بن عباد مهننا بإحدى الفتوح
عام ٤٧٧ هـ أبو عبيد عبد الله البكري ، أطال الله بقاء سيدي ومولاي
الجليل القدر ، الجليل الذكر ذي الأيادي النر ، والنعم الزهر ، وهناه
مامنحه ، من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر . بطالع السعد يامولاي أبت
وبسائح اليمن عدت ، وبكنف الحرز عدت ، وفي سبيل الظفر سرت ،
وبقدم البر سميت ، وبجنة العصمة أتيت ، وبسهم السداد رميت فأصميت
صدر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد ، وعودته بأجل ماناله عائد ،
وآب به وارد . فتوح أضحكت مبسم الدهر ، وسفرت عن صفحة
البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ، وهزت أعطاف
الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً ، وثنت آمال الشرك كذباً ،
وطوت أحشاء الطاغية رهباً ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاعب ،
ومتعة الحاضر ، ونقله المسافر :

بها تنقض الأحلاس في كل منزل وتمقد أطراف الجبال وتطلق
شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة وشفّت الملة ، وبردت الغلة ،
وكشفت العلة .

كان داء الإشراك سيفك ، واشتدت شكاة الهدى وكان طبيياً ففدا

الدين جديداً والاسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الايمان منصوره ، وعين الملك قريرة . فهنا الله مولانا وهنأنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشبية مواقعها ، المشهورة آثارها ، الماثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ، وفي البر تحل وتعقد وعضد حسامه فبالقسط يسل ويغمد وأيد مذاهبه فباتخرم تسدى وتلحم ، وأمر كتابه في الله تسرج وتلجم . فكم فادح خطب كفاه وظلام كرب جلده ، وميت حق أحياء ، وحي باطل أرداه ، وكم جاحم ضلالة أطفأ ناره ، وناجم فتنة قلم أظافره ومفلول سنة أرهف شفاره ، ومستباح حرمة حمى دماره . فله هذه المساعي الكريمة ، والنازع القديمة المتبلجة عن ميمون النقية ، ومحمود العزيمة فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج للناس يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر . والذي سطع هذا السراج واتهج هذا المنهاج . فلا زالت الفتوح تتوالى عليه وصنائع الله تتصل لديه لإدالة من مشاقيه ، وإدالة لمحاربيه وإبادة لمناوييه . وإن أجل هذه النعم في الصدور وأحقها بالشكر الموفور مامن الله به من سلامة مولاي التي هي جامعة لعز الدين ، وصلاح كافة المسلمين بعد أن صلي من الحرب نيرانها فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها .

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثفرك باسم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعدا ووجهك والاسلام أنك سالم
فله الحمد والابداع والالهام ، وله المنة وعلينا متابة الشكر والدوام
وقد فازت الكف الكليم بأعلى قداح المكوم لدى المقام الكريم . ولإنها
لهي التالية للأصبع الدامية في المنزلة العالية :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من الخشب

نهاية الأرب للنوري ١٤٨/٥ - ١٥٠

١٥٩ - رسالة أرسلها إلى المهتمد بن عباد بأمر المقتدر بالله بن هود صاحب سمرقطة بن إسحاق يخبره بأمر أخيه صاحب لاردة .

سيدي وأعلى عددي وأقوى عمدي ، وأذكى ذخري الأبدي ، ونعمة الله المستطيلة بيدي ، المناهضة بمضدي ، ومن أطال الله بقاءه في عز رفيع المراتب ، وحرز منيع الجوانب ، إذ أحكام الفتن ، وحوادث الزمن لا تزال تحمل على كل من لا يقع بإيثار ، ولا يجري على حكم واختيار ، قرب كريمة لا يلقي المرء عن اقتحامها ممداً ، ومساءة لا يزال عن التزامها مرحلاً ، فقديماً جدّ الجفاء العقوق ، وأبطل التجني الحقوق ، وقد يخرج الحليم ، ويتنيس الحميم ، وتقطع الرحم ، وتنبذ الذمم ، لاسيما عن مجاذبة مایمنع الحسد ، باتراً أواصر الإخاء والاحمال ، وتحاسد القرابة داء قديم ، وخلق في الناس معلوم . وإني - أيدك الله - بليت من المظفر أخي بظالم لا يؤمل منه إنصاف ، ومتحمل لا تستنزله ألطاف ، وحاسد لا يرجي استرضاؤه ، وموجب لنفسه حقاً لا يوجب مضاًؤه ، إذا سأله نصفه أبداً منه أنفه وإن سمته عدلاً مال إلى الجور ميلاً ، وإن خفضت له الجناح الذل ، أوطأ في جهر الجفا ، وإن أقبلت عليه بناظر الود ، أول من صفحة الابداء ، وإن استدنيته شحط ، وإن استرضيته سحق ، وإن حكته تشطط ، وإن أغضيت له تسلط ، وأنا في ذلك كله أحاوله على أخلاقه ، وألبسه على إخلاقه ، وأستمع منه بغير مستمع ، وأرفع منه بغير مرفع ، وعقارب مضرتة تدب وعواصف معرفته تهب ، وأذاه قاصد إليّ في خاصتي ، ومفسد عليّ بطاتي لا يألو في مساتي سعيّاً واجتهاداً ، ولا آلو إلى مسرتي تأنيّاً وانقياداً ، آخذاً بالحجة عليه ، وتقدماً بالجميل إليه ، وطمعت أن تكون نظرة تريه مواقع ظلمه وتعرفه جور حكمه ، ولا يزداد إلا اغتراراً ولا يبدي إلا استكباراً ، إلى أن سوات له نفسه أموراً ، كان فيها اضطلاع الاسلام ،

وحاول أحوالاً تمامها هادية ... ورام معاجلي بالتي ليس فيها استبقاء ولا بعدها
 بقاء ، وسألتي مع هذا الاجتماع بي ليسوسني ... والاذعان إلى مطالبه
 والموافقة في مذاهبه ، فأجبت رجاء أن تكون المشافهة تستلبه ، والملاطفة
 تليته وتغريه ، فأبى إلا ... وانبساطاً . فلما رأيت أنه عن سوء معتقده
 غير ... وعن فساد رأيه غير راجع وعزني جماعه ، وأعوزني استصلاحه
 ونقلني عن مسجتي مكره ، وكدر صفوي من كل وجه ، راجحت في
 أمره بين أن أرضي الله عز وجل في قطيعته بالنظر لعباده والحماية ببلاده
 فما أطمع ... وطأ نواحيها ، وأمنع من رame ، وأدفع عنه من أراد اهتضامه
 وأن أبتل ... برحم عن نفسي ، فرفع الله عن ذلك منزلتها ، وبسط عليه
 مقدرتها ، فرأيت النظر في قطع مضرته أولى ، والسعي في حسم علته
 ومعرته أحمى ، فأنفذت ذلك في استخارة الله تعالى منه ، وألزمته البقاء
 بقصة منتشون ، والنفس - يعلم الله - مما حملني عليه ارتماض وإشفاق ،
 ولما يؤثره الرحم من ذلك إزعاج وإقلاق ، إلا أنه لم يوجد إلى غير ذلك سبيلاً
 ولا جعلني إلى سواه مخيلاً ، وكان فيما يأتيه أعق ، وبما جره القدر إليه
 بحكم اعتقاده أحق . وقد يستسهل المرء المكاره ، ما لم يجد عنها مذهباً ،
 ويركب حد السيف إذا لم يجد سواه مركباً . والله يشهد لقد طوى
 جوانحي مما ساقني إليه على لواعج مزعجة ، وخرق منضجة . وكتابي هذا
 من لاردة ، وقد استقرت بحمد الله على الدعة أسباب قريها ، واتصل
 بجميل عونه تدبيرها ، وتقضي - أبقاك الله - وكيد ما بيننا مقاسمتك الحال
 وتعرفك المبدى منها والمآل ، فإنك الشريك في الحلو والمر ، والقيم في
 النفع والضر . وفي خلال هذا - أعزك الله - ماوردني ابن فلان خاصتك ، -
 سلمه الله - بكتابك الكريم المشتمل على أحفل البر والمقتضي لأجزل الشكر
 ووقف به من حقائق الأحوال لديك على كل ما بسط أمني وأكد جذلي

وعظمت نعم الله ... وقد صدر أبقاه الله - متحماً من صحة ودي وثبات عهدي وارتباط عقدي ... الأحوال عندي ما يطلعك من ذلك كله على الجملة الكافية والجلية الشافية .

دول الطوائف لعنان ٤٥٣ - ٤٥٤

٢ - علاقة ملوك الطوائف بملوك الاسبان حتى معركة الزلاقة

١٦٠ - رسالة جوابية من فردلند إلى أهل طليطلة :

هاجم فردلند أراضي طليطلة وعاث فيها وهزم أهلها سنة ٤٥٩ هـ فأرسلوا إليه يطلبون منه الصلح على مال يؤدونه إليه فأجابهم بما يلي :
ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا .
واشترط عليهم شروطاً لا يقدرُونَ عليها .

١٦١ - جواب أهل طليطلة لفردلند على رسالته السابقة لهم :

لو كنا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لأنفقناها على البربرة واستدعيناكم لكشف هذه المضلة .

١٦٢ - جواب فردلند لأهل طليطلة على الرسالة السابقة :

أما قولكم لا تقدرُونَ على هذه الأموال ، فذلك محال ، فلو كشف سقوف بيوتكم لبرق ذهباً لكثرت . وأما استدعاؤكم البربرة فأمر تكثرُونَ به علينا وتهددونا به ، ولا تقدرُونَ عليه مع عداوتهم لكم . ونحن قد صمدنا إليكم ، ما نبالي من أئانا منكم . فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم ، فقد سكتتموها ما قضي لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فأرحلوا إلى عدوتكم واركبوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم في مسكنكم معنا بعد

اليوم ، ولن نرجع عنكم ، أو يحكم الله بيننا وبينكم (١) .
البيان المغرب لابن عذاري ٣ / ٢٨٢

١١٣ - شروط تسليم طليطلة إلى الملك الفونسو السادس .

اتفق أهل طليطلة مع الملك الفونسو السادس على تسليم بلادهم له لقاء شروط وافق عليهم الطرفان :

أن يسلم القصر ، وأبواب المدينة ، والقناطر ، وحديقة الملك (٢) إلى الملك الفونسو (٣) ، وأن يذهب الملك المسلم حراً إلى مدينة بلنسية وفقاً لرغبته وأن يسمح بالحرية لمن شاء أن يتبعه من المسلمين ، وأن يأخذوا معهم أموالهم . وأما الذين يقيمون في المدينة فلا تؤخذ منهم أمتعتهم ولا أملاكهم وأن يبقى المسجد لجامع بايدي المسلمين يقيمون فيه شعائرهم ، وألا تفرض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه للموكلهم . وأن تجري عليهم أحكام شريعتهم وعلى يد قضائهم المسلمين دون غيرهم ، وأن يقسم الطرفان ، كل وفق تقاليده ، على احترام هذه العهود . وأخيراً أن يقدم أهل المدينة أفيافاً من أعيانهم كرهائن .

دول الطوائف لعنان - ١١٣

١٦٤ - شروط تسليم بلنسية إلى السيد الكنبيطور . وذلك بعد

مفاوضات دارت بين القاضي ابن الجحاف وبين الكنبيطور .

أن يبقى ابن الجحاف قاضياً للمدينة وحاكماً لها ، وأن يؤمن في نفسه

(١) ذكر عنان في دول الطوائف - ١٠٠ نصاً أكثر اختصاراً وأكثر اختلافاً من

نصنا هذا .

(٢) كانت حديقة نضرة غناء تقع على ضفة نهر التاجية .

(٣) هو الفونسو نفسه .

وماله وأهله وأن يؤمن السكان في أنفسهم ، وأموالهم ، وأن يتولى مندوب السيد الاشراف على تحصيل الضرائب ، وأن تحتل المدينة حامية من النصارى المعاهدين^(١) الذين يعيشون بين المسلمين ، وأن يربط السيد بجيشه في جباله^(٢) ، وألا يغير شيئاً من شرائع المدينة وأحكامها .
دول الطوائف لعنان - ٢٤٤

١٦٥ - رسالة الأمير حرز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن - صاحب رسول الله - إلى القونمو الذي نزل بساحة مدينته ، فهدم ضياعها وقطع أشجارها ، فأرسل إليه حرز يقول :
ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير ، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك ، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تكن منها براحة .
فكف الملك عن التدمير .

نفح الطيب للمقري ٩٩ / ٥

١٦٦ - رسالة الملك القونمو السادس إلى المعتمد بن عباد
أرسل الملك القونمو السادس ، بعد استيلائه على طليطلة ، إلى المعتمد ابن عباد رسالة ملؤها التهديد والوعيد هذا نصها :
من الأنبيطور ذي اللتين ، الملك المفضل أذفنش بن شانجه ، إلى المعتمد بالله ، سدد الله آراءه ، وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك من مشيد ملك شرفته القنى ، ونبتت في ربعه النى ، باعترار الرمح بعامله ، والسيف

(١) المعاهدون : هم المستعربون أي النصارى الذين عاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي في الأندلس .
(٢) هي كبولا .

بساعد حامله . وقد أبصرتم بطليطلة ، نزال أقطارها ، وما حاق بأهلها حين حصارها ، فأسلمتم إخوانكم ، وعظمت بالدعة زمانكم ، والحذر من أيقظ باله قبل الوقوع في الجباله . ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو ووارده ، ولكن الأقدار تقطع بالأعذار ، ولا يعجل إلا من خاف الفوت فيما يرومه ، وخشي الغلبة على ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة إليك القرمط البرهانس ، وعنده من التسديد الذي تلقى بأمثالك ، والعقل الذي تدبر بلادك به ، ورجالك مما أوجب استنابته فيما يدق ويحل ، وفيما يصلح لا فيما يخل . وأنت عندما تأتيه من آرائك ، والنظر بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك يسمى يمينك وبين يديك .

١٦٧ - جواب المتمدن بن عباد إلى الفونسو السادس على رسالته

السالفة :

من الملك المنصور بفضل الله المتمدن على الله محمد بن المعتض بالله أبي عمرو بن عباد ، إلى الطاغية الباغية أذفش بن شانجة ، الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله بدعواه ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإن أول ما يبدأ من دعواه أنه ذو الملتين ، والمسلمون أحق بهذا الاسم ، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد وعظيم الاستعداد وجبي المملكة ولا تبلغه قدرتكم ولا تعرفه ملتكم ، وإنما كانت سنة سعد ، أيقظ منها مناديك . وأغفل عن النظر السديد جميل مباديك ، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة فقلت في أننائها ليس ، ولم تستح أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وإنا لنعجب من استعجالك برأي لم تحكم أنجاؤه ، ولا حسن انتجاؤه ، وإعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار . واغتررت بنفسك

أسوأ الاغترار ، وتعلم أنا في العدد والمديد ، والنظر السديد ، ولدينا من
كفاة الفرسان ، وجلل الانسان ، وحماة الشجعان ، يوم تلتقي الجمعان ، رجال
تدفعوا الصبر ، وكرهوا القبر ، تسيل نفوسهم على حد الشفار ، ونيعام
المنام في القفار ، يدرون رحي المنون بحركات العزائم . ويشفون من خبط
الجنون بخواتم العزائم ، قد أعدوا لك ولقومك جلاداً رتبة الاتفاق وشفاراً
حداداً شحذها الاصفاق ، وقد يأتي المحبوب من المكروه ، والندم من عجلة
الشروة ، نهت من غفلة طال زمانها ، وأيقظت من نومة تجدد إيمانها ، ومتى
كان لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة ، أو وقعة متساعدة
إلا ذل تعلم مقداره وتتحقق مثاره ، والذي جراك على طلب ما لا تدركه
قوم كالحر ، لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، ظنوا
المعاقل تمقل ، والدول لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسألة ، ما أوجب
القيود عن نصرتهم وتدمير أمرهم . ونسأل المغفرة فيما أتينا في أنفسنا
وفيه من ترك الحزم ، وإسلامهم لأعدائهم . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا
توبيخك ، وتقريرك ، بما الموت دونه ، وبالله نستعين عليك ، ولا نستبطن
في مسيرنا إليك ، والله ينصر دينه ، والسلام على من علم الحق فاتبعه ، واجتنب
الباطل وخدعه .

دول الطوائف لعنان ص ٧٥ - ٧٦

١٦٨- رسالة جوابية من المتوكل على الله هاكم بطليموس الى ملك قشتالة
الفونسو السادس الذي أرسلها له بعد احتلاله طليطلة يهدده ويطلب
منه التنازل عن بعض الحصون ودفع الجزية ، وإلا ... الحرب .

وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ، وأحكام العزيز القدير
يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ، ثم يفرق ، ويلدد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتظافرة

ولو علم أن الله جنوداً ، أعز بهم الاسلام ، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون .

... أما تعميرك للمسلمين فيما وهى من أحوالهم ، فبالذنوب المركوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك ، علمت أي مصاب أذقناك ، كما كانت آباؤك تتجرعه ، فلم زل نذيقها من الحمام ضروب الآلام ، شؤماً تراه وتسمعه وإذا المال تتورعه ، وبالألمس كانت قطعة المنصور على سلفك ، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفقد كل عام عليه . وأما نحن إن قلست أعدادنا وعدم من الخلقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا ضعب نروضه إلا السيوف تشهد بجدها رقاب قومك ، وجلاد تبصره في ليلك ويومك وبالله تعالى وملائكته المسومين ، فنقوى عليك ونستعين . . . وما تتربصون بنا إحدى الحسينين : نصر عليكم فياها من نعمة ومنة ، أو شهادة في سبيل الله ، فياها من جنة ، وفي الله العوض بما به هددت ، وفرج بقتر بما حددت ويقطع بك فيما أعددت .

دول الطوائف لعنان ص ٩٠ - ٩١

١٦٩ - قول الفونسو السادس لرسول المعتمد بن عباد

أرسل المعتمد ، ذات مرة ، سفيراً إلى الفونسو السادس ، وهو يهودي اسمه ابن مشغل . وفي أثناء الحديث عبر الفونسو عن احتقاره لمملوك الطوائف بقوله :

كيف أترك قوماً مجانين ، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم ، وملوكهم ، وامرائهم : المعتضد والمعتمد والمعتم ، والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والأمين ، وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه سيفاً ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً ، قد أظهروا الفسوق والمصيان ، واعتكفوا

على المغاني والعيدان ، وكيف يحمل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً
وأن يدعها بين أيديهم سُداً .

دول الطوائف لعنان ص ٧٤

١٧٠ - رسالة الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد لما وصل إلى
بلدته إشبيلية .

هاجم الفونسو السادس بلاد المعتمد بن عباد إثر قسم أقسمه ، لأن ابن
عباد صلب رسول الفونسو اليهودي الذي أرسله الفونسو إلى المعتمد لاستلام
الجزية السنوية ، وبدوا أن اليهودي أغلظ الكلام للمعتمد فصلبه المعتمد
فأقسم الفونسو أن يغزو أراضي المعتمد ، وقد فعل حتى وصل بجيشه إلى
قبالة إشبيلية ، ومن هناك أرسل إلى ابن عباد يقول :

كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب ، واشتد علي الحر ، فالقني من
قصرك بمروحة أروح بها على نفسي ، وأطرد بها الذباب عني .

١٧١ - توقيع ابن عباد الفونسو على نقش ورقة رسالته .

قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك ، وسأنظر لك في مراوح من
الجنود اللطيفة في أيدي الجيوش المرابطة تروح منك لا تروح عليك إن
شاء الله (١)

البيان المغرب لابن عذاري ٤ / ١٣١

١٧٢ - رسالة شفعية من الفونسو السادس إلى الأمير عبد الله ملك

غرناطة على يد رسوله البرهانش

أرسل الأذفونش رسوله البرهانش إلى ملوك الطوائف يطلب جزية ثلاث

(١) ذكر المقرئ في نصح الطيب ٩١/٦ نصاً قريباً من نص الرسالتين المتبادتين بين

الفونسو وابن عباد .

سنوات ، وإلا ... فالحرب .

ووصل الرسول إلى غرناطة وملكها الأمير عبد الله الذي قرر دفع الجزية ووقعت بين الطرفين معاهدة ، وأراد البرهانش استغلال الخلاف بين حاكم غرناطة والمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية فقال لعبد الله : يقول لك الفونش :

إن كنت تريد تخلط مع هذه المعاهدة ، استعانة به على شيء من بلادك التي عند ابن عباد ، فهو يجد لك فيها في وجهته هذه .
ولكنه رفض ذلك .

مذكرات الأمير عبد الله ١٢٥

٣ - علاقة ملوك الطوائف مع المرابطين والإسمان حتى زوال ملكهم وحلول المرابطين محلهم

١٧٣ - حوار المعتمد بن عباد مع ابنه لما عزم على الاستنجد بالمرابطين .

قال له ابنه :

حاول الأمر بجهدك مع النصراني ، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك ويشتت الشمل ، فالناس من علمت .

فقال له أبوه المعتمد :

يا ولدي : لأن أموت راعياً بالمغرب خير عندي من أن أرد الأندلس دار كفر ، فتكون الاعمى علي من المسلمين أبد الدهر .

فقال الولد :

يا أبت : افعل ما أراك الله .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٤٥

١٧٤ - رسالة المهتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين نيابة عن -
ولاة الأندلس يسألونه المساعدة .

أما بعد : فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز
وإن أجبتنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم تنسب إلى وهم ، وقد اخترنا لأنفسنا
أجل نسبتيها فاختر لنفسك أكرم نسبتيك ، فإنك بالحل الذي لا يجب أن
تسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ماشئت من دوام
لأمرك وثبوت ، والسلام .

١٧٥ - جواب يوسف بن تاشفين إلى ملوك الأندلس وزعمهم م
المهتمد بن عباد .

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن تاشفين . سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته . تحية من سالمكم وسلم عليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما
حكم عليكم . وإنكم بما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون
منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستدعوا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا إخواننا
بإصلاح إخوانكم . والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام ^(١) .

وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٢/٦ - ١١٣

١٧٦ - رسالة أخرى من المهتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين
يخبره على العبور إلى الأندلس والجهاد فيها لأن الفونسو السادس
هاجم بلاد الأندلس .

إن كنت مؤثراً للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد
فأسرع في العبور إليه ، ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك ^(٢) .

وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٤/٦

(١) أورد كل من المغربي في نفح الطيب ٨٧/٦ - ٨٨ وابن عذاري في البيان المغرب ١١٢/٤ - ١١٣ نصاً مقارباً .

(٢) ذكر ابن عذاري في البيان المغرب ١١٤/٤ - ١١٥ نصاً مطابقاً للنص أعلاه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

١٧٧ - رسالة من المتوكل على الله ملك بطليموس إلى يوسف بن

تاشفين يستصرخه لنجدة الأندلس ويصف تفككها ، وانحلالها .

لما كان نور الهدى - أيدك الله - دليلك ، ومبيل الخير سبيلك ،
ووضحت في الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم
بأنك لدعوة الإسلام أعز ناصر ، وعلى غزو الشرك أقدر قادر ، وجب
أن تستدعي لما أعضل الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ،
فقد كانت طوائف العدو المطيف بأبحاثها « أهلهم الله » ، عند إفراط
تسلطها واعتدائها وشدة كلبها واستشرائها تلاطف بالاحتيايل وتستزل بالأموال
ويخرج لها عن كل ذخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دأبها
الشطط والعناد ، ودأبنا الإذعان والانتقياد ، حتى نفذ الطارف والتلاد ،
وأتى على الظاهر والباطن النقاد وأيقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت
أطعمهم في افتتاح المدن واضطربت في كل جهة نارهم ، ورويت من دماء
المسلمين أمنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه القتل منهم ، فإنما هم بأيديهم أسار
أو سبايا يمتحنونهم بأنواع الحن والبلايا ، وقد هموا بما أرادوه من التوثب
وأشرفوا على ما أملوه من التغلب ، فيالله وبالمسلمين . أيسطو هكذا
بالحق الإفك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الأيمان الكفر ،
ولا يكشف هذه البلية النصر ، ألا ناصر لهذا الدين المهتضم ، ألا حامي
لما استبيح من الحرم . وإنا لله على ما لحق عرشه من ثل وعشره من
ذل ، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء والبلية التي ليس مثلها بلاء . ومن
قبل هذا ما كنت خاطبتك ، أعزك الله ، بالنازلة في مدينة قورية ، أعادها
الله ، وإنها مؤذنة للجزيرة بالخلا ، ومن فيها من المسلمين بالجلائم مازال
ذلك التخاذل يتزايد والتدابير يتساند ، حتى تخلصت القضية وتضاعفت

البلية ، وتحصلت في يد العدو مدينة سرية ، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في الحصانة والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة ، تدركها من جميع نواحيها ، ويستوي في الأرض بها قاصيها ودانيها ، وما هو إلا نفس خافت ، وزمر داهق استولى عليها عدو مشرك وطاغية منافق ، وإن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً ، وتداركوها ركبناً ورجلاً ، وتنفروا خفافاً وثقالاً ، وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله فإنكم له أتلى ، ولا بما في حديث رسول الله ﷺ فإنكم إلى معرفته أهدي . وكتابي إليكم هذا يحمله الشيخ الفقيه الواعظ ، ويفصلها وبشرحها ، ومشتمل على نكتة هو بينها ويوضحها ، فإنه لما توجه نحوك احتساباً وتكلف المشقة إليك طالباً ثواباً ، عولت على بيانه ، ووثقت بفصاحة لسانه ، والسلام .

دول الطوائف لعنان ٩٢ - ٩٣

١٨٧ - رسالة الفونمو السادس إلى يوسف بن تاشفين

أرسل الفونسو رسالة إلى يوسف بن تاشفين يطلب اللقاء به إما في الأندلس أو في المغرب حتى يتحاربا ويصفو حكم الأندلس للغالب : من أمير النصرانية أذفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين . أما بعد فإنك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم ، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي ، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر . وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد . وقد وجب عليك نصرتهم لأنهم أهل ملتك ، فإما أن تجوز إلي ، وإما أن ترسل إلي المراكب أجوز إليك ، فإن غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب لك ، وإن غلبتني انقطع طمع الأندلس من نصرك إياهم ، فإن نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم .

١٧٩ - جواب يوسف بن تاشفين إلى الفونسو السادس عن الرسالة السابقة .

كتب يوسف بن تاشفين على ظهر كتاب الفونسو مايلي :
من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أذفونش . أما بعد : فإن
الجواب ماتراه بعينك لاماتسمعه بأذنك ، والسلام على من اتبع الهدى .
وأتبع الجواب بقول المتنبي :
ولا كتب إلا الشرفية والقنا ولا رسل إلا الخسيس العرمم
تاريخ المغرب العربي لابن الخطيب - ٢٣٩

١٨٠ - رسالة الفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين لما جاز هذا البحر
إلى الأندلس واستقر في بلدة بطليوس ، فظن الفونسو أنه فعل ذلك هرباً
من اللقاء ، فأرسل إليه يقول :
ها أنا قد أقبلت أريد ملاقاتك ، وأنت تتربص وتختبئ لأهل المدينة .
مذكرات الأمير عبد الله - ١٠٥

١٨١ - رسالة الأمير يوسف بن تاشفين للفونسو السادس لما خرج
لملاقاته والتقى الجمعان في سهل الزلاقة ، فأرسل له يوسف رسالة
يعرض عليه فيها إما الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب عملاً بالسنة
النبوية ، ثم قال له :

وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك
فلك تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزناه إليك ، وجمع الله في هذه
الفرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك وما دعاء الكافرين إلا في ضلال^(١) .
وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ - ١١٥

(١) ورد نص مطابق للنص أعلاه في البيان المغرب لابن عذاري ج ٤ - ١١٥ .

١٨٢ - رسالة ثانية من يوسف بن تاشفين إلى الفونسو السادس في

نفس المناسبة .

استشاط الفونسو السادس غضباً من رسالة يوسف بن تاشفين السابقة

له ورد عليه بخطاب عنيف ، فاكتمى يوسف بأن أعاد إليه كتابه مهوراً
بتلك العبارة .

الذي يكون ستره .

دول الطوائف لعنان - ٣٣٣

١٨٣ - رسالة المعتمد بن عباد إلى ابنه الرشيد في إشبيلية يخبره بظفر

المسلمين المؤزر في معركة الزلاقة :

انتصر المسلمون نصراً مؤزراً على الفونسو السادس وهزموه هزيمة

شنعاء وقتل القسم الأكبر من جيشه ، وجرح هو نفسه ، وحمل جريحاً إلى

بلاده وذلك في معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ ، فأرسل المعتمد بن عباد إلى

ولده في إشبيلية الرسالة التالية مبشراً ومخبراً .

كتابي هذا من الحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب ،

وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين ، وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة

المشركين ، وأذاقهم العذاب الأليم والخطب الجسيم . فالحمد لله على مايسره

وسناه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في تشيت شمل الأذفونش

والاحتواء على جميع عساكره - أصلاه الله نكال الجسيم ولا أعدمه الوبال

العظيم المليم - بعد إتيان التهيب على محلاته واستئصال القتل في جميع

أبطاله وحماته ، حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فله

الحمد على جميع صنعه ، ولم يصبني - والحمد لله - إلا جراحات يسيرة امت

لكنها فرجت بعد ذلك . فله المنة والحمد ، والسلام (١) .

نفع الطيب ٦ - ١٠٢

١٨٤ - رسالة أرسلها يوسف بن باشفين إلى تميم بن المعز بن باديس في المهديّة يصف بلاد المغرب والأندلس وجوازه إليها ، وهزيمة الأذفونش في رجب سنة ٤٧٩ هـ في معركة الزلاقة .

الحمد لله الذي منّ علينا بالاسلام ، وفضلنا بحمد عليه السلام ، أحمد حمداً يوجب المزيد من آلايه ، والسبوغ من سر الله ونهائمه ، كان من قضايه جل شأوه وتقدمت أسماؤه لما أراد قمع المردة الطغاة من زفاته وغيرهم في بلاد المغرب . سبب لنا إليهم المطلب ، ففقفونا آثارهم وأخلينا منهم ديارهم ، وكذلك نفعل بالقوم الظالمين ، فقومنا الدين ومهدنا بها المسلمين فصفت لنا ضماؤهم ، وخلصت إلى الله تعالى نياتهم وسرايرهم ، حتى وصلنا طنجة الركاب ، وأذقنا برغواطة سوء العذاب ، ففتح الله لنا وبها ، وهو خير الفاتحين وأسرع الحاسبين لا إله غيره وهو أرحم الراحمين . ولما بلغنا من استحواذ النصارى - دمرهم الله - على الأندلس ومعاقلها ، وإلزام الجزية لرؤسائهم ، واستيصال أقاليمها ، وإيطايمهم البلاد داراً داراً ، لا يتخوفون عسكرياً يخرج إليهم فيبدد جمعهم ، ويفل حدم ، وهم مع ذلك كله يقتلون الشيب والشبان ويأسرون النساء والصبيان ، فخطبنا عن الجواز إلى الأندلس من جميع الأحواز ، المرة بعد المرة ، وألوتنا الأعذار إلى وقت الإقذار ، ولم نجد للجواز باباً ، ولا لدخول البحر أسباباً ، فانضم لنا منهم الرئيس الأجل المعتمد على الله ، المولى بنصر الله ، أحسن

(١) ذكر كل من ابن الخطيب في تاريخ المغرب العربي - ٢٤٥ وابن عذاري في البيان المغرب ٤ - ١٣١ نصاً مقارباً للنص أعلاه .

الله في كل الأمور عوناً ، وأقر بكل صالحة عينه ، فعزمنا على الغزو ، وجوزنا للعدو أسوداً ضارية وسباعاً عادية ، شيئاً وشباناً ، بسواعد قوية وقلوب في سبيل الله نقية ، قد عرفوا الحروب وجربوها ، فهي أمهم وهم بنوها ، يتلمظون تلمظ الفهود ، ويزأرون إليها زأراً الأسود ، فشحننا بهم القوارب ، وأوسعناهم على ظهور المراكب ، فخرجنا في مرسى الجزيرة الخضراء من دياره - وقعه الله - ففزع الناس من كل أفق إليهم ، ووفدوا من كل قطر إليهم ، متعجبين من هيأتهم ، محتقرين لزيهم ونغماتهم ، لا يروهم منهم حاشي الخيل والدرك ، وهم في ذلك لا ينالون إلا بعد جف الريق ومسح العرق ، وقدروا أنهم طعم للسيوف وغرض للحتوف ، وسمعد للأرماع ونهب للسلاح ، فكل استصغروهم ، والجميع منهم احتقرهم ، وتبلغ إلينا أخبارهم وأقوالهم ، وتنتهي إلينا أفعالهم . ثم اتبعناهم جيشاً بعد جيش ، يخول كالفحول عليها الكهول وععدد من كل أمرد ، على أجرد يتسابقون إلى اللقاء في الفضاء ، تسابق الحين والقضاء . ومع هذا كله إن أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا ، وإزاحة غمهم بسببنا وعساكرنا تزيد ، وجوازنا يتأكد . وكان آخر من جاز منا ومعنا ، قطعة من صهاجة بني عمي ، فمسر البحر حينئذ للجواز ، واضطربت فيه الأمواج ، فاستصرخنا الباربي تعالى جده وعظم اسمه إن كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا ، فما استكملت من كلامي حتى سهل الله المركب وقرب المطلب فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة والتألم شعبتنا مع من جاز من عسكرنا ، فعملنا على السير . وكان قد تقدم إلينا بالعدوة من قبل الأذفونش أمير النصارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز إلينا ، إذا عجزنا عنه وفرقنا منه ، نعطوه المراكب وتسلموا إليه الشواني والقوارب ، ليرد علينا ويقاثلنا في مأمنا ، فلم نلتفت إليه ولا عرجنا

عليه . ووصلنا أيدينا بالريس الأجل المعتمد على الله المؤيد بنصر الله ، واستوثقنا منه غاية الاستيثاق ، وبيننا معه على الاحاق بهمهم والورود إليهم . ونحن في ذلك كله لما نقل إلينا وورد علينا من رؤساء الأندلس ، مستبطين سريرة الخبتين ، لابسين قسوة الصالحين ، وقلوبنا شتى ، حتى لحقنا إشيلية حضرته ، عمرت ببقاياه ، وقد تجمع له من جنوده أعداد ، ومن حشمه وعبيده وخيله ورجله أجناد ، فصرنا إلى مدينة بطليوس ، وأقمنا بها أياماً منتظرين لوفد الرؤساء من جميع أقطار الأندلس ، فأخبرنا وصح عندنا أن كل واحد منهم مشغل مع قطعة كثيرة من النصارى ، قد تغلبهم على حصونهم ، وأذلهم في بلادهم وأضعفهم ، وشجعهم على مرادهم . فحمدنا الله تعالى ، ودعونا بتيسير المراد واستنقاذ العباد ، فجمعنا عساكرنا وصرنا إليه . وصرنا إلى قفل قورية من بلاد المسامين ، صرفها الله . فسمع بنا وقصد قصدنا ، وورد ورودنا واحتل بفنائها منتظراً لنا ، فبعثنا إليه بحضه على الإسلام ، ودخوله في ملة محمد عليه السلام ، أو ضرب الجزية عليه ، وإسلام ما كان من المال والبيوت لديه ، كما أمرنا الله تعالى ، وبين لنا في كتابه من إعطاء الجزية عن يدهم صاغرون ، فأبوا وتمرد وكفر ونخر ، وعمل على الإقبال علينا ، وحث في الورود علينا ، فلحقنا بيننا وبينه فراسخ . فلما كان بعد ذلك برزنا عليه أياماً فلم يجيبنا ، فبقينا وبقوا ، ونحن نخرج الطلائع إليه ، ونتابع الوثوب عليه . وبنينا على لقائه يوم الخميس لحدى عشرة ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . فلما كان يوم الجمعة ثانيه ، ورد علينا بكتائب قد ملأت الآفاق ، وتقلبت تقلب الختوف للأحداق ، قد استملوا الدروع للكفاح ، وربطوا في سوقهم الألواح ، وبطونهم ملاً من الخور ، يقدر أن الدائرة علينا تدور . ونحن في أخيتنا صبيحة اليوم المذكور

كل مناساهٍ وجميعنا لاهٍ ، فقصده أشدهم شوكة وأصلبهم عوداً وأنجدهم
عديداً محلة المعتمد على الله المؤيد بنصر الله - وفقه الله - عماد رؤساء
الأندلس وقطبهم ، لا يقدرّون عسكرياً إلا عسكريه ، ولا رجلاً إلا رجالة ،
ولا عديداً إلا عديده . وداود من أصحابنا منا إلى إزايه ، فهبطوا إليه
لفيفاً واحداً كهبوط السيل بسوابق الخيل . فلما كان معه من جنده ومن
جميع الطبقات ، الذين كانوا يدخرون من قبله الأموال والضياع ، استكت
آذانهم واضطربت أضلاعهم ودهشت أيديهم ، وزلزلت أقدامهم وطارت قلوبهم
وصاروا كركب الحمير ، فروا يطلبون معقلاً يعصمهم ، ولا عاصم إلا الله
ولا هارباً منه إلا إليه ، فلحقوا من بطليوس بالكرامات ، لما عاينوا من
الأمور المعضلات ، وأسلموه ، أيده الله - وحده في طرف الأخبية ، مع
عدد كثير من الرجالة والرماة ، قد استسلموا للقضاء ، فوثبوا عليه وثب
الأسد على الفرياس ، يعظمون الكنايس فحبسهم حيناً وحده مع من إليه
من ذكرناه ، وبسطوا منهم الأرض ، ولم يبق من الكل إلا البعض .
ولجأ في الأخبية بعد أن عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في الساميين وبلغه
أمنيته ، بعد أن وقف وقفة بطل مثله ، لا أحد يرد عليه ، ولا فارس
من فرسانه وعبيده يرجع إليه ، لا يروعه أحد منهم فيهزم ، ولا يهابهم -
فيسأم . ثم قصدت كتيبته سوداء كالجلجل العظيم أو الليل البهيم عسكر
داود ، وأخيبته فجالوا فيه جولاناً وقتلوا من الخلق ألواناً ، واستشهد الكل
بحمد الله وصاروا إلى رضوان الله . ونحن في ذلك كله غافلون حتى ورد
علينا وارد وقصد إلينا قاصد ، فخرجنا من وراء الشعب كقطع الذهب
بجميع من معنا على الخيل المسومة العراب ، يتسابقن الطمن والضراب ،
فلما رأونا ووقعت أعينهم علينا ، ظنوا أن الدائرة فينا ولدنا . وأنا طعم
أسيافهم ، ولقاء رماحهم ، فكبرنا وكبر الكل معنا ، مبتلين لله وحده

لاشريك له ، ونهضنا للنون الذي لا بد منه ولاحيص لأحد عنه ،
وقلنا هذا آخر يومنا من الدنيا ، فلتموتوا شهداء ، فحملوا علينا كالسهم
فثبت الله أقدامنا وقوى أفئدتنا ، والملائكة معنا ، والله تعالى ولي النصر
لنا ، فولوا هاربين ، وفروا ذاهبين ، وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون
طعنة تلحقه ، ولاضربة تمخنه ، وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم بالسهمرية
دون الوخز بالإبر ، وضاعت بهم الأرض بما رحبت ، حتى أن هاربهم
لا يرى غير شيء إلا ظنه رجلاً ، وفتكت فيهم السيوف على رغم الأنوف
فوالله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها ، وعلى البيضات فتبريها ، وزرقوا
الرجالة منا على خيلهم الرماح فشكوهم بها فرحت بهم ، فما كنت ترى منهم
فارساً إلا وفرسه واقف على رأسه لا يستطيع الفرار ، الكل يجر عنانه
كأنه معقل بمقاله . ونحن راكبون على الجواد الميمون ، العربي المصون ،
السابق اللاحق ، الممد للحقائق ، ومامننا إلا من له جرنار فيه سيفان ،
وبيدنا الثالث ، عسى أن يحدث من حادث ، فصاروا في الأرض مجذلين ،
موتى معفرين ، وقد تراجع الناس بعد الفرار ، وأمنوا من العثار ،
وتضافروا مع عسكرنا وغيرهم ، يقطعون رؤوسهم وينقلون يازاء المحلات
حتى علت كالجبال الراميات ، عدد لا يقدر ومدد لا يحزر والتجريد فيهم
والأيدي متعاودة لبطونهم ، واستأصلنا أكابرهم ، وحللنا دون أماطيلهم
وأمانهم ، وماربك بنافل عما يعمل الظالمون ، وانقطع من عسكرهم نحو
ألفي رجل أو أقل ، والأذفونش فيهم على ما أخبرنا قد أئخذوا جراحاً
يازاء محلاتهم ، يرتادون الظلام للهروب في المقام ، والله لقد كان الفرسان
والرجالة يدخلون محلتهم ويعثرون في أخبيتهم ، ويشتهون أزودتهم وهم
ينظرون شذراً نظر التيوس إلى سفار الجازرين ، الى أن جن الليل وأرخی

سدوله ولوا هارين وأسلموا راحيلهم صاغرين ، فكم من دلاصٍ على البقاع
ساقطة ، وخيول على البقاع رابضة ، ولقد ارتبط كل فارس منا الخمسة الأفراس
أو أزيد . وأما البغال والحير فأكثر من ذلك . وأما الثياب والمتاع فناهيك ،
والأسرة بأوطية الحرير ، والثياب والأوبار عدد ليلهم ، ولا يكلون في الانتقال
ولا يسأمون من تشريط الأموال ، ولحقوا قورية ومنها حيث ألفت رحلها
أم قشعم ، فصححنا ضمائرنا وأخلصنا للمعتمد على الله نياتنا وسرايرنا .
ورجعنا بحمد الله غافلين منصورين ، لم يستشهد منا إلا الفرقة التي قدر
الله عليها بذلك ، وقدرنا أن الكل منهم هلك لقلة معرقتهم وجہالتهم
بقتال النصارى ، وترايمهم للشهادة ، قدس الله أرواحهم وكرم مثوam
وضريحهم وجعل الجنة ميعاداً بيننا وبينهم . وفقدنا من أكابرنا نحو العشرين
رجلاً ممن شهدت نجاته في المغرب ، وانقلبت خير منقلب ، ولحقنا اشيلية
حضرتة ، عمرت ببقايه وأقننا عنده أياماً ورفعنا عنه مودعين لا تودع قاطع
ولا يمنعنا منه حتى أحب مانع . ولحقنا الجزيرة الخضراء ، ونحن زيد أشياء
أسأل الله تمامها وإنجازها ، وأن يسهل المراد ويوفقنا للسداد . ومتى تنفس
منهم متنفس وأرجع الى أحدهم نفس يذكرون مالمقوا ، ويتذاكرون
مابقوا وسنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدي متين ،
لا يبقى على أديم الأرض منهم حي ، وحتى لا يحس منهم أني . والحمد
لله رب العالمين على ما قضى وخول وأعطى . وهذا كله منا منه علينا لامناً
عليه . وصلى الله على محمد خاتم النبيين وقائد الفر المحجلين إلى جنات
النعيم ، وآله الطيبين وسلم تسليماً . والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

دول الطوائف لعنان ٤٤٦ - ٤٥٠

١٨٥ - فصول من رسالة أرسلها يوسف بن تاشفين إلى من بالدعوة المراكشية عقب انتصاره في معركة الزلاقة .

أما بعد حمد الله المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسره ، فإن العدو الطاغية - لعنه الله - لما قربنا من حماه ، وتواقفنا بإزائه ، بلغناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب ، فاختار الحرب فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الخامس عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن وافترقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ما شرطناه ، وعلما أنهم أهل خدع ونقض عهد ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم الميون ليرفموا إلينا أحوالهم . فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة الثاني عشر من رجب المذكور أن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ، يرى أنه قد اغتتم فرصته في ذلك الحين ، فنبذت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتغنشته قبل أن يتغشاها ، وتعدته قبل أن يتعداها ، وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضا العقاب على عقيرته ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة في سائر المشهدة المنتشرة ، ونظروا إلى جيوشنا المتوجهة نحو الفنش ، فلما أبصر النصارى رايتنا المشهدة المنتشرة ، ونظروا إلى مواكبنا المنتظمة والمظفرة وأغشتهم بروق الصفاح ، وأضلتهم سحائب الرماح ، وزلت بحوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، فالتجم النصارى بطاغيتهم الفنش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنيات خالصة ، وهم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، وركبت دائم السيوف والرماح بالطنن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هرج ، وازل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولى الفونش مطعوناً في إحدى ركبتيه طعنة أفقدته إحدى

ساقيه ، في خمس مائة فارس من ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل .
 قادم الله إلى المصارع والحنف العاجل . وتخلص - لعنه الله - إلى جبل
 هنالك ، ونظروا النهب والنيران في محلته من كل جانب ، وهو من أعلى
 الجبل ينظرها شزراً ، ويحيد عنها صبراً ، ولا يستطيع لها دفعاً ولا لها رفعاً
 فأخذ يدعو بالشبور والويل ، ويرجو النجاة في ظلام الليل ، وأمير المسلمين
 بحمد الله قد ثبت في وسط مواكبه المظفرة وتحت ظلال بنوده المنتشرة ،
 منصور الجهاد ، مرفوع الأعداد ، ويشكر الله تعالى على ما منحه من نيل
 السؤال والمراد ، فقد سرح الفارات في محلاتهم تهدم بناءها ، وتصطلم ذخايرها
 وأسبابها ، وترى رأي العين دمارها ، ونهبها ، والفتش ينظر إليها نظر المعشي
 عليه ، ويمض غيظاً ، وأسفاً ، على أنامل كفيه ، فتتابعت البهرجة الفرار
 رؤساء الأندلس المنهزمين نحو بطليوس والغار ، فتراجعوا حذاراً من العار
 ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد أبو القاسم المعتمد بن عباد ؛ فأتى
 إلى أمير المؤمنين وهو مهيب الجناح ، مريض عنه وجراح ، فهناه بالفتح
 الجليل ، والصنع الجميل . وتسلى الفتن تحت الظلام فاراً لا يهدى ، ولا
 ينام ، ومات من الخمس مئة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربع مئة فلم
 يدخل طليطلة إلا في مئة فارس . والحمد لله على ذلك كثيراً . وكانت هذه
 النعمة العظيمة والمنة الجسيمة يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع
 وسبعين وأربع مئة ، موافق الثالث والعشرين لشهر أكتوبر الهجري .

دول الطوائف لعنان ٤٥١ - ٤٥٢

١٨٦ - رسالة إلى يوسف بن تاشفين من قائد جيوشه في الأندلس

سير بن أبي بكر .

ترك يوسف بن تاشفين جيوشه في ثغور الأندلس بعد الزلافة بقيادة سير

ابن أبي بكر ورجع إلى مراکش ، فأرسل إليه يقول :

إن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو ، وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش ، وأنكده . وملوك الأندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد عيش وأطيبه .

١٨٧ - جواب يوسف بن تاشفين إلى قائده سير بن أبي بكر عن الرسالة السابقة :

أن بأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض المدوة ، فمن فعل فذاك ، ومن أبي فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ، ولتبدأ بن والى الثغور ، ولا تتعرض للمعتمد بن عباد إلا بعد استيلائك على البلاد ، وكل بلد أخذته فول عليه أميراً من عسكريك .

نفح الطيب للمقري ٦ / ١٠٤

١٨٨ - رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى الأمير عبد الله أمير غرناطة :

أرسل الأمير عبد الله إلى يوسف بن تاشفين رسالة يشرح له فيها الظروف التي أدت به إلى دفع الجزية للفونسو . ولكنه لم يقنع وأجابه بما يلي :
أما مداهنتك وقولك الباطل فقد علمناه ، وستعلم عن قريب كيف ترضى الرعية ، وما تصنع إذ زعمت أنك نظرت لها ، ولا تسوف ، فإن هذا قريب غير بعيد .

مذكرات الأمير عبد الله ١٢٧

١٨٩ - بيان أذاعه يوسف بن تاشفين وبلغه جميع حكام الحصون والبلاد الواقعة في مملكة غرناطة ، لما قرر احتلالها وضمها إلى ملكه .
أما بعد ، فقد : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، إن لم تطيعونا : فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

مذكرات الأمير عبد الله - ١٤٨

١٩٠ - رسالة يوسف بن تاشفين إلى الأمير عبد الله حاكم غرناطة يؤمنه ، ويخبره في الاستقرار في بلد يختارها إن هو استسلم له :
فقرة منه :

إن كنت استوحشت من النزول إلينا ، فتخير من بلادك موضعاً تصير فيه ، ولتكن غير غرناطة لئلا نرى فيها رأينا .

مذكرات الأمير عبد الله - ١٤٩

١٩١ - رسالة يوسف بن تاشفين إلى المهتمد بن عباد

ساعات العلاقات بين ابن تاشفين والمتمد بعد أخذ الأول غرناطة ، وحاول ابن تاشفين القبض على المهتمد ، ولكن هذا تنبه للأمر وهرب إلى بلده وهناك أرسل له يوسف يقول :

زيد الاجتماع بك فيما نحن بسبيله .

وكان قصده أن يقول لا ، حتى يجد السبيل إليه .

١٩٢ - رسالة جوابية من المهتمد إلى يوسف بن تاشفين

إن ذلك كان وقت كنت ضيفاً وتريد الفزو ، فلزمني معونتك بنفسي وجميع أموالي . والآن إنما أنت لي جار مثل باديس وحفيده . وأنت أقدر مني على الشر بجنودك ، فلا يمكنني التغرير بنفسي عسى أنك تريد أخذ بلدي ، إذ لا تصح لك غرناطة ، إلا بما يضاف إليها من الأندلس .

مذكرات الأمير عبد الله - ١٦٩

١٩٣ - رسالة من المستهين بالله بن هود حاكم سرقسطة إلى يوسف

بن تاشفين .

احتل يوسف بن تاشفين جميع بلاد الأندلس ، وخلع ملوكها ، واعتقل قسماً منهم ، وقتل اقلهم ، إلا ابن هود صاحب الثغر الأعلى سرقسطة ، فقد

تمكن من جعل يوسف يقنع منه بالولاء والهدايا ، وقد أرسل ابن هود
ليوسف يقول :

نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومناعين تطرف
وقد قنعنا بمسالتكم ، فاقنعوا منا بها إلى مانعينكم به من نفيس الذخائر .
البيان المغرب لابن عذاري ٤ - ١٤٥

١٩٤ - رسالة جوابية من يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله ابن

هود هي عبارة عن كتاب أمان وتقليد من يوسف إلى ابن هود .

من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى المستعين بالله أحمد بن هود

— أدام الله تأييده - إليك ، والله عز وجل يوالي أيام سعدك ، ويعالي أعلام
مجدك ، ويظيل في طاعته وعلى أحسن ما تنهه عمرك ، ويشد بتقواه أزرك
ويجري على كل لسان صدق ذكرك ، من حضرة مراکش ، حيث تتلى آيات
شرفك ، وماثر السادة القادة سلفك ، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه
أعين المسالك وأبين المقاصد ، ونسأله أتم الفوائد وأعم العوائد ، ونصلي على
سيدنا صفوة أوليائه وخاتم رسله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
وأما الذي عندنا - أيدك الله - لجانبك الكريم ، ومجدك العظيم ، وعملك المعلوم
المفهوم ، فؤاد صريح ، وعقد في ذات الله تعالى صحيح .

ووردنا - أدام إقبالك وأجرى إلى غاية الافضال آمالك - نشأة السيادة

والفضل ، والنباهة والنبل ، أبو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنشياً

وابننا ودادة وتقرباً . زاد الله به عينك قرة ، ونفسك مسرة ، ومعه وزيرك

أبو الأصبغ وأبو عامر ، أكثر منها الله بتقواه ، وكلاً وفينا حق نصابه

وآئيناه بره من بابه ، وتلقيناه تكريمة بمقتضى دواعيه وأسبابه ، وأديا إلينا

كتابك الخطير ، المقبول المبرور ، فوقفنا به على وجه شخوصها ، وأصغينا

في تفصيل جملة إلى تلخيصها ، فألقينا إليهما مراجعة عن ذلك ما لقناه ، وسفرنا لهما

عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه ، من جملة الوفاق ، وجماع الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى ، والاتساق ، إن شاء الله (١) .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ١٧٣ - ١٧٤

١٩٥ - رسالة المرتضى علي بن مجاهد حاكم جزائر الأندلس إلى المستنصر بالله الفاطمي .

أرسل المستنصر الفاطمي المرتضى هذا خطاباً يطلب منه إغاثة مصر بالأطعمة إبان الشدة العظمى فاستجاب له وأرسل له سفينة محملة بالثؤن والأطعمة ، فردها المستنصر مشحونة بالتحف والذخائر ، فسر المرتضى بذلك وبعث الى المستنصر برسالة شكر هذه مقتطفات منها :

فالآن استمد المريد واستقر الضمير فتبسم مولى الحضرة رياضاً عطرة وارد روضها زهراً ، وشام برقها ممطراً ، واستوضح هلالها مبسداً ، وارتشف ماءها حضراً . فما الشكر وإن جزل ، يوفي ثنايا ذلك الافضال والانعام ، ولا اللسان وان جفل يتعاطى ذلك الشأو ، ولا الأقلام ولا الطوق يقوم بأعبائها حق القيام . وأي وسع يباري البحر وهو لهام وأي طوق يطيق ركني شمام ، ولو كانت للمولى بالقدر يدان وساعده امكان وساعفه زمان لأم بشخصه كعبة الآمال ، واستقبل بقصده قبلة السعة والاقبال واستلم بيده ركن الانعام والافضال ...

دول الطوائف لعنان - ٢٠٣

(١) أورد صاحب البيان المغرب ٤ - ٥ - ١٤ نصاً قريباً من النص اعلاه ، مع وجود بعض الخلافات الثانوية .

رَفَعُ
جَبَلُ الرَّحْمَنِ (الْمُجْتَبَى)
(أُسْكُنْهُ) (الْبَيْتَ) (الْفَرْدَ)

د - المرابطون ٤٥٣ - ٥٤١ هـ / ١٠٦١ - ١١٤٦ م

١ - يوسف بن تاشفين ٤٥٣ - ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م

١٩٦ هـ - رسالة من محمد بن إبراهيم الكزولي (ويسمى أيضاً الجزولي) إلى يوسف بن تاشفين .

استمعى محمد هذا في جبل مع قبيلته قبيلة كزولة ، وهو سيدها ومالك جبلها ، ولم يتابع يوسف بن تاشفين ، فحاول قتله بالسم ، فأرسل له مع قوم جراراً من عسل مسموم ، ولكن محمداً انتبه أنها مسمومة ونجا منها فأرسل الى يوسف يقول له في رسالة :

إنك قد أردت قتلي بكل وجه ، فلم يظفرك الله بذلك ، فكف عن شرك ، فقد أعطاك الله المغرب بأسره ، ولم يعطني غير هذا الجبل ، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود ، فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل .
الكامل في التاريخ لابن الأثير > ١٠ - ١٧٨

١٩٧ هـ - مرسوم أصدره يوسف بن تاشفين إلى كافة عماله يطلب منهم ألا يخاطبوه بعد الآن إلا بلقب أمير المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان والكافة من أهل « فلانة » ، أدام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله أهل الحمد والشكر ، وميسر اليسر وواهب النصر والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وإنا كتبناه إليكم من

حضرتنا العلية ، مراکش ، حرسها الله ، في منتصف محرم سنة 466 .
 وإنه لما من " الله علينا بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنعمه الظاهرة
 والباطنة برود النعيم ، وهدانا وهداكم إلى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم
 صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، رأينا أن نخصص أنفسنا بهذا
 الاسم لنتماز به على سائر أمراء القبائل ، وهو : أمير المسلمين وناصر
 الدين . فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها بهذا الاسم إن شاء
 الله تعالى .

والله ولي العدل بينه وكرمه ، والسلام (١)
 المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حرکات - ٢٠١

١٩٨ - عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى يوسف بن تاشفين بحكم
 المغرب. والعهد من إنشاء أمين الدين أبي سعيد العلاء بن وهب بن موصلايا .
 هذا ما عهد عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى
 فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من ادراع جلايب الرشاد في الاصدار
 والإيراد ، واتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد ،
 والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب ، بما يستمد به أصناف الآلاء
 والمواهب ، والتحلي من السداد الكامل بما فاز فيه بامتطاء الغارب من
 الجمال والكاهل ، واتضح ما هو متشبه به من صحة الدين واليقين ، المواظبة
 من اكتساب رضا الله تعالى على ما هو أقوى الظهير والمعين ، في ضمن ما طوى
 عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمر المؤمنين يدين
 الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحکام سعيها ، ومشايعة

(١) ذكر عنان في كتابه عصر المرابطين والموحدين في الاندلس ١٠٠ - ٣٩ نصاً
 قريباً من نصنا هذا .

لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في اجتناء ثمرها كل ما أبهج
وسر ، فولاه الصلاة بأعمال المغرب والمعاون ، والأحداث والخراج والضياح
والأعشار والجهنزة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض
والعطاء والنفقة في الأولياء والمظلّم وأسواق الرقيق ، والعيار في دور
الضرب والطرز والحسبة ببلاد كذا وكذا ، سكوناً إلى استقلاله بأعباء
ما استكفاه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب
رياه ، وثقة بكونه للصنيعة أهلاً ، وبأفياء الطاعة الإمامية مستظلاً ، وتوفره
على ما يزيد به بحضرة أمير المؤمنين خطوة ترد باع الخطوب عنه قصيراً ، وتمدد
مقاصده من التوفيق بما يضحي له في كل حالة نصيراً ، وعاملاً بما في اصطناعه
من مصلحة تستنير أهلها ، وتستثير من شبه الغي شواهدا وأدلتها . والله
تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالإصابة ويعينه على ما يقر كل امرئ في
حقه ويحله نصابه ، ويحسن له الخطوة في كل ما يندو له ممضياً ، ولطائياً
الاجتهاد في فعله منضياً ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل
وإليه ينسب . وأمره باعتماد تقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار ،
واعتماد الواجب من الازعان بفضلها والاقرار ، وأن يأوي منها إلى أمنع
المعاقل وأحضنها ، ويلوي عنان الهدى فيها إلى أحمل المقاصد وأحسنها ،
ويجعلها عمده يوم تقدم الأنصار وتشخص الأبصار ، ليحتجني من ثمرها
ما يقيه مصارع الخجل ، ويحتلي من مطامعها ما يؤمنه من طوارق
الوجل ، ورد بها من رضا الله تعالى أصفى المشارب ، ويجدبها من ضوال
المنى أنفوس المواهب ، فإنها أبقى الزاد وأدعى في كل أمر إلى وري
الزناد ، وقد خص الله بها المؤمنين من عباده ، وخض منها على ما هو
أفضل عدة المرء وعتاده ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته ولا تموتن إلا وأتم مسلمون) (١) .

وأمره أن يأتهم بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسلطان النبي بالوقوف عند محظوره ومباحه ، ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستدرار لصوب التوفيق في الرجوع إلى متقنه ومحكمه ، ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسيراً لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ، ودليلاً إلى النجاة من كل ما يخاف آثمه ، وسبيلاً إلى الفوز في اليوم الذي يسفر عن فصل الخطاب لثامه ، ويتحقق موقع الخط في إدامة درسه وصلة يومه في التأمل بأمسه ، فإنه يهدي طريق الرشd لكل مبدئ في العمل به معيد : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٢) .

وأمره أن يحافظ على الصلوات قائماً بشروطها وحدودها ، وشائئاً بروق التوفيق في أداء فروضها وحقوقها ، ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عائفة مناهل الكدر والرنق ، عارفة بما في إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ، وموفراً عليها من ذهنه ما الخط كامن في طيه وضمنه ، وموفياً لها من الركوع والسجود ما الرشاد فيه صادق الدلائل والشهود ، متجنباً أن يلهيه عنها من هواجس الأفكار ووساوس القلب العون منها والابكار ، ما يقف فيه موقف المقصر المغالط ، وينزل فيه منزلة الجاحد للنعم الغامط . وقد أمر الله تعالى بها وفرضها على المؤمنين وأوجبها ، وحث على إقامتها على ما يفضي إلى صلاح المقاصد واستقامتها ، فقال عز من قائل : (فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) (٣) .

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣

وأمره بالسعي في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد أن يتقدم في عمارتها وإعداد الكسوة لها ، بما يؤدي إلى كمال جلالها ، ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد وأحلاها ويوعز بالاستكثار من المكبرين فيها والقوام ، وترتيب المصاييح العائدة على شمل جمالها بالانساق والانتظام ، فإنها بيوت الله تعالى التي تتلى فيها آياته ، وتعالى فيها أعلام الشرع وراياته ، وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ، ولولي عهده العدة للدين القاسم عبد الله بن محمد بن أمير المؤمنين ، أدام الله تعالى به الامتاع وأحسن عن مساحته الدفاع ، ثم لنفسه جارياً في ذلك على ما ألف من مثله ، وسالكاً منه أقوم مسالك الاهتداء وسبله ، وقد بين الله تعالى مافي عمارتها من دلائل الايمان والفوز بما يعطي من سخط الله تعالى أوثق الأمان في قوله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (١) . وقال في الحث على السعي إلى الجوامع التي يذكر فيها اسمه ويظهر عليها منار الإسلام ورسمه : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (٢) .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه إلى أرشد فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يحظيه بحمیل الذكر وجزيل الأجر ، ويشهد له بزكاء المنرس وطيب النجر ، ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ، متجنباً من إخلال بما أنص عليه في هذا الباب ، أو إهمال فيه

(١) سورة التوبة الآية ١٨

(٢) سورة الجمعة الآية ٩

لما يليق بذوي الديانة وأولي الألباب ، ومتوخياً في المسارعة إليه بما يتطهر به من الأدناس ، ويتوفر به حسن الأحداث عنه بين الناس ، فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لاسبيل إلى المحيد عنها ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ، وأمر رسوله ﷺ بأخذها من أمته ، وأبان عن كونها مما يجتنى كل مرغوب فيه من ثمرته ، ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله ، لما فيه من الحظ الكامل في امتنارة غرره وحجوله ، في قوله سبحانه . (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك مكنتهم لهم ، والله سميع عليم)^(٣) . وأمره أن يهذب من الدنس خلاله ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ، ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع ما من المستضيء بالهدى المستظل ويقبض يده عن كل مجرم توثق أشراكه وتوبق غوائله ، وتؤذن بسوء المنقلب شواهد ودلائله ، ويجعل له من نهاره رقيقاً على نفسه بصونها عن مراتع الغي ومطارحه ، وأميناً يصد عن مسارب الإثم ومسارحه ، فإنها لاتزال أماراة بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد ، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد ، فالسعيد من أضحي لها عند سورة الغضب وازعاً ، وأنحى عليها بلوم يندو معه عن كل ما يسخط الله تعالى نازعاً ، وأن يتنزه عن النهي عما هو له مرتكب ، والأمر بما هو له محتجب ، إذ كان ذلك بالهجنة حالياً ، وبين المرء وبين مقاصد هديه حالاً قال الله تعالى :

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون)^(٤) .

(٣) سورة النوبة الآية ١٠٣

(٤) سورة البقرة الآية ٤٤

وأمره أن يضفي على من قبله من أولياء أمير المؤمنين وجنوده أوصاف جلايب الإحسان وبروده ، ويخصهم من جزيل حباؤه بما يصلون منه إلى أبعد المدى ، ويملكون به نواصي الآمال ويدركون قواصي المنى ، ويعيز من أدى واجبه من الطاعة وفرضه وأبدى صفحته في الغناء بين يديه بزيد من الاشتغال يرهف بصيرة كل منهم في التوفر على ماواقفه ، ووصل بآنفه في التقرب إليه سابقة ، ويدعو المقصر إلى الاستبصار في اعتماد مايلحق فيه رتبة من فازت في الخطوة قداحه وفات الوصف غرره في الزلفة وأوصاحه ، ليمرح به في الاغتداء بلبان النعمة ، كما انتهج جده في إحسان الخدمة ، وأن يرجع إلى آراء ذوي الحنكة منهم مستضيئاً بها مسترشداً ، وطالباً ضوال الرأي الثاقب ومنشداً ، وقد بين الله فضل المشورة التي جعلها للألباب لقاحاً ، وفي حنادس الشكوك مصباحاً ، حيث أمر رسوله ﷺ بها ، وبعثه منها على أسد الأفعال وأصوبها ، فقال تعالى (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (١) .

وأمره أن يعدل في الرعايا قبله ، ويحلهم من الأمن هضابه وقلاه ، وينحهم من الاشتغال مايجمي به أمورهم من الاختلال ، ويحوي به من طيب الذكر بحسب ما اكتسب من رضي الأنحاء والخلال ، ويضفي على المسلم منهم والمجاهد من ظل رعايته ما يساوي فيه بين القوي والضعيف ، ويلحق التليد منهم بالطريف ، ليكون الكل وادعين في كنف الصون ، راجعين إلى الله تعالى في إمدادهم بالتوفيق ، وحسن الطاعة والعون ، وأن ينظر في مظالمهم نظراً ينصر الحق فيه ، ويشير علم العدل في مطالوبه ، وينصف معه بعضهم من بعض ، وينصب به لهم من اهتمامه أسنى قسم وحظ ،

مليناً لهم في ذلك جانبه مبيناً لهم ما يظل به كاسب الأجر وجاهه ، ويزيل عنهم
 ما شرعه ظلمة الغلمان بتلك الأعمال ، ويدل من تلك الحال باستئناف ما يوطئهم
 كواهل الآمال ، جامعاً لهم بين العدل والاحسان ، جاعلاً أمر الله تعالى في ذلك
 ملتقى بالطاعة الواضحة الدليل والبرهان . قال الله تعالى : (إِنَّمَا اللَّهُ
 يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١) .

وأمره أن يكون بالمعروف آمراً ، وعن المنكر زاجراً والله تعالى في
 إحياء الحق وإماتة الباطل متاجراً ، وأن يشد من الساعين في ذلك
 والداعين إليه ، ويعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب به إلى الله
 تعالى يوم العرض عليه ، ويتقدم بتعطيل مافي أعماله من المواخير ودحضها
 وإزالة آثارها ومحوها ، فإنها مواطن بالخمازي أهلة ، ومن مشارب المعاصي
 ناهلة؛ قد أسست على غير التقوى مبانيها ، وأخلت من كل ما يرضي الله تعالى مغانيها
 وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التي ظلت بالمعروف آمرة وعن المنكر ناهية
 وضنت بما ترى فيه عن مقاصد الخير ذاهلة لاهية فقال : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
 أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (٢) .
 وأمره أن يربح لحماية الطرقات من يجمع إلى الصرامة والشهامة ، سلوك
 محاج الرشاد والاستقامة ، ويجعل التعفف عن ذميم المراتع شاهداً بتوفيق
 الله إياه ، وعائداً عليه بما تحمد مغبته وعقباه ، ويأمر بحفظ السابلة ،
 واختصاصهم بالحراسة السابغة الشاملة ، وحماية القوافل واردة صادرة ،
 واعتمادها بما تغدو به إلى السلامة مفضية صائرة لتحرس الدماء مما يسحها

(١) سورة النحل الآية ٩٠

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

ويريقها ، والاموال بما يقصد فيه سبيل الإضاعة وطريقها ، وأن يخوفهم
نتائج التقصير ويعرفهم مناهج التبصير ، وأن عليهم رقباء يلاحظون أمورهم
ويوضحونها ، ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرز ، واعتماد الميل
إلى جانب الصحة والتحيز . ويوجب لهم بعدما يكفي أمثالهم مثله ، وكيف
أيديهم عن الامتداد إلى ما تدم سبله . فإن أخل أحدهم بما حدله ، أو
مزج بالسوء عمله ، جزاء بحسب ذلك وموجبه . قل الله تعالى : (من
يعمل سوءً يُجز به) (١) .

وأمره أن يتقدم إلى نوابه في الأعمال بوضع الرصد على من يجتاز بها
من العبيد الأباقي ، والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ، واستعلام
أماكنهم التي فصلوا عنها ومواطنهم التي بعدوا منها ، فإذا وضحت أحوالهم
وبانت ، وانحسبت الشكوك في بابهم وزالت ، أعادوهم إلى مواليتهم أبو
أم شأؤوا ، وأصفوا نياتهم في الرجوع إليهم ، أم شابوا ، وأن
يقصدوا إنشاء الضوال ، ويجهتدوا من إظهار أمرها بما يندو جمال الذكر
به في الظلال ، ويتجنبوا أن يمتطوا ظهورها بحال ، ويمدوا أيديهم إلى
منافعها في إسرار وإعلان ، حتى إذا حضر أربابها سلمت إليهم بالنعوت
والأوصاف ، وأجري الأمر في ذلك على ما يضحى به علم العلم عالي
المنار ، حالي الأعطاف . فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها . وهدى
من ذلك إلى أوضح محاج الصحة ، وسبلها فقال : (إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٢) .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون ، وللأجلاب من يرجع إلى دين يحميه

(١) سورة النساء الآية ١٢٣

(٢) سورة النساء الآية ٥٨

من مهاوي الزلل ، وصلق عن مد اليد إلى أسباب المطامع ، وكلف بها يعود على ما كلف إياه بصلاح مشرق الطالع ، ومعرفة بها وكل إليه كافية ، ولما يوجب الاستزادة له ماحية نافية ، ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدعا من جميع الأماكن والأقطار ، وحسم مواد العار في بابهم والمضار ، وأن يعضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال ، وتجري أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام ، متمعين أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في فعله ويحاربوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بذمير سبله . وإذا وقع الظفر بجان قد كشف في الغي قناعه ، وأظهرت مساعيه إباءة من إجابة داعي الرشد وامتناعه ، وأقيم حد الله تعالى فيه من غير تعدٍ للواجب ولا تمر من ملابس السالكين للجدد اللاحب (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون أن يشدوا من القضاة والحكام ويجدوا في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والاقدام ، وبأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ أحكامهم وإمضاءها ، والسارعة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها ، والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم ، إذا ما امتنعوا أو سوقهم إلى الواجب إذا زاغوا عنه وانحرفوا ، وأن يتقدم بإمداد عمال الحراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم في استيفاء مال النية واجتباؤه واعتماد ما ينصر الحقوق في مطويه وأثنائه ، إذا كان في ذلك ومن الصلاح الجامع وكف المضار وحسم المطامع ما المعونة عليه واجبة ، وللتوفيق مقارنة مصاحبة ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩

(٢) سورة المائدة الآية ٢

وأمره بعرض من تضمنه الجبوس من أهل الجرائم ، والجرائر ، وتأمل أحوالهم في الموارد ، والمصادر ، والرجوع إلى متولي الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه ، والتميين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه ، فمن ألفى منهم للذنوب إلفاً ، وعن سنن الصواب منحرفاً ترك بحاله وكف ياطالة اعتقاله ، عن محاله في ميادين ضلاله ، وإن وجد منهم من وجب عليه الحد ، أقيم فيه بحسب ما يقتضيه الحق ، ومن اعترضت في بابه شبهة تجوز إسقاط الحد عنه ودرؤه ، اعتمد إلحاقه في ذلك بمن اتصل إليه صوب الاحسان ودره ، ومن لم يكن له جرم وتظهر صحة شاهده ودليله وقدم الأمر في إطلاقه ، وتحلية سبيله . وإن غدا لأحدم سعي في الفساد واضح وبان ، وغوى به في محاربة الحق وخان ، قوبل بما أمر الله تعالى به في كتابه حيث يقول : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أوتنفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١)) .

وأمره باختيار المرتب للعرض والعطاء والنفقة في أولياء من ذوي المعرفة والبصيرة ، والمشهورين في العفة بتساوي العلانية ، والسريّة ، ومن تحلى بالأمانة جيده ، واعتضد بطريقه في الرشاد تليده وكان بما يسند إليه قيماً ، وفي مقر الكفاية ثلويّاً نجماً ، وأن يتقدم إليه بضبط حلى الرجال ، وشيات الخيول ، وأن يقصد في كل وقت من تجديد العرض ما يشهد بالاحتياط السابغ الأهذاب والذبول ، فإذا وضع وجه الإطلاق وسلم مال الاستحقاق كانت التفرقة على قدر المنازل في التقديم والتأخير ، وبحسب الجرائد التي تدل

على الصغير من ذلك والكبير ، ومتى طرق أحدهم ما هو محتوم على خلقه أعاد على بيت المال من رزقه بقدر قسطه وحقه ، وأن يلزمهم إحضار جناد الخيول وخيار الشكك ، ويأخذهم من ذلك بأوضح ما نهج المرء الطريق إليه وسلك ، فإذا أخل أحدهم بما يلزمه البروز فيه يوم العرض ، أو قصر في القيام بالواجب عليه الفرض ، حاسبه بذلك من الثابت باسمه ، والمطلق برسمه تنبيهاً له على تلافي الفارط ، وتبصيراً لغيره في البعد عن مقام الخطيئة الغالب إذ كان في قوتهم وكمال عدتهم إرهاب للأعداء والأضداد ، وإرهاف للبصائر فيما يؤدي إلى المصالح الوافية الأعداد والأمداد . قال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوك) (١) .

وأمره باختيار عمال الخراج ، والضياع ، والأعشار ، والجبيذة ، والصدقات والجوالي ، وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه ، ومتقمصين من ملابس العفة ، والدراية ما تحمد العواقب في ضمنه ومتميزين بما يغنيهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والاعتبار ، ويفرهم بالاستمرار على السنن المنجي لهم من مواقف التنصل والاعتذار ، وأن يأمر عمال الخراج بحماية الأموال على أجمل الوجوه والأحوال ، سالكين في ذلك جديداً وسطاً ، يحمي من مقام من ضعف في الاستخراج أو سطاً ، وأن يتقدم إلى الناظرين في الضياع بتوفية العبارة حقها ، والزراعة حدها ، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضي فيه أرشد المذاهب وأسدها ، متحرزين من أمر ينسبون فيه إلى المعجز . والخيانة ، فكل من الحالين مجز في وضوح أدلة الفساد ومخز ، وإلى الجهابذة بقصد الصحة في القبض والتقبض وحفظ النقد من التدليس والتليس ، أداء للأمانة في ذلك ، واهتداء فيه إلى

أقوم المسالك ، إلى سعاة الطرقات بأخذ الفرائض من مواشي المسلمين السائمة ، دون العاملة والجري في ذلك على السنة الكاسية للمحمدة الوافية الكاملة ، متجنين من أخذ فحل الإبل ، وأكولة الراعي ، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعي ، فإذا استوفيت على الحدود من حقها ، أخرجت في المنصوص عليه من وجوها وسبلها ؛ وإلى جباة حجاجم أهل الذمة بأخذ الجزية منهم في كل سنة ، على قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة ، وبحسب العادة المألوفة المتبعة ، تمتنعين من مطالبة النسوان ، ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ومن علت سنه عن الاكتساب وتبتل من الرهبان ومن غدا فقره واضح الدليل والبرهان ، وفازر بالعهد المسؤول ، وتلقياً لأمر الله تعالى بالقبول حيث يقول : (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً) (١) .

وأمره أن يرد أمر المظالم ، وأسواق الرقيق ، ودور الضرب والطرز والحسبة إلى من عضد بالظلف والورع ، وانتظم له شمل الهدى واجتمع ، فكان ذا معرفة بما يحرم ويحل ، وبصورة يتفياً بها من عوارض الشبه ويستظل ، وأن يكون النظر في ذلك مضاهياً للحكم ملائماً ، وإن يقوم به إلا من لا يرى عاذلاً له في فعله لائماً ، وأن يتقدم إلى من يلي المظالم بتسهيل الاذن للخصوم في الدخول عليه ، وتمكين كل منهم من استيفاء الحجة بين يديه ، والتوصل إلى فصل ما بينهم بحسب ما يقود الحق إليه ، وأن يقصد فيما وقع الخلاف معهم فيه ، الكشف الذي يقوم به ، ويستوفيه ، فإن وضح له الحق أنفذه وقطع به ، وإلا ردهم إلى مجالس القضاء لإقضاء ذلك على مقتضى الشرع وموجبه وإلى المرتبين في أسواق الرقيق بالتحفظ فيما يتباع وبيع ، وأن يستعمل في ذلك الاقتفاء للسنن الجميل والاتباع ، ليؤمن اختلاط الحر بالعبد ، وتحرس

الأنساب من القدر والفروج من الغصب ، في ضمن حفظ الأموال ، والنوع
عن مزج الحرام بالحلال ؛ وإلى ولاية العيار بتصفية عين الدرهم والدينار
من الغش والادغال ، وصون السكك من تداول الأيدي الغريبة لها بحال
من الأحوال . متحذرين من الاعتزاز بما ربا وضح الفساد فيه عند الاعتبار
ومانعين التجار الخصوصيين بالإيراد ، من كل قول مخالف للايثار ، في الصحة
والمراد ، ومعتدين إجراء الأمر فيما يطبع على القانون بمدينة السلام من غير
خلاف لاستقرار القاعدة في ذلك ومتسق النظام ، وأن يشب ذكر أمير المؤمنين
وولي عهده من المسلمين على ما يضرب من الصنفين معاً ، والمسارة في ذلك
إلى أفضل ما بادر إليه المرء وسعى ، وإلى المستخدمين في الطرز بملاحظة
أحوال الناس والاشراف عليها ، وأخذ الصانع بالتجويد على المادة التي
يجب لانتهاؤها إليها ، وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما ينسج من الكساء
والفروش ، والأعلام والبنود ، جرياً في ذلك على السنن المرضي ، والمنهاج
الحمود ، وإلى من يراعي الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في
الأسواق ، والانتهاء في ذلك إلى ما ينتهي به شمل الصلاح إلى الانتظام
والانساق ، وأن يتقدم إليهم بما يجب من تعيير ما يختص بهم من المكاييل
والموازين وحملها على قانون الصحة الواضحة الدلائل والبراهن ، وأن يقصد
تبصرهم مواضع الخط في الاستقامة ويحذرهم مواقع الانتقام الذي لا تفيد
فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ، فإن عرف من أحد منهم إقداماً على
إدغال فيما يزن أو يكيل ، قوبل بالتأديب بما هو الطريق إلى ارتداعه والسبيل
قال الله تعالى : (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا
كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (١) .

وأمره أن يعرف قدر النعمة التي ضفت عليه برودها ، وحلت جيده عقودها ، وزفت منه إلى أوفى أكفائها ، وحفت بحزيل القسم من جميع أكنافها وأرجائها ، وأن يقابلها بإخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما ييدي ويسر ، وسعي في الخدمة يوفي على كل مجازٍ ومبر ، ويبدأ أمام ما يتوخاه بأخذ البيعة لأمر المؤمنين وولي عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلده ، عن نية صفت من الكدر ، والقذى ، ووقت للتوفيق بها ضمنت من خذلان البغي ونصرة الهدى ، ويتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة ترضى ، والوقوف عند الأوامر الإمامية في كل ما يؤدي إلى الوفاق ، ويفضي وأن يحمل إلى حضرة أمير المؤمنين من النية ، والغنائم ما أوجبه الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضي التلافي والاستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ووجوهه المنصوص عليها . قال الله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (١) .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ما يقتضيه مقامه لديه من وجبه الرتبة والمكان وشرفه بما يرفل من حلاه في حلل الجلال وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال وبوأه بما أولاه محلاً تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعجز عن حل عراه الأيام ، ولقبه بكذا ، وأذن له في تكتيته عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ، إنافة به على من هو في مساجلته من الأقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذلك إلى ما اقترن بها فيما هو يشمل الفخر عنده جامع ، وأنفذ لواء يلوي به إلى الطاعة أبي الأعناق ، ويحوي به من العز ما أنواره وافية الإشراق .

فُتلق ، يافلان ، هذه الصنيعة الغراء ، والمنحة التي أكسبت زنادك
الايراء ، بالاستبشار التام والاعتراف فيها بسابغ الطول والإنعام ، وأشع
ذكر ذلك عند كل أحد ، واثته في الإبانة عنه إلى أبعد أمد . واعتمد
مكاتبة حضرة أمير المؤمنين متسماً ، ومن عداه متلقباً متكنياً ، وتوفر على
شكر تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الاحسان
بالتليد . والله تعالى يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم) (١) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والحجة لك وعليك ، قد أوضح لك فيه
الصواب ، وأذل به الجوامح الصعاب ، وحباك منه بموهبة كفيلة وافية فيها المنى بسابق
الضمان واليعاد بخيري البدء والمعاد ، وضمنه من مواعظه ما هدى به إلى كل ما الجني
ثمره ، وغدا محظياً بما تروق أوضاحه في المجد وغرره ، ولم يالك فيه
تجماً يكسبك الفخر النامي ، ويجعل ذكرك زينة المحفل والنادي ، وتقديماً
ينبى عما خصصت به من المنح المشرقة الآلي ، وإكراماً يبقى صيته على
تقضي الأيام والليالي ، وتبصيراً يقي من فلتات القول والعمل ، ويرتقي
المستضيء بأنواره إلى ذرى الأمن من دواعي العثار والزلل ، فاصغ إلى
ما حواه ، إصفاء الفائز بأوفى الحظ ، وتدبر فجواه ، تدبر الناطق بفضل
الحث على الهدى والحض ، وكن لأوامر أمير المؤمنين فيه محتذياً ، ومن
تجاوز محدوده في مطالوبه محتتماً ، ومواعظه الصادقة معتبرا ، وفي العمل
بما قارن الحق مستبصراً ، تفز بالغنم الأكبر ، وبالسلامة في المورد والمصدر
وإياك واعتماد ماتدم فيه مكاسبك ، فإن لك بين يدي الله تعالى موقفاً
يناقشك فيه ويحاسبك . واعلم أن أمير المؤمنين قد قللك جسيماً ، وخولك
جزياً عظيماً ، فلا تنس نصيبك من الله تعالى غداً ، ولا تجعل لسلطان

الهموى المضل عليك يداً ، وإن خفي عليك الصواب في بعض ما أنت
بصدده ، واعترض فيه من الشبه ما يحول بينك وبين طريق الرشاد وجدده
فطالع حضرة أمير المؤمنين به ، واستنجد الله في ذلك بأسد رأي
وأصوبه ، يبدلك من الشك يقيناً ، ويد لك ما يغدو لكل خير ضميناً
إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ / ٣١ - ٤٥

١٩٨ - مكرر - فترى الإمام الغزالي في حق يوسف بن تاشفين
وشرعية ولايته :

ادعى نفر من أعداء يوسف بن تاشفين أنه ليس حاكماً شرعياً فذهب
الفقيه ابن عربي إلى الشرق وهناك التقى بالغزالي وشرح له وضع يوسف
وطلب تزويده بفتوى تثبت شرعيته وشرعية ولايته تزوده بفتوى شرعية
لأنه يخطب للخليفة المستظهر وفيما يلي نصها :

إن يوسف كان على حق في إظهار شعار الامامة للخليفة المستظهر ،
وإن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين .
وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية ، وجبت طاعته على كل
الرعايا والرؤساء ، ومخالفته مخالفة للإمام ، وكل من تمرد واستمعى ،
فحكمه حكم الباغي ، ومن حق الأمير أن يرده بالسيف وأن يقاتل الفئة
التمردة على طاعته ، لاسيما وقد استنجدوا بالنصارى وهم أعداء الله ،
في مقاتلة المسلمين ، وهم أولياء الله ، وأن يستمر في قتالهم حتى يعودوا
إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية . ومتى تركوا
المخالفة وجب الكف عنهم ، وذلك عن المسلمين منهم دون النصارى .
وأما ما يظفر به من أموالهم فردود عليهم وعلى ورثتهم ، وما يؤخذ من

نسائهم وذرائعهم في القتال مبدورة لأضمان لها ، وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولي على المنابر والبلاط بقوة الشوكة ، وحكم الباغي على نائب الإمام ، فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوايق المانعة من وصول المنشور بالتقليد ، فهو نائب بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام المصر أن يأذن لكل مسلم عادل ، استولى على قطر من أقطار الأرض ، أن يخاطب له وينادي بشعاره ، ويحمل الخلق على العدل والنصفة ، ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف في الرضا بذلك والاذن فيه وإن توقف في كتبه المشهورة ، فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإيصالها المعاذير وأما الإذن والرضا بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسنة وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين ، فلا رخصة في تركه . وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهوراً لا يشك فيه وإن لم يكن عن إيصال الكتب والتقليد منشور ، مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك ، فإن الإمام الحق عاقلة الاسلام ، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة تارة ، إلا ويسمى إلى إطفائها بكل ممكن .

عصر المرابطين لعنان ج ١ / ٤٢ - ٤٣

١٩٩ - رسالة من الغزالي إلى يوسف بن تاشفين .

الأمير جامع كلمة المسلمين وناصر الدين ، أمير المؤمنين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين الداعي لأيامه بالخير ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي .
بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد المرسلين وسائر النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين . قال رسول الله ﷺ : « ليوم من سلطان عادل خير من عبادة سبعين سنة » وقال ﷺ : « ما من

والى عشرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ، أوبقه جوره أو أطلقه عدله وقال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله » وعدل الامام العادل أولهم . ونحن نرجو أن يكون الأمير جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ، ظهير أمير المؤمنين ، من المستظلين بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، فإنه منصب لا ينال إلا بالعدل في السلطنة . وقد آتاه الله السلطان وزينه بالعدل والاحسان . ولقد استطارت في الآفاق محامد سيره ومحاسن أخلاقه على الاجمال ، حتى ورد الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي الأندلسي ، حرس الله توفيقه ، فأورد من شرح ذلك وتفصيله ما عطر به أرجاء العراق ، فإنه لما وصل إلى مدينة السلام وحضرة الخلافة ، لم يزل يطنب في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الأندلس من الدل والصغار والحرب والاستصغار ، بسبب استيلاء أهل الشرك وامتداد أيديهم إلى أهل الاسلام بالسبي والقتل والنهب ، وتطرقهم إلى اهتضام أهل الاسلام بما حدث بينهم من تفرق الكلمة واختلاف آراء الثوار المحاولين للاستبداد بالإمارة ، وتقاتلهم على ذلك ، حتى اختطف من بينهم حماة الرجال بطول القتال والحاربة والمنافسة ، وإفضاء الأمر بهم إلى الاستنجد بالنصارى حرصاً على الانتقام ، إلى أن أوطنهم بيضة الاسلام وكشفوا إليهم الأسرار ، حتى أشرفوا على التهايم والأغوار ، فرتبوا عليهم الجزا ، وجبروهم بشر الجزا ، ولما استنفدوا من عندهم الأموال أخذوا في نهب المناهل وتحصيل الماقل . واستصرخ المسلمون عند ذلك بالأمر ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين ظهير أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، واستصرخه معهم بعض الثوار المذكورين ... عن مداراة المشركين ، فلبى دعوتهم وأسرع نصرتهم وأجاز البحر بنفسه ورجاله وماله ، وجاهد بالله حق جهاده

ومنحه الله تعالى استيصال شأفة المشركين والافراج عن حوزة المسلمين ،
جزاء الله تعالى أفضل جزاء المحسنين ، وأمدّه بالنصر والتمكين ، وذكر
متابعته العودة إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه الغزوة المشهورة
وقتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة من الخارجين لامداد
ملوكها على عاداتهم ، أو من سراياهم في أي جهة يعموا من جهات المسلمين .
وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أعتاه ذلك عن جر العساكر
والجنود وعقد الأولوية والبنود . وذكر أن أولائك الثوار ، لما أيقنوا
قوة الأمير ناصر الدين وغلبته لحزب المشركين ، وسألهم رفع المظالم عن
المسلمين التي كانت مرتبة عليهم بحزبة المشركين ، وإمدادهم بهالمهم ، مداراة
لبقاء أمرهم ، عادوا إلى نمالة المشركين ، وألقوا إليهم القول في جهة
الأمير ، وجروؤهم على لقاياه ، وصح ذلك-عنده وعند المسلمين ، فسأله
المسلمون عند ذلك إزال هؤلاء الثوار عن البلاد ، وتداركها ومن فيها
من المسلمين قبل أن يسري الفساد ، ففعل ذلك . ولما تملكها رفع
المظالم وأظهر فيها من الدين المعالم ، وبدد المفسدين واستبدل بهم الصالحين
ورتب الجهاد وقطع مراد الفساد . ثم أضاف إلى ذكر ذلك مشاهدته من
تلك السجية الكريمة في إكرام أهل العلم وتوقيره لهم ، وتنزيهه باسمهم ،
واتباعه لما يفتون إليه من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه ، وحمله
عماله على السمع والطاعة لهم ، وتزيين منابر المملكة الجديدة والقديمة
بالخطبة لأمر المؤمنين ، أعز الله أنصاره ، وإلزامه للمسلمين البيعة ، وكانوا
من قبل منكفين عن البيعة ، والنداء بشعار الخليفة ، إلى غير ذلك مما
شرحه من عجائب سيرته ومحاسن أحواله ومكارم أخلاقه . وكان منصبه في
غزارة العلم ورصانة العقل ومثانة الدين يقتضي التصديق له في روايته ، والقبول
لكل ما يورده من صدق كلمته . وإن ما أفاضه من هذه الفضائل إلى

حضرة الخلافة . أعز الله أنصارها ، فوق ذلك موقع الاحماد . ثم أذكر مع ذلك توقف طائفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس عن مشايعة الأمير ناصر الدين ومتابعته ، وأنهم حالفوا النصارى واستنجدوا بهم . فأعلن المسلمون بالدعاء عليهم والتبري منهم ، ليتوب عليهم أو ليقطع شأقتهم وكتب هذا الشيخ مؤالاً على سبيل الاستفتاء ، وأفتيته فيه بما اقتضاه الحق وأوجبه الدين . وأعيجلي السير إلى سفر الحجاز ، وتركته مشعراً عن ساق الجد في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يتضمن شكر صنيع الأمير ناصر الدين في حمايته لثغور المسلمين ، ويشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب إليه ليكون رئيسهم ، ورؤوسهم تحت طاعته ، وإن من خالف أمره فقد خالف أمر أمير المؤمنين ، ابن [عم] سيد المرسلين ، ويتعين جهاده على كافة المسلمين . ولم يبالغ أحد في بث مناقب قوم ، مبالغة الشيخ الفقيه أبي محمد في بث مناقب الأمير وأشياعه المرابطين . ولقد شاع دعاؤه في المشاهد الكريمة بمكة ، حرسها الله ، لحضرة الأمير وجماعة المرابطين ، ولم يقنعه ما فعله بنفسه إلى أن كلف جميع من رجا بركة دعايهم ، الدعاء لهم في تلك المشاهد الكريمة والمناسك العظيمة ، وأعلن بالدعاء لأمر بلده الأمير الأجل أبي محمد سير بن أبي بكر ، وفقه الله تعالى ، وذكر من فضله وحسن سيرته وتلطفه بالمسلمين ورفع جميع النوايب عنهم ، ماجهد به إلى النفوس . ولقد دعي الشيخ الفقيه إلى المقام ببغداد على البر والكرامة والاتصال بأسباب يتشرف بها من حضرة الخلافة ، فأبى إلا الرجوع إلى ذلك الثغر يلزمه للجهاد مع الأمراء ، وفقهم الله تعالى . ولو أقام لغاز بالحظ الأوفى من التوفير والاكرام . وما أجدر مثله بأن يوفى حظه من الاحترام ، وولده الشيخ الامام أبو بكر قد أحرز من العلم في وقت تردده الى مالم يحزره غيره مع طول

الأمَد ، وذلك لما خص به من ... الذهن وذكاء الحس واتقاد القرية وما يخرج من العراق إلا وهو مستقل بنصيبه ، حازر قصب السبق بين أقرانه . ومثل هذا الوالد والولد خص بالأكرام في الوطن ، قد تميزا بزيد من التوفيق من الأعيان في الغرب . والله يحفظ من حفظها ويرعى من رعاها ، فرعاية أمثالها من آداب الدين المعينة على أمير المسلمين . وقد قال المحسنون ، فليستوس بمن ظفر بهم منهم خيراً . وكم دخل قبلها العراق ، ويدخل بعدها من تلك البلاد النائية وما يذكر محاسنها ولا يرفع مساوئها . وقد انتهى الشيخ الفقيه من ذلك إلى ما لا يمكن أن يلحق فيه ثناؤه ، فضلاً عن أن يزداد عليه . والله تعالى بعمر بها أوطانها ويصلح شأنها ، ويوفق الأمير ناصر المسلمين ليتوسل الى الله تعالى في القيامه بإكرام أهل العلم ، فهي أعظم وسيلة عند رب العالمين . ونسأل الله أن يخلد ملك الأمير ويؤيده تخليداً لا ينقطع أبد الدهر ، ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستنكر للملك العباد التأييد والبقاء ، وليس كذلك فإن ملك الدنيا إذا تزين بالعدل فهو شبكة الآخرة ، فإن السلطان العادل إذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير الى سرير أعظم منه ، ومن ملك إلى ملك أجل وأرفع منه ، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . ومهما وقى العدل في الرعية ، والنصفة في القضية فقد خلد ملكه وأيد سلطانه . وقد وفق له بحمد الله ومنه . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله أجمعين .

عصر المراتبين لعنان > ١ - ٥٣٠ - ٥٣٣

رفع
 عبد الرحمن النخعي
 أسكنه الله الفردوس

٢٠٠ - رسالة قاضي المرية أبي عبد الله بن الفراء إلى يوسف

ابن تاشفين .

قيل : إن يوسف بن تاشفين طلب من أهل المرية المعونة ، على حرب الكفار ، ووصل كتابه إلى أهل المرية بهذا المعنى ، وأقن جماعة من الفقهاء بجواز ذلك ، أسوة بما فعله عمر بن الخطاب . فقال أهل المرية للقاضي : اكتب الجواب ليوسف فكتب :

أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالمدونة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اقتضاها . كان صاحب رسول الله ﷺ وضجميعه في قبره ولا يشك في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ﷺ ولا بضجميعه في قبره ، ولا من [لا] يشك في عدله . فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك منزلته في العدل ، فالله سائلهم عن تقلدهم فيك . وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله ﷺ وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت للمسلمين ينفقه عليهم . فلتدخل المسجد الجامع هناك بحضرة أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين ، وحينئذ تستوجب ذلك ، والسلام^(١) .

وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٦ - ١١٨

٢٠١ - رسالة أرسلها إلى يوسف بن تاشفين الفتح بن خاقان بحق

أبي العلاء زهر بن عبد الملك لعداواة بينهما .

أطال الله تعالى بقاء الأمير الأجل سامعاً للنداء ، دافعاً للتهاول والاعتداء

(١) أورد ابن عذاري في البيان المغرب ج ٤ - ١١٨ نصاً قريباً من نصنا هذا .

لم ينظم الله تعالى بلبثك الملك عقداً ، وجعل لك حلاً للأمر وعقداً وأوطأ لك عقباً ، وأصار من الناس لعونك منتظراً مرتقباً ، إلا أن تكون للبرية حائطاً ، وللمعدل فيهم باسطاً ، وحتى لا يكون فيهم من يضام ، ولا ينال أحدهم اهتضام ، ولتقصر يد كل معتدٍ في الظلام ، وهذا ابن زهر الذي أجررته رسناً ، وأوضحت له إلى الاستطالة سنناً ، لم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته ، ولا تهادى في غيه إلا حين لم تنه أونيته . ولما علم أنك لا تنكر عليه نكراً . ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرراً ، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه ، وسرى إلى ما شاء بعدوانه ، ولم يراقب الذي خلقه ، وأمد في الخطوة عندك طلقه ، وأنت بذلك مرتين عند الله تعالى لأنه مكثك لئلا يتمكن الجور ، ولتسكن بك الفلاة والغور ، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق ، وأخفق به كل فريق ، وقد علمت أن خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وما تخفي عليه نجواك ولا يستتر عنه قلبك ومثواك . وستقف بين يدي عدل حاكم ، يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم ، قد علم كل قضية قضاها ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فبم تحتج معي لديه إذا وقفت أنا وأنت بين يديه ؟ أترى ابن زهر ينجيك في ذلك المقام ، أو يحميك من الانتقام ؟ وقد أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة ، والله سبحانه النصير ، وهو بكل خلق بصير لارب غيره ، والسلام .

نفع الطيب للمقري ج ٣ / ١٤ - ١٥

٢٠٢ - العهد الذي أصدره يوسف بن تاشفين بجعل ولده علي ولياً للعهد من بعده سنة ٤٩٦ هـ وهو من إنشاء الوزير أبي بكر .
كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية صميم كريم ، مهدت على الرضا قواعده

وأكدت بيد التقوى معاقده ، وأبعدت عن الغواية والهوى مصادره وموارده وأنفذه أمير المسلمين وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه ويرضى به عنه عمره ، غير محاب ولا تارك في النصيحة لله عز وجل ولرسوله موضع ارتياب لمرتاب ، للأمير الأجل أبي الحسن على ابنه المتقبل شيمه وهمه ، المتأمل حلمه وتحلمه ، الناشئ في حجر تقويته وتأديبه ، المتصرف بين يدي متحديه وتهذيبه ، أدام الله عزه وتوفيقه ، وأنهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهمم بمن تحت عصاه من المساهين ، وهذا فيمن يخالفه فيهم هدى للمتقين ، ولم ير أن يتركهم سوى غير مدينين ، فاعتماد في النصاب الرفيع واختار ، واستنصح أولي الرأي منهم ومن غيرهم واستشار ، واستضاء بشهاب استخارة الله عز وجل واستنار ، فلم يوقع الله بعد طول تأمل ، وتراخي مدة وتمهل اختياره ولا اختيار من فاوضه في ذلك من أولي التقوى والحكمة والتجربة واستشاره إلا عليه ، ولا صار به وبهم الاجتهاد إلا إليه . ولا التقى وأراد الترائي والتشاور إلا بين يديه ، فولاه على استحكام بصيرة وبعد طول مشورة عهده ، وأفضى إليه بالأمر والنهي والبسط والقبض بعده ، وجعله خليفته في رعايا مسنده ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناطه بمهمات الأموال والأحوال وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع ولا يعدل عن سبيل العدل وحكم الكتاب والسنة في أحد عصى أو أطاع ، ولا ينام به عن حماية من أسهره الحيف والخوف والاضطجاع ، ولا يتلهى دون معلى شكوى ، ولا يتصمم عن متصرخ لدفاع بلوى ، وأن ينتظم أقصى بلاده وأدناها في سلك تديره . ولا يكون بين القريب والبعيد من رعيته بون في إحصائه وتقديره ، ثم دعا - أدام الله نأيده - لمبايعته من دنا ونأى من المساهين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مهطعين وأعطوا صفقة أيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة والتزام

سنن الجماعة ، وبذل النصيحة ، وإصفاء النيات الصحيحة ، وموادة من صاحبه ومحاربة من حاربه ، ومكايده من كايده ، ومماندة من عانده ، لا يدخرون في ذلك على حال المكره والمنشط مقدرة ، ولا يحتجون في وقفي السخط والرضا بمذرة ثم أمر بمخاطبة أهل البلاد لتبايعه كل طائفة في بلدها ، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفقة يدها ، حتى يستوي في التزام بيعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بجبل دعوته الغائب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيرهم قلوب كانت من تراخي ما انتجز قلقة ، ولم تزل ببقية التأخر أركة ، ويشمل الناس السرور والاستبشار ، وتمكن لهم الدعة ويتمهد لهم القرار ، وتنشأ في الصلاح لهم آمال ، ويستقبلهم جد صاعد وإقبال . والله يبارك لهم فيها بيعة رضوان ، وصفقة رجحان ، ودعوة إيمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره وأعز نصره - بكل ما ذكر عنه من التزام البيعة المنصوصة فوق هذا ، وأعطى صفقة يمينه متبرعاً بها ، وبالله التوفيق . وذلك بحضرة قرطبة حماها الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ / ١٦١ - ١٦٢

٢٠٣ - كتاب وجهه يوسف بن تاشفين إلى الجميع ، يعلن توليته لهيئته من بعده ولده علياً سنة ٤٩٦ هـ وهو من إنشاء الوزير محمد بن عبد الغفور .

الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف ، وجعل الامامة سبب الائتلاف

(١) ورد نص مشابه للنص أعلاه مع بعض الخلاف ، في عصر المرابطين لعماد

١٥ ص ٤٧ - ٤٨ .

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي ألف القلوب المتنافرة ، وأدل لتواضعه عزة الملوك الجبارة .

أما بعد : فإن أمير المسلمين وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المؤمنين ، خاف أن يسأله الله غداً عما استرعاه ، كيف تركه هملاً لم يستتب فيه سواء ، وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة ، وجعلها من آكد الأشياء الكريمة ، كيف في هذه الأمور العائدة بمصلحة الخاصة والجمهور ؟

وإن أمير المسلمين ، بما لزمه من هذه الوظيفة ، وخصه الله بها من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة ، قد أعز الله رماحه ، وأحد سلاحه فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحاً إلى المعالي واهتزازاً وأكرمها سجية وأنفسها اعتزازاً ، قاستنابه فيما استرعى ، ودعاه لما كان إليه دعا ، بعد استشارة أهل الرأي على القرب والتأي ، فرضوه لما رضى واصطفوه لما اصطفاه ، ورأوه أهلاً أن يسترعى فيما استرعاه ، فأحضره مشروطاً عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط ، فقبل ورضي ، وأجاب حين دُعي بعد استخارة الله الذي بيده الخيرة والاستعانة بحول الله الذي من آمن به شكره .

ثم تستمر الوثيقة بعد ذلك مشتملة على وصايا كثيرة من أهمها تخصيص مائة عشر ألف فارس من جيش المرابطين لبلاد الأندلس ، توزع بين أهم مراكزها لحمايتها من عدوان الاسبان (١) .

المغرب عبر التاريخ لحركات ج ١ - ٢٠٣

(١) ذكر عنان في عصر المرابطين - ص ٤٥ - ٤٦ نصاً قريباً من نصنا هذا مع وجود بعض الخلافات الطفيفة .

٢ علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ - ٥٣٧ / ١١٠٧ - ١١٤٣

٢٠٤ - رسالة جوابية من المستظهر بالله الخليفة العباسي إلى علي بن يوسف بن تاشفين في تجديد البيعة له سنة ٥١٢ هـ والتقليد .

أرسل علي بن يوسف بن تاشفين ، بعد وفاة والده وبعد أن أصبح أمير المسلمين رسالة إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله ، يطلب منه تجديد البيعة والتقليد ففعل ، وأرسله رسالة منها ما يلي :

... وأما ما أنهيته من توفير الأجناد ومشارتك على الجهاد لدفع ألداس الكفرة مما يليك من البلاد . فإنك وطائفتك من حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون ، فاتخذ التقوى عمادك والحق منارك ، وكتاب الله وسنة رسوله شعارك ، وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، وخط صعادك في نحور أعداء الله الكافرين . وأعلن بالدعاء لأمر المؤمنين على المنابر ، تكن الظافر بالأعداء الظاهر . والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة سلام يهديهم إلى المقام الحمود ، ويقفهم بظل الرحمة الممدود ، ورحمة الله وبركاته .

المغرب عبر التاريخ لحركات ٢٠٢ / ١

٢٠٥ - رسالة أرسلها علي بن يوسف بن تاشفين من مراکش إلى نائبه أبي محمد بن فاطمة بإقامة الحق ، والكتاب من إنشاء ابن الجحد .

... وقد رأينا ، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق ، أن نجدد عهدنا إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل . والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته . وأنت - أعزك الله - ممن يستغني بإشارة التذكرة ويكتفي بلمحتها التبصرة ، لما تأوي إليه من السياسة والتجربة ، فاتخذ

الحق إمامك ، وملك يده زمامك ، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك
وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولا تسد في وجه المظطر المظلوم بابك ،
ووطيء للرعية - حاطها الله - أكنافك ، وابذل لها إنصافك ، واستعمل
عليها من يرفق بها ويعدل فيها ، واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها .
ومن ثبت عليه من عمالك زيادة ، أو خرق في أمرها عادة ، أو غير
رسماً أو بدل حكماً ، أو أخذ لنفسه درهماً ظلماً ، فاعزله عن عمله ،
وعاقبه في بدنه ، والزمه رد ما أخذ تعدياً إلى أهله ، واجعله نكالاً لغيره حتى
لا يقدم أحد منهم على فعل مثله ، إن شاء الله تعالى . وهو ولي تسديك
والملي بعضك وتأبيدك ، لا إله إلا هو عليه توكلت .

البيان المغرب لابن عذاري ح ٤ ٦٣ - ٦٤

٢٠٦ - رسالة أرسلها إلى علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين قائد
جيشه في الأندلس سير بن أبي بكر بن تاشفين ، يبشره بفتح قلعة
شنترين من بلاد البرتغال ، وهي من إنشاء الكاتب أبي محمد بن عبدون .
أدام الله أمر أمير المسلمين ، وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف
ابن تاشفين ، خافقة بنصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الأقاليم أعلامه
من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ويم
نقيتكَ على المسلمين .

والحمد لله رب العالمين حمداً يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ، ويسبق
الألحاظ الطامحة أدناه لا يرد وجهه نكوص ، ولا يحسد كنهه تخصيص ،
ولا يحوزه بقبض ولا يسط مثال ولا تخمين ، ولا تحصره بخط ولا بعقد شمال
ولا يمين ، ولا يسمعه أن يحويه ولا يقطعه أن يستوفيه ، ولا يجمعه عدد
يحصيه ، إذا سبقت هواديه ولحقت تواليه .

وعلى محمد عبده وأمين وحيه ، الصادع بأمره ونهييه ، نظام الأمة

وإمام الأئمة . سر آدم من بنيهِ ، وفخر العالم ومن فيه ، صلاة تامة تقضيها ، وتحية عامة تؤديها ، ترفض^ة ارفضاض الزهر من كاهه ، وتنفض انفضاض المسك من ختامه ، فلقد صدع بتوحيده ، وجمع على وعده ووعيده ، وأوضح الحق وجلاله ونصح الخلق وهدهاه ، إلا من حقت عليه كلمة العذاب وسبقت له الشقوة في أم الكتاب .

وأظهر العزيز - عزت أسمائه وجات كهباؤه - دينه على جميع الأديان على رغم من الصلبان ووقم من الأوثان ، وأنجز لنا تعالى وعده ، ونصرنا معه ^{عليه} وبعده ، وجمع في هذه الجزيرة شمل الاسلام بعد انصرافه وانبتاته ، وقطع غيل الاثرالك بعد انتصابه وثباته وأزل الذين كفروا من أهل الكتاب ، بأيدينا ، من صياحيهم ، فأخذ بأقدامهم ونواصيهم . وكانت قلعة شنترين - أدام الله أمر أمير المسلمين - من أحصن المعازل للمشركين وأثبت المعازل على المسلمين ، فلم نزل بسميك الذي اقتضيناه ، وهديك الذي اكففيناه ، نخضد شوكتها ، وننحت أثلتها ، وتتناولها عللاً بعد نهل ، ونطاولها عجللاً على مهل ، نخرف الحين بعد الحين سراة رجالها وتطرف المرة بعد المرة حماة أبطالها ، ونخوض غمار كفاحهم وبحار صفاحهم إلى بسط أشباحهم وقبض أرواحهم ، ونهدي للقنا وصدورها رؤوسهم ، وإلى لظى وسعيرها نفوسهم ، وننقلهم من السفار اليبانية إلى النار الحامية ، وزفع بالجد والتشهير حجاب كيدهم الغامض ، ونضعض باستخارة القديم القدير هضاب أيدهم الهائض . ولما رأينا هذه القلعة الشريفة المناسب في القلاع ، النيفة المناصب على القلاع ، قد استشرى داؤها وأعياء دواؤها ، استخرنا الله تعالى على صمدها ، وضرعنا إليه في تسهيل قصدها ، وسألناه ألا يكلنا إلى نفوسنا ، وإن كانت في صيانة ديانته مبذولة ، وعلى المكروه والمحبوب في ذاته محمولة ، فقصدنا إليها

وهجمننا هجوم الردى عليها ، في وقت انسدت فيه أبواب السبل ، وأعيت أهلها بحول الله وجوه الحيل . والدهر قد كثر عن أنيابه العُصْل ، وقام من الوحول والسيول على أثبت رجل ، ففزلنا بساحة القوم فساء صباحهم ذلك اليوم ، فلم نزل نصاولهم مصاولة المحتسب المؤتجر ، ونطاوولهم مطاولة المرتقب لأمر الله المنتظر ، ونشن العارات على جميع الجهات ، فترد جيوشنا عليهم خفافاً ، وتصدر إلينا ثقلاً ، فتملاً صدور الأعداء أوجالاً ، وأيدي الأولياء أموالاً ، وأمرنا بإقامة سوق سبيهم وأموالهم ، على مرأى ومسمع من نسائهم ورجالهم ، فازدادت ربحهم بذلك ركوداً ونارهم خموداً .

ولما ضمهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيم بتفريق أمواجه البوار ، وأحاط بهم البلاء ، واستشاط عليهم بغضب الجبار القضاء . ولم يكن ليل بأسائهم سحرٌ يتأمل ، ولا لورد ضرائهم صدر يؤمل ، اختاروا الدنية على النية ، ورضوا بالاستسلام للعبودية وإسلام الأهيل والذرية ، والسلامة من مدارج الكفن وموارج الجن ، ولو بجريرة الذقن . وكان القتل - كما قدمنا - قد أتى على صيد أعيانهم وصناديد فرسانهم ، فلم تبق إلا شردمة قليلة وعصبة ذليلة ، لاتضر حياتهم موحداً ، ولاتسر نجاتهم ملحداً ، نقلناهم من عين النون إلى شمال الهون ، ومن أليم الحصار إلى لثيم الأسار . وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبناهم ، بعد أن قدموا من الخضوع صدقة بين يدي نجواهم ، ووهبنا أولام لأخراهم ، وجعلنا العفو عنهم طريقاً لسواهم ، ممن يتقيل صنعهم إذا نحن غداً بإذن الله حاصرناهم . وهذه القلعة التي اتهمنا إلى قرارها ، واستولينا على أقطارها ، أرحب المدن أمداً للعيون ، وأخصبها بلداً في السنين ، لا يرعيا الخصب ولا يتخطاها ولا يرومها الجذب ولا يتعاطاها ، فروعها فوق الثريا شاحخة ، وعروقها تحت

الثرى راسخة ، تباهي بأزهارها نجوم السما ، وتناجي بأسرارها أذن
الجوزا ، مواقع القطار في سواها مغبرة مربدة ، وهي زاهرة ترف أندائها
ومطالع الأنوار في حشاها مقشعة مسودة ، وهي ناضرة تشف أضواؤها .
وكانت في الزمن الغابر أعيت على عظيم القياصر ، فنازلها بأكثر من القطر
عدداً ، وحاولها بأوفر من البحر مدداً ، فأبت على طاعته كل الإباء
واستعصت على استطاعته أشد الاستعصاء ومردت مروود مارد على الزبا .
فأمكننا الله تعالى من ذروتها ، وأزل ركابها لنا عن صهوتها (١) .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب للراكشي ٢٢٩ - ٢٣٢

٢٠٩ - مقتطفات من رسالة أرسلها علي بن يوسف بن تاشفين إلى

جند بلنسية سنة ٥١٣ هـ .

هاجم الفونسو الأول ملك أراغون سنة ٥١٣ هـ سرقسطة واحتلها ،
وتهاون جند بلنسية بإنجادهما مما مكن ملك أراغون من أخذها ، فأرسل
لهم هذه الرسالة يوبخهم وهي من إنشاء الوزير ابن أبي الحصال الذي أفحش
فيها كل الفحش وأغلظ كل الاغلاظ مما أثار ضده حفيظة أمير المسلمين فجعله
بصرفه عن خدمته .

من أمير المؤمنين (٢) وناصر الدين... أما بعد : يافرة خبث سرائرها
وانفككت مرائرها ، وطائفة انتفخ سحرها وغاض على حين مده بحرهما
فقد آن للنعم أن تفارقكم ، والأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها

(١) أورد الحركات في المغرب عبر التاريخ ١٥ ص ٢٠٨-٢٠٩ مقتطفات يسيرة من
هذه الرسالة .

(٢) لقب أمير المؤمنين خطأ من الاصل والصواب أمير المسلمين لأن لقب ملوك
المرابطين أمير المسلمين وليس أمير المؤمنين .

جلواء عارية ، وأصبحتم في ادراع عارها أمثالا سواسية . واختلط المرعى منكم بالهمل ، فما يتميز الأنقص من الأكل .

ثم يضيف بعد كلام طويل :

ومن لرعاة الإبل بالجد المقبل . لقدماً ما أذهبتهم الطارف والتالد ، وعجت عجيباً يز (؟) جذامي المطارف .

أي بني اللئيمة وأعيار الهزيمة : إلام يزيفكم الناقد ويردكم الفارس الواحد . فليت لكم بارتباط الخيول ضائناً لها حالب قاعد . لقد آن أن نوسمكم عقاباً وأن لاتلوا على وجه نقاباً ، وأن نعيدكم إلى صحرائكم ونظهر الجزيرة من رحضائكم ... (١)

المغرب عبر التاريخ للحركات > ٢٠٦ - ٢٠٧

٢١٠ - عهد أصدره أحد الملوك المرابطين يظن أنه علي بن يوسف بن تاشفين يعين بموجبه يحيى بن أبي بكر والياً على سبتة ، والخطاب موجه إلى أهلها وموظفيها .

... كتابنا ، أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ، ويسركم لما يرضاه وأبسغ عليكم نعماء ، وقد رأيت - والله بفضلہ بقرن جميع آرائنا بالتسديد ، ولايخلينا في كافة أعمالنا من النظر الحميد - أن نولي أبا زكريا يحيى بن أبي بكر محل ابننا الناشئ في حبرنا ، أعانه الله وسوده فيما قلده إياه من مدينتي فاس وسبتة وجميع أعمالها ، حرسها الله ، على الرسم الذي تولاه غيره قبله ، فأنفذنا ذلك له لما توسمنا من مخايل النجابة قبله ، ورضيناه بمن رجوان يحتذيه ويمثله ويجري عليه قوله وعمله ، ونحن من وراء اختباره والفحص عن أخباره ، لأنني بحول الله في امتحانه وتجريبه ، والعناية بتخريبه

(١) وردت الفقرة الأخيرة من هذا الخطاب في المعجب السراشبي - ٢٤٠

وتدريبه . والله عز وجل يحقق مخیلتنا فيه ، ويوفقنا في سداد القول والعمل إلى مايرضيه .

فإذا وصل إليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة والنصح والمشايمة جهد الاستطاعة وعظموا بحسب مكانه منا قدره ، وامثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره .

المغرب عبر التاريخ للحركات ح ١ - ٢١٢

٢١١ - عهد علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين بتقليد ولده تاشفين قرطبة وإضافتها إلى أعماله سنة ٥٢٦ هـ وهو من إنشاء ابن أبي الخصال :

من أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ، أعزه الله بتقواه وأمدته بتوفيقه وهداه ، كتابنا ، كتب الله لك معاني ومباني الخيرات ومهد لك مراقي الأعمال الصالحات ، من مراکش ، حرسها الله تعالى ، لعشرة بقين من رجب الفرد سنة ست وعشرين وخمسة . وقد رأينا - والله نسأله الخيرة فيما نرتبه ، والتوفيق في كل مانصنعه - أن نجتمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذلك العمل الذي أنت فيه . فإذا وقفت على كتابنا هذا ، فانهض بنفسك على بركة الله إلى هناك ، واجعل قرطبة دار سكنك وقرارة مثواك . وعلى مقدار مازدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مسعاك ، واستعن بالله في إعلانك وإسراك ، وخذ من أوقات ليلك لأوقات نهارك ، واجعل لنظرك حظاً من سهرك ، ولفكرك مستمنحاً من تدبرك ، واستظهر بحسن المشورة في مواطن الاشتباه ، فإن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

على الله) (١) . واستخلف على غرناطة عند انفصالك عنها أبا محمد الزبير ابن عمر - أعزه الله ببقواه ، وألزمه من استشمارك مراقبة الله تعالى من الذي نازمك إياه ، واعهد إليه بشاكلة ماتعهد إليك ، والمستعان الله لارب سواه .
ومنها :

وأول مانوصيك به تقوى الله ، فاجملها بردة شعارك وعقدة إضمارك وعهدة إيرادك وإصدارك ، ثم اعتمد المدلة من عباد الله ، فإنما أنت واحد منهم ، وكلنا عبيد الله إلى تراب انتسابنا ، وإلى الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء في أول النشأة والحال ، وإنما يتميزون بالمساعي والأعمال فهي التي رفع الله منها بعضهم فوق بعض درجات ... على مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته بحكم بات . وحق على من آتاه الله حظاً من ولاية لأدائه ، وقلده قسطاً من وقاية عبادته ، أن يقوم بينهم بالقسط كما أمره الله ، ويخشى يوماً حق لمن يوصى ... اليوم الآخر أن يخشاه ، وإن من عز الأمور وحزامة التدبير أن يلحظوا بعين الكلاءة ... بكل سوء ومساءة ... والله المستعان وعليه التكلان لارب غيره (٢) .

البيان المغرب > ٤ ٨٧ - ٨٨

٢١٧ - رسالة أرسلها إلى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين أمير الأندلس وواليتها من قبل أخيه علي بن يوسف بن تاشفين قاضي مرقسطة وجمهور أعيانها مستنجدين لإنقاذهم من ابن رذمير [القونسو المحارب] لما حاصر البلدة وتغلب عليها المرابطون ، وهي صرخة استنجد لم تجد شيئاً .

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) أورد عنان في كتابه عصر المرابطين ١٣ - ١٤٤ فقرات من هذا التقليد .

من ملتزمي طاعته ، ومستنجديه على أعداء الله ، ثابت بن عبد الله
وجاعة سرقسطة من الجمل فيها من عباد الله .

أطال الله بقاء الأمير الأجل ، الرفيع القدر والمحل ، لحرم الله ينعمه
ومن كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه .

كتابنا ، أيديكم الله بتقواه ، ووفقك لا شترا دار حسناه ، بمجاهدة عداه ، يوم
الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان ، عن حال قد عظم بلاؤها
وادلهمت ضارؤها ، فتنح في كرب عظيم ، وجهد أليم ، قد حل العزا
والخطب ، وأظلنا الهلاك والعطب ، فيا غوثاه ثم يا غوثاه إلى الله ، دعوة من دعاه
وأمله لدفع الضرر ورجاه ، سبحانه المرجو عند الشدائد ، الجميل الكريم
والعوايد ، ويأته وبالإسلام ، لقد انتبهك جماء ، وفضت عراه ، وبلغ المأمول
من بيضته عداه ، وياحسرتا على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك ، طال
ما عمرت بالإيمان ، وازدهت بإقامة الصلوات وتلاوة القرآن ، ترجع مراتع
الصلبان ، ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان ، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم
وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن العظيم ، تطؤه الكفرة ، الفساق بذيهم أقدامها
ويؤملون أن يندسوه بقبيح آثامها ، ويعمره بعبادة أصنامها ، ويتخذوه
معاظن لخنازيرها ، ومواطن لخماراتها ومواخيرها ، ثم يا حسرتاه على نسوة
مكنونات عذارى ، بعدن في أوثاق الأسارى ، وعلى رجال أضحوا حيارى
بل هم سكارى وما هم بسكارى ، ولا كن الكرب الذي دهمهم شديد ، والضرر
الذي مسهم عظيم جليل . من حذرهم على بنيات قد كن من الستر نحيان
الوجوه ، أن يروا فيهن السوء والمكروه ، وقد كن لا يبدون للنظار ، فالآن
حان أن يبرزن إلى الكفار . وعلى صبية أطفال قد كانوا نشأوا في حجب
الايان يصيرون في عبيد الأوثان ، أهل الكفر وأصحاب الشيطان ، فما ظنك
أيها الأمير ، بمن يلوذ به ، بعد الله ، بأمة هي وقاية هذه العظام الفادحة

والنواب الكالحة ، هو الطالب بدمائها ، إذا أسلها في آخر ذمها ، وتركها أغراضاً لأعدائها ، حين أحجم عن لقاءها . فإلى الله بك المشتكاء ثم إلى رسوله المصطفى ، ثم إلى ولي عهده أمير المسلمين المرتضى ، حين ابتعثك بأجناده ، وأمدك بالجم الغفير من أعداده ، نادياً لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده ، والذب عن أوليائه المعتمدين بحمل طاعته ، والمتحملين السبعة الأشهر الشداد الهائلة في جنب موالاته ومشايعته ، من أمة قد نهكهم ألم الجوع ، وبلغ المدي بهم من الضر الوجيع ، قد برح بهم الحصار وقعدت عن نصرتهم الأنصار ، فترى الأطفال بل الرجال جوعاً يحجرون ، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ، ويتمنون مقدامك بل يتضرعون ، حتى كأنك قلت : اخسؤوا فيها ولا تكلمون . وما كان إلا أن وصلت ، وصل الله برك بتقواه ، على مقربة من هذه الحضرة ، ونحن نأمل منك - بحول الله - أسباب النصر ، بتلك العساكر التي أقر العيون بهاؤها ، وسر النفوس زهاؤها فسرعان ما انتهت وما انتهت ، وارعويت وما أدنيت ، خائياً من اللقاء ، ناكصاً على نقبيك من الأعداء ، فما أوليتنا غناءً ، بل زدتنا بلاءً وعلى الداء داء بل أدواءً ، وتناهت بنا الحال جهداً والتواءً ، بل أذلت الاسلام والمسلمين ، واجترأت فضيحة الدنيا والدين ، فيالله وبالإسلام ، لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام ، إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الاحجام ، ونكصت عن لقاء عدوه وهو في فئة قليلة ، ولة رذيلة ، وطايفة كليلة ، ويستنفر بالصلبان والأصنام ، وأنتم تستنفرون بشعار الاسلام . وكلمة الله هي العليا ، ويده الطولى ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وإن من وهن الايمان وأشد الضعف الفرار عن الضعف ، فكيف عن أقل من النصف : فيا قبيح من رضي بالصغار ، وسماخطة الخسف . فما هذا الجبن والفرع ، وما هذا الهلع والجزع ؟ بل ما هذا العار والصنيع . أتخسبون ، يامعشر الرابطين ، وإخواننا في ذات

الله المؤمنين ، إن سبق على سرقسطة القدر . بما يتوقع من المكروه والحذر
أنكم تلمعون بعدها ريقاً ، وتجدون في سائر بلاد الأندلس ، عصمها الله
مسلكاً من النجاة وطريقاً ؟ ! كلا والله ليسومنكم الكفار عنها جلاءً وفراراً
وليخرجنكم منها داراً فداراً . فسرقسطة ، حرمها الله ، هي السد الذي إن
فتق فتقت بعده أسداد ، والبلد الذي إن استبيح لأعداء الله استبيحت له
أقطار وبلاد ، فالآن ، أيها الأمير الأجل . هذه أبواب الجنة قد فتحت ، وأعلام
الفتح قد طلعت ، فالمنية ولا الدنية ، والنار ولا العار ، فأين النفوس الأبية
وأين الأنفة والحمية ، وأين الهمم المرابطة ، فلتقدح عن زنادها بامتضاء
حدها ، وامتضاء جدها واجتهادها ، وملاقاة أعداء الله وجهادها ، فإن حزب
الله هم الغالبون ، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد في سبيله أن ينصره ، ولن
حامي عن دينه أن يؤيده ويظهره . فما هذا ، أيها الأمير الأجل ، ألا ترغب
في رضوانه ، واشتر جنانه بمقارعة حزب شيطانه ، والدفاع عن أهل إيمانه
فاستعن بالله على عدوه وحربه ، واعمد ببصيرة في ذات إلى إخوان الشيطان
وحزبه . فإنهم أغراض للمنايا والخموف ، ونهر للرماح والسيوف ، ولا ترض
بخطئة العار وسوء الذكر والصيت في جميع الأمصار ، ولاتك كمن قيل
فيه :

يجمع الجيش ذا الألوف ويفزو ولا يرزأ من العدو فتيلاً
ولن يسمعك عند الله ولا عند مؤمن عذر في التأخر والارعوا عن
مناجزة الكفار والأعداء . وكتابنا هذا ، أيها الأمير الأجل ، اعتذار
تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد وعند سائر العباد ، في إسلامكم إيانا
إلى أهل الكفر والالحاد . ونحن مؤمنون ، بل موقنون بإجابتك إلى
نصرتنا ، وإعدادك إلى الدفاع عن حضرتنا ، وأنتك لا تتأخر عن تلبية
ندائنا ، ودعائنا إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا ، فدفاعك عما هو في

ذات الله وعن كلمه ، ومحاماة عن الاسلام وحزبه ، فذلك الفخر الأنبل لك في الأخرى والدنيا ، ومورث لك عند الله المنزلة العليا . فكم يحبي من أمم ، ويجلي من كرب وغم ، وأن تكون منك الأخرى ، وهي الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك ، فأقبل بمسرك على مقربة من سرقسطة - عصمها الله - ليخرج الجميع عنها ، ويبرأ إلى العدو - وقه الله - منها ، ولا تتأخر كيفما كان طرفه عين ، فالأمر أضيق والحال أزهر ، فعد بنا عن المثل والتسويق قبل وقوع المكروه والخوف . وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا ، والمسؤولون عن صيبتنا وأطفالنا ، لإحجامكم عن أعدائنا ، وتشبظكم عن إجابة نداينا . وهذه حال نعيمك ، أيها الأمير ، عنها ؛ فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحداً ، وتورثك وجميع المرابطين الخزي أبداً . فالله الله اتقوه ، وأيدوا دينه وانصروه فقد تعين عليكم جهاد الكفار ، والذب عن الحرم والديار . قال الله : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة^(١)) ... الآية . ومهما تأخرتم عن نصرتنا فالله ولي الثار لنا منكم ، ورب الانتقام . وقد برئتم بإسلامنا للأعداء من نصر الاسلام . وعند الله لنا لطف خفي ، ومن رحمته ينزل الصنع الخفي . ويفيننا الله عنكم وهو الحميد الغني . ومن متحملي كتابنا هذا ، وهم ثقاتنا ، تقف من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب ، ولا استوعبه الإطناب عنه ، وله أتم الطول في الاصغاء إليهم واقتضاء ما لديهم ، إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

عصر المرابطين لعنان ١ - ٥٣٨ - ٥٤١

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣

٢١١ - شروط تسليم سرقسطة للملك الفونسو المحارب بن رذمير .

استسلمت سرقسطة إلى الملك الفونسو المحارب بعد حصار دام فترة طويلة وبعد أن تخلى عنها المرابطون وذلك سنة ٥١٢ هـ . وكانت شروط التسليم كما يلي :

أن تسلم سرقسطة إلى ملك أراجون [ابن رذمير] . ومن أحب المقام بها من أهلها فله ذلك على أن يؤدي جزية خاصة ، ومن أحب أن يرحل إلى حيث شاء من بلاد المسلمين رحل وله الأمان التام . على أن يسكن الروم [الأرجونيون والفرنجة] المدينة ، والمسلمون ربض الدباغين . وعلى أن كل أسير يفلت الروم من المدينة ويحصل عند الاسلام ، فلا سبيل لمالكه إليه ولا اعتراض له عليه .

عصر المرابطين لعنان ح ١ - ١٠٠

٢١٢ - رسالة أرسلها إلى أهل فاس علي بن يوسف بن تاشفين

أمير المسلمين يذم قاضيهم ابن الملعوم ويعان عزله عنهم .
فصول منه :

أبقاكم الله ، وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه . وقد أنهى إلينا وتحقق لدينا أن الجهول ابن الملعوم أجهل بأحكام القضاء من الملعوم ، وأنه أظهر فيكم أحكاماً يترحم من مثلها على مدوم . فقد وليناه خطة الموم ، ونبدناه بالعراء وهو مذموم ، وجعلنا شهب الغزلة لشياطينه كالرجوم . ولعل متعسفاً يتعسف أو متكلفاً يتكلف يلومنا في تقديمه ، وينالنا من العتب بأليمه ، ولا قدح ، فقد اختار رسول الله عليه السلام لوهي الله ... لعين بني سرح ، وقد اغتر عثمان بجمران ... الخ .

البيان المغرب لابن عذاري ح ٤ - ٩٢

رفع
عبد الرحمن الحميري
أسكن الله الفردوس

٢١٣- رسالة أرسلها إلى علي بن يوسف بن تائيفين أمير المسلمين أحد قواده يخبره بفتح أقليمش . والرسالة من إنشاء الوزير الكاتب ابن شرف .

أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين ، عماد الأنام وعتاد الاسلام السعيد الأيام الحميد المقام ، كبير بالقدر ، ظهيري على الدهر ، الذي أجله بحقه ، وأقر له بسبقه ، وأدام خلوده مؤيد الارادة ، مؤبد السعادة ، مجدد النمو والزيادة . والحمد لله الجبار القهار . الذي شد الأزر وأمن النصر ، وأعطى الفلج عن قسر ، ففلق عنه يد الماطل ، وفرق بين الحق والباطل . والحمد لله الذي أسعد بدولة أمير المسلمين الأيام ، ونصر بسيفه الاسلام ، وغازى به الكفار ، وجعل عليهم الكرة فولوا الأدبار . والله تعالى يشفع سعوده ويضمن مزيده وينصر جنوده بمنه .

ولما أن وضعني أمير المسلمين - أدام الله نصره - حيث شاء من آلة التشريف والعز المنيف ، وألحقني من النماء سربالها وأسحبنى أذيالها ، وصرف إلي من عدده وبلده ما أولاني نعمه ووالاني كرمه ، حفظت تلك الحرمة ، وأخذت في الاجتهاد في الجهاد عالقاً بسبيه ، آخذاً بمذهبـه ، وهيات من ماله عندي جيشه الموضوع بيدي ، وأجبت داعي الله بأعظم نية على أكرم طية ، لزمة ليعناه رأسها ، وعلى تقواه أسامها وأصاها وسرت عن حاضرة غرناطة - حرسها الله - في العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم ، بجيش تصم صواهلـه ، وتظم كواهلـه ، راياته خافقة وعزماته صادقة ، ونبراته على ألسنة السعد ناطقة . ومررنا من طاعة أمير المسلمين وناصر الدين على جهات سمعت منادينا وتبعت هاديننا ، واتقادت وراءنا أعداد وأمداد ، برزوا من كمون ، وتحركوا عن سكون

وأنحنا بشفر يياسة ، وقد توافد الجمع وملئ البصر والسمع ، وأخذت في
 الرأي أخمره ، والذيل أشمره ، وجددت الاستخارة لله تعالى والاستجارة
 به ، وابتلت إليه داعياً ضارعاً ، وعولت في جميع أموري على حكمه
 خاضعاً متواضعاً . ولحقنا بطرف بلاد العدو - أعادها الله - فوطئناها من
 هنالك . وقد بان عنوان الأهبة ، والتألم بنيان الرتبة ، وسرنا بجيش
 يفيض فيضاً على أرض تفيض غيضاً ، ولسيول الخيل إغراق ، ولبروق
 البواتر إشراق . وقد نطقت السنة الأعنة بقدم قدم . وأشرقت كواكب
 الأسنة في غمام القتام ، وسدت السموات كل نهج وسبيل ، واستقلت
 الرايات عن قبيل قبيل ، وأفضت بنا الخيرة إلى المدينة الحصينة «أقليش»
 قاعدة القطر وواسطة الصدر ، ذات العدد المديد والصور المشيد ، فبدر
 السابق وشفع اللاحق . وغدونا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من
 شوال ، فدرنا بها دور الحلقة بنقطها ، واكتنفناها اكتناف السجنة
 بسببتها ، وبهت القوم واتسع البحر عن العوم ، وחרاروا وحاموا ، حين
 راموا ، وجئنا بكل ضرب من الحرب ، نخسف عاليها وننسف هاويها ،
 ونلذها بالرماح ونهزها هز الفصن في أيدي الرياح ، حتى فُض الختام
 وعض منهم الابهام ، وعجل الله بالنصر وفتحها بالقسر ، ونفخ في صورهم
 ودارت دائرة السوء بدورهم ، ومحقتهم السيوف محق الربا ، وأذرتهم ريح
 النصر فصاروا هباء ، وبطاحوا بطح زرع الحصيد ، وبسطوا بسط كلب
 الوصيد ، وأخذتهم فجأتنا أخذة ، ونبذت بهم سطوتنا نبذة ، فخرجوا إلى
 الأذقان ، وسبقوا إلى الموت والإذعان ، فلما كدنا ننزل حتى كدنا ذلك المنزل
 وما أنحنا حتى أرضعنا ، ولا وصلنا إليه حتى حصلنا عليه ، فوردنا مألردنا .
 ولما استحر فيهم القتل ، واجتت منهم الأصل ، وضاق بهم المزدحم ،
 وغص ذلك الملتحم ، قصر الوقت المبتغ ، وشغل الأخيذ عن المفلت ، وألهمي

الكثير عن من قل ، وثام الجم الغفير عن القل ، وعادت بقاياهم بقصبة المدينة فولوجوها كما بلج العصفور ويقوم العثور . قد غلقوا الأبواب ، وأسدلوا الحجاب ونحن نصل الجد ، ونوحر لأقل غرب ، ولا ملت حرب تجتث الجرائم ، وتحتز الفلاصم ، وتخرب الديار وبنينها ، وتهدم البيع وصلبانها ، وتتاحفوا بهدايا السبايا ، وتكاشفوا عن بقايا الجنايا ، ونصرحوا بنياناً صدعته الختوف ، وغلبته السيوف ، فلأطلاله هدم ، وعلى رسومه ردم ، حتى علا على الشرك الايمان ، وبذل الناقوس بالأذان ، وزحزحت الهياكل عن موضعها ، وطرحت النواقيس عن بيعها ، ولاذبنا من هنالك من المسلمين عائدين بنا مستسلمين لنا ، فنأشدونا بالملة وحرمتها ، وكشفوا لنا عن الخلعة وسدتها ، وفروا من الحملة إلى الحملة ، فأوينا شاردهم ، وأقمنا قاعدتهم . فانجابت كربتهم ، وعادت بعد البوار ومجاوبة الكفار بشرٍ دار ملتهم ، وأنار لهم الاسلام على منار الايمان المجدد ، واشتهر فيهم التوحيد اشتها الحسام الجرد ، وكشف الدين عن مضمره ، وخطب الحق المبين على منبره . وأقمنا بقية يومنا على ذلك إلى أن غام النهار وحن من الشمس الاصفرار . فعند ذلك أرحنا البواتر ، وغيضت تلك الدماء الهوامر . وغدا الخميس في الخميس ، مبنياً على ذلك التأسيس ، يجر أذيال الظفر في المدد الأوفر ، ويشفع الأولي بالتوالي ، ويشتري العوالي بالعوالي ، فأصبحنا في عز وأنس ، وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كأن لم يفتنوا بالأمس . وتضامت تلك المصبة إلى تلك القصبة ، والقوم في السجن والقصر ، والحصن كالواحد في العالم والاصبع في الخاتم . والمصور مأسور وصاحب الحائط مقهور . ولم نزل نوسعهم قتالاً ، ونوسعهم ضراً ونسكالاً مسافة اليوم ، إلى أن جزر النهار مده ، وبث الليل جنده ، فعدنا إلى محلتنا وقد أمل الكالُ أينه ، وغلبت الساهر عينه . وكنت لم آل احتراماً للمحلة بطلائع تحرس جهاتها ، وتندراً آفاتها ، وفي القدر مايسبق النذر ، ويفوت

الحذر ، لا كن كفاية الله خير من توقينا . وكان الطاغية - زاده الله ذلآ -
 قد حشد أقطاره ، وحذر أنصاره ، وأبعد في الاستصراخ مضاره ، وعبا
 جيشاً قد أسر إلى دمر ، وانطوى على غمر ، فأقدم وصمم ، وبس ما تيمم ،
 فاستسلمت جماعتهم على ابن الطاغية أذفونش ، وشيخهم وزعيم فرسانهم غرسين
 أرنونش ، وصاحب شوكتهم البرهانس ، والقمط بقبدره ، وقواد بلاط طليطلة
 وصاحب « قلعة النسور » و « قلعة عبد السلام » وكل قاص ودان ، وعاجل
 ووان ، أخزى الله جميعهم ، وطل نجيعهم ، ولا أقام صريعهم .

وهذا دعاء لو مسكت كفيته لأنني سألت الله ربي وقد فعل
 وطارقوا من طرف مجتمعمهم يريدون العزة ، ويظهرون صلفاً تحت الغرة ،
 وتقدموا فتمدوا ، ودنوا فهبوا ، ووصلوا فحصلوا . وأرسل الله تعالى من
 جنده فتى كانوا قد سبوه صغيراً ، واقتنوه أسيراً ، ولله تعالى فيه خبأة
 أعدّها من عنده ، وبعتها من جنده ، ونزع الفتى إلينا من معسكرهم منبئاً
 بهم ودالاً عليهم ، وكاشفاً بهم على النبا العظيم ، ومطلماً منهم على المقعد المقيم .
 فعند ذلك ثارت ثارتنا ، ودارت على مركز التوفيق دائرتنا ، وقام القاعد ،
 وأشار البنان والساعد ، وتضام القريب والمتباعد . والليل قد هدأ ، والصبح
 قد بدأ ، والدياجير مدودة السراشق ، بمجموعة الفيالق . لا جار إلا الفاسق ،
 ولا مار إلا السماء والطارق . وكنت قد استدنت القائدين المجريين دوي
 النصيحة والآراء الصحيحة أبا عبد الرحمن محمد بن عائشة ، وأبا محمد عبد الله
 ابن فاطمة ، وليي ، أعزهما الله ، فجبالا في مضمار وساع واضطلاع ، بذرع
 وذراع . فاجتمعنا على كلمة الله متماقدين ، وخضعنا إلى حكمه مستسلمين .
 فعند ذلك حل يده المحتبي ، وقيل ياخيل الله اركبي . فعادت الآراء بالرايات
 وحكمت النهى في النهايات ، والأسنة تجول في آمادها ، والنصول تصول في
 أغمادها . وثرنا كما ثار الشهم بفرسته ، وطار السهم لفوضته ، وأمرت رجلاً

بازوم الحلة ، فسدوا فرج أبوابها ، ولادوا بأوتادها وأسبابها ، فداروا بها دور السوار وانتظموها انتظام الأسوار ، قد شرعوا الأسنة من أطرافها وأجالوا البواتر في أكنافها ، وأضافوا الأفنية ، وقاربوا بين الأخبية . وعبأنا الجيش يمناه ويسراه ، وصدره ولهاه ، وساقته وأولاه ، ونهضنا بجملتنا من محلتنا ، والصبر يفرغ علينا لامة ، والنصر يبلغ إلينا سلامه .

وتوجهنا إلى الله تقني سبيله ، ونبتغي دليله ، فما رفع الفجر من حجابهِ ولا كشر الصبح عن نابه ، حتى ارتفعت ألوية الدين سامية الأعلام ، واتسعت أقضية المسادين ماضية الأحكام ، وقبض الليل خمسة ، وفضح الصبح نفسه ، ولسن السنان لمعان ، ولشباب العراك ريعان ، ولإنفاق الإعلام ضراب أو طمان . وعند ذلك نجم « المعجم » في سواد الليل وإزباد السيل يهبطون إلى داعيهم ويهرعون إلى ناعيهم ، في دروع كالבוاري ورماح كالصواري كأنما شجروا بالديد وسجنوا في الحديد ، يزحفون والحين يعجلهم ، ويركبون والحتف يزحلهم ، يتلهظون تلهظ الحيات ، قد تحالفوا أن لا يتخالفوا وتبايعوا أن يتشايعوا ، ووصلوا إلى مقدمتنا .

وكان هناك القائد « أبو عبد الله محمد بن أبي زنبي » مع جماعة فصدتهم العدو بصدور غرة وقلوب أشرة . فأنحوا بكسكل ورموه بجندل وشدوا فما ردوا ، وصادروا فما صدوا . وتقهر القائد « أبو عبد الله » غير مولٍ وتراجع غير مغلٍ ، إلى أن اشتد منا بطود ، وزحم من جيشنا بعود ، فترأى الجمعان ، وتدانى العسكران ، وأمسكنا ولاجين ، ووقفنا والأناة بين . فعند ذلك ثار النصر فمد يميناه ، وأناط الصبر فأشرق بحياه ، ونزلت السكينة وأخلصت القلوب المستكينة ، واهتزت الفيالق مائجة وهدرت الشقائق هائجة ، وجحظت العيون غضباً ، وطلبت البواتر ميباً وأذن الحديد بالجلاد ، وبرزت السيوف من الأغمداد ، وتصاهلت الخيول

وتصاولت القيول . فعند ذلك تواقف القوم كوقفة المير بين الورد والصدر
فبرز فارس من العرب فطعن فارساً منهم فأذراه عن مركبه ورماه بين
يدي موكبه ، فاتهج ما ارتج وانفتح البهم وأفصح المعجم ، فعند ذلك
اختلطت الخيل بل سال السيل وأظلم الليل . واعتنقت الفرسان واندقت
الخرسان ، ودجاليل القتام ، وضاق مجال الجيش اللهام ، واختلط الحسام
بالأجسام ، والأرماع بالأشباح ، ودارت رحي الحرب تفر بنكالها ، وثارت
ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها ، فلشعر الصدور ابتعاد ، ولجـزـم
القلوب انتهاد ، فما وضع النهار ولا مسح الغبار حتى خضعت منهم الرقاب
وقبلت رؤوسهم التراب ، واتصل الهلك بالشرك وعادت الضالة إلى الملك ،
وقلم ظافر الكفر وطالت أيمان الإيمان ، وفر الصليب سليماً ، وعجم عود
الاسلام فكان طيماً ، وغمرهم الحيف فهبدوا ، وأطفأهم الحين فخذوا .
ومات جلهم بل كلهم ، وما نجا إلا أقلهم ، وحانوا فبانوا ، وقيل كانوا
وكشفت الهبوات وانجلت تلك الهنات عن رسوم جسوم قد قصفتها البواتر
ووطقتها الحوافر ، خاضعة الحدود عائرة الحدود وأخذت ساقتنا في الطلب
وضم السلب إلى السلب ، ومائت الأيدي بنيل وافي الكيل خيلاً وبغالاً
وسلاحاً ومالاً ودروعاً ، أكلهم حملها ، وأثقلهم حملها ، فسأت ملبساً وصارت
محبساً ، فطرحوها كأنهم منحوها ، وألقوها كأنهم أعطوها ، اخترناها نهياً ،
وأخذناها كأن لم تكن ، غصباً لقطة ولا نكر ، وعطية ولغيرهم شكر . ثم أمرت
بجمع الرؤوس ، فاخترت الدانية وزهد في جمع النائية ، فكان مبلغها
نيفاً على ثلاثة آلاف منهم غرميه أرذونش والقومط وقواد بلاط طليطلة ،
وأكابر منهم لم يكمل الآن البحث عنهم ، فكانت كالهضب الجسيم ، بل
الطود العظيم ، وأذن عليها المؤذنون ، يوحدون الله ويكبرون . فلما جاء
نصر الله ، وهب لنا فتح الله ، شكرنا مولى النعم ومسديها ، ومعين

المن ومهديها ، وصدرت غائماً وابت سالماً ، وبقي القائدان محاصرين لحصن
أقلش آخذين بمخنقهم ، مستولين على رمقهم .
فخاطبت أمير المسلمين ، أدام الله سروره ، ووصل جهوره ، معلماً
بالأمر ، مهنياً بالنصر ، ليحمد الله عز وجل على ما وهب ، ونشكره على
ما سنى وسبب . والله يتكفل بالمزيد ، ويشفع القديم بالجديد ، ويمن
بالظفر والتأييد . فهو ولي الامتنان ، والملي الفضل والاحسان ، لارب
غيره ولا معبود سواه .

دول الطوائف لعنان > ١ ٥٣٣ - ٥٣٨

٢١٤ - رسالة جوابية من علي بن يوسف بن تاشفين الى أبي محمد بن
أبي بكر عن هزيمة القلعة سنة ٥٢٢ هـ .

أصيب المرابطون بهزيمة شنيعة عند القلعة في الأندلس أمام الفونسو
المحارب ملك أرجون ، وكان قائد جيش المرابطين ابن أخت علي الأمير
أبو محمد بن أبي بكر بن سير اللمتوني . وقد دارت عدة مراسلات من أجل
هذه الواقعة هذه إحداها .

كتابنا - وفق الله رأيك وحسن هديك ، ولا آمال عن الهدى والرشد
سميك - من حضرة مراکش ، حرسها الله ، في السابع من شعبان
المكرم سنة ثلث وعشرين وخمس مائة . وقبله وافى كتابك تذكر فيه
المثيلة التي كانت للعدو - دمره الله - عليك في اليوم الذي واجهتموه فيه
بسد أن كان لكم صدره ، وأتيح لكم نصره ، فأواخر الأمور أبداً
أوكد وأهم ، والعواقب هي التي تحمد أو تذم ؛ وإذا حسنت خواتم الأعمال
فالصنع أبهى وأتم . وإن لسان العذر لتلك الحال لقصير ، وإن الله على
ذلك المشهد المضيع لمطلع بصير . تواقفتم مع عدوكم وأنتم أوفر منه عدة
وأكثر جمعاً ، وأحرى أن تكونوا أشد عن حريمكم منعاً ، وأقوى دونه

دفعاً ، فثبت وزلتم ، وجد ونكلم ، وشد عقد عزيمته وحلتم . وكنتم
 في تلك الواقعة قرة عين الحاسد وشماعة العدو الراصد . وقد كانت نصبة
 توليكم بين يديه بشيعة هائلة ، ودعامتكم لولا انشأؤه عنكم مائلة ، فشغله عنكم
 من غررتموه من الرجل الذي أساءتموه للقتل وفررتم ، ونصبتموهم دريئة
 للرماح ثم طرتم . ولولا مكان من أوردتموه من المسلمين ولم تصدروه
 وخذلتموه من المجاهدين ولم تنصروه لانكشف دون ذلك للرماح جنتكم
 ووقاؤكم ، وأصيبت بها ظهوركم وأقفاؤكم . عاقبكم الله بما أنتم أهله ، فأنتم
 أشجع الناس أقفاء وظهوراً ، وأجبنهم وجوهاً ونحوراً . ليس منكم من
 تدفع به كراهية ولا عندكم في الرشد روية ولا بديهة . فمتى وأي وقت تفلحون
 ولأي شيء بعد ذلك تصلحون ؟ ونحمد الله عز وجهه كثيراً ، فقد دفع
 بفضلله الأهم الأكبر ، وأجرى بأكثر السلامة القدر ، فاكشفوا بعمد
 أغطية أبصاركم ، وقصروا حبل اغتراركم ، والبسوا منه جنة حذاركم
 واعلموا أن وراء مجازاتنا إياكم جزاء توفونه ، ويوماً عصيباً تلقونه ، فكونوا
 بعد هذه الهناة لداعي الراشد بين مطيع وسامع ، ومن كلمة الاتفاق
 والتآلف على أمر جامع ، فإنكم لو خلصت عيوبكم ، وحسنت سريرتكم
 واطمأنت على التقوى قلوبكم ، اظهر أمركم ، وعلا جدمكم ، ولما ذهب ربحكم
 ولا فل حدمكم ، فتوخوا في سبيل الله وطاعته أخلص النيات ، وأصدق العزمات
 واثبتوا أحسن الثبات ، وكوفوا من الحذر والتقوى على مثل ليلة البيات
 وقد ذكر أن العدو - دمره الله - مدداً يأتيه من خلفه ، والله يقطع به
 فلتضعوا على مسالكه عيوناً تكلاً ، ولتكن آذانكم مصيخة لما يظراً ، فإن
 كان له مدد كما ذكر ، قطعتم به السبيل دون حماقه ، وأقمت الحزم على ساقه
 والله تعالى يفتح لكم فيكم الأبواب ، ويأخذ بأزمتكم إلى الصواب ، إنه الحميد
 الحميد ، لا إله غيره .

عصر المرابطين لعنان ج ١ ٥٤١ - ٥٤٢

٢١٥ - رسالة جوابية أخرى من علي بن يوسف بن تاشفين إلى
قواده الذين أخبروه بهزيمةهم في معركة القلعة مائة الذكر .

كتابنا - أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ، وكنفكم بعصمته وجعلكم في حماه
وأسبغ عليكم عوارفه ونعماءه - من حضرة مزاكش - حرمها الله - في الحادي
عشر من شعبان المكرم من سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ؛ غب ما وافانا
كتابكم الأثير مضمناً وصف اليوم الذي جرت به خزية المقادير ، فاستعرضناه
وتقرر لدينا جميع ما حواه ، وفي علمه سبحانه موقع ذلك لدينا ، وعزازه
شأنه علينا ، ولكن لا نخرج عن القضاء وحكمه ، ولا نحيد عن القدر
وحتمه . ولن يرد حول محتال ما سبق في علمه . وما ألونا - وهو عز وجهه
أعدل الشاهدين - جداً وعزماً وكدحاً لاعلاء كلمة الاسلام ، وحزماً يبذل
الأموال وتخير الرجال ، واعتيام الأسلحة والأفراس ، والجمع بين الإيحاء
والإيناس ، في الوعد والوعيد ، والتخصيص والتأكيد ، وعرض الآراء المتخيل
فيها السداد ، وبلوغ مدة جهاد في كل نحو والاجتهاد ، لو كان العون موجوداً
ولم يكن التعذير ... حاضراً عتيداً ، والله يخزي كل خائن ماين يأسخاطه
نعالى دأين جزاه ، ويرد به برد مضمره ورداه . ويوشك مقارضته وارداه
بحوله وطوله . وبالله القسم الأعظم ، لو أمكننا أن نكون لديكم حاضرين
لأسرعنا بذلك مبادرين ، ولما ثنأنا عن حمايتكم بأنفسنا ثانٍ ، ولا قعد بنا
عن معالجة نصركم تراخ ولا توان . وقد جددنا الآن أحث نظر . ونحن نردفه
بما يكون عليكم ألمٌ وارد وأسرع منتظر ، فلتهدأ ضلوعكم ، ويسكن روعكم
فما لنا - والله يشهد - هم سوى الדיاد عنكم والدفاع ، والانفراد لذلك
والاستجاء ، والاجتهاد والتوفير عليه بآتم الاضلاع . والله عز وجل المعين
المنجد ، فلم يزل يعضد على ما يرضيه ويؤيد ، لا إله إلا هو .

٢١٦ - رسالة وجهها علي بن يوسف بن تاشفين إلى قواده وجنده ،
بقرعهم ويوجهم عقب هزيمتهم . أمام ابن رذير [الفونسو المهارب] في
أراضي بلنسية .

من أمير المسلمين وناصر الدين . أما بعد :

يا فرقة خبث سرايرها ، وانتكثت مرايرها ، وطايفة انتفخ سحرها ،
وغاض على حين مرة بحرها ، فقد آن للنعم أن تفارقكم ، وللأقدام أن تطأ
مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية ، وأصبحت في أذراع عارها أمثالاً
سواسية ، واختلط الرعى منكم بالهمل ، فما يتبين الأنقص من الأكمل ،
فطأ طأتهم لها رؤوس عشائركم ، وقضيت بالفسولة على سايركم ، لاجرم أن قد
صرتم سمر الندى ، والأحاديث الملعنة بالعداة والعشي ، بما ظمركم من الجبن
والخور ، واستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزور ، لاتواجهونهم طرفة عين
ولا تعاطونهم حمة حين ، بل تعطونهم الظهر هنيئاً مريباً ، وتتخذونهم وراءكم
ظهرياً ، والرماح نحوكم لم تشرع ، والخليل لم تسرع ، والنفوس في حياض
المنية لم تكرع ، فإنكم ثلة ذيابهم ، وفريسة أنيابهم ، قد نعموا في بوسكم ،
وناهضوكم بلبوسكم ، وحاربوكم عاماً على إثر عام ، حتى ألقوكم وتركوكم
أسلح من حبارى وأشرد من نعام .

فالآن حين ملأتم أيديهم متاعاً ، وواديهم سلاحاً وكراعاً ، قد غزوكم في
عقركم ، وأذاقوكم وبال أمركم ، فلذتم بالجدران ، وبؤتم بالندامة والخسران .
يا بني الأصفر ، وسجاياء ذوات الدل والخفر ، أكرهتم زحافهم ، وكنتم
مع علم الله - أضعافهم ، أني لكم بالمعذرة ، وأين ؟ وقد فرص الله الواحد منكم
بالاثنتين فقال : (إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) ^(١) هذا وكلمتكم

(١) سورة الأنفال الآية ١٦

العليا ، وحلو بكم الحياة الدنيا ، ماشتم من صارم وطرف ونحض وركاب
وسوام ونضايد وخيام .

فيا أسفاً للحق يدمغه الباطل ، والحالي يهره العاقل ، لا بالحنيفية تحزتم
ولا إلى الحفيظة والاثابة تحيزتم . ليت شعري بماذا تقلدتموها هندية ،
واعقلتموها سميرية خطية ؟ وركبتموها جرداً سوابق ، وملكتموها مغارب
ومشارق ، ثاوين في غير عدادكم ، منتزين على أضدادكم ، يؤدون الاتاة
إليكم حين أشرقتموهم بالهوان ، وأتم فيه غرباء الوجه واليد واللسان ،
وصيروكم عبيد العصى ، ولستم بالأكثرين منهم حصى ، بل شزيمة قليل نفعها
كثير نفعها . فياعجباً لذهولكم ، شبابكم وكهولكم ، تأكلون ثمرها ، ولا تصالون
جرها ، وتذهبون بحلوائها ، ولا تصبرون على لأوائها ؟ أي بني اللئيمه
وأعيار الهزيمة إلام يريكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ؟

إلام يريكم الناقد يردكم الفارس الواحد
ألا هل أتاها على نأيا بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس فردكم فارس واحد
فليت بكم بارتبط الخيول ضئلاً لها حالب قاعد

ومن لرعاة الابل بالجد المقبل ؟ لقدماً ما أذهبت التالذ والطارف ، وعجباً
عجياً من جذامي المطارف وأتم قد قدحتم في ملكنا ، وأذتم بانتشار ملكنا
فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتهم إلينا فيكم ، لألقناكم عجلأ بصحرائكم
وطهرنا الجزيرة من رحضائكم بمد أن نوسعكم عقاباً ، ونحد أن تلوا على
وجه نقاباً . فاللؤم تحت عمايمكم ، والوهن والفشلطي عزائمكم ، لاكن ما
جبلنا عليه من الأناة ، وتوخيناها قدماً من إيقاظ ذوي الملكات يكفنا عن
استيصالكم ويحملنا على شحد نصالكم .

فاستنسروا يابغات الهيجا ، واستئيئسوا بعد الرجا ، واحذروا حلاً أغضبتموه
ووادياً من الصبر أنضبتموه ، وتوقوا صدرأ أخرجتموه ، وليثاً من أجمته
أخرجتموه ، وايم الله تقسم إنذاراً بكم وإعذاراً لكم ، لنوردن الفار منكم
من الزحف ما عافه من موارد الختف ، ولنتجاوزن السوط إلى السيف
ولنبذلن المعدلة فيكم بالحيف ، فليعلم المقدم المحجم منكم عن الاقدام ، أنه سلم
من الحمام إلى الحمام ، وتخطى مصرع الأسد الباسل إلى جذع مائل . وشهادة
الأبرار إلى مشهد الذل والصغار . كما أن من أصيب منكم في حرب ، أو
أبلى بطن أو ضرب ، خلفناه في الأهل والولد ، وبعناه الأثرة والكرامة
يداً بيد ، فاجتاروا لأنفسكم وأعقابكم ، وانضوا ثوب الخزي عن رقابكم
والسلام على من حمى الاسلام ، كل ما كتب به الفقيه الأديب الكاتب
البليغ الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن أبي الخصال عن أمير
المسلمين ،

عصر المرابطين لعنان ج ١ ٥٤٤ - ٥٤٦

٢٧ - رسالة علي بن يوسف بن تاشفين إلى قاضي بلنسية وفقهائها
ووزرائها وأعيانها وكافة سكانها عند نزول الفونسو المحارب ابن رذمير
عليها وحربه إياها .

كتابنا - أبقاكم الله وأمدكم بتقواه ووقفكم لما يرضاه ، ولا أخلاكم
من لطايف رضاه وعوارف نعماء - من حضرة مراکش ، حرمها الله ،
لسبع خلون من شعبان المكرم سنة ثلث وعشرين وخمس مائة .

وقد وصل إلينا كتاب الخطيب القاضي أبي الحسن منكم - أعزه الله
بتقواه - متضمناً من ذكر ما بلغه الوجل من نفوسكم ، ما لا تزال تتوخي
بحسبه - إن شاء الله - ما يني بترفيهم وتأنيسكم . فلا يذهبن بكم الجزع لما

كان من انكشاف المسلمين هناك عن مراكزهم ، وتصيرهم ماصيروه من محلتهم ، فرصة لناهزتهم وانهمزامهم بغير سبب سوى تخاذلهم المعتاد ، مع ما كانوا عليه من تكاثر الأعداد وتظاهر الأجناد ، فحسبناهم جميعاً وقلوبهم شتى . ولشد ما وعظناهم في ذلك وذكرناهم فما نجت فيهم الموعظة ، ولا نفعتهم الذكرى . وبعد ، فإننا لاندعكم - بحول الله - لضياح ، ولانألوكم إلا اهتبالاً يذهب بمشيئة الله مانالكم من توقع وارتياح ، فطيخوا أنفساً واطمئنوا قلوباً . والله يجعل من دون ما توقعتموه فتحاً قريباً ، إنه هو الفتاح العليم المنان الكريم ، لارب غيره .

واعلموا أنه قد نفذت الآن كتبنا ثانية إلى ولاية أعمالنا - كلاًهم الله وإياها - نأمرهم بتسريب الأقوات وتمجيل إنفاذها نحوكم من كل الجهات ، وسيرد عليكم منها الكثير الموفور لأقرب الأوقات . ثم لاتزالون من بالناس بأحق مكان من المراجعة والمهاماة ، إن شاء الله تعالى ، وهو سبحانه ، يوفقنا لصالح نتوخاه من لم شعتمكم ومد خللكم واذهاب مكثرثكم وحسم علكم ، ويقضي بما يضم نشرهم ويشد أزرم ويصلح أمرهم ويسد ثغرم ويحفظ الالفة عليهم ، ويربي النعمة لديهم برحمته . وتبلغوا - أبقاكم الله - سلاماً كثيراً أثيراً خطيراً موفوراً .

عصر الرابطين لسنان > ١ - ٥٤٣

٢١٨ - رسالة لعلي بن يوسف بن تاشفين من أحد قواده تتعلق بمشؤون حصن أرلبة (أوريخا) وهي من إنشاء أبي عبد الله بن أبي الحصال .

أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين ، مؤيداً بجنوده ، معاناً بتوفيقه وتسديده ، ولا زال عدله ينعمش الأمم وسعده ينهض الهمم .

كتبت - أدام الله تأييده - من قرطبة ، حرسها الله ، لست بقين من
 جمادى الآخرة ، وقبل بثلاث وافيتها من الوجهة التي صحبتني ومن معي
 فيها من أمره ، واكتفتنا عزة نصره ، بعد أن أودعنا حصن أربلة ،
 حماه الله ، قوتاً موفوراً ومرفقاً كثيراً ، وحطت عندهم الأسعار وعم
 الاستبشار . وتسلم أبو الخيار مسعود الدليل ، سلمه الله ، الحصن ،
 واحتوى عليه ، وصار أمره إليه . ووافينا فلاناً - أبقاه الله - قد استاق
 غنيمة ظاهرة ، وجملة من البقر وافرة ، وقتل من العدو - قصمه الله -
 عدداً ، وقضى وطراً وشفى وجداً ، فتيمن الناس هناك بولاية الأمير أبي
 يحيى ، أعزه الله ، وبقيادة هذا القائد الذي اقترن الفتح بمآتاه . وكانت
 [عند] مقدمنا هذا الحصن خيل طليطلة - بددها الله - مجتمعة ، فوَقَدَم
 الرعب وشملهم الصغار والرجال . وتحققنا هناك أن مواشي تلك الجبال قد
 أخذت في الا... نسياط والاسهال ، والدنو من الوادي في طلب الخصب
 وتحوله من البرد إلى الدفء . والله يجعلها للمسلمين طعمة ، ويزيدهم بها
 قوة بمزته . وأنبأ العدو - قصمه الله - الآن خادمة ، وعزائهم هامة ،
 وأيديهم جامدة ، استأصل الله ، بحمد أمير المسلمين نعمتهم ، وقصف قممهم
 وأداخ بلادهم وانتسف طارفهم وتلاذم . وألقيت الحضرة - حرسها الله -
 وقد أخذ السرور من أهلها كل مأخذ ، وسرى فيهم كل مسرى ومنفذ
 بولاية الأمير أبي يحيى ، أعزه الله ، وكثر الدعاء للأمير المسلمين ، أيده
 الله ، بما جدد لديهم من حسن نظر وخلع عليهم من جمال سيرة .
 ولقيته فلقيت كل ما أبهج وكان وفقاً لما انتشر ، ومشاكلاً لما استذاع
 وظهر ، ثم الله النعمة وظاهر عليه الكفاية والمصمة ، ووافقتني كتبه
 الكرام بما بلغ الأمل وحسم العلل . وأنا متمثل في كل معنى ما يحده ، مجتهد
 فيما يقيم ذلك الثغر ويسده إن شاء الله عز وجل .

عصر المرابطين لعنان ١ - ٥٤٧

ربه وهداه، وصبر على مشقة البلاغ وأذاه، ولم يخش أحداً إلا الله الذي رجاه إلى أن بلغ الكتاب أجله والدين مداه، وانتهى ملك أمته إلى ما كان الله له زواه، صلى الله عليه وعلى صحبه الذين ذبوا عن هذا الدين وحماوا حماه ووالوا من والاه وعادوا من عاداه.

ولما كان، أعزكم الله، الدين ينعت بالنصيحة لله ولرسوله والمسلمين والذكرى تنفع المسلمين المؤمنين، وجب أن نتخذ لكم من الموعظة به أنفسها الذي مرها في العاقبة حلوا، وأخفض مراتبها في الله علواً، فاعلموا - أعلمكم الله، ولا أقامكم مقاماً يريدكم - أن أقرب الناس إلى الله أحناهم على عباده وأحضرهم للنصيحة لهم ببلغ جده واجتهاده، وإن أولى الناس بنا من طاب خبره، وكرم أثره، وحسن مورده في الأمور ومصدره، وكذلك «العامل» منكم و«القاضي» وفقها الله، إنما اقعدا بذلك المكان لخير يتوليانه، وشر يردعانه وعدل يقضيانه، فليقدما أولاً تسديد أمرهما، ولينظرا في إصلاح أنفسهما قبل إصلاح غيرهما، فمن لا يصلح أمر نفسه لا يصلح سواء، ومن لا يسدد أموره لا يسدد أمر من تولاه، وعليكم أجمعين بتقوى الله في السر والإعلان والتعسك بمعصم الإيمان، والاستعانة على حوايجكم بالسكمان، والتنزّه عن فلتات اليد واللسان. ولم تحمل أمة من جاهل وعالم، وموج وقويم، فليردع الجاهل العليم، ولينبه الموج القويم. ولن يزال الناس بخير ما لم يتساووا، فإذا تساوا هلكوا.

وأهم أموركم الصلاة التي هي سبيل النجاة لسالكها، ولا حظاً في الإسلام لتاركها، فالزموها في جماعاتها، ولا تخلوا بشيء من مسنوفاتها ومفروضاتها وأخلصوا فيها لله العلي الأكبر، واعلموا أنها كما قال سبحانه: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (١).

(١) سورة المنكبوت الآية ٤٥

وعليكم - وفقكم الله ، بإصلاح ذات البين ، واعتماد الحق المخلص في الدارين ، وتخير الرفقاء ، وانتخاب الجلوس ، فإن مثل المجلس كمثل القين والصاحب الصالح قوة في الدين وقرة في العين .

وانتدبوا واندبوا من قبلكم إلى الجهاد الذي هو من قواعد الإيمان والرشاد . أمر الرحمن ، وفرض على الكفاية والأعيان ، واتصال الهدو بفضل الله والأمان . وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القايم الصائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام » .

والذي نأخذ به عهد الله على العامل منكم الرفق بالرعية ، والحكم بالسوية ، وإجراء أمورها على السبيل الحميدة المرضية ، فهي العنصر الذي منه الاستمداد ، والأصل بثبوته تعمير البلاد ، وتتوفر الأجناد ، ويتمكن الرباط في سبيل الله الجهاد ، وليعلم أن العدل يقسطها ، والجور يسخطها ، وقلة المساواة تشتتها وتقنطها ، ولا سبيل أن يستعمل عليها إلا من يستوثق جانبها ، وتحسن الأحذوثة عنه ، وإن ظهر أحد منهم بنظر جميل فيه ، وكان في نفسه ما يخفيه ، فالبدار البدار إلى عزله وعقابه والتشدد فيما نأمر به .

واعلموا - رحمكم الله - أن مدار الفتيا ، ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والسبدا ، على ما اتفق عليه السلف الصالح - رحمهم الله - من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه ، فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه ، ولا يأخذ في تحليل أو تحريم إلا به . ومن حاد عن رأيه بقتواه ، ومال من الأئمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه واتبع هواه ، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه ، وخاصة - وفقكم الله - كتب أبي حامد الغزالي ، فليستبع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع ضررها ، ويبحث عنها وتغلظ الأيمان من يهتم بكتابتها .

والحمر، نزهكم الله عن خباثت الأمور التي هي جماع الاثم والفجور
وبالباب المفضي إلى سواكن الفسق والشرور، فاجتهدوا في شأنها، وأوعزوا
في جميع جهاتكم بإقامة دنائهم، فقد جاء عن رسول الله ﷺ انه قال :
لعن الله الحمر، وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه ، وكذلك نوكد العهد فيما
نوصي به دايماً ، مما أوجبه الله تعالى في حقوق المسلمين من الأعشار والزكوات
والأموال المفروضة للأرزاق والمسعاة ، فليؤخذ ما فرض الله منها في نصابها
المعلوم ، على سنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وكذلك نوكد عليكم أتم تأكيد أمر أهل الذمة ألا يتصرف أحد
منهم في أمور المسلمين لأنه من فساد الذين .
والسلام الأبر الأكرم الأخطر على جميعكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى
من هناك من الساميين .

عصر المرابطين لعنان ج ١ ٥٤٨ - ٩٥٠

٥- الموحدون ٥١٥-٥٦٦٨ / ١١٢١-١٢٦٩م

١ - المهدي بن تومرت والدعوة الموحدية ٥١٥-٥٢٤ / ١١٢١-١١٣٨م

٢٢٠ - خطبة المهدي في أتباعه لما قرر إعلان دعوته ومبايعتهم
له بالمهدية.

لما استوثق المهدي من أتباعه وقبيلته ومنعته ، قصد قرية إيجيايز من
قرى السوس الأقصى ، وهناك في ركن يستظل تحته على الماء جمع أصحابه
وقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب
لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد البشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً

وعدلاً كما ملئت ظمأً وجوراً . بيعته الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه المغرب الأقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم ، وقد ظهر جور الأمراء ، وامتألت الأرض بالفساد . وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل .

يروى عبد المؤمن راوي القصة قوله :

لما فرغ الامام المهدي رضي الله تعالى عنه من كلامه ، بادر اليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هذه الصفة لا توجد إلا فيك فأنت المهدي . فبايعناه على ذلك (١) .

نظم الجمان لابن القطان - ٧٥

٢٢١ - رسالة أرسلها المهدي إلى سلطان المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين لما أعلن دعوته .

بسم الله

صلاة

من القائم بدين الله العامل بسنة رسول الله محمد بن عبد الله وفقه الله ، إلى المروور بدنياه علي بن يوسف .

أما بعد : فإننا ما وجدنا لأكثركم من عهد ، وإن وجدنا أكثركم لفاسقين لم تحشوا عقوبة رب العالمين ، ولم تفكروا فيمن حولكم من الظالمين الذين غووا فأصبحوا نادمين ، فتبعمهم الناس أجمعين ، فإذا هم أخسر الخاسرين . وقد أمرني الله بإدحاض حُجة الظالمين ، ودعاء الناس إلى اليقين ،

(١) ورد نص مطابق للنص أعلاه في الدولة الموحدية لعلام ٦٥ - ٦٦ وعصر المرابطين

لعنان ١ - ١٧٣

ونسأل من الله أمير الحسينين . لا تغتروا فإن المسلمين إليكم فلا بد أن يحيش
ونفوز لقتال من زاغ وجنف وكفر بنعمة الله ، وقد جاء في التنزيل أنكم
لستم بمؤمنين ولا تؤمنون بلا إله إلا الله . وإنما كلمة تقولونها عند الخوف
والتعجب ، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها .

ومن أجل ذلك دماؤكم حلال ، ومالككم فيء ، وقد بينا لكم وأوضحنا
السبيل ، وماتغي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . وسيعلم الذين ظاهوا
أي منقلب ينقلبون ، والسلام على من اتبع الهدى وخشي الرحمن .

صلاة

من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسيني الفاطمي
الدعوة الموحدة بالمغرب لعام ٣٤٧ - ٣٤٨

٢٢٢ - رسالة وجهها ابن تومرت إلى الموحدين يحرضهم على قتال
المرابطين

وهذا الوعد العظيم ، والعذاب الأليم فيمن ركن إليهم فكيف بن أعانهم
بنفسه وماله على سفك دماء المسلمين ، وأخذ أموالهم ، ومعوتهم على ظلمهم
ولو بدرهم واحد ، لما رواه كعب بن عجرة عن النبي ﷺ قال :

« أعينك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون بعدي ، فمن غشي
أبوابهم وصدقهم على كذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ،
ولا يرد على الحوض . ومن لم يغش أبوابهم ، ولم يصدقهم على كذبهم ، ولم
يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وسيرد على الحوض » .

وأجمعت الأمة قاطبة - خلفها وسلفها - [على] أن الظالم لا يعان على
ظلمه ، ولا تجوز طاعة في معصية الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع

والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة مما يطول تتبعها ، وتحريم طاعة الخلق في معصية الله معلوم من دين الأمة ضرورة ، ولا يحتاج فيه إلى بسط الأدلة ، فكل من أعانهم من القبائل فادعهم إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الكتاب والسنة وترك معونة المجسمين والمرتدين والمعتدين . فإن قبلوا منكم رجعوا إلى السنة وأماؤكم على جهاد الكفرة ، فخلوا سبيلهم ، وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وإن عاندوا الحق وأصروا على معونة أهل الباطل والفساد ، فاقتلهم حيث وجدتهم . ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً . وكل من امتنع عن الرجوع إلى السنة فهو عدوكم إلى المات . وكل من قتل من الكفرة والمجسمين فهو مخلد في نار جهنم وبئس المهاد ، وكل من قتل من المؤمنين فهو من أهل الجنة لقول رسول الله ﷺ : « من قتل دون دينه فهو شهيد » وهذا ما لا شك ولا ريب فيه . واعلموا - وفقكم الله - أنكم في قتال الكفرة على الحق المبين ، لا ترتابوا في ذلك ، لأنكم إنما قاتلتم عن دين الله الذي قاتل عليه الرسول عليه السلام وأصحابه ، فاجتهدوا في قتال الكفرة وأعوانهم ، واطلبوا غرتهم بالليل والنهار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (١) .

فإذا صبر الكفرة على القتال على الظلم والفساد ، فكيف نحن لا نصبر على ديننا ، ونتمسك بسنة نبينا ، ونصبر كما صبر الرسول وأصحابه ، ولنا أسوة حسنة في الاقتداء بهم ، واتباع سبيلهم ، في صبرهم على البأساء والضراء وجهادهم على دين الله بأموالهم وأنفسهم محتسبين ، حتى انمحت بهم آثار الكفر وانطمست بهم مراسم الباطل والمأطل ، حتى أجلى الله بهم الحق ، وأعز بهم الدين ، ففازوا بذلك عند الله فوزاً عظيماً ، وبقي عندهم الجليل والثناء

الحسن ، فكافوا لمن يعدم [منارة] يَهْتَدُونَ بها ، فاهتدوا بهديهم ، واقتدوا بفعلهم رضى الله عنهم أجمعين .

واعلموا - وفقكم الله - أن الدين الذي جاهدوا عليه هو هذا الدين ولا تبديل له ولا تحويل حتى ينفخ في الصور ، والصبر على إحياء هذا الدين فرض علينا كما صبروا ، والاجتهاد في المسارعة إلى الخيرات فرض علينا كما اجتهدوا ، والله يسلك بنا سبيلهم ، ويحشرنا معهم ، فأخلصوا نياتكم ، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ولا تقاتلوا للدنيا الفانية والأعراض الزائلة فإنه من قتل على ذلك فقد بطل جهاده ، وذهب أجره ، ولكن من قتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر [كان] على الله أجره .

واعلموا - وفقكم الله - أن العدو لا يغلب بالمدد ولا بالعدد ، وإنما يغلب بحسن النية والتقوى ، والأعمال الصالحة والتوكل على الله ، كما قال أبو الدرداء : إنما تقاتلون بأعمالكم ، يعني إذا صلحت الأعمال انهزم الأعداء ، ولا يستقر لهم قدم في مقابلة الحق ، فاتقوا الله وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وبادروا إلى الأعمال الصالحة ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

واعلموا - وفقكم الله - أن الجسمين والمكارين ، وكل من نسب إلى العلم ، أشد في الشذ عن سبيل الله من إبليس اللعين ، فلا تلتفتوا إلى ما يقولون ، فإنه كذب وبهتان واقتراء على الله ورسوله ، وما نسبوا إليه من الخلاف لله والرسول فذلك خب وغش للمسلمين ، وخيانة لله ورسوله وبإبي الله ورسوله أن يكون من تمسك بالحق واتبع سنة رسول الله ﷺ - وأتاب إلى الله مخالفاً لله ورسوله ، بل الخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان .

فاتبهوا - وفقكم الله - لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك على الاقتراء على الله ورسوله ، حتى عكسوا الحقائق

وقلوبها ، وحرفوا الكلام عن مواضعه ، ونسبوا من دعا إلى التوبة والتوحيد واتباع السنة إلى الخلاف ، وسموه مخالفاً بينهم ، وسموا من اتبع الباطل وخطوات الشيطان من اتباع عادات الجهل والمداهنة ، وأكل الحرام ، وارتكاب الآثام ، والإصرار على الكبائر والفجور ، وأكل الدنيا بالدين ، وأكل أموال الناس بالباطل ، سمو هؤلاء كلهم مطيعين ، وسموا أتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة ، افتراء على الله ورسوله ، فلا تلتفتوا إلى تلبيسهم ، ولا تنظروا إلى تدليسهم ، فإنه ظهرت أباويلهم ، وتعاضدوا على إخماد الدين ، وتعاونوا على الإثم والعدوان ، فويل لهم بما كتبت أيديهم وويل لهم بما يكسبون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فاجتهدوا في تعليم ما يلزمكم من فرائضكم ، واشتغلوا بتعليم التوحيد فإنه أُمّاس دينكم حتى تنفوا عن الخالق التشبيه والتشريك والنقائص والآفات والحدود والجهات ، ولا تجعلوه في مكان ولا في جهة . فالله تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ، ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن ، فمن مات على ذلك فهو مخلد في النار ، ومن تعلم توحيد خروجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإن مات على ذلك فهو من أهل الجنة .

وتعلموا ما لا تصح الصلاة إلا به مثل فاتحة الكتاب وسورة معها وحافظوا على الصلوات في أوقاتها ، واعملوا مساجدكم ، ومروا بها أولادكم وعبيدكم ، وإماءكم ، وكل من تعلق بكم ، واجتنبوا المحارم ، وردوا الظالم وتحالوا ، وتغافروا فيما بينكم ، يغفر الله لكم ، وأصلحوا ذات بينكم ولا تفسدوا في الأرض ، ولا تبذروا ، ولا تسرفوا ، ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل .

ولا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تحسدوا ، ولا تنالوا ولا تمثلوا ، ولا تولوا الأديار عند

لقاء العدو ، فمن فعل ذلك فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

وإياكم والغلول (١) ، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة واقسموها على موافقة الكتاب والسنة ، ولا تغيبوا منها قليلاً ولا كثيراً للراجل سهم ولل فارس ثلاثة أسهم ، بعد إخراج الخمس من رأس الغنيمة والغنيمة لمن شهد الواقعة ، واجتنبوا الحر لأنها أم الفواحش ، ولا تشربوها ولا تسقوها ، ولا تمصروها ، ولا تبيعوها ، ولا تبتاعوها ، فإنها رجس من عمل الشياطين ، وشاربها ملعون ، لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من الله الحر ، وشاربها ، وبائعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمول إليه » . وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .
واعلموا - وفقكم الله - أن الموحدين في الأمن والأمان ، ونصر من الله وعافية وفضل وإحسان ، وتسابعت عليهم النعم ، وترادفت عليهم المنن ، لله الحمد على ذلك .

اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم ، والاهتمام في دينهم ، والقيام بفرائضهم ، والاستعداد للقاء ربهم . قاله يتم علينا وعليهم ، ويوزعنا شكر أنعمه ، أذل الله لهم عدوهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، وزلزل أقدامهم وانتقم منهم مجورهم وأخذهم بسوء أفعالهم ، وأخذهم الله في كل ناحية ، وقطع الله لهم كل حيلة : هم في خزي وخسران ، ورعب وخذلان ، وذلك كله من حول الله وقوته لا منا ولا من أفعالنا ، إنما هو من وعد الله الذي لا يخلفه لأوليائه ،

(١) الغلول : الطمع في مال الغنيمة .

وخزي من حاد الله ورسوله من أعدائه ، أرسل عليهم جنوداً لا قبل لهم بها وأظهر عورتهم وذلمهم لأوليائهم ، وكل من استند إليهم من حزب الشيطان من أوليائهم لاشك فيه ولا ريب . إن من اعتصم بغير الله تعالى ضل سعيه ومن اتكل على غيره خسر ديناه وآخرته ، لا عاصم لمن أراد الله هلاكه ولا حيلة لمن أراد الله فتنته . والكفرة اليوم قد تبين للناس ما هم عليه من تبديل الدين وعكس الأمور وإيثار الضلال على الهدى ، وإيثار العناد والطفیان على العدل والاحسان ، وإيثار الاستنكاف والاستكبار على الاستسلام للأمر ، والانقياد للحكم ، وإيثار الفساد في الأرض على الإصلاح فيها ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من حسن الزاد وحسن الاستعداد للعباد ، وحملهم الغي والبغي على أن جعلوا الحق باطلاً . والباطل حقاً ، والكفر إيماناً ، والإيمان كفراً . والهدى ضلالاً والضلال هدى ، والعدل جوراً والجور عدلاً ومن يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له . فقد كشف الله لعباده المؤمنين تلييسهم ، وأظهر كيدهم الآن ، لاخفاء به ، فقد وضح سبيله ، وكذلك الباطل ، إلا لمن سبق عليه شقوته من الله ، فقد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم .

ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، أعاذنا الله من الريغ والزلل ، وعصمنا من الحن والفتن .

كتبنا لكم هذا الكتاب إعلاناً لكم بأن فضل الله علينا يتزايد ، وإحسانه لدينا يتضاعف ويتجدد ، ولم نزل منه في زيادة وستر ، ورحمة ونصر ، ونعم أسبغها ظاهرة وباطنة ، حتى زادنا بذلك بصيرة وتبلياً . ورأينا مواهبه لايسمها شكرنا ، وعجزت عن القيام بحقه قوانا ، وقصرت على إحصاء ذلك كله عقولنا وألسنتنا .

من الله علينا بالاعتصام بدينه في زمن عمّ هوله ، وأشرب قلوبنا الحق رغبة في دينه ، واليقين بوعده ونصره مصدقين ، لا يضرنا من ناولنا أو عادانا أو خالفنا أو خذلنا مادامت أرواحنا في أجسادنا ، وما دامت السموات والأرض . ونحن لذلك معتمدون وعليه ثابتون ، لا غله ولا نياس منه حتى نلقى ربنا غير مبديلين . ولا مغيرين إن شاء الله .

نسأل الله تمام النعمة التي أنعم بها علينا ، والمزيد فيما به أحسن إلينا فمن كان على هذا فهو منا ومن حزبنا .

وعند الصباح يحمد القوم السرى ، أعانكم الله على طاعته ، وأمدنا وإياكم بالتقوى وختم لنا ولكم بالحسنى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدعوة الموحدة في المغرب لعلام ٣٤٩ - ٣٥٥

٢٢٣ - مقتطفات من خطبة المهدي بن تومرت في أتباعه قبل معركة إيجليز ، وهي أول معركة نشبت بينه وبين المرابطين عند السوس الأقصى سنة ٥١٦ هـ .

انظروا إلى أعدائكم واعلموا أن كل ما جاءوا به من خيل وعدة إنما هو هدية من الله تعالى لكم على غربتكم وفقركم ، فأعطاكم وأغناكم .

عصر المرابطين لعنان ١ / ١٧٨

٢٢٤ - رسالة المهدي إلى المرابطين بعد أن انتصر عليهم عددا من المرات :

إلى القوم الذين استذلهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمن ، الفئة الباغية الشرذمة الطاغية لمتونة . أما بعد : فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته ، وأن الدنيا مخلوقة للفناء ، والجنة لمن اتقى ، والعذاب لمن عصى . وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة ، فإن

أدبتموها كنتم في عافية ، وإلا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحو أثاركم ،
ونكسر دياركم ، ويرجع العامر خالياً ، والجديد بالياً . وكتابتنا هذا إليكم
كتاب إغذار وإنذار ، وقد أعذر من أنذر ، والسلام عليكم سلام السنة
لا سلام الرضى .

عصر المرابطين لعنان ح - ١٧٩

٢٢٥ - صيغة التوحيد التي وضعها المهدي بن تومرت لاتباعه ، وهي

توحيد الباري سبحانه وتعالى :

لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات ،
بأنه - جل وعلا - وجب عليه الوجود على الإطلاق ، من غير تقييد
ولا تخصيص بزمان ولا مكان ولا جهة ولا حد ولا جنس ، ولا ضرورة ولا شكل ،
ولا مقدار ولا هيئة ولا حال ، أول لا يتقيد بالقلبية ، آخر لا يتقيد بالبعدية ، أحد لا يتقيد
بالأبنية ، صمد لا يتقيد بالكيفية ، عزيز لا يتقيد بالمثلية ، لا تحده الأذهان ولا تصوره
الأوهام ، ولا تلحقه الأفكار ولا تكيفه العقول ، لا يتصف بالتحيز والانتقال ،
ولا يتصف بالتغير والزوال ، ولا يتصف بالجهل والاضطرار ، ولا يتصف
بالمعجز والافتقار ، له العظمة والجلال ، وله العزة والكمال ، وله العلم
والاختيار ، وله الملك والاقترار ، وله الحياة والبقاء ، وله الأسماء الحسنى ،
واحد في أزليته ليس معه شيء غيره ، ولا موجود سواه ، لا أرض
ولا سماء ، ولا ماء ولا هواء ، ولا خلأ ولا ملاء ، ولا نور ولا ظلام ، ولا ليل
ولا نهار ، ولا أنيس ولا حسيس ، ولا رز ولا هميس ، إلا الواحد القهار
انفرد في الأزل بالوحدانية والملك والألوهية ، ليس معه مدبر في الخلق
ولا شريك في الملك . له الحكم والقضاء وله الحمد والثناء ، ولا دافع لما
قضى ، ولا مانع لما أعطى ، يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء

لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً . ليس فوقه آمر قاهر ، ولا مانع زاجر ليس عليه حق ولا عليه حكم ، فكل منة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، ولا يسأل عما يفعل . وهم يسألون (١) .

عصر المرابطين لعنان - ١ - ٥٥١

٢٢٦ - رسالة وجهها المهدي إلى أتباعه في الرافة وشمري الصدق في تقديم المخالفين إلى عمليات التمييز :
بسملة . صلاة .

من محمد بن عبد الله ...

... فمرفونا بشرح ذلك وإيضاحه ليتبين الفاسد بفساده ، والصالح بصلاحه ، ولتصل منكم جماعة فيها شيوخم وأعيانكم النباء ، وفقهم الله انبين عندهم ماتضمنه كتابكم المذكور من تلك العلامات [ليبحثوا] عنها بحثاً بالغا على أوفى الحالات ، ويعرفونا بذلك لننظر فيما هنالك .
والله يتوب على من تاب وأصلح وتبين ، ويعيننا جميعاً على القيام بما أوجب [بفضلله] وكرمه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صلاة

توقيع

الدعوة الموحدة في المغرب لعام - ٣٥٦

٢٢٧ - وصية المهدي بن تومرت لأتباعه قبيل وفاته .

قال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، وترضى على الخلفاء الراشدين وذكر ما كانوا عليه من الثبات في الحق .

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ صيغة التوحيد هذه من كتاب أعز ما يطلب ٢٤٠ - ٢٤١

... فانقرضت هذه العصابة - نضر الله وجوهها ، وشكر لها سعيها
وجزاها خيراً عن أمة نبيا - وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيران
والعالم متجاهلاً مداهناً ، فلم ينتفع العلماء بعلمهم ، بل قصدوا به الملوك
واجتلبوا به الدنيا ، وأمالوا وجوه الناس إليهم ... في أشباه لهذا القول
إلى هلم جراً .

ثم إن الله - سبحانه وله الحمد - من "عليكم أيتها الطائفة بتأييده ،
وخصكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده ، وقبض لكم من
ألفاكم ضلالاً لاتهندون ، وعمياً لاتبصرون ، لاتعرفون معروفاً ، ولاتنكرون
منكراً ، قد فشت فيكم البدع ، واستهوتكم الأباطيل ، وزين لكم
الشيطان أضاليل ، وترهات أنزه لسانی عن النطق بها ، وأربأ بلفظي عن
ذكرها ، فهداكم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم
بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين ،
وسيورثكم أرضهم وديارهم . ذلك بما كسبته أيديهم وأضرته قلوبهم ،
وماربك بظلام للعبيد ، فجددوا لله سبحانه خالص نياتكم ، وأروه من
الشكر قولاً وفعلًا مايزكي به سمعكم ويتقبل أعمالكم ، وينشر أمركم .
واحدروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدة
على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم
وكثر أتباعكم ، وأظهر الله الحق على يديكم ، وإلا تفعلوا شملكم الذل ،
وعممكم الصغار ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة . وعليكم في جميع
أموركم بمزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالعنف .

واعلموا - مع هذا - أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا على الذي
صلح عليه أمر أولها . وقد اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه أميراً عليكم .

هذا بعد أن بلونه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريره وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله ثباتاً في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه . وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدل أو نقص على عقبيه أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزم الله - بركة وخير كثير ، والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت ومسح وجوههم - وصدورهم واحداً واحداً .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب للراشدي ٢٦٣ - ٢٦٤

٢ - عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣ م

٢٢٨ - منشور أصدره عبد المؤمن إلى ولاية المرابطين لما استلم السلطة بعد وفاة المهدي .

من أمير المؤمنين وخليفة المهدي إلى سبيل الموحدين إلى أهليه .
بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ،
أما بعد :

ياعضد الفجار، وعباد الفساق الأشرار ، فقد كاتبناكم بالبنان ، وخطبناكم بالبيان ، حتى سار كالبدر ، واستمر مرور الدهر ، فلم تحيوا ولا أطعتم ، بل تناقلتم عن الحق وعصيتم ، وإن الله سينتقم منكم لأوليائه تقمة من كان قبلكم من الأمم الجاحدة ، والفرق المعاندة ، سيف الدم ينهلكم ، وحجارة المدر تدفعكم ، ثم لا يكون لكم استرجاع ، ولا يقبل فيكم استشفاع ، وهذه خيل الله قد أظلمكم وبلها ، وطمى عليكم سيلها ، فتأهبوا للموت ، والسلام

على من اتبع الهدى هداة . ولم يغلب عليه هواه ورحمة الله وبركاته .
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي - ٢٩٣

٢٢٩ - فصول من رسالة وجهها عبد المؤمن إلى الموحدين لما تم فتح
السوس الأقصى سنة ٥٢٩ هـ على يد أتباعه :

... وذلك أن فيها فتح السوس ، وأن الموحدين - أعزهم الله تعالى - لما
استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، ومن فوقه إلى أسفله
فقتل أهله ، وانجلى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق ، مما حواليه من
هنكيسة وجزولة ، وبمضهم قد انحصر مع الملتصين بتيونون ، فكان آخر
هزائمهم التي هزمهم الموحدون - أعزهم الله تعالى - فيها هي الهزيمة التي قتل
فيها توجين . ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه ، فانقبضوا بتيونون في ذل
وخزي ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرون على حركتهم ، والحمد لله
الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ ، زادهم الله تعالى استدراجاً ومكرراً ، فقام الخذول
العلاج الأعرج من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه في طريق إيفران تطوف في
حال غفلة من الموحدين ، أعزهم الله تعالى ، الذين عليها ، حتى جاز عليهم ولم
يشعروا به حتى فاتهم بن ممة هاريين ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى
بلاد السوس ، ولا شك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيراً ، إذ هو
المدير لهذه الأمور ، ولم يكلمها إلينا والحمد لله رب العالمين .

ولم يصل العلاج إلا بنحو أربع مئة برذون ، فلما وصل إلى تيونون
تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم
ومتبعهم ، فاتكوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغتروا بقدمه
فرجعوا إلى أوطانهم ، وحسبوا أنه ينعمهم من بأس الله ، مع أنهم لم يجدوا

في الدنيا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول في بلادهم ، فإزنا عسكرياً مباركاً من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد الجسم معمورة ، قد سكنوا بأهلهم ومواسيهم ، فقتلهم وغنموا أموالهم بقرأ وغنماً ودواباً وعبيداً ، وسبوا ذراريهم وأهلهم ، ورجعوا سالمين غافين ، ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعني أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم أصحابهم .

وأما العسكر ، فقصدهوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية التي رجعت إليها هاريين ، قد بعث إليهم المثلثون المحصورون بتنونوين حين عاينوا عسكر الموحدين - أعزهم الله تعالى - قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم قد عشيكم عسكر الموحدين - أعزهم الله تعالى - فهربوا . إلا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة ، فقتل الموحدون من وجدوا .

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين ، وهزموها وحرقوها ، وأطلقوا النار في القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرتة إلا بالنار ونحن ننظر إلى الدخان قد علا وارتفع في الهواء ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدر على أكثر من النظر إلى الدخان والنيران تضرم منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العليج لم يزدادوا بقدمه عليهم إلا شدة هول وحصار وخوف وجوع ، ولما أيقن البربر وغيرهم بمعجز العليج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهم . والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم وانتقم منهم بحربهم .

نظم الجمان لابن القطان ٢١٠ - ٢١٢

رَفَعُ
جبر (الرحمن) (الرحمن)
(أسكن) (النبى) (الغفور)

٢٣٠ - رسالة وجهها إلى عبد المؤمن أبو حفص عمر الهنتافى قائد

جيش الموحدين الذي أرسله عبد المؤمن لحرب الثائر الماسي بالسوس
فهزمه وقتله سنة ٥٤٣ هـ، وأرسل الرسالة التالية إلى عبد المؤمن مبشراً
بما من الله به من الفتح بقتل الماسي ، وهي من إنشاء أحمد بن أبي جعفر
ابن عطية .

كتبنا هذا من وادي ماسة بعدما ترحح من أمر الله الكريم ونصر
الله المعلوم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فتح بمرى الأنوار
إشراقاً وأحرق بنفوس المؤمنين إحداقاً ، ونبه للأمانى النائمة جفوناً وأحداقاً
واستغرق غلة الشكر استغراقاً ، فلا تطيق الألسن كنه وصفه إدراكاً ولا لحاقاً ،
جميع أشتات الطب والأدب ، وتقلب في النعم أكرم منقلب ، وملاً دلاء
الأمل إلى عقد الكرب .

فتتح تفتتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشب
وتقدمت به بشارتنا جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة ، كان أولئك
الضالون المرتدون قد بطروا عدواناً وظلماً ، واقتطموا الكفر معنى واسماً
وأملى لهم الله ليزدادوا إثماً ، وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخز
عبلاته ، واستهوي القلوب بهولاته ، ونصب له الشيطان من حبالاته ، فأنته
الخاطبة من بعد ومن كذب ، ونسبت إليه الرسل من كل حزب ، واعتقدته
الخواطر أعجب عجب ، وكان الذي قادم لذلك وأوردتهم تلك الممالك وصول
من بتلك السواحل ، من أرسم برسم الانقطاع عن الناس ، فيما سلف من
الأعوام ، واشتغل على رغبه بالصيام والقيام ، آناء الليل والأيام ، لبسوا
الناموس أثواباً ، وتدرعوا الرياء جلباباً ، فلم يفتح الله لهم إلى التوفيق باباً .
ومنها في ذكر صاحبهم :

فصرع - والحمد لله - لحينه وبادرت إليه بواذر منونه ، وأتته وافدات الخطيئات عن يساره ويمينه ، وكان يدعي أن المنية في هذه الأعوام لاتصيه ، ويزعم أنه يبشر بذلك ، والنواب لاتنوبه ، ويقول في سواه قولاً كثيراً ، ويختلق على الله إفكاً وزوراً . فلما عاينوا هيئة اضطجاعه ورأوا ماخطته الأسنة في أعضائه ، ونفذ فيه من أمر الله ما لم يقدرُوا على استرجاعه ، هُزم لهم من كان لهم من الأحزاب ، وتساقطوا على وجوههم كتساقط الذباب ، وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرقاب ، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب ، فامتألت تلك الجهات بأجسادهم ، وأذنت الآجال بالقرض آمالهم . وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهم إلا من خر صريعاً وسقى الأرض نجيعاً ، واتي من أمر الهنديات أمراً فظيعاً ، ودعت الضرورة باقهم إلى الترامي في الوادي ، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه ، ويسبح طامعاً في الخروج إلى ماينجيه ، اختطفته الأسنة اختطافاً ، وأذاقته موتاً ذعافاً . ومن لج في الترامي على لججه ورام البقاء في ثجه قضى عليه شرقة وألوى فرقة غرقه . ودخل الموحدون إلى الباقية الكائنة فيه ، يتناولون قتالهم طعناً وحرباً ، ويلقونهم بأمر الله هوناً عظيماً وكرباً ، حتى سعلت مراقات الدماء على صفحات الماء ، وحكت حمرتها على زرقة حمرة الشفق على زرق الماء . وظهرت العبرة للمعتبر في جري الدماء جري الأبحر .

الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ٢٧٧/١ - ٢٧٨

٢٣١ - رسالة أرسلها عبد المؤمن سنة ٥٥٥ هـ إلى ولده والي إشبيلية يذكر فيها عزمه على الإياب .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله

وحده . أعزكم الله وجعلنا وإياكم من الشاكرين لنعمه . إن من الواجب الحتم والمفترض الجزم ، على من لزمه شكر النعم لمسيديها ، ممد الآلاء لمهديها أن يقدر أولاً النعمة بكاملها . ويعبر خاطره بتفصيل إجمالها ، ويحضر في ذهنه بهجة جمالها ، ويسرح عين اعتباره في مناقل أحوالها حتى يفيض على باطنه نور إشراقها ، وتهيج ينابيع مقوله بهاطل غيداقها ، وتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها ، وهو الفتح الذي برز في الاعجام والإعراب ، وأضحى نسيج وحده في الأشباه والأنساب ، وعقم عن مثله الزمن السالف ، وخلت عن وصف نظير له الكتب والصحائف . تتأكد بحمله وجول الاعتبار ، ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار ، وقد أبرزت لكم صوره ، وتليت عليكم آياته وسوره . ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي إليها الأوصاف ، وغايات لا تحيط ببعضها الأكناف . فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعمال في وزنه لميزانه ، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه . واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لها . والجرمة التي أبادها الله وأذهبها ، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها ، وهي شوكة الأمة التي لم تزل الأمم صالية بنيرانها ، والجن والإنس مستعيزين من شيطانها ، ومردة كل طائفة متحيرة من تمردا وطغيانها ، قد دوخت الملوك والممالك ، واستحقت المسارح والمسالك ، واقتحمت بيأسها المتالف والممالك ، ومرت عليها قرون لم يهض لها جناح ، ولا ريع لها صباح ، ولا قارنها في مطالبيها الغوية إسجاح ، حتى ظنت أن الخوف تهابها ، وأمر الله لا يطررها ولا يبتابها ، إغتراراً بعددها وعديدها ، وثقة بأن الأيام لا تنتقل فيهم عن معبودها . وقد خبا الله لأولياؤه الموحدين من الفتح فيهم صنماً اختصم به من بين الأنام ، وأجراه عدة لهم في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام . فلما حقت عليهم كلمة عذابه ،

وأراد الله إنفاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه .

تتسنى لأهل الحق نيل مرادهم
ويُسرت الأسباب فاخترت المنى
ودبر رأيٌ فالتقت عزماته
فسار بأمر الله جيش عرمرم
بكل بسيط الشأو منقبض النساء
سروا ، ورياح النصر تجرد بينهم
بضرب يزيل الهام عن مكنااته
شفى كل صدر نور الله قلبه
وطهرت الآفاق من كل كافر
ولما طفت جهلاً رياح وصرصرت
فلم تنف عنها اللات شيئاً ولا حمى
وقد مزقوا في الأرض كل ممزق
وهذا هو الفتح الذي بكأله
به تفتح الدنيا به تبلغ المنى
لقد جل قدراً أن يحيط بوصفه
ولله سر فيه لا بد أن يحتلي
ستلقى بلاد الروم منه حتوفها
وما كان هذا الغزو إلا من أجله
وقد صرفت نحو المغرب عزيمة
معوذة ألا تهم بمطلب
وجده لأهل الحق أدب معجل
وحاجاتهم بالشرق قد قضت لهم

وطاب لهم فيما يرومونه الورد
وأحكمت الآمال فانتضى الجسد
على حكم ماقد أحكمت ضربه الهند
يقود به سعد ويحدو به سعد
يصول عليه في الوغى أسد ورد
فأضحت رياح مالها منهم حرد
وطعن شتيتات القلوب به سرد
وأشقى صدوراً مالها بالهندي عهد
فحصحص حق الله واستحكم العقد
دهتها بأمر الله داهية إده
نفوسهم عنا سواع ولاود
فمن فاته قد أحاط به قد
تكامل أمر الله وانتجز الوعد
به يسجج العاصي به يقرب البعد
لسان وأن يحصي معانيه عند
بآثاره في كل مفتتح بعد
وينشئ أولى الاتحاد من ذكره جهد
فلما تجلى صبحه كمل القصيد
يبين لها في كل ناحية وقد
فيلقى له من دونها أبداً بدء
فله ذاك الرأي والمذهب الجد
فآمالهم نحو المغرب تمتد

إلى الأفق الغربي صرنا صدورنا
 فيامعشر الأشياخ من كل طالب
 نبشركم أنا اهتتمنا بأمركم
 ويصحبنا من خالص العرب معشر
 رأوا في ذويهم عبدة فتيقظوا
 ستغزو بلاد الروم منهم عصائب
 فطوبى لأهل الغرب ماذا يرونها
 جيوش بنصر الله تهمني عليكم
 ويشجى برآها الأعادي كأنما
 ستعلم أرض الروم أي فوارس
 وأي رجال للحروب إذا بدت
 ودنا وإياهم لحتم غلابنا
 وإنا لنرجو الله في كل حالة

خفافاً كما طارت بجرجاتها الريد
 ومن حافظ للذكر ألفاظه سرد
 فليتكم منا المسومة الجرد
 أنابوا فما ردوا وتابوا فما ارتدوا
 وكان لهم في غي غيرهم رشد
 وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند
 لقد جل قدراً أن يحيط به حد
 يروق بها وهدهد ويزهي بها نجد
 عليكم بها صم الشوامخ تهسد
 على ظهرها منهم إذا وفد الوفد
 أسود شرى يخشى ترايبها الأسد
 لهم وكلام الوحي ليس له رد
 فيوسعنا فضلاً له الشكر والحمد

وهذه الفتوح التي تفتحت لها السماء ، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلام ،
 إنما صلى بنيران سيوفها ، ودارت أرحية حتوفها على الرياحيين ، ومن
 انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الإيمان ، ونبذوا وراء
 ظهورهم أسباب الأمان ، وآثروا ناعق الشيطان على داعي الرحمن . وأما
 سائر الأعراب فالرجاء فيهم متمكن ، وطريق إحدى الخطتين لهم متبين ،
 والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعين ، لا يحيص لهم عن إحدى السبيلين
 ولا بد لهم من ركوب إحدى الطريقتين ، فأما من ظلم نفسه واعتزل الحق
 وأهله ، فسيزدق من العذاب الأدنى مرأ ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً
 نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا
 'يسرا . الوعد بفتحهم وملكهم سابق ، وخبر الوحي لا محالة صادق ، والنظر

في أمرهم متدارك متلاحق ، والعمل على شاكلة الصواب بحسب ما يكون
منهم متناسق ، فاستبشروا - وفقكم الله - لما تستقبلونه من المواهب الجسيمة
والفتوح العميمة ، فإنها لهذه التي بين اليد - وإن عظم خطرها ، وجل في
النفوس أثرها - بمنزلة الجملة للعنوان ، أو الروح من الجثمان . والله تعالى يجعلنا
وإياكم ممن شكر النعمة وآثر العمل الصالح وقدمه بمنه ، والسلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته .

تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ١٣١/٢ - ١٣٥

٢٣٢ - رسالة وجهها عبد المؤمن إلى الموحدين في الأندلس القائمين
بأمر الدعوة والحكم فيها .

من أمير المؤمنين - أيده الله تعالى بنصره وأمده بموته - إلى جميع الطلبة
الذين بالأندلس ، ومن صحبهم من المشيخة والأعيان ، والكافة - وفقهم الله
واستعملهم بما يرضاه - سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي
بعدله قامت السموات والأرض ، وبه تقوم . وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة
الباركة والتسليم ، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام
المعصوم . المهدي المعلوم الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم به الروح والنعم
ويريهم رحيقها المختوم .

وكتابنا هذا : كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن
والأمن أنعم نعمة ، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه من الحضرة
العلية بتنميل - حرمها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة
ثلاث وأربعين وخمس مئة . وقد وصلناها - والحمد لله - وجناح الرحمة مخفوض
وطرف المسكاره مفضوض ، وفيض العدل والبذل منتشر مستفيض ، وشأن

الظلم - ياذن الله تعالى - مكفوف مقبوض ، والحق أبلج ، لا كناية ، ولا تعريض .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي - رضي الله عنه - لتجديد عهد به تقادم ، وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم ، تتماً ببركاته ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته ، وحرصاً على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتزود بالقطوف على ما عهدته من العوارف المتممة . كل ذلك غرضاً في ذات الله تعالى غرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه . وقد تم - بحمد الله تعالى - هذا الوطر ، واقتضى الاياب إلى النظر في المصالح ، والرأي الجميل النظر ، وتفجرت بحمد الله - منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى شرف حالاته وآمنت ، وانبعثت موارد البركات - بعدما غارت - في غير هذا الزمان المذكور - وفاضت . ونسأل الله تعالى عوناً على شكر هذه النعم التي غلت ملابسها ، ودعت الأفتدة نفائسها ، وخاب عن رحاها خاسر الكلمة وبائسها ... وقد اتصل بنا - وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقي الله ولا يخشاه ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتنشاه ، ولا يؤمن بيوم الحساب ، فيما أذاعه من المنكر والفحشاء ، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار ، وينتشرون بالقتل بأعراض الدنيا أقبح الانتشار ، يستحلون حرمة المسلمين من غير حيلها ، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحيلها ، ويضعون الشدة والغلظة بطراً ورياءً في غير محلها ، ويبتدعون من وجوه المظالم ما تضعف شواهد الجبال عن حملها ، ويستنبطون من فواشش الآثام ، ما تذهب نفوس المؤمنين

لأجلها ، ويتسبون إلى قتل المسلمين ، فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبسات يسيئون بها ، وضرورات يضيفونها إليهم وينسبونها ، وينظرون إلى اهتضام حق الله - تعالى - فيهم بأباطيل يمدونها ظلماً ويحسبونها ، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موحجة ، ويعبثون فيهم بكل غاضبة للقلوب منتزعة : والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفوراً بغير حق عبثاً ، جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول : يارب : سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة . . » ولا يلتفتون إلى عاقبته ولا يحرون (؟) بأذانهم ما يفعل الله بأمثالهم ، ولا يخطر على بالهم : يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . هيهات ، هيهات . . . إنهم ساء ما كانوا يعملون . تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمد ما يهدم هدأً ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سداً ، ويتأصلهم بصواعق الانتقام فقد جاءوا شيئاً إدأً . أما علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ويوقعهم في مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أردية سرايرهم ، فيما استهواهم الشيطان به . واستغواهم ، أما علموا أن أمر المهدي - رضي الله تعالى عنه - تساوى به في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ، ألم يقل رسول الله - صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم - « المسلمون تكافأ دماؤهم ، ويسعى لذمتهم أذناهم ، وهم يد على من سواهم » ، لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه ، وإقداماً وأعمت الشهوات بصائرهم إذهاباً لنور الحق من نفوسهم ، وإعداماً ، وتالله لو تمين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حياله مكروه ولا تخلص ، ولسارع إليه من أسرع بعقابنا ، ما يححو رسمه محو الفناء ، ويكتب يديه بما قدمنا من الخنا ، لقد ذكر لنا من تلك العالم المستغرقة لأنواع المآثم الموبقة لأهلها ، حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائفين في غمرات أبحرها الشيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة ، القاطعين لأبهرها

يعدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغاً في الانتهاء بكثرتها ، وأجاشاً (١) ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إينالاً للصدور ، وإيجاشاً . وذلك أمر - معاذ الله - أن يرضى به مؤمن بالله أو يتجه إليه حق نبوع من الاتجاه ما أبعد العدل أصلحك الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه .

وقد علمت أن عادتنا فيها يستوجب الضرب أو يستحققة ، من يظلم الأمر الشرعي أو يعقه بمحدود معلومة دون إفحاش ولا انتهاك ، ومواقف مرسومة تقابل كلاً بمقتضى جرمه من أثيم ، أو أفاك . ولقد ذكر لنا من أمر المغارم والكوس ، والقبالات ، وتحجير المراسي ، وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً ، وأدناها إلى من تولاها دماراً وهلكاً ، وأكثرها في نقص الديانة عبثاً وفتكاً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وغلقه ، ووصل سبيل الحق وطرقه ، وإجراء العدل إلى غاية شأواه وطاقه ؟ اللهم إنا نشهدك أن مزيلنا ، سبيلك ، وإنا نستعيذك مما استعاذ منه محمد رسولك ، روي عنه - عليه السلام - أنه قال : «أعوذ بالله من الغرم ، والمأثم» ، تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم ، ولئن نقل إلينا - والله الشاهد - أن نوعاً من هذه الأنواع ، أو صنفاً من تلك الأصناف المظلمة ، يتولاه أحد هناك من البشر ، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر لنعاقبه بمحو آثاره عقاباً يبقى عظة لمن اعط ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ .

وأن من ذلك الرأي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها ، والطوائف المارة على البلاد ، لمعى تجارتها ، يتسبب إليه قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء ، الذين يضعون الغش على ما يوهمون به من النصيحة ، ويستنبطون المكر في تصرفاتهم القبيحة

(١) الأجاش : خدش الجلد حتى يخرج منه الدم .

ويقولون للرجل منهم «عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن الخزن جميع ما به أتيت» ويقرون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى به المذكور من الخروج عن جملة ماله ، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب ، أعظم مناله . وإنها لداهية عاقرة ، قاسمة للظهر فاقرة ؛ وباعجاباً لكم معشر الطلبة والشيوخ ، وكافة الموحدين ، فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتكم وما أنتم على حق ؛ كيف تتكيف هذه الكباثر ، وأنتم هناك للأمور رصد ؛ أم كيف تجري هذه الظلمات وقد قام للحق أود ؛ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ، والحرمات تنتهك ، ولا يتعض لذلك منكم أحد ؛ كلا ليعاقبن كل من جنى ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى . وإن من وراء قولنا لتتبعاً يبحث عن ذلك ويمحص ، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص .

ولا شك - والله أعلم - في أن أسباب تلك المنكرات ، وداوغي تغير تلك الأحوال المتغيرات قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ، يقولون ما لا يفعلون ذهاباً إلى التلبيس عليكم والإلباس ، ويجعلون التفسير بالظلم والعدوان بدلاً من العقل ، والقول الجميل والاليناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها وبعدكم عن مباشرة الأمور ومعاينتها ، والتحجب عن مطالعة الأمور ، داعية كبرى لفسادها واختلالها ، وسبب قوي في انتقاضها وانحلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهاكها في البواطل واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب عن قصدكم من الخير ونواياكم ، وباشروا الأحكام هناك مباشرة المتعمد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المنتقد ، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال كثير الاضطراب ، في الباطل والانتقال ، فقد «نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال» وتثبتوا - وفقكم الله تعالى - في الأحكام التي لا بد لكم من النظر فيها تثبت الباحث عن حقائق الأمور ، وتمهدوا الناس بالتحذير من اللدد

في الخصاص ، وبالغوا في الايضاء ، ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي إلى المهجوم عليها والافتحام ، ويخرج النظر عن التثبت في القضاء والأحكام ، فاذهبوا فيها مذهباً وسطاً ، واقصدوا الاعتدال مقصداً مقسطاً ، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكماً ، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه ، لرسم لكم فيه رسماً ، فليس كل مجتهد مصيباً برأيه ، ولا كل هاجم على رأي منجحاً في سعيه ، وبين طرفي الأحوال واسطة جميلة ، فيها معقد السياسة ومناطها ، وخير الأمور - كما قال عليه الصلاة والسلام - أوساطها .

وعليكم أن تبحثوا بناية جدكم عن أولئك المسيبين لتلك القبائح ، الساعين في صدماء يرضاه الله تعالى من المصالح ، وتعرفونا بهم - بعد تثقيفهم - لنشرد بهم من خلفهم ، ونكف بمقابهم نوعهم الظالم وصنفهم . وقد استخرنا الله في سد تلك الذريعة ، وصدد تلك الأفعال الشنيعة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين الكبار ، وتعلمونا بنبأ ، كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن تقيموا الحد عليه ، أو تبادروا بالمقاب إليه ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم ومن هو منهم وداخل في مضارهم . وكل من ترون أنه يستوجب القتل ممن يريد المكر في أمر الله تعالى واختل ، فمرفونا بجلية أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بحيز أمره ومشروحه ، لينفذ فيه من قلنا ما يوجب الحق ويقتضيه وغضبي في عقابه بما ينفذه الشرع ويمضيه . فإياكم من مخالفة أمرنا هذا من قتل أحد ممن ذكرنا كائناً من كان ، كبر ذنبه عندهم أو هان ، ولتباشروا إلى إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما زاه ، ونجري الحق في مجراه . وقد أعلمنا بأن من يرضى بتلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحها ، ولا يبالي بأحسن الفعل وقبيحها ، يبتاع المرأة ويسمها دون استبراء ، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء ، ولا يتحفظ عن مواقمة الزنا

الحض ، ومخالفة الواجب مع الفرض ، وإن في ذلك من إطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع وإفساد الأصل من السنة والفرع ، مالا يحل سماعه ، ولا يستقر بنفس مؤمنة استطلاعه ، فلا سبيل لأحد من هنالك أن يتناع شيئاً منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع ، ولتقدموا للنظر في أسواقين من رضون دينه وأمانته وتتحققون ثقته وصيانيته : فمن أبيع له البيع والابتيع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع ، وتجري السنة مجراها ، ويمثل الأمر المطاع . وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع ماتمنونه منهن في تلك الأرجاء حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته وتعلمونا من ذلك بحليته ل نرمم لكم ما يكون اعتمادكم ويجري إليه اقتضاؤكم .

والله الله في البحث عن الخمر وتقديم النظر في أمرها فهو من أم الأمور ، فإنها مفتاح الشرور ورأس الكبائر والفجور ، وهي رابطة أهل الجرم ، وجامعة أشتات الظلم . قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « الخمر جماع الإثم » فجدوا في طلبها في المواطن المهمة بشأنها ، واجتهدوا في إراقها وكسر دنانها ، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارغوه والحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب يكون بالحفاظة على ذلك محل المكاليء الرقيب ، ولا يكن منهم إلا من يفرق بين الحلال [والحرام] ويميز ، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز ، ومروهم بالتمسك لمواضع بيع الرب واعتصاره ، وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك واقتصاره فما حل منه أباحوه ، وما كان غير ذلك قطعوه أصلاً وفرعاً وأراقوه [الحلال بين والحرام بين] ، ولقضايا الشرع نظام . قال رسول الله

صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام » وإن من يسمى في نوع من أنواع الفساد، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار والإيراد ، هؤلاء الراقصون (١) الذين يردون بالكتب ويصدرون ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون ، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كفهم ، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم ، وهذا فعل كل فرقة منهم في سيرها وسوء رأيهم بذلك في الخازن وغيرها . وإن من جملة ما حكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعاً ، ويجلون بأفنية الناس حلولاً شنيعاً ، ويكلفونهم مؤوناتهم تكليف المحرم ، ويتحكفون عليهم بحكم الغرم ، حتى إنهم لا يرضون في ضيافتهم إلا بأمن الجزر وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ، فسارعوا ، وفقكم الله تعالى ، إلى حسم هذه العلة من أصلها ، وبادروا إلى قطع هذه العادة الذميمة وفصلها ، وتخبروا لرؤسائكم أرسالاً ، وانتقوا من أهل المقدره على ذلك والثقة رجالاً ، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في الحرجى والانصراف ، ويقطع شأنهم من التكليف والالخاف ، وارسموا لهم أياماً معروفة العدد مملومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم ، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة . والله المستعان على دفع أسباب الجور ، ونستعيز به سبحانه من الخور .

وكذلك ذكرنا - وفقكم الله تعالى - من التحكم في الأموال ، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال .

إن أولئك الذين ذكرت خدعهم ووصف غرضهم الذميمة ومنزعهم ،

(١) يقصد بالراقصين سعاة البريد .

يفعلون في أموال الناس ماتقدم ذكره وشرح فكره ، وتمتد أيديهم إلى الخازن هناك فيعيشون فيها ، ويتحكمون ويحترون في التعدي عليها ملء شأوهم ، وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ، فإنها أمواله الخزونة في أرضه وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولاسييل لكم أن تنفذوا منها قليلاً ولا كثيراً ، إلا بعد استئذاننا وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك ، وهذا أمر منا لكم ، ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ ، والموحدين كافة أمراً دائماً لازماً ، سنته بالاستمرار مستظلة وصحبته بفضل الله لا تدخلها العلة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة الموحدين ، وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة منيرة . فأمرنا بجميع فصول كتبنا هذه اليكم ، ولسواكم شامل ، وفي جميع أقطار الموحدين نافذ عامل . فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف ، فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله ومعاذه ، ومن لم يمثل به بواجب الامتثال ويكف يده عما رسمنا في كافة الأحوال ، فقد تعرض لأشد العقاب وأوحاش (١) ، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصدده الانتقام به عن سواه ، فاستصحبوا حدنا هذا استصحاباً مؤيداً ، واتصلوه في كافة أحوالكم مستنداً ومعتمداً . وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الآخذة بالمذهب الرشيد عون الأمير - أيده الله تعالى - على بسط العدل ، وإفاضته على الكل ، ورفع العبء الثقيل ، وعلى الكل أن يسلكوا في تصرفاتهم نسييل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق الواصلة لذلك والاستدامة ، ويتجافوا عن مواقع الظلم ، فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وينقادوا للواجبات بداراً إليها وسراعاً ، ويكونوا

في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تآلفاً واجتماعاً .

ولما كان هذا الأمر عندنا - وفقكم الله تعالى - أهم أمر وأوجب ، وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جمعه على كل حالة مقدماً ، وإنفاذه - بأمر الله تعالى - إنفاذاً ملتزماً رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدينا ، وهاهي قد رفعت الأشكال رفعاً بيناً ، وأرتكم فرط إهابنا حقاً ميبناً ، فبادروا إلى تلقيها بالامثال والمسارة ، وصلوا ابتدار شأنها بالمواصلة والمتابعة ، وأحضروا بالاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلك البلاد من الطلبة والعمال وكافة المقدمين للأعمال ، لا تقدموا أمراً من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه ، والاعتمال بكل ما شرحه وبينه ، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمبانيه وبما أمركم به على قواعده ومبانيه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ما ينبيه إليكم ويلقيه ، وقرأوه على الكافة من أعالي المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والخواضر ، وأسمعوا به إفصاحاً وإعلاناً وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحداناً ، وأحسنوا إيصال أغراضه إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحساناً .

فاذا تفرغتم من قراءته على الجماهير ، وبلغتم صحته بواجب التبليغ والتقرير ، فاكتبوا عنه نسخاً إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه من تقديم العمل به على كل الوجوه وامثال مغنمه على ما يحبه الله تعالى ويرضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته ، فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصداً للتطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم . وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاف وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، وأدينا من التراؤف عليهم والرفق بجانبهم شأن لا يفارقه - من فضل الله تعالى - شأن . وقد علمت ذلك منا واختبرتموه على مر الزمان وسبرتموه ،

فلتلقوا كل من استرعاكم الله تعالى أمره بكل طلاقة ويسر ، ولتشرخوا عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا - رعاكم الله - أن من شملته كلمة التوحيد في العهد القريب ، أو البعيد في مضار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن كل من هنالك مسؤولون ، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعاً ، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكاً مشروعاً . وقد ألفت الكلمة العليا بينهم ، فبعضهم لبعض في الخير أسرة . وقد قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) (١) فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل ، قصداً إلى مرضاة الله تعالى وإيقاناً ، وكونوا عباد الله إخواناً ، وحسنوا بهم - رعاكم الله - ظناً ، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى ، وتحلقوا معهم بحسن الأخلاق ، وقولوا للناس حسناً ، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن ، وابدلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يمكن ، وانهجوا لهم من المبرات منهجاً يبدو به منظرهم الجميل ويتبين ، وسروا بمصالح عملكم وبشروا ويسروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - « ولا تعسروا » وسكنوا ولا تنفروا . واعلموا أن السعي في هذا الفرض واجب ، والاعتماد في رفع ذلك الحاجب لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متألفة عليه . متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم ويضمن التجمع التام لكم ولن وراءكم ، فعليكم بالمظاهرة والمناصرة والمواظرة فهي سواعد السعد ، وقواعد الود ، وشيم الكرام المحافظين على العهد . وبها يعمر محل الرضا ونديه ، وبها أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه .

وقد نصحنكم لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ، وذكرنا لكم بهذه التذكرة فاستقبلوها رشدتها ، ونهيناكم تنبيهاً بالناً وللحال ما بعدها . جعلنا الله وإياكم بمن امثله أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ

الرحمة على قالب مسجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسؤول عن رعيته .

وكان مما بعثنا - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم وإذكاركم وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح ، وإشعاركم ، ما ألفيناه بحضرة مراکش - حرسها الله تعالى - من بعض تلك الأنواع مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجري مجراها في وجوب الإزالة والاحالة ، فإننا هنا لا نبحث عن ذلك لتخليصنا أنه لايجزئ أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك . فلما كان الحث عما يجب ، وزال عن وجه المشاهد ما كان يحتجب طلعبنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيراً ، وأزال بعون الله تعالى ما كان محذوراً وبالشرع محظوراً ، حتى تطهر ثوب الأمن من دنسه ، وتجلي الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مقتبسه ، وجرت الأمور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكمة ما أحكمه الامام المهدي - رضي الله تعالى عنه - في القضايا والأحكام . وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ، ونحن على اقتراب ، فكيف فيما هو في حكم ما كان في بعد عنا واغتراب .

فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظرة أولى الأبواب ، ولتسموا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) .

الدولة الموحدية لعلام ٣٩٤ - ٤٠٥

(١) ورد نص مشابه كل المشابهة للنص أعلاه في نظم الجمان لابن القطان ١٠٠-١٦٧ لا يختلف عنه إلا بعض اختلاف .

٢٣٣ - رسالة أرسلها عبد المؤمن إلى العرب الموجودين في المغرب
يستنفروهم للجهاد في الأندلس ، وكتب في آخرها هذه الأبيات :

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل	وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ناثر	وشدوا على الأعداء شدة صائل
فما العز إلا ظهر أجرد سابع	يفوت الصبا في شدة المتواصل
وأبيض ماثور كأن فرندة	على المساء منسوج وليس بسائل
بني المم من عليا هلال بن عامر	وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت إلى الغزو نية	عواقبها منصورة بالأوائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي	تنجز من بعد المدى المتناول
بها تفتح الدنيا ، بها تبلغ المنى	بها ينصف التحقيق من كل باطل
أهنا بكم للخير والله حسنا	وحسبكوا والله أعدل عادل
فما همتنا إلا صلاح جميعكم	وتسريحكم في ظل أخضر هائل
وتسويكم نعمى ترف ظلالها	عليكم بخير عاجل غير آجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة	والمدالج الساري صفاء المناهل

المعجب للمراكشي ٢٩٤ - ٢٩٥

٢٣٤ - مقتطفات من رسالة أرسلها إلى عبد المؤمن أحمد بن أبي
جعفر بن محمد القضاعي في الاستعفاف ، وقد بلغه أن صدره قد
وغر عليه .

تالله لو أحاطت به خطيئة ، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة ، حتى
سخرت بمن في الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت إن الله لم
يوح إلى الفلك إلى نوح ، وبريت لقرار ثمود نبلاً ، وأبرمت لحطب نار
الخليل حبلاً ، وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان

على الطين ، وقبضت قبضة من الطين من أثر الرسول فنبذتها ، وافترت
على العذراء البتول ففدقتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرت
الأحزاب بالقصوى من المدوة ، وذهمت كل قرشي ، وأكرمت لأجل
وحشي كل حبشي ، وقلت إن بيعة السقيفة لا توجب لإمام خليفة ، وشحذت
شفرة غلام الغيرة بن شعبة ، واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها
بشعبة ، وغادرت الوجه من الهامة خضياً ، وناولت من قرع سن الحسين
قضياً : ثم أتيت حضرة المعصوم لائذاً ، وبقبر الإمام المهدي عائداً ، لقد
آن لمقالي أن تسمع ، وأن تغفر لي هذه الخطيئات أجمع .

ثم يتلو ذلك أحد عشر بيتاً من الشعر في الاستعطاف .
الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ٢٧٥/١ - ٢٧٦

٢٣٥ - خطاب وجهه عبد المؤمن إلى عامله على سبتة وطنجة
وإلى مشايخ الموحدين وطلبتههم بشأن تنصيب ولده محمد ولياً للمهد
من بعده ، والمنشور من إنشاء أبي جعفر بن عطية .
مقتطفات :

.. ولما كنتم - أكرمكم الله - ممن اعتمتم في هذا الأمر العظيم بحبله
وعروته ، واقتدى بوجوب الاتباع بأسرته الهادية وقدوته رأينا أن نعلمكم
بما عقده إخوانكم الموحدون على تقوى من الله ورضوان .
ثم يقول :

واعلموا أن محمداً - وفقه الله - هو الذي ارتضوه لحمل عبثهم وتخيره ،
ورغبوا في تقديمه على بلادهم ، وإنفاذه معهم على قصده في توليته ومرادهم ،
وكان استدعائنا لهم في هذه الوجهة المذكورة والحركة البرورة ، لأمور
قصدت فيها مذاكرتهم ونويت بها مباشرتهم .

المغرب عبر التاريخ لحركات - ٣٣١

٣- أبو يعقوب يوسف الأول بن عبد المؤمن

٥٥٨ - ٥٨٠ هـ / ١١٦٣ - ١١٨٤ م

٢٠٦- رسالة وجهها إلى شيوخ الموحدين والطلبة والأعيان وعموم الناس في إشبيلية السيدان أبو حفص وأبو سعيد أخوا الخليفة أبي يعقوب يوسف يخبرانهم بالنصر على ابن مرادنيش في معركة الجلاب شمالي مرسية سنة ٥٦٠ هـ وهي من إنشاء الكاتب أبي الحسن عبيد الملك بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد وآله وسلم .
من عمر وعثمان ابني أمير المؤمنين إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بإشبيلية ، أدام الله كرامتهم بتقواه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فالحمد لله تعالى وبركاته . أما بعد : فالحمد لله القاهر الغالب ، ناصر جنده ، ومنجز وعده ، في المشارق والمغرب ، والصلاة على محمد المبعث وسيطاً في ذؤابة لؤي ابن غالب ، وعلى آله وأصحابه والماشين على سننه وسنته على أوضح المسلك الواجب ، والرضا عن الامام المعصوم ، الهدي المعلوم ، الناهض بأمر الله تعالى قياماً بالواجب ، للحداد المحاد والمجانب ، والذعا لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين حامل لوائه والملة على منهاج الحق ، الناسخ لمفترقات المذاهب ، ثمثي الدعوة الإمامية والكلمة الموحدية في شعاع نوره الحلي للغياب ، ثم لفرعه الأنخي ونجمله الأزكى ، الأمير الأجل الملك الأسعد الأعديل ، أبو يعقوب ، ذو الحسب الحلي بالمناقب ، والسامي للنجوم الثواقب ، المختار مدخوراً لأمر الله تعالى ، المخصوص بغرائب الرغائب . فكتبناه - أكرمكم

الله بتقواه ، وأوزعنا وإياهم شكر نعماءه - من مضرب محلات الموحدين -
أنجدهم الله - بظاهر مرسية ، بسرهما الله ، وصنع الله الجميل وفتح
الجزيل ، قد وضع نهراً وفوق أنهاراً وعلت كلمته العليا جهاراً ، وبركة
الامام المهدي وسعادة سيدنا وعين الأمير الأجل - أيدهم الله - قد سوت
طائفة الحق نصراً وإظهاراً ، واعتضاداً في ذات الله واستظهاراً ... والحمد
لله رب العالمين .

وقد خاطبناكم قبل ، بما كان من صنع الله تعالى في فتح أندو جر
وتوحيد الحصون التي تليها - عمرها الله - وتجدد بعد ذلك لكم من
صنع الله وحده من مطرد الفتح الموعود الخفوف بالنجاح والسهود ، ماجل
عن نعم الناعت ، وشذ عن الشاذ الفات وكبر عن وصف الواصف
ونثر النثر ورصف الراصف . وأظهر من آيات الله تعالى ما فاق بيان ذوي
المعارف ، من صنع لم ير مثله في كثير من الحقب ، ويوم كيوم ذي قار
انتصف فيه الموحدون والعرب من العجم ، ولمن سار لهم في الزي والكلم
وتمسك منهم بسبب .

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
وذلك أن عساكر الموحدين استقبلت هذه البلاد الشرقية ، فتحها
الله ، تتوغل في أرجائها ، وتحول بحول الله ، بينها وبين رجائها .
فكلما مر الموحدون بمدينة من مدائن أو حصن من حصونه انحجر
الأشقياء الذين يضبطونها انحجار الثعالب ، وازواء المغلوب بعزة الغالب ،
وأجل أولياء الله على الأرزاق الموجودة في نواحيها ، ينتشقون رغدها
ويلحقون بيومها غدها ، حتى كثرت نعم الله بالحلل المؤيدة من الأطعمة
والأعنان وضروب الفواكه من الرطبة واليابسة . وفي كل ذلك لاتعرض

لبدة بقتال احتقاراً لها ولبن بها ، وتصميماً لغزو غيرها ، ولأنها الناطم لنرها ، إلى أن وصلت المساكر جهات بسطة ، فزلوا منزلاً يصاقبها يسمى وادي القشتالي ، واقتضى النظر إقامة بعض الأيام هناك لانتظار المسكر والحشد والزماة الواصلين من غرناطة . وفي خلال مقام تلك الأيام بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في اليمنة والميسرة من تلك الأقطار والجهات ، فاستاقوا من الغنائم من جهة غليرة، وقرباقة ، وبسطة ، وجبال شقورة عدداً جماً وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات الآلاف من الغنم فمألت الوادي واشتملت على كرميتها الأيادي .

وتقلب الموحدون في نعم لا تحصى عدة ، تتناسق منها نعم فنعيم ، والشكر لله على ما أولاه ، ولما وصل المسكر المنتظر في غرناطة أخذنا في الحركة إلى أن انتهينا إلى حصن قلية ، فساعة الاطلاع عليه نزل أهله من ذروته تائبين آيبين ، موحدين مستجدين نظراً لأنفسهم ، وأخذاً لحظهم ، ثم حللنا بجهة بلس ، عمرها الله ، من سقع كثير القرى والعمائر ، ونظر معدوم النظائر وفي حصون وقلاع سمت مبانيها بالبقاع ، وتناسقت الأعيان في الارتفاع ، فمئدينا عاينوا من أمر الله وجنوده ، ماضر عيونهم وملاً قلوبهم ، نزل قائدهم الشرفي وأصحابه الرعية مستأمنين مذعنين ، فأمنوا تأمناً ، وأضحوا نذراً لمشاوئهم يساراً ويميناً ، وقدم في حصونهم من تقدم لضبطها ، وتشمر بحول الله في حوطها . وهنالك استوضح أن الشفي ابن مردانيس وأصحابه النصارى - دمرهم الله - قد خرج بحملته الذميمة من مرسية إلى لورقة خائفاً عليها بعد أن استوثق خروج أهل مرسية وشيوخها ، وأهل التعمين فيها مع كثير على لفيها ، لما أوقع الله في قلبه من الرعب الذي تقدم إليه جيشه ، حتى خف به طيشه ، فلم يزد أولياء الله إلا عزمًا ومجداً ، في التصميم إلى جهته ، والتعويل على غزوه في عقره ، إذلالاً له ولقيشته ، وأقاربه وحوزته

إلى أن قارب الموحدون جانب لورقة ، وأموا البسيط السهل المعروف بالفندون على مرأى من الأشقياء الكفرة ، وإظهار آيات أمر الله العزيز ، وأعداء الله لا ينبس لهم نابس ، ولا يظهر منهم راجل ولا فارس ، وفي كل ذلك تخونهم آمالهم الخائبة ، وظنونهم الكاذبة ، إن الطرق تناكب عنهم تيامنا إلى الساحل وتعرجاً بالمراحل والرواحل إلى أن استوضحوا أن القصد مرسيتهم مرسى الوفود والورود ، فسقط في أيديهم ، حيرة وتباراً ، ثم أبدوا قرب بلدهم تجلداً فأقلع الخلس عن لورقة آخر النهار ، إقلاع الصغار ، آخذاً بحزن الجبل ، والموحدون بسهل البساط ، فسائر الموحدون مرحلتين ملاحظاً ، فانفج فؤاده ، وحقر أعداده ، وأجناده ، وفي كل يوم من مسائره تنتشر مواكب الموحدين على ترتبهم ، وتأهبهم ، رجاء أن يغره العجب والأشر المقطب ، فينجز فيه وعد الله المرتقب ، فلما كان يوم السابع من ذي الحجة في حين الزوال استخار الله الموحدون على أن يأخذوا بينه وبين الثنايا التي تحول بينه وبين مرسية ، فتميزوا شعوباً وقبائل ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من إخلاص التوبة ، وإحاض النية ، فرأى الأعداء ما هالهم ، وأهلهم ، وأحال حالهم ، هذا على امتداد شوكتهم وكثرة عدتهم ، وترددوا بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس أكثرهم أراغون ، وقفوا يتشاورون ويتنازعون ، ولم يجدوا محيداً عن الطريق التي ضمتهم ، ولا منفذاً إلا في الساقات التي حفت بحيطه بهم وعمتهم وضربوا قليل أخبية في الجبل الذي به آبادهم ، وهو فيما دبوا مصادمهم ومعادهم ، وعولوا أن في مشارهم أن تكون ملجأ يأوي إليها الفل ، ويجدها منهم البعض إن لم يجدها الكل ، فأبدوها يعلوها القتال . ويدو عليها الذل وصافهم جنود الله في ضحى النهار إلى أن نودي للصلاة من يوم الجمعة ، في أيام يقبل فيها التوب ، ويفغر فيها الذنب ، ويخشع القلب ، ويعبد الرب ، فلما كان وقت الصلاة اختار الله للموحدين أن ناشبهم القتال ، وقد كثر الذكر

والإهلال ، فزحفت العساكر إليهم حتى دنا السواد ، وتشوفه بالكلم والطراد ، وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة وصمدت جملتهم إذ صمدت قبيل رياح من الغرب ، فأقر جوالهم ، والتفت عليهم قبائل الموحدين ، واحتدمت الحرب ، وحمي الوطيس ، واثرت سماء النقع دون الجو كواكب الظبا والأسنة ، وثبت الله أقدام الموحدين ، وزلزل الله أقدام الموحدين ، وثبت الساقة التي فيها الأعلام ، كأنها الجبال الراسيات والأعلام ، وانبرى الموحدون الأول من أهل تينملل وهنتاته ، فصبروا صبر أمثالهم ، وخولهم الله إقبالاً في استقبالهم ، وأجفل الكفرة منهزمين وولوا الأدبار مدبرين ، والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع . وحزب الله يتقدم غالباً فيصرع ، ويصدع ، وقتل رجال الشقي ومشاهيره ، والروم أكثر القتلى فيهم ، فخرجوا كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وعجل الله بأرواحهم إلى نارهم الحامية ، وسقطوا من مهوهم إلى الهاوية . ولاذ الشقي القليل في العدد القليل إلى الأخبية التي أعدها للفرار لا للقرار ، وقد خبر من حد السيوف وأنبأها ما أغناه عن الأخبار ؛ وشفى الله صدور المؤمنين من أعدائهم الكفار ، وصاروا بين أيديهم جزراً ، قد افترشوا فناء في مقتلهم هذا وعقراً ، ونفل الله من خيلهم ، ومطاليهم ، وأدراعهم ، وسائر أسلحتهم ما جل قدره ، وعم كثره ، والحمد لله رب العالمين ، جاعل العاقبة للمتقين ، وبعدما تبعمهم الحسام إلى الأصيل ، وصرعهم بكل مسيل ، وقصف الخلس خائفاً يترقب وقوف الذليل ، وسلب قتلهم من ملابسهم بكل وادٍ ومسيل ، بادر الموحدون في ضدهم على مهلهم إلى فناء مرسية ، فضربت بساحتها المضارب والأبنية ، يازاء حداثتها المروشة ، وبسائطها وبساتينها المشيدة المروسة : فكان ملباق الموحدين إياه إلى ناحيتها من أشق ما أخزاه الله به ونقرت الطبول نصك أمتاعهم ، فمكنت الزلازل في جوانبه ، وزكب الليل جملاً واختل البلد - ولم يكن - تسلاً ، وانبسط تباع الموحدين على تلك الحداثق

محصلين لأنواع الفواكه ، وعادت مباني تلك البساتين ، وأعواد الأشجار والرياحين ، محتطباً ومتاعاً للمقوين من الجنود ، وصار سعد الأخبية سعد السعود (١) . وأقام الموحدون للتعبيد ، وقد جمع الله لهم الأعياد في عيد ، والله تعالى يوزع شكر هذا الفتح العظيم ، ويقضي لناديه بأكرم عواقب التتميم ، إنه منعم كريم ، وأعلمناكم وصل الله سراكم - بهذه البشارة العظيمة التي هي نادرة المسار النعمي لتأخذ بما وفر حظكم من شكر الله عليها وتتسوغ آلاء الله السابغة باجتلاء مآلديها فهو فتح الأندلس ، وإذلال عدوها المتمرد المتصحب ، مسلط الروم عبدة الأوثان ، والصلبان على أهل الإسلام والإيمان والله يشفع ذلك بأمثاله ، ولا يخلي من ينصر الحق من عضده وإقباله .

وقد بهت هذا العدو الخائن محصوراً ، ودهش مذموماً مدحوراً ، ونظر بعين الحسرة حسيراً ، وهلك بعين الحسرة بالعين الحسوس إلا يسيراً ، عرف الله الموحدين بركة مقاصدهم وتولاهم بمعهود إظهارهم في مصادرهم ومواردهم بعزته ، وقدرته ، وطوله ، لارب سواه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب في العشر الأوسط من ذي الحجة عام ستين وخمس مئة .

وبعث السيد الأعلى مع هذه الرسالة مدرجاً فيها قصيدة شعر ، وهي تقع في ستة وثلاثين بيتاً كلها في وصف المعركة ومدح الموحدين ،

الن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ٢ / ٢٧٦ - ٢٨٣

(١) يعني أذن الله بتقليب الأحوال من شؤم إلى يمن . فقد عرف أن سعد السعود هو أحمد السعود لذلك أضيف إليها وهو كوكب نير ، كما عرف أن كوكب سعد الأخبية ليست مضيئة وليست نيرة ، وأنه سمي كذلك لأنه يخرج فيه حشرات الأرض وهوامها من جحزاتها وأخبيتها .

٢٣٧ - رسالة من الخليفة ابن يعقوب يوسف من مراکش إلى أخيه أبي سعيد في قرطبة سنة ٥٦١ هـ من إنشاء أبي الحسن بن عياش تتضمن طائفة من النصائح ، والأمر بالعدل ، والنهي عن المنكر ، وهي أول رسالة له بعد أن أصبح خليفة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد لله وحده من أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره ، وأمدهم بموته - إلى الشيخ الأجل أخينا ، الأعز علينا ، الأكرم لدينا ، أبي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة ، أعزهم الله وأدام كرامتهم بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فإننا نحمد إلیکم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ورضي عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم نجله وسليته ، ونوالي الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره ، والداعي إلى سبيله ، وإنا كتبناه إلیکم - أكرمکم الله بتقواه ، وكلاً جانبکم وحماءه - من حفرة مراکش ، حرسها الله ، والذي نوصیکم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوکل علیه وموالاة شکره على ما هدى إلیه أولیاء أمره وأنصار دعوته ، وحمایة کلمته من صرف أعنة المحبة والاهتمام ، وإحکام قراير الأحکام فیما وکله إلیهم من أمور الاسلام ، إلى أن تجري على السداد وتتسق على سبيل الرشاد ، وتستقیم على المہیع ، وتمضي على المنهج وتسير فی الواضح ، وتهدي على اللاحب ويسلك بها فی الجدد الذي من سلکة أحمدت منه الآثار ، وأمن علیه العثار وارتنی له الايراد والاصدار ، فیکون العمل فیها على الیقین الهادي إلى الصراط المستبین المأمون فی سلوکه من المزلّة والضلال ، المرجو فی الاهتداء به حسن العاقبة وصلاح الحال . فנסأله - تعالى جده - عوناً من قبله على هذا

الفرض العام الجدوى ، يصاحب ، وتوفيقاً من لدنه في هذا النظر الشامل
المنفعة يجاوز ويصاقب ، وأنه - أدام الله كرامتكم - لما كانت مباني هذا
الأمر العزيز - أدامه الله - على التقوى مؤسسة ، وأوامره ونواهيته على أمر
الله ورسوله جارية مترتبة ، وإليها في الأخذ والترك مستندة ، وبمقتضياتها في
جميع الأحكام آخذة عاملة ، إذ هي نور الحق وسراجة ، وعمود الصدق
ومعراجة ، وسبيل الفوز ومنهاج ، ورائد الثواب وبشير ، وقائد العقاب
ونذير ، ممن ائتم بكتاب الله الذي هو الإمام الهادي ، والحق الواضح البادي
وسنة رسوله ﷺ التي جعل العمل بها كالعمل بكتابه ، والوقوف عند
حدها كالوقوف عند حده ، أمن من الغوائل في العاجل والآجل ، وبلغ من
السلامة في الحالين إلى أقصى أمل الآمل ، ولم يوجد للنظر إليه سبيلاً ، ولم
يتمكن للشيطان أن يجد في تضليله ، واستدائه صرفاً ولا حولاً ، فتوفرت
الدواعي على الدعاء إليها ، وحمل الكافة عليها ، وأخذ الجميع بما يقفهم لديها
وقد أمر الله تعالى من أمر الناس بطاعته ، أن يحكموا بالعدل ، ويضموا
للعباد موازين القسط ، فلم يكن بد من امتثال أمره والاستناد إلى حكمه .
وكانت الوجوه التي تفضي إلى الحق في فصل قضايا العباد متنبهة ، والطرق
المؤدية إلى معنى الصدق ومعناه ملتبسة متشعبة ، فخرج فيها بنيات تخطيء
الصراط المستقيم ، وتضل الضلال البعيد ، فصار إمضاؤها عن غير استناد
إلى هذا الهدى المتبوع ، والعلم المرفوع ، خطراً على ممضيها ، وإنفاذها على
غير هذا السنن غرراً على منفعيها . ولما كان الأمر كذلك تعين ووجب ،
وثبت وترتب أن نخطب جميع عمال بلاد الموحدين - أعزهم الله - شرقاً وغرباً
وبعداً وقرباً ، خطاباً يتساوى فيه جميعهم ، ويتوازي في العمل فيه كافةهم
بالأحكام في الدماء حكماً من تلقائهم ، ولا يهريقوها بباد أو برأي من
آرائهم ، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم ، ويفر فيا يرونه لديهم ، إلا

بعد أن ترفع إلينا النازلة على وجهها وتؤدي على كنهها ، وتشرح حسب ماوقعت عليه ، وتنتهي بالتوثق والبيان على ما انتهت إليه ، وتقيم بالشهود والعدول ، المعروفين في مواضعهم بالعدل والرضى الموجين للقبول ، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم وإقرارهم واعترافهم ، وحجج الطالبين في مقالاتهم واستظهارهم في بيناتهم . معطي كل جانب حقه ، موفي كل قائل قوله . فتكون مخاطبتكم - أعزكم الله - ومخاطبة من يتناوله هذا الكتاب ، وتوجه إليه هذا القصد ، خطاب من تحمل الشهادة ، ويؤدي فيها الأمانة على ما يجب من البيان الذي لا يعتوره التباس ، ولا يطمس وجهه إشكال ، ويتوثقون في المطلوبين بالدماء . بسجنهم وتثقيفهم ، ويتوكفون ماتصلكم به المخاطبة فتقفون عند مقتضاه ، ولا يعدلون عن شيء من معناه ، مراقباً كل منهم إليه ومولاه ، علماً بأنه يعلم سره ونجواه ، وأنه يسمعه ويراه . واعلموا - وفقكم الله وأسعدكم - أن هذا الحكم عام في سائر النوازل التي أطلقت السنة فيها القتل ومسته ، وحكمت به وشرعته ، كمن قتل نفساً وأقر بالقتل ، أو شهد العدول عليه به ، ومن بدل ديناً وارتد عنه ، ومن أتى الفاحشة بعد الاحصان باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة ، وما خيّر الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الأرض بالفساد ، والمتأولين أمر الله بالاستهزاء والعناد ، سواء من ذلك كله أو وقع فيه ضرب بشكله . فمجرأه واحد في التوقف عن إمضائه والتأخر عن تنفيذه إلا بعد المطالعة ، وتعرف وجه العمل في المجاوبة . وكذلك - وفقكم الله - يكون التوفيق فيما عدا المذكور من النوازل التي تكون أحكاماً دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج ، وعقول الأعضاء ، وأروش الجراحات ، ووجه القصاص ، والقطع في السرقات إلى غير ذلك من القضايا المشككة في الأموال وإطلاقها واستحقاقها ، وفي الرقاب وإعتاقها واسترقاقها ، وملتبسات المناكحات والمعاملات ، وما أشبهها من الأمور التي

الإقدام على الحكم فيها تهجم ، والعمل فيها بغير استناد إلى ما يجب تسور ، فتوقفوا - أعزكم الله - عن جميع مفسر لكم ولواحقه توقف الساعي في نجاته ، العامل لدنياء وآخرته . فقد ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام من الحظر الوكيد ، والوعيد الشديد في إراقة الدماء واستباحة الأموال واستحلال الحرمات ، إلا بوجه صحيح لا يسلم إلا من طريق العصمة ، ولا تهتدي إليه إلا أنوار الحكمة ، مايزع العقلاء ، ويكف الألباء ، ويحذرهم من سطو الله تعالى وعقابه ، ويخوفهم من أليم عذابه . فعولوا على مارسهم في هذا الكتاب من التعريف بما يطرأ ، وإنهاء كل ما ينزل ليصلكم من التوقيف والبيان والتعريف ، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء ، وتشرق منه عليكم أنوار الانعام والاهتداء ، ويتراءى لكم به الحق في صورة الصادقة ، ومثله المطابقة ، ومناظره الموثقة ، ومطالعه المشرقة بفضل الله ورحمته وملاك ما يسدد مقاصدكم في جميع أحوالكم ، ويوجب لكم الرضا في كافة أقوالكم . تقوى الله في السر والجهر ، وخيفته في الباطن والظاهر . وقمع النفس عن هواها ، وكبحها بلجام النهي عن الركض في ميدان رداها وطاعة أمره العظيم ، والجري على سننه المستقيم ، فذلك عصمة من الزلل ، وتوفيق في القول والعمل - بفضل الله - وقد وجب - أكرمكم الله - لهذا الكتاب ، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير ، وينهض مقتضاه إلى الصغير والكبير ويجمع الناس لقراءته وتلقي مضمونه ، ويساوى فيه بين الغائب والشاهد ، والبادي والحاضر ، بإسماع من خضر ، ومخاطبة من غاب ، بمن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم ، فتوجهوا بنسخ منه إلى كل جهة من جهاتكم وعمل من أعمالكم ، ليأخذ الجميع بقسطه من السرة به ، وتعرف بركته واستشعار عائدته ، وأنه بما أمر به هذا الأمر العزيز من إفادة العدل وبسط

الدعة والأمن ، وإقامة أمر الله تعالى على وجهه المتعين ، وسننه الواضح
البين إن شاء الله تعالى . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . كتب
في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وخمس مئة .
المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ح ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٦

٢٣٨ - رسالة أرسلها الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف إلى الطلبة
والأشياخ والموحدين والأعيان في قرطبة عقب قتل سبع بن منخفاد زعيم
فتنة غمارة . وقد وجهها لهم من جبل الكواكب بتاريخ ١٤ شوال سنة
٥٦٢ هـ . وهي من انشاء أبي الحسن بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، والحمد
لله وحده .

من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين - أيدم الله بنصره ، وأمدم بمعاونته -
إلى الطلبة الموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمدينة قرطبة - أمدم الله
بتوفيقه ووصل كرامتهم بتقواه - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :
فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو إليكم ، ونشكره على الآئه ونعمه ، ونغثري
بالحفاظة على ذلك سني عطاياه وجزيل قسمه ، نعترف له بعوارفه الجميلة
في إظهار أمره العزيز وإعلاء قدمه ، ونصر لوائه في كل مقام ، ورفع علمه
وأن له مع كل متعرض بالمحاداة والشقاق ، منطو على المداجاة والنفاق ، من
وشيك أخذه وعاجل نقمه ، ما يوطئه ممتط أنفه ومتمد قمه ، ويقف به مما
جنى من ثمة غرسه وجنى بعمله الذميم على نفسه ومواقف حيرته وندمه
كما أن من صدق في الاعتلاق بجله ، والتمسك بعصمه ، وركن إلى ذراه
وآوى إلى حرمة فقد أخذ بالوثيق من جهود ذمه ، وارتقى في مرتقى
فوزه في سببه المتين وسله . ونصلي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بياهر
حكمه ومعجز كله ، فهدي إلى نهج الحق وأمه ، ودل على ستمه ولقمه ، وأنار

برسالته الجامعة ما غطي من غياهب الضلال وظلمه ، وأبلغها حنيفية سمحة إلى عرب الأنام وعجمه ، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم شافي الدين من وصبه وأله ، ومبريه من عِدَد دائه وسقمه ، وهادي كل حائر وسادم من حيرته وسدمه ، ونوالي الدعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين بحكم ذلكم المبدأ الشريف ومبرمه ، وضام شمله ومنظمه ، ومكمله بما يجب ومتممه ، ومنهي دعوته الغالية إلى نجد العالم وتهمه ، وواسع البرايا بعلمه وحلمه وكرمه ، والحمد لله عوداً بعد بدء ، مولي أوليائه ما وعدهم من نصر وتأنيده ومولاهم على الظهور والاستيلاء في القريب والبعيد ، ومؤوهم من مظاهرتة إلى الوزر المنيع والركن الشديد ، حمداً ينال به من مواهبه كل خير عتيد ، ويوفي على استمداد المستمد واستزادة المستزيد ، وله الشكر على أن لم يزل ينهض حماة أمره العزيز حتى حاولوا فصل قضية ، ونهضوا في سداد ثغر وسداد رعية ، بعزم لا يطرف طرفه بدء ، ولا يثني يده يد مشوية ، تعريفاً بما لأمره العزيز الذي هو ذخيرة الوجود ، وسر البناء المقصود ومعنى المقام المحدود ، ومفهوم الخير المنتظر والوعد الموعد ، والذي علم به التوحيد والإيمان ، وعرف منه العدل والأمان ، وتعلم من تعليمه في أي جانب الربح ، وفي أي جانب الخسران من الفلح في كل مقام ، والظفر بكل مرام ، والتوفيق إلى ما يعود بالانتظام والالتئام ، وحفظ دينه من عيث المهيج الطغام ، وحماية سرحه من ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام ، ممن دان بدينه واستبصر بيقينه ، وأسرى بضوئه واستسقى بنوئه ، فقد فاز قدحه وأورى قدحه ، واهتدى قايده ودليله ، وانتفع صدها وابتل غليله . ومن ألد في آياته وكذب ببراهينه وبياناته ، فإلى التباب مثاله وفي الخيبة والخسار حاله ومقاله وفعاله . أعانكم الله على القيام بما له من واجب الحق ، ووهبكم الإقبال على قبول ما جاء به من الصدق بمنه ، وإنا كتبناه إليكم - كتب الله

لكم يسرا ونجحاً ، وأسمعكم مدى الأيام نصراً لأولياء أمره وفتحاً - من منزل
الموحدين ، أعزم الله ، بداخل جبل الكواكب ، الذي نوصيكم به تقوى الله
والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وقد كنا - وفقكم الله إلى ما
يرضاه وأسبغ عليكم نعماء ورحمائه - بما لله علينا من عهد القيام بحقوق هذا
الأمر العزيز ، والحياطة لأرجائه ، والذب عن جوانحه ، وتجديد العناية لتصفية
مشارعه من الأقداء ، وتحلية المحومين عليها من أهل الأهواء ، والقصد لما
يراه من تذكير الغافل وتبصير الجاهل ، وقالة المائر وهداية الخائر - توجهنا لها
بالحركة المباركة بنية خلص الله عقدها ، وصفاله - تعالى جده مقصدها ،
وارتبط للجهد في سبيله ميثاقها المذكور وعهدها ، وانبت على حسم الأدواء
النازلة بهذا المغرب من هذه الفرق التي فارقت الجماعة فتفرقت بها السبل
والأهواء ، ورمت بها في مساقط الفتن الأفئدة الهواء ، واستولى عليها - بمعنى
البصائر والأبصار التلدد والالتواء ، فضلت من عدم الفهم كسائفة البهم ، بشراً
بدداً ، لا تميز من غي رشداً . ولما صدقت لها العزائم وشدت إليها الحيازيم
ووقع على قصدها التعويل والتصميم ، قايستنا بين جهة المرتدين من صنهاجة
وغمارة ، فأينا غمارة أوفى سراية وأبلغ نكاية ، وأفصح عن استصحاب الجمالة
والنواية ، وإنهم قد فشا ضرهم ، وساء أثرهم ، وتعدى أذاهم وسرت عدواهم
وأنهم أولى من تقدم إليهم واعتزم عليه ، فنظرنا عند ذلكم في تجهيز عسكر
مبارك سعيد من الموحدين - أعزم الله - صحبة الشيخ أبي سعيد يخلف بن
الحسين - أكرمه الله ببقواه - يتوجه به إلى بلاد صنهاجة القلعة - حرسها
الله - وكان الشيخ الأجل أبو حفص - أدام الله كرامته - بمن دفعه من
عساكر الموحدين - أعزم الله - في جهة أخرى من بلادهم ورسم لهم من
العمل في تلك الجهات ما يدرج في طيه بمشيئة الله تعالى من النصر والفتح
والفلاح والنجح ؛ استخرنا الله تعالى على قصد بلاد غمارة لتوقل جبالهم

ودوس منازلهم وحلالهم ، وجوس خلال ديارهم ؛ فنزلنا بالموحدين - أعزهم الله - وسط بلادهم ، فأجلى منه الذين يلونه لائذين بالادعار ، مستعصمين بقنن الأحجار متوقلين في الشعاب ، وكنا عند وصولنا إلى أوائل بلادهم ، قدمنا إليهم من المكاتبه مارجونا به هدايتهم ، وأمنا فيه فيثتهم إلى الحق وإنابتهم ، فلم يعرفوا على نصيحة ولا أذعنوا لدعوة ، ولا أرعوا سمعاً إلى موعظة ، وحين قامت الحجة عليهم ، وأسقط العذر عنهم ، استخرنا الله على قصد الجبل المعروف بودكه لاحتلال من كان احتله من غمارة ، وأيقن بأنه عصيتهم المنجية وذروتهم المؤوية ، فتركنا الجمولة والأثقال في المنزل الذي كنا فيه وهو المعروف بالمنزان ، وسرنا إليهم بالموحدين - أعزهم الله - متوكلين على الله مستعينين به ، مخلصين له .

فأجرى الله أوليائه من النصر والتمكن على ما عودهم وعرفهم من عونته وإنجاده ما لم يزل يعرفهم ، فاقتحموا عليهم في منعاتهم ، ودخلوا إليهم في موضع اعتصامهم ، فلم يكن إلا كلا ولا (١) ، حتى خلصوا في الجبل إليهم ، واقتحموه ، بحمد الله تعالى ومشيتته ، في جملة واحدة عليهم ، فأشرب المرتدون ارتياعاً ، وتفرقوا في تلك الاقطار شعاعاً ، لم تمنعهم حصونهم ، ولم تنفعهم معاقلم ، إلى أن استولى الموحدون - أعزهم الله - بأعلى شواهقه وأعظم منعاته ، وأعلنوا هنالك بالتوحيد وأظهروا إعلاء كلمة الحق ، وأقبلوا على جمع الأنفال وضم الغنائم والأموال ، وتسنى فيه من الفتح اليسر ، والنصر المؤزر . وغزوا من غلب عليه الشقاء ، واستولى عليه الحرمان ، إلى ما نفلهم إليه فيه من الغنائم الكثيرة ، والأرزاق الواسعة ، ما عظم مقداره ، وجلت

(١) تعبير يكفى به عن السرعة أي ان لفترة المنقضية هي كفترة زمنية يحتاج

اليها نطق كلا ولا .

مواقعه وآثاره ، وبشر بأن الذي يتلوه مما في ضمن الوعد وكفالة السعد أبهى مطلقاً ، وآتى مرأى ومسمعا . وأقام الموحدون - اعزهم الله - بأعلى ذلك الجبل يومين يتحرون بقاياهم ، ويتتبعون قلالهم ، ويجمعون أسلحتهم ، وينكثون فيهم ، متنسحين من عوائد الله الجميلة نواسم تكميل الفتح ، ومستروحين منها استرواح تعميم النصر ، واثقين به ومستندين إليه ، لارب غيره ، وكان ذلك كله في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وستين وخمس مئة ، ولم نزل - بعدما فتح الله من هذا الفتح المذكور ، الذي أظهر الله فيه آياته المؤذنة بالتأييد ، القاضية باستمرار النصر الراهن العتيد ، الموقظة للنائمين ، والمنبهة للغافلين ، نستأني بالضالين من غمارة مواقيت اعتبارهم ، ومحال تفتتهم ، وادكارهم ، وأن يأخذوا لتجوب أمثالها ، وترقب اختلالها ، أهبة حذرهم واستشعارهم ، وأن يكونوا بمن اتعظ بغيرهم ، فكانوا بنجوة من سبلهم في الهلكة ، وأكثرهم مع ما آثرناه من راحة الموحدين وجماعهم ، وتفرغهم لوظايف صيامهم وقيامهم ، وأن يكون غزوم بعد الفطر على قوة ووفرة ، ونشاط متمكن ، وتنتقل بهم مناقل تتخلل بهم تلك الأوعار بالرفق والهوينى ، وتندرج إلى قطعها وتخليقها بالتؤدة والأناة وتقدم إلى حيث ألقى الشيطان بركه وحط رحله .

وفي أثناء ذلك كانت قبائل منهم تظهر المتاب وتبدي الفينة والإياب ، وتلوذ بأكناف العفو ، وتستمسك بأسباب الصفح ، وتد يد الضراعة إلى الاستقالة ، فيقابلهم بعوائد هذا الأمر العزيز ، من إقالة العثرة ، وتجاوز الزلة والسقطة ، وتقريب الأسباب المؤدية إلى الاستيلاف ، الآخذة بالأيدي للتلافي عن مقاحم التلاف . قد حل منهم قبائل كثيرة في هذا الأمر العزيز وتداركهم من رحمته ما آمن خوفهم ومكن أمنهم ، وكان بنو أنال وبنو بال من قبائل غمارة المختصون بمملكة الجبل المشهور بالمنعة ، المعروف بجبل الكواكب الذي هو أشهرها جبلاً وأوعرها مرقى ، قد استحكم فيهم الفساد ، وتمكن منهم الارتداد ، واستشرى ذلك فيهم بغوي منهم يعرف بسبع بن منخفاد ،

أشرب وتمكن منه الارتداد قلبه ، وخالط إيثار السورة نفسه . ثقة بهذا الجبل الصعب المواجه ، المبهم الناهج ، المستغلق المداخل والمخارج ، الذي زاحم بمنكبه ، وتطاول بأنفه ، فلمنكبه الدم الذي لا يفرغ ، ولأنفه الشمم الذي لا يقرع ولا يقنع . قد أغواه هو وإخوته ولف قومه من يليهم ، واستهواوا على مقاصدهم الغوية مما لثيهم ومخالفهم ، وحسبوا أن ما اعتصموا به يعصمهم ، وما امتنعوا به يمنهم . وأت باب الحوادث عنهم ناب ، وطرف الحوادث في محال التوصل إليهم كاب . فلجوا في طغيانهم ، واستعروا على غلوائهم ، وقرعوا مع ذلك أبواب المأكرة ، وسلكوا في سبل الخادعة . ولما تحققوا دنونا إليهم ومزاحمتنا لهم ، أقبلوا يخلطون بالكدر الصفو ، ويسرون في الانتقاء الحسو ، ويتصرمون في أقوال يرون بها حبل المطالة ويرفعون بها أسباب المراوغة ، ليحوزوا بها مأمولهم من الاستبداد ، وغرضهم من الافتراء ، بأقوال لا محصول لها ولا فائدة وراءها ، مكشوف فيها سرهم ، متبين فيها مكرهم ، ويظنون أن ذلك يقنع منهم ، ويصرف عنان المزيمة عنهم . وما علموا أن هذا الأمر العزيز لا يجوز على نقده الزائف ، ولا يستقر على تقويم عدله الجائر الخاف ، وأنه على ثقة من الله تعالى بعقب الأيام ، وتيسر المرام ، وتوفيق النقص والإبرام ، وأن من اضطر فيه على خبيثة ضغن ، أو انطوى فيه على كنيئة غش ، فالعصاة له من كل ذلك واقية ، والعزة له دائمة باقية . ومما أعملوه من حيل المخاتلة أن سعي في الوصول إلينا جملة من مشايخهم مع أخ لنويم وموقد نارهم يعرف بعمران بن منخفاد ، فوصلوا على تأمين يسر لهم مدركه ، وسهل عليهم مسلكه ، فلقوا من التطمين والتسكين ، والتأنيش والتأمين وقبول التوبة والاعضاء عما فرط من الحوبة ما يعقل العقول بعقل وفائتها ، ويوفر على الغرائز ماء حيائها ، وعرفوا بما لهذا الأمر العزيز من إرادة الخير التام والبر الشامل العام ، وأن يكون نهج

البرية قاصداً ، وداعيمهم إلى النجاة والحياة واحداً ، لا تتفرق بهم السبل ، ولا تتطرق بهم بنياتها الطرق ، وضمنوا عن من وراءهم من غوهم الشقي واتباعه السلوك على مدارجهم ، والجري على مناهجهم ، وأنهم يقتادونهم بزمام الارتجاع إلى الانقياد والانطباع ، فمضوا على ذلك وقد حسن فيهم التأويل والظن الجميل ، وعزائمهم على النكت مبنية ، وضلوعهم على الغدر مطوية مخنية وكان انفصالهم على أن يحضروا هم وجميع من وراءهم من تابع ومتبوع معنا عيد الفطر بالحللات المنصورة ، فكان وعدهم كذباً وبرقهم خلباً ، وانكشف بعد ذلك في الغدر قناعهم ، وأبدت مآسكنه من العداوة جوانحهم وضلاعهم واتضح عندنا ما كانت تمتد إليه آمالهم ، وتسرع نحوه أطباعهم . وعند ذلك جد بنا في ذلك ، في توجيه الموحدين إلى جهاتهم الجدد ، ولم يك لنا من فصل هذه القضية بد ، فاستخرنا الله على أن وجهنا لنزوم أخويننا : أباحفص وأبا سعيد ابني سيدنا أمير المؤمنين - أدام الله علام - مع الموحدين - أعزم الله - وسألناه جل وعلا أن ينجز لأوليائه ما وعدهم ، ويجريهم من الظفر بأعدائهم على ما وعدهم ، وتوافقنا معهم على الارتقاء إليهم لذلك الباذخ الشاهق والشامخ السامق ، المرتدون قد وثقوا به ، وبرؤوا من حول الله وقوته إليه ، وأودعوه مع نفوسهم جملة أهليهم وأموالهم . وبنوا به ، بما بدا من أحوالهم ، أنهم يجدون في الجأولة ، ويصدقون في المكافحة ، ولا ييغون جهداً في المكاثرة والمكابرة ، كاشفين قناع المباداة ، مبدين صفحة المعادة فأجمع الموحدون - أعزم الله - أمرهم ، وأخلصوا لله سرهم وجهرهم ، لا يجلون ملجأً سند إلى كثرة عدد وعدده ، بل فوضوا أمرهم إلى الله تعالى الذي وعدهم الفتح ، وعودهم النصر ، فأهدنهم إليه يوم الاثنين الخامس من شوال يسلكون إليهم في مسالك حرجة ، لا يسلكها السالك إلى (١) بين

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب إلا .

غِيضة وحرجة ، قد التفت بشعرائها ، واحتفت بشجرائها ، ذات حذب وآكام ، لا ثبات فيها للحوافر ولا للأقدام . فاتصل مشيهم على ما أخذوا من أهبتهم ، وأعدوه من عدتهم ، وكتبوه من كتابهم ، ورتبوه من رتبهم في هذا السفح الموصوف . والمرتدون قد أخذوا عليهم أعالیه ، وارتكبوا دونهم قتيبه سادين لأنقابهم معولین لمسالكه ، مخلصين للانصبا (١) ... من ذراه ، والانقضاض من علاه . واستمر بالموحدين - أعلام الله - اليسر ، ونهضت بهم العزيمة ، واستقل بهم التصميم ، والتوكل يقودهم ، والثقة بالله تحدوهم . إلى أن شارفوا حد التسم ، وأفضوا إلى باب التوكل ، وهناك تقف الأقدام عن الإقدام ، وقد اضطروا إلى أوعار لا تمكن من ترقيا ، ومقابلة أعداء لا يدري كيف توقيا ، ومشاهدة أحوال على الجملة لا عهد بتلقيها ، والأعداء يتربصون بهم وقوعهم في مثل هذه الحال ، وحصولهم في مثل هذا المقام ، ويرون أنهم بما حازوه من علو مكانهم ، واستحقاقه من ذروة وعزم ، وأملوه من التصوب على من مد إليهم يد محاولة ، أو رام منهم يسر مناولة أنهم راحوا الصفقة ، مرتفقو الخطاة . والله تعالى من العناية بأمره ما يسهل الصعب ، ويذل الوعر ، ويلين الشديد ، ويقرب البعيد . ولما انتهى الأمر إلى هذا الموقف ، ووصل إلى هذا الموصول ، ورأوا صدق العزيمة ومضاء الصريخة في الصعود اليهم والترقي نحوهم ، غير مرتقب مكرهم ، ولا متخوف وعدهم ، جهد الأعداء في اللقاء جهدهم . وبذلوا من المكافحة جميع ما عندهم ولم يبقوا نكالية إلا أبدوها ، ولا غاية إلا استوفوها من كل فن وعلى كل وجه . فأفرغ الله على أوليائه الصبر ، ومكن لهم العزم ، وثبت أقدامهم ، وربط على قلوبهم ، وصرف الفشل والرعب عنهم ، وأيدهم بروح منه ،

(١) كذا بالأصل ولعل الكلمة هي الانصبا .

وأوطأهم به ، مسالك ، بعيد في العادة أن تثبت بها قدم ، أو تسعى فيها رجل ، وكان من أغرب الآيات أن صارت الخيل فيها أنفذ من الرجل بل من الطير ، فأضحوا قلائد في أجسادها ، وأطواقاً في أجسادها . وأهب الله لهم ريح النصر ، ومنحهم أكتاف العدو ، وأخذهم الله هنالك أخذاً تنوع فيهم العذاب ، وتيقن به فيهم الانتقام ؛ فن بين مخرج بدمه ، ومرتد في مزلة قدمه ، وفار لى حيث لامعتهم ولا ملجأ ، إلى حيث لا وزر ، واستولى الموحدون - أعزهم الله - على الجبل كله ، واستحقوه على أهله ، وضربت به خيامهم ، ورفعت في أعلاه أعلامهم ، واقتفوا أثر الفارين في كل شعب ، يقتلونهم قتلاً ، ويشلونهم شلاً ، لا ناصر لهم ، ولا مانع منهم ، وقد أسلمتهم ذنوبهم ، وأخلفتهم ظنونهم ، وأفضوا إلى جميع ما أعدوه فيه معهم .

وكان في الغرة عليهم مثل أنفسهم من حرمهم وفنون أموالهم ، إلى ما كان آوى إليهم من حرم غيرهم وأموالهم ، ونقله الله إليهم مغنماً كريماً جليلاً ، وعطاء جسيماً جزيلاً ، رحمة منه وفضلاً ، وإحساناً منه وطولاً ، وخلا هذا الجبل المذكور من أهله وأضحى يباباً بلقماً كأن لم ين بالأمس عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين . وخطبونا - أعزهم الله - بهذه البشرى لحين وقوعها مبادرين إلى ذلك لقرب المسافة التي كانت بيننا وبينهم ، فإن مشيهم إلى هذا النزو وحركتهم له وتصرفهم فيه كان منا بمرأى ومطلع لم ينكم عن عياننا كيف كان ارتقاؤهم إليهم ، وتسليمهم خوهم ، وعرفوا أنهم في اليوم الثاني من هذا الفتح الكريم يوالون تفتيش زواياهم والتنقيب عن خباياهم ، ففعلوا ذلك وحصلوا منه ما وجدوه ، وأضافوه إلى ما غنموه ، ولم يسمع بعد هذا التعقيب في التنقيب دعاء داع هنالك ولا إجابة محجب هؤلاء القوم ومن انضاف إليهم من وقعت به هذه الواقعة ، ودارت عليه

الدائرة ، هم مقدمو غمارة ومستتبعوها ، ومنووها ومضلوها ، وهم كانوا شوكتها الناكية وثورتها النازية ، وكان قطب رخاهم ، ومدير حربهم ، وقائدهم في يومهم أبلقهم الفرد^(١) ، المتنوع على من رامه ، المستصعب قديماً على من كاده ، فقد استفتح ممنوعه ، وخلت من الظالمين ربوعه ، وهدت - بفضل الله عز وجل وبركة هذا الأمير العزيز - أصوله وفروعه . وكان فاهم وقلمهم قد انحجزوا إلى أحجار لا تستقل بمنعهم ، ولا تقي بحمايتهم . وكان هذا الشقي المذكور يوم الفتح قد فر برأسه ، ناجياً من ذلك المأزق بحشاشة نفسه ، وقد استبيح أهله وماله ، فسلك سبيل الانحجار ، وأمعن في زوايا الاختفاء والاستتار . ولما أتى أمر الله تعالى على هذا الجبل وأهله بما ذكرناه ، تنقلنا بالموحدين - أعزهم الله - من المنزل الذي منه توجههم إلى الفتح ، وزلنا بهم المنزل الذي خاطبناكم منه ، واتصل تتبع هذا الفل ، وأخذ المراسيد عليهم ، وتمادى ذلك . وكل الجهات المجاورة لهذا الجبل المذكور من كانت أعينهم ناظرة ، وآذانهم إلى ما يقع مصفية ، قدرغبوا في الإقالة ، وأعلنوا في التوبة ، وسعوا في إحراز دمائهم وأموالهم ، وتسويع برد العافية لهم ، وكل من قرع هذا الباب فهو له مفتوح ، ومن استمنحه فهو على عوايده مبذول ممنوح ، وفي خلال ذلك وافى من صنع الله الجميل الذي لم يزل يصاحب هذا الأمر العزيز في كل مقام ، ويتكفل له في كل مبدأ من مبادئ ظهوره بأفضل خاتمة وأشرف تمام ، ما جعله الله لهذا الفتح العظيم كلاً ، واستوفى به مقاصده العلية استيفاءً . وذلك أن الشقي الغوي لما لم يجد نفقاً يؤويه ولا مدخلاً ينجح إليه ، آوى إلى بعض تلك الجبال ، واطمأن إلى بطانة له من غمارة ، وثق بإيوائهم له واشتالهم عليه ، مولياً عن أمر

(١) الأبلق الفرد : حصن السموأل بن عاديا ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام .

الله تعالى ، ومكايده له ، مصمماً على الإعراض عنه ومتربصاً به من الدوائر ما أوقعه الله به ، فلعلناية الله بهذا الأمر العزيز وفق الله تلك البطانة ، وأراهم رشدهم بالتقرب إلى هذا الأمر العزيز والتفادي منه ، والتعدي من شؤمه ، والانتزاح عن شره ، وما تحققوا من سوء عاقبته ، فوثبوا عليه ، واستوثقوا منه ، ووصلوا به مقتاداً برمته ، مشهراً بفضيحتة ، مقلداً بعاره آية لمن أبصره ، وعبرة لمن نظره ، ومكن الله الموحدين منه فوزى غزوة شفى صدور المؤمنين ، وأقر عيون الموحدين ، وبت في أعضاء المارقين ، وأطفأ الله به نار الفتنة ، وأخذ به ضرمها ، فإنه كان الحاطب لها والمسعر لها وأكمل به هذا الفتح العظيم ، والصنع الجسيم ، ومقدار هذا الفتح المصنف والنصر المبين ، إذا وفر عليه حقه وحقق له قسطه ، وزن بيزانه ما لا تقوم به أقوال القائلين ، ولا يبلغ حقيقته إطناب المطنبين ، لانه جاء من نفحات رحمة الله تعالى التي يصيب بها من يشاء من عباده ، والحمد لله الذي جعل أوليائه ممنوحين من نفحاته وعظيم عنايته ، بما يعرفهم اختصاصهم بفضله ، وتميزهم بتأييده ونصره ، وله الحمد الكثير ، وعرفناكم بذلك مشروحاً لتحمدها الله تعالى عليه وتأخذوا بحظكم منه ، وتعطوه حقه من الاشاعة ، وتوفوه واجبه من النشر والاذاعة ، فقد انحسرت به أدواء كانت في حد الاعضال وأخذت نيران كانت من الفتن في اصطدام واشتعال ، وستكون آياتها منبهة وعبرها مذكرة ، يصلح بها الفاسد ، ويستقيم بها المائل ، ونسأل الله تعالى أن يوزع شكر آلائه ، وينهض بما حمل من أثقال أمره العزيز وأعبائه ، بفضله وكرمه ، والذي نفل الموحدين - أعزهم الله - من ضروب المغانم والأنفال وذلك من البقر اثنا عشر ألفاً ، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفاً وثلاث مئة ومن السبي ثلاثة آلاف وست مئة وسبعة وأربعون ، ومن الدواب ستمائة وسبعة عشر ، وهي الآن متصلة متتابعة ، فله الحمد على ما أولى أوليائه من الخير

الواسع والنصر الكريم المتتابع ، لأرب غيره ، والسلام الميم الكريم عليكم
ورحمة الله وبركاته ، كتب في الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستين
 وخمس مئة .

المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ / ٣١٠ - ٣٢١

٢٣٩ - رسالة أرسلها الأمير أبو حفص أخو الخليفة أبي يعقوب
ضمن رسالة الخليفة السابقة عن نفس الموضوع : فتنة غمارة إلى
الشيخ الحافظ أبي عبد الله ابن الشيخ أبي إبراهيم .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . من عمر
ابن أمير المؤمنين إلى الحافظ أبي عبد الله بن أبي إبراهيم ، أدام الله
كرامته وتقواه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد حمد الله
والثناء عليه ، والصلاة على محمد رسوله وعلى آله ، والرضا عن الإمام المعصوم المهدي
المعلوم ، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين ولولي عهده الأمير الأجل الملك الأسعد أبي
يعقوب بدوام التمكين والفتح المبين ، فالكتاب إليكم ، كتب الله لكم نعماً
ثرة وأعمالاً برة ، من منزل الموحدين - أعزهم الله - بحبل الكواكب ،
وفتوح الله لأوليائه متصلة النظام مؤيدة الأعلام ، آخذة بمجامع الكمال
والتمام ، فإنه تبارك وتعالى يسر للموحدين هذه الجبال الصعبة ، والمعازل
الأسعبة ، التي كان أهلها قد بطروا وأشروا النعمة ، وشقوا عصا الجماعة ،
وأجابونا عن الفتنة ، فوصل الموحدون إليهم ، واستأنموا بهم آخر الأجل
في التبصرة والتذكرة والاستنباط ، فكان منهم من راجع الحق وتلافاه
الله وأخذ بحجيزته عن النار ، فأولئك نجحوا وربحوا ، وأحرزوا أموالهم
وعيالهم ، ومن يهد الله فهو المهتدي ، واستمر سايزم على اللجاج والعناد
وظنوا أن معاقلم مانعهم من أمر الله ، ومن يضلل الله فلن تجد له

سبيلاً . وما زال الموحدون يستنزلونهم من هضابهم ويستخرجونهم من شعابهم حتى أتوا عليهم قتلاً وسبياً . وكان من آخر ذلك هذا الجبل العظيم الشأن ، المنيف من كل هذه الأرض على كل مكان . وكان فيه رأس غوايتهم وعميد ضلالتهم سُبُع بن منخفاد الشقي مدار قومه ، ألحق الله به أمثاله . وكان قد ضم إليه أمة عظيمة من الأشقياء ، زاعمين أنهم يعتصمون من الموحدين فيه ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، فاستعان الموحدون بالله وصعدوا إليهم وقاتلهم على مصعدة قتالاً شديداً أجحض الأشقياء عنه ورداهم منه ، وفر الشقي المذكور وأفلت من ذلك الهول ، وآوى إلى بعض قبائل غمارة ، فشرح الله صدرهم ببركة هذا الأمر العزيز وسعده ، فأخذوا الشقي وجاءوا به أسيراً موثقاً ، فغزى فيه ورفع جذعه وعفى أثره وكمل أمر الله في هذه الجهة وانجلت عنها غيابة الكفر وفاض عليها نور العدل وانسكب فيها غمام الإحسان . والحمد لله رب العالمين . وهي نعمة عظمي وفتح أعظم يجب أن يعرف قدره ويوفى شكره ، فخذوا حظكم من المسرة بما منح الله إخوانكم الموحدين وخولهم من الخيرات وأفاء عليهم من المنافع التي جل قدرها وعظم خطرها ، حسب ما جرت به عوائد الله لهذا الأمر وأهله . جعلنا الله بمن شكر نعمه ونصر حزبه بمنه وكرمه ، ووصل - أعزكم الله - كتابكم إليه ووقفنا عليه وشكرنا اهتبالكم واستعنا الله لكم واستوهبناه لكم الكرامة والإمداد بالتوفيق . فكذلك توالون المطالعة وتستمرون على أعمال الخير والبر . والله ولي عونكم . والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب في الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣

٢٤٠ - رسالة جوابية أرسلها أمير المؤمنين الموحد أبو يعقوب

يوسف إلى أبي عبد الله بن أبي إبراهيم بفغرناطة سنة ٥٦٢ هـ عن رسالة
أرسلها إلى الخليفة الموحد مبشراً له بفتح حصن تابع لابن فردنيش :

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد ورسوله وعلى آله . من
الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين ، أيدم الله بنصره وأمدهم بمعونته ،
إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم والطلبة الموحدين بأغرناطة -
أكرمهم الله ببقواه ووفقهم لما يرضاه . سلام عليكم ورحمة الله تعالى
وبركاته . أما بعد : فإننا نحمد إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، نشكره
على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه ورسوله ، ونسترضيه عن الامام المعصوم
المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى والداعي إلى مسيله ، ونصل الدعاء
للخليفة سيدنا أمير المؤمنين ، المنتهض بتميم أمره تعالى وتكميله . وكتبناه
إليك - أتم الله نعمته عليكم - من حضرة مراکش ، حرسها الله . والذي
نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه .
وقد وصلت إلينا مكاتباتكم ووقفنا منها على ما ذكرتم من استبشاركم بما من
الله تعالى لأولياء أمره من الفتح والنصر ، وبما سناه الله للموحدين هناك
من غزو الجسمين ^(١) ، واستنقاذ ما كانوا اغتصموه ، وانتظام أموركم كلها
على الخير والصلاح ، وتمكن أسباب الأمن والدعة .

والحمد لله على ما منحه من صنيعه الكريم وفضله العظيم . فيجددوا
شكر الله تعالى على آلائه ، وتوكلوا عليه ، واستمدوا بالشكر المزيد
من فضله ، والعتاد من رحمته ، وهو الكفيل تعالى بإنجاد أوليائه وإعزاز
حزبه وجنده . والذي ذكرتموه من اختلال أحوال الجسمين الشرقيين

(١) يقصد بالجسمين المرابطين .

وتبدد شملهم ، فتلکم عادة الله تعالى فيمن ثلوا أمره وأعرض عن جانبه .
والله ینجز فیهم وعده ، لارب غیره . والسلام الکریم علیکم ورحمة الله
کتب فی التاسع من ذی الحجة سنة اثنتین وستین وخمس مئة .
کتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة > ٣٢٤ - ٣٢٥

٢٤١ - نص بیعة أهل إشبیلیة لأبی یعقوب یوسف الموحدي بإمرة
المؤمنین کتبها أحمد بن محمد وتحوي توایع البارزین من أهل إشبیلیة
وارسلها له إلى مراکش امیر إشبیلیة من قبله السید أبو إبراہیم إسماعیل
صحبة کتابة سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحیم . صلی الله علی محمد وآله وسلم . الحمد لله الذی
جعل الإمامة قواماً للحق ونظاماً للخلق ، وقاماً علی الذی أحسن برعاة
العدل والرفق ، وأوجب الاعتصام بطاعتها والانتظام بجماعتها . والصلاة
علی محمد نبیه المنبث بنور الحق الساطع الأضواء ، المبلغ عن الله سبحانه
بأكل وجوه التبلیغ والإنهاء ، وعلى آله وأصحابه الذین والوه بالنصر
والإیواء ، والرضا عن الإمام المعصوم المهدی المعلوم ، الخصوص بأثرة
الاصطفاء والاجتباء ، والدعاء لسیدنا ومولانا امیر المؤمنین الخلیفة المرتضى ، متمم
أنوار الهدى ، ومجلی غیاب الظلماء ، وللإمام الأعدل الأهدى سیدنا
ومولانا امیر المؤمنین أبی یعقوب ابن امیر المؤمنین بدوام النصر والاستیلاء
واستصحاب الظهور والاعتلاء . أما بعد : فإنه لما اجتمعت طائفة التوحید
وهم الذین تحضرهم من الله حاضرة التوفیق ، وینظر إلیهم نظر الاقتداء
والاهتداء من وراءهم من أهل الحق والتحقق ، علی تجدید البیعة
المباركة لسیدنا ومولانا امیر المؤمنین أبی یعقوب ابن امیر المؤمنین خلد الله
أمرهم وأعز نصرهم ، بالاسم المبارك الکریم الذی أول من دعا به

الفاروق رضوان الله تعالى عليه ، فعرف الله من بينه مافتح لملة الاسلام شرقاً وغرباً ، وأحال الدلو بين ساقهم ، فاستحالت غرباً ، حتى ضرب الدين بجمرانه ، وألقى الناس بمطن^(١) بين يمينه وأمانه ، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضاً أوجبه الشرع بوجوب الإلزام ، واقتضى الوفاء شروطه المذكورة على الكمال والتام . فبايعنا على السمع والطاعة ببيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة ، والتزمتها في اليسر والعسر والمنشط والمكره واعتقدناها عصمة ديننا وذخر معادنا . وتمسكنا منها بالعروة الوثقى والعصمة التي من تعلق بجها ، وآوى إلى ظلها فقد اعتصم بالجانب الأيمن الأوقى ، علماً أنها البيعة الرضوانية والدعوة التي تتكفل بنصرها وإعلاء أمرها العناية الربانية ، علينا بذلك عهد الله الأوكد الألزم وميثاقه الأغلظ الأعظم وذمته التي لايقطع جلها على مرور الزمان ولايصرم ، مستبصرين في هذه البيعة الكريمة بنور الاهتداء ، سالكين في التزام الطاعة المحجة البيضاء عارفين ما أمر الله سبحانه من طاعة الخلفاء . والله سبحانه يحفظ بها أكناف الاسلام ، ويجعلها كلمة باقية على مرور الأيام بفضل الله ومنه . وعلى مضمون ما نص فوق التزام أهل إشبيلية كافة ، وكتبوا على ذلك بشهاداتهم في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة .

المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة > ٣٤٠ - ٣٤١

٢٤٢ - نص ببيعة أهل غرناطة لأبي يعقوب يوسف الموحدى بإمرة المؤمنين وذلك بحضور واليها من قبله أبي عبد الله بن أبي إبراهيم الذي أرسلها له مرفقة بكتاب من طرفه .

(١) مبرك الإبل حول الماء ، وهو مثل يضرب لامتداد الحال وكثرة الفتوح .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . الحمد لله الذي جعل الامامة عصمة للدين ونعمة سابقة منه تعالى للمسلمين ، ورحمة أراد بها - جل جلاله - هدى المهتدين وقوام المؤمنين ، نظم بها عقد الأئام وتمم بارتباطها عقد الاسلام ، وأظهر بالتزامها بركة تمامها وانتظامها . والصلاة على محمد نبيه ورسوله الذي ابتعثه برحمته وأيده بقدرته وقدرته ، وأعانه على إعلاء أمره وكلمته ، وعلى آله وصحابه الذين آمنوا به ونصروه ، وآزره وعزروه ، إذ اصطفاه إمامهم ، وقدموه واخلصوا لله تعالى في طاعته ومناصحته أفهامهم ، وأعملوا في نصرته وحمايته إقدامهم وأقدامهم والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي أظهر الحق بعد دروسه ، وأطلع للإيمان ساطع أقماره وشموسه ، والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين خليفته المرتضى الذي أشرقت أنواره وظهرت على يديه بركاته المكتوبة وأسراره ، وبمثل له سيدنا ومولانا الإمام الأعجل الخليفة الصالح الأتقى لله عز وجل ، أمير المؤمنين أبو يعقوب ابن أمير المؤمنين بنصر تستقبل منه بركاته المضمونة ، وتتمهد بسعده الأسعد حوزته المصونة ، وتنهض عزماته في الزلاء (١) فما دونه . أما بعد : فإنه لما اختص الله تبارك وتعالى طائفة التوحيد ، بما هم عليه من العمل السديد والسبيل الحميد والسعي السعيد الرشيد ، اجتمعت نفوسهم ، بعد توفيق من الله تعالى لهم ، ومستقبل سعد يدخرون فيه عملهم ، أن يجددوا البيعة المباركة لسيدنا ومولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن الخليفة أمير المؤمنين ، جدد الله لهم السعود ، وأمد لأمرهم العزيز التأييد الكريم والخلود ، بالاسم المبارك العظيم

(١) لم يتمكن محقق كتاب المن بالإمامة من قراءة هذه الكلمة وقال : لعلها البزلاء وهي الداعية العظيمة .

الذي أول من نطق له فيه عمر بن الخطاب ، فأقر ذلك لنفسه لقباً واسماً
وسمة لمنى الخلافة ورسماً ، حين علم تحقيق ما به خوطب وبه كوتب ، فحمد
الله تعالى وشكره ، واستحسن المخاطبة بذلك ما سماه به وذكره ، جددنا
الآن من بيعة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين ، أدام
الله تأييدهم ، على الاسمية المباركة العظيمة الموسومة ، فرضاً أوجبه الدين
والاسلام ، وحقاً اقتضاه شرع نبينا عليه السلام . واتباعاً لما فعله أصحابه
البررة الخيار الأعلام الصحابة العشرة ، فبايعنا سيدنا ومولانا على السمع
والطاعة ، ومنهج الجماعة ، بيعة إيمان وأمانة ، وعدل وعبادة تبركاً بأمرهم
واستنجاداً بالله تعالى على ما يجب فيها من طاعتهم ونصرهم . اقتداءً فيها ببيعة
الشجرة ، وبأصحاب رسول الله المؤمنين البررة ، التزامه في كل الأحوال
وأخلصنا له الضائر في كافة الأعمال ، واعتقدناها شرعة وديناً ، وبادرنا إليها
حقيقة و يقيناً ، فهي ذخيرتنا في المعاد ، وزادنا إلى يوم التناد ، وسعادتنا
ونجاتنا يوم الوعيد والايعاد ، علينا بالوفاء بعهودها وكل شروطها وعقودها
عهد الله الأصح وعقده الأنصح ، وذمته التي لاتضيع ودائعها ، ولاتنبخس
بضائعها ، متمسكين فيها بحبل الله الوثيق وأمره الحقيق ، سالكين في
التزامها وإبرامها وتاممها ما يجب من شروطها وصحة ربوطها ، عارفين بما فيها
من مهمها ومبسوطها . والله تعالى يعيننا على أداء واجباتها ومفروضاتها
بفضل الله تعالى ، وعلى مضمن معناها والتزام مبنائها . التزم الطلبة والشيوخ
والكافة من الموحدين بقصة أغرناطة ومدينتها ، وكتبوا على ذلك بشهادتهم
وخطوط أيديهم على أنفسهم . وذلك في النصف من جمادى الآخرة من عام
ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة > ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٤

رفع
عبد الرحمن الرحيم (النجدي)
(أسكنه الله الفردوس)

٢٤٣ - رسالة وجهها الى أمير المؤمنين الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي واليه على غرناطة أبو عبد الله ، الذي وجهها له مع بيعة أهل غرناطة له بالخلافة والمذكورة آنفاً أعلاه

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وعلى آله وسلم . الحضرة السامية الإمامية ، حضرة سيدنا ومولانا الإمام الأعدل ، الخليفة الصالح المنصور بالله عز وجل ، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ، أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ، من ملتزم أوامرهم العلية ، المتبرك بمعاليم السنية ، الطالع السامع فيما يجب عليه من حقهم في كل ثنية ، محمد بن أبي ابراهيم : سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد حمد الله على إعلاء هذا الأمر العزيز المكين ، وإجراء سره القائم على أفضل الأساليب والقوانين ، وإمضاء آراء أهله الموحدين في صوب الاسعاد واليتمين . والصلاة على محمد رسوله ونبيه الصفي الأمين ، المبلغ الرسالة على أكمل حالات البيان والتبيين ، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، القائم لاقامة الحق في المفروض والمسنون ، ولصاحبه وخليفته أمير المؤمنين ، المؤيد لاطهار أسرارهِ وأنواره بآتم التأييد المضمون ، وللإمام الأعدل ، الخليفة الصالح المنصور بفضل الله عز وجل ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف ابن أمير المؤمنين بنصر يخصصه في كافة الأحوال والشؤون ، فكتبه خديكم من أغرناطة ، حرسها الله ، عن التزام أمركم الكريم ، والاعتلاق بجلسمكم الذي هو جبل الله العظيم ، شاكرًا لله تعالى وحامدًا على ما أمضى به من أمره إلى سيدنا أمير المؤمنين بخلافته ، واختصه في أرضه بفضل إمامته وحمل أمانته ، وجباه بكرامته ، حين علم فيه الاستبداد بكفائته . فله قبل عبدكم في ذلك نعم متظاهرة ، وآلاء مترادفة متسكّرة ، أرغب من الله تعالى أن يلهني حمداً وشكراً ، وإعمالها ونشرها

بعزته . وإنه وصلني كتاب السيد الأسنى أبي ابراهيم ابن أمير المؤمنين الخليفة
- رضي الله عنه - ومعه نسخة الكتاب المبارك العزيز المبدي من البشائر
ما أربى على التكميل والتتميم بما كان فيه من إجماع الرأي السعيد والفعل
السديد ، الذي اجتمعت آراء الموحدين ، وكانوا من الله تعالى في ذلك على
توفيق مبين ، ومن تجديد البيعة الكريمة ، والاسمية المباركة الموسومة لسيدنا
ومولانا أمير المؤمنين ، أدام الله لهم السعد والتمكين والفتح المبين ، إلى
مآملوا فيه مما أسبل الله أثرها على الموحدين وطائفة المؤمنين من توالي الفتوح
واتصال الخير المنوح ، وترادف الأمطار ، ورخص الأسعار ، مما يقل لذلك
شكر الشاكر ، ووصف الواصف ، وذكر الذاكر . وعند وصول الكتاب
الكريم إلى الخديم الطالع عليه بمجائب الفتوح والسرور . بادرنا إلى التيمن
بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا وذخر معادنا ، فمقدناها على
مايجب من مفروض البيعة لأمر المؤمنين ، على أئمة شروطها في الدين ،
وحمدنا الله تعالى على التزامها ، ودعونا الله في التوفيق بالعمل على نظامها
إنه القادر على ذلك لا إله سواه . وفي حين ذلك وصلنا أيضاً على الخصوص
كتابكم الكريم الثاني ، المتمم لتلك المباني ، مما كان من أمرهم الحفيل ،
ونظرهم لهذه الجزيرة ، حماها الله ، على أتم الرأي الجميل ، بوصول العساكر
المنصورة ، والأسناد الموفورة إليها وحمايتها ، إلى ماخصصوا به عبيدهم ،
أدام الله أمرهم وأعز نصرهم ، من الأمر المفصل بالبركة التي ما زالت
بركاتهم ونعمهم علينا تترادف ، وتتوالى إلى قبلنا ونتعارف ، مع ما عرفوا
به من الخير الذي يصلح بلادهم ، ويخص أجنادهم . والله تعالى نسأله أن
يعين الكل من عبيدهم على أداء شكرهم ، والتزام أمرهم ، بعزته وقدرته .
والسلام الأجل الأحفل ، الأتم الأعم على الحضرة السامية الإمامية العلية

ورحمة الله تعالى وبركاته ، كتب في النصف من جمادى الآخرة عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة > ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٦

٢٤٤ - رسالة جوابية من الخليفة أبي يعقوب إلى أبي عبد الله على رسالته التي ورد ذكرها أعلاه .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله وحده من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين . أيده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته . الى الطلبة الذين بأغرناطة . أكرمهم الله بتقواه ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد فإننا نحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ، القائم بأمر الله والداعي إلى مسيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المؤمنين ، بمشي أمره العزيز إلى غاية تسميه وتكميله . فإننا كتبناه إليكم ، أكرمكم الله بتقواه . من حضرة مراکش حرمها الله ، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه . وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من غرناطة حرمها الله ، والموحدين ، وفق الله جميعهم ، ووقفنا عليه ، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل التوحيد وأعيانهم ، من الأمر الذي أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه ، وإعطاء صفقة اليه فيه . وقد وفقهم الله لما وفق اليه أهل أمره وذوي العصمة من طائفته ، والله تعالى يتقبل منهم عملهم ، ويعرفهم بركة ما التزموه ويعينهم على القيام بواجبه والوفاء بحقه . وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورون بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتها . بما يجدون أثره في أحوالهم ، وسريان

الانتفاع به في أقوالهم وأعمالهم ، فاعرفوا لهم حق وفادتهم ، ومكان زيادتهم واحلوهم وكافة جيرانهم على الرعاية المتصلة ، والمبرة الحافلة المشتعلة إن شاء الله تعالى . والله ولي عونكم وصونكم لارب غيره . والسلام الكريم العميم ورحمة الله وبركاته . كتب في الثاني عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة - ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٧

٢٤٥ - رسالة أرسلها الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحي إلى أبي عبد الله بن أبي ابراهيم واليه على غرناطة يخبره فيها بما قرره من تغييرات في سلك الولاية ، وبما عقد عليه العزم من الجهاد وذلك سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد لله وحده من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيدم الله بنصره ، وأمدم بمعاونته - إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي ابراهيم والموحدين الذين بأغرناطة ، أدام الله كرامتهم ، ووصل توفيقهم . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فإننا نحمد إلكم الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم ، والمهدي المعلوم ، القائم بأمر الله والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المؤمنين ثمثي أمره العزيز إلى غاية تكميمه وتكميله .

وإننا كتبناه إلكم ، كتب الله لكم آمالاً مبلغة ، وأماناً في صلاح أحوالكم مهتأة مسوغة ، من حضرة مراکش - حرسها الله - والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والثقة بأنه تعالى ناصر هذا الأمر العزيز ومؤيده ، ومعينه ومنجده ، ومتولي به

يظفره بكل جاحد لحقه ، غمٌ عن نوره ، عادل عن سبيله ، معرض عن داعيه ، لتضي سنة الله في انتشار دعوته ، وامتداد شعبته (١) ، وظهور كلمته ، وإنجاز ماوعده من الاستيلاء على الأدنى والأبعد ، وضمن له من البقاء الدائم السرمذ . وإن أمر تلك الجزيرة ، مهدما الله ، لمن آكد ما توجه اليه نظرنا ، وتوكل به اعتناؤنا ، واشتغل به فكرنا لمصاوبة الأعداء الروميين والمجسمين لبلاد الموحدين بها ، وإلحاقهم على جنباتها ، واسترسالهم في سبيل الاغترار وطرق الانهال عما يدهمهم من أمر الله تعالى الذي يأخذ منهم لدينه عن الانتصاف ، ويكيل له من إدراك الثأر بالكيل الواف . وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق ابن سيدنا أمير المؤمنين ، وفقه الله ، في عسكر مبارك من الموحدين والعرب ، وفرهم الله ليكون بقرطبة ، مهدما الله ، ورجونا من تعاونه مع إخوانه الذين بإشبيلية - حرسها الله - وتعاضدهم جميعاً ، وقوازرهم على الجهاد وحماية البلاد ، والنظر في المصالح ، وكافة ما وصيناهم به في هذه الأغراض ، أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثاره ، وما أخذنا عليهم من عهود التقبل لها ، والاقتراء بها ، وأن ينفع الله بهم ، ويعرف عن اجتماعهم ، وأن يسعدهم ويسعد بهم . وعلى ذلك فالنظر مستتب والغوث مطرد . وهذه كلها مقدمات بين يدي ماينوي من الغزو الأعم ، والجهاد الأتم ، الذي يحق الله به الباطل ، ويعني أثره ويمدح عينه ، على ما وعد انه لا يخاف الميعاد . فاشكروا الله على ذلك ، واستبشروا وبشروا إخوانكم بجميع جهاتكم وأنظاركم بإقبال هذا الخبر وتوالي النظر ، وأنسوا به القلوب ، وسكنوا به النفوس ،

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب شعبته .

وثبتوا به الأقدام ، وأجدوا في الجهاد بنيات خالصة ، وعزمات صادقة .
وكونوا على أتم التعاون وأوفى التضامن ، واستشعروا الاقبال وصالح
الأحوال إن شاء الله . وقد خاطبنا الطلبة الذين ياشبهون أن يدفعوا للموحدين
الذين بأغرناطة من البركة مثل ما أخذهم أهل قرطبة . وكذلك خاطبناكم
أن يستمر لكم النظر في الآلات والأسلحة التي تحتاجون للقصة - حماها الله -
فاعلموا ذلك ، والله تعالى ولي عونكم بمنه .

والسلام العميم الكريم عليكم ورحمة الله . كتب في الثاني والعشرين من
جمادى الآخرة عام ثلاثة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة - ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٦

٢٤٦ - رسالة جوابية من أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف الموحد
إلى أبي عبد الله واليه على غرناطة الذي أرسل له يخبره بانتصار جيش
الموحدين على جيش مختلط من المرابطين أنصار ابن مردانيش والنصارى
بقيادة جرندة وهزيمتهم إياهم هزيمة منكرة قرب مدينة رندة ، وذلك
سنة ٥٦٣ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله
وحده . من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيدهم الله بنصره وأمدهم
بعموته - إلى الطلبة الذين بأغرناطة ، أكرمهم الله بتقواه ، سلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد : فإننا نحمد إليكم الله الذي لا إله
إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه المصطفى
ورسوله ، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر
الله تعالى والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير
المؤمنين ثمي أمره العزيز إلى غاية تنميته وتكميله . وإنا كتبناه إليكم

أكرمكم الله بتقواه - من حضرة مراکش ، حرسها الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن تشكروه على ما يوالي به هذا الأمر العزيز وأهله من مواهب النصر وموانح التأييد الذي يعلي بها كعبته ويظهر به حزبه ، وإمضاء لسنته ، وطرداً لعُداته . والحمد لله فقد وصلنا كتابكم من أغرناطة ، حماها الله ، بما سناه الله في الأعداء الكفرة الذين كانوا بوادي آسن ، فتجها الله ، من الفتح الذي عرفهم به قدر اغترارهم وكان جهلهم وموضع الإملاء لهم ، بما كانوا اعتادوه من التسحب على أطراف تلکم الجهات بالاختلاس والاختطاف على ما ذكرتم ، فيسر الله لكم من أسباب العون عليهم ، ومكيفات الإنجاد في الأخذ بالثأر منهم ما شرحتهموه في كتابكم وبيئتموه بإعلامكم فما وقفنا منه على ماسر موقعه وحسن مطلعته وجرى على علي معلوم هذا الأمر في نصرته وتأييده ، والصنع الجميل له ، وإخزاء أعدائه وادحار معانديه ، والذي منح الله الموحدين في هذه الغزوة المباركة خيراً كثيراً وأثراً جميلاً ، وله في تمهيد تلکم الجهات وتأنيس أهلها وبسط آملهم وتسكين نفوسهم ، ومثابة من فت أعضاء الكفرة وتوهين بنية النافع ، مع ماخير الله في تلك الحال من الغنائم التي اغتصبوها أهلها واقتطعوها من أربابها ، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ولو كره المجرمون . فاشكروا الله تعالى على توفيقه الذي ين قصدكم وأنهض عزمكم وسدد رأيكم ، وقابلوا ذلك بما يقتضي له المزيد من فضله والمضاعف من إحسانه .

وبشروا الموحدين والغزاة بنعمة الله عليهم في الظهور على أعدائهم والنصر لدعوتهم ، وأن لهم عند الله مع هذه العطية الثواب المدخر والأجر الأجل الأوفر ، وليستدعوا ذلك بالأعمال الصالحة والقلوب الطاهرة ،

والأحوال المستقيمة . والله ولي العون على ما يقرب منه ويزلف عبده
بمنه . والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في
الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة .
كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٩

٢٤٧ - رسالة أرسلها أخو الخليفة أبو حفص إلى والي غرناطة
أبي عبد الله عن معركة جرندة المذكورة ، وذلك جواب رسالة
أرسلها له القائد يشرح ما حدث .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله وسلم . من عمر
ابن أمير المؤمنين إلى الشيخ الحافظ أبي عبد الله بن أبي إبراهيم ، أدام
الله كرامته بتقواه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد
الله تعالى ، والصلاة على محمد عبده ورسوله المصطفى ، والرضا عن الامام
المعصوم المهدي المعلوم المرتضى ، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين خليفته
الأكرم الأهدى ، وبثله لأمر المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين بدوام
النصر الأحفل الأحق ، فكتبناه إليكم - أدام الله توفيقكم - من حضرة
مراكش ، حرمها الله ، ولا جديد إلا نعم الله المتواليمة ، وآلاؤه
الرائحة الغادية ، ونعرف بركة هذا الأمر العزيز في كل ظعن وإقامة ،
على أتم الأحوال المستدامة ، والحمد لله . وقد وصلنا كتابكم المبرور ،
مضمناً من البشائر بجهادكم في الكفرة واجتهادكم ، ما أجرى الله به عادة
هذا الأمر في تيسر أسبابها وانفتاح أبوابها ، وإمامها على الدوام وانتياها
واستوضحت من إعلامكم جليلة ، وأتت على وفق الإرادة حميدة مرضية ،
فاشكروا الله على ماسناه لكم منها ، ومنحكم من أجر التعريف بها ،
وامضوا على ما أنتم بسبيله من الاجتهاد في أموركم والعكوف على اشتغالكم

ووالوا الاعلام بما يتجدد عندكم إن شاء الله ، والله ولي عونكم . والسلام
الكريم العليم عليكم ورحمة الله وبركاته . كتب في الثالث من رمضان
المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ / ٣٤٩ ٣٦٠

٢٤٨ - رسالة أرسلها الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدى إلى
الطلبة والأشياخ والموحدين الموجودين في الأندلس عن وعده الذي
قطعه على نفسه بالجواز إلى الأندلس بجيش ضخم لأجل الجهاد ،
وكيف أن انشغاله بأمور المغرب منبثثة من تنفيذ وعده . وكيف
أنه لازال على عنايته بالأندلس وقد أرسل أخاه أبا حفص بجيش
ضخم للقيام بالجهاد . وقد أرسل لهم الرسالة من مراكش عام ٥٦٤هـ
وهي من إنشاء أبي الحسن بن عياش .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ، والحمد
لله وحده . من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيدته الله بنصره وأمدته
بعمونته - إلى الطلبة الموحدين من الذين بجزيرة الأندلس أدام الله توفيقهم
وكرامتهم ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فإننا نحمد إليكم
الله الذي لا إله إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمته ، ونصلي على محمد نبيه
المصطفى ورسوله ، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ، القاضي
بأمر الله تعالى والداعي إلى سبيله ، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام
أمير المؤمنين ممشي أمره العزيز إلى غاية تكميله وتكميله ، وإنا كتبناه إليكم
وصل الله توفيقكم وكرامتكم بتقواه ، من حضرة مراكش - حرمها الله -
والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى ، والعمل بطاعته ، والاستعانة به ، والتوكل
عليه ، وهذا الأمر العزيز بما وعده الله من النصر ، وضمن له من التأييد

وتكفل له من التمكين ، وأراد من نيسطه وامتداد علوائه واتصال مضهره وخلصه إلى كافة الأرجاء ، وتغلغله في كل الأنحاء لا كمال دينه وإتمام نوره وبث دعوته وتصديق دعوته لا تزال موا... (١) الحافظة لصوره ، البقية لأثره ، المثبتة لأركانه ، الممكنة لقواعده ، تشيع من الأسباب المقوية واللطائف المنهضة والمعاني المعنية على سريانه ، المزعجة لتسريه وجريانه ، بما يؤذن له بإنجاز موعوداته ، وتتبع مضموناته حتى يستولي على مداه الذي لا غاية بعده ويقف على منتهاه الذي لا مطلع وراءه ، يقيناً اطمأنت بمقدمات العلم به القلوب وقرت على ظهور براهينه النفوس ، وعضدته الآيات البينة ، ونظقت به الآثار المفصحة ، وناقدت (٢) شواهد أحواله لمن ألقى السمع وهو شهيد . ومازلنا وفقكم الله ، على إتمام العناية بتلك الجزيرة ومهداها الله ، والحرص على عونها والانتواء لتصرتها ، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة ، إشفاقاً على ما استضام منها جيرانها الأعداء ، وأبناءؤها الأعقاء ، مجسدين وروماً ، وما كادوها به من التكلف والتخيف والتنقص وفقر الأفواه ، وكشر النيوب والإرصاد لغيض ما فاض فيها من نور التوحيد ، وخفض ما نصب من أعلام هذا الأمر ، والمناسبة للمناحشين إليه المتعلقين بأسبابه ، المستذمين بذمته ممن صح ولاؤه وصدقت طاعته وخلص على السبك ونصع على السير ، ونجعل لها من الفكر خطأ يستحق الصدر على ما سواه من الأفكار ، ويأخذ السبق على غيره من معنيات الأمور ، وزاه من الأهم الأعنى ، والأدل الأولى ، قياماً بحق الله في جهاد أعدائها ومكابري مناوئها . ومن لم تنفعه المبر

(١) يذكر محقق كتاب المن بالإمامة أن هناك كسلاً بالأصل ولعل أصل الكلمة مواهبه أو موارد .

(٢) كذا بالأصل ، ل الصواب وناقلت .

على مرورها على بصره ، وفواردها على مشاهدته وإهابها به ، لم يزع سماعاً
دعوة الحق التي ملأت الخافقين ، وقرع صوتهها مسامع الثقلين ، وتمكن أسباب
التفرغ لذلك والتوسع فيه ، والنظر في أحكامه ، فتعترض من أهل هذا
المغرب شواغب يثيرها الجهال ، ويبعثها النعقة الضلال ، فلا يسع إهمالها ، ولا
يجوز الإضراب عنها ، قياماً بحق الدين ، وتوقياً من امتشراء الشر ، وتوفير
أسباب الفتنة ، فينصرف إليها من الالتفات والقصد لحسم عالمها وإبراء أدوائها
ما يقشع غيابتها ، ويطهر أقداءها ، ويفضي إلى المقصود الأول من التفرغ
للجزيرة - مهدها الله - والتوطئة لأمرها ، وما فتى الاشتغال بهذا المغرب
يلظ بأرجائه ، ويشتمل على جوانبه ، ويتخلل زواياه ، وينظم أوعاره وسهوله
حتى صفى الله مشاربه ، وخلص من الشوب مشارعه ، ووقف بأهل الانتزاع
عن أصناف مشاغبيه على نايب أناب بقلبه ، وندم على ما فرط من ذنبه ، وعلى
شقي تمادى في غلوائه ولج في تمرده ، فولي كل ما استحق وسيم حطة ما
رضي ، ووجد التائب برد الأمان ، وتبوأ كنف الاحسان . وحقت على العاصي
كلمة العذاب وأخذة التياب ، والصيرورة إلى سوء المآل وشر الثاب ، وما ربك
بظلام للعبيد .

ولما تولى الله هذه الجهات منة التمديد ، وبسط لها نعمة التسكين والتوطيد
انمطف النظر إلى محل مثاره ، وسال سبيل الاعتناء إلى قراره ، وتوجه
حفل الاشتغال إلى الجزيرة - مهدها الله - وتوفرت دواعي الاستعداد لنصرتها
وجهاد عدوها ، ورأينا في أثناء ما نحاوله من مروم هذه النزوة الميمنة
المباشر أن نقدم بين أيدينا عسكرياً مباركاً من الموحدين - أطاهم الله -
صحبة الشيخ الأجل أبي حفص ، أعزه الله ، يكون تقدمه لجواز جمهور
الموحدين ومؤذناً بما عزمنا عليه - والله المستعان - من التحرك بحملة أهل

التوحيد والقصد لهذا الغزو الميمون الذي جعلناه نصب العين وتجاه الخاطر
فتتعاونون مع إخوانكم الواصلين على مر بركة الله إليكم ، على جهاد
أعدائكم ، إلى أن يوافيكم إن شاء الله هذا العزم ، ويلم بكم هذا القصد ،
ويعتمدكم هذه الحركة المحركة أسبابها ، المبرمة أمراسها التي انعقدت بها
النية ، واحتدمت لها في ذات الله الحمية ، واستماتت بتوفيق الله في تأصيل
أصولها الفكرة الموجهة والروية . وإنا لنرجو من المبلغ لآمال القلوب ،
المتفضل بإدراك كل مطلوب ، أن يهب فيها من العون ما يتم مبدأها
ويكمل منشأها ، وتشفى بها صدور أوليائه بالنقمة من أعدائه ، وإن
فضله تعالى ليسمح ببلوغ هذه الأمنية ، والاطلال منها على كل شرف
وثنية . فما ذلك على الله بعزير . وإذا طالعتم - وفقكم الله - هذه الأنباء ،
واستعلمتم ما في ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وآثار هذه القصود ،
وحملت ذلك على الثقة بما وعد الله هذا الأمر والتلفت إلى ما عوده ،
رأيتموها نعمي تخولتكم ، ورحمى انتحلتكم وأتتكم وشرحت لها صدوركم
وعمرتم بها أحناءكم ، وشملتكم بها مشاهدكم ، وسررتكم بها غايكم وشاهدكم
وأذعتموها إذاعة تثليج بها صدور الأولياء ، وتخرج منها صدور الأعداء ، ويكون
للمؤمن منها مطلع أمل ، وللكافر مطلع هول ووجل ، وعرفكم الله شكر النعمة بها
وأعانكم على أداء واجبها ، وبلنكم الفائدة الجميلة منها بجنة ودينه ، وإذا وصلكم
هذا الكتاب فأشيعوه قراءة على من حضركم من أصناف الناس ، وإرسالاً
بنسخه إلى من نأى عنكم ، حتى يجد أثر الاستبشار به ويتقرب بموعده
الغائب والشاهد ، والحاضر والبادي إن شاء الله . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ، كتب في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع
وستين وخمس مائة .

كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٩

٢٤٩ - رسالة أرسلها ابن الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدى إبراهيم أبو إسحاق إلى عبد الله والى غرناطة يخبره بانضمام إبراهيم ابن همشك إلى صفوف الموحدين فى الأندلس وتركه صفوف الموابطين والنصارى ، وأن الخليفة عفا عنه ، وكان ذلك سنة ٥٦٤ هـ وهى من إنشاء ابن مصادق .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على محمد وآله وسلم . الشيخ الأجل الحافظ الأعلى ولينا فى الله تعالى أبو عبد الله محمد بن أبى إبراهيم أدام الله عزه وكرامته بتقواه . وليكم فى الله تعالى إبراهيم ابن أمير المؤمنين . سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد حمد الله على ما أولى ومنح ، والصلاة على نبيه الذى تبين به دين القيمة ووضح ، والرضا عن الامام المصوم المهدي المعلوم ، معيد دين الله بعدما غفى رسمه ومصح والدنا سيدنا أمير المؤمنين خليفته الذى طهر بعدله البلاد وفتح ، ولسيدنا أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الذى أثر سعيه وأنجح، وكل بين خلافته الأمور الدينية وأصلح ، فكتبناه إليكم ، أدام الله كرامتكم بتقواه ، من قرطبة ، حرسها الله ، ولا جديد إلا ما عود الله بركة هذا الأمر العزيز من فتح لاتزال تفتح أبوابه وتتصل أسبابه وترفع قبابه ، ويتعرف مع كل حين انهلال مائه وانسكابه . والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً يصفو به سربال إحسانه وجلبابه . وإن من النعم التى ببركة هذا الأمر العزيز وإلى جديدها واقتضى بسعادته مزيدها ، وأتبع بطريفها تليدها ، وأنجز فيها لأوليائه الأمر العزيز الموعود ، ووافقهم فيها الجدد المصحب المسعد ، وإن الشيخ أباً إسحاق إبراهيم بن همشك ، وفقه الله ، كشف الله له عن وجه هداة وجلى عن موارد رداة ، وتبين له أن هذا الأمر العزيز هو المركب

المنجي ، السائق إلى السعادة الباقية المزجي ، الذي لا يؤخر عثار من صدف عنه ولا يرجي ، فبادر إلى الدخول فيه بدار من خلصت سرائره ، وطويت على مودته ضمائره ، ورأى أن ذلك تمحي به خطاياهم وتغفر جبرائره ، وأذاع الدعوة المهدية في جميع بلاده وأعلن بها ، وأبدي الاعتصام بمصمتها والتمسك بسببها ، ولقي الموحدين - أيدهم الله بتقواه - ملاقة اللائذ بظلمهم ، المستمسك بجبلهم ، المستنم المستسلم ، المذوي على الولاء الأخلص والود الأسلم ، والحمد لله على ذلك حمداً تتوالى به فتوحه ، ويتصل بسبه مبذول إحسانه ومنوحه ، وخطبناكم بذلك - أدام الله كرامتكم - لتجددوا شكر الله تعالى على ما أسبغ من نعمه وأولى ، وتسلكوا سنه سبيلاً يكون أخرى بازديادها ما من بها ووالى ، والله تعالى يوالي لديكم آلاؤه ويسبغ عليكم ، ظاهرة وباطنة ، نعماء . والسلام الأتم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في شهر رمضان المعظم عام أربعة وستين وخمس مئة .

كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ج ٢ - ٣٩٠ - ٣٩١

٢٥٠ - رسالة أرسلها إلى أحد رعايا بيزة الايطالية بالعودة إلى بلاد

الموحدين ترجمان الخليفة أبي يعقوب .

كان بين الموحدين وبيزة معاهدة تجارية عقدت سنة ١١٥٧ م في عهد عبد المؤمن ، وتحوي المعاهدة ضمانات تحمي حقوق الرعايا البيزيين في إفريقية واتفق أن تاجرهم منهم حجرت أملاكه ، ويظن أن ذلك حدث في عهد أبي يعقوب يوسف ، فغادر إفريقية ، فكتب إليه ترجمانه رسالة يقول له فيها :

لا تردد في الرجوع فستجد في كل مكان استقبالا طيباً ، وكذلك كل

من صحبك ، فالسلع هنا رخيصة ويمكنك أن تشتري كل ما تريد .

المغرب عبر التاريخ للبركات ج ١ - ٣١٦ - ٣١٧

٢٥١- منشور بعث به إلى الموحدين والطلبة والأشياخ والكافة في
إشبيلية أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف يأمرهم بالعمل على إزالة
المسكرات ، وتحريم بيعها ، وتحويل الحانات إلى هوانيت لبيع
الأشياء المباحة .

... إن الناس تجوزوا في أمر الرب تجوزاً أغفلوا معه الاجتهاد ، ورتعوا
حول حماء رتعا أوقعهم فيه أوكاد ، وتساحوا فيه تساحاً خرق المتعارف
من المأذون فيه والمعتاد ، وحاول اتخاذه وييمه من لا يتوقف على احترام
ولا يتخوف بما يكتسب من آثام ، ولا يقف عند قوله عليه السلام : ما أسكر
كثيره فله الكف منه حرام .

ثم يقول بعد كلام طويل :

فإذا وافاكم كتابنا بحول الله عز وجل ، فاقطعوه جملة وتفصيلاً ، ولا
توجدوا أحداً إلى بيعه سبيلاً ... وأخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه
وأفقروها ، واصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيروها ... الخ .

المغرب عبر التاريخ للحركات ج ١ - ٣٣٨

٤- أبو يوسف يعقوب المنصور الموحي بن عبد المؤمن

٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م

٢٥٢ - سيفة البيعة التي كان يبايع بها الناس الخليفة الموحي
ويلقيها الكاتب :

تبايعون أمير المؤمنين ابن أمراء المؤمنين على ما يبايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ
رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر ، والنصح له ولولائه

ولعامة المسلمين . هذا ماله عليكم ، ولكم عليه ألا يجمر بعوثكم ، وألا يدخر
عنكم شيئاً مما تميمكم مصلحته ، وأن يجعل لكم عطاءكم ، وألا يحتجب دونكم
أعانكم الله على الوفاء وأعانته على ما قلد من أموركم .

المنرب في التاريخ لحركات ج ١ - ٣٢٩

٢٥٣ رسالة أرسلها إلى الخليفة الموحي المنصور أبي يوسف يعقوب
ابن سعيد كاتبه مهيناً بالخلافة ، وكان مختصاً به ، وكان أحدهما بإشبيلية
والآخر بمراكش (١) :

الحضرة العلية السامية ، الطاهرة القدسية ، حضرة الإمامة ، وجنة دار
الإقامة ، مد الله على الاسلام ظلالها ، وأتمى في سماء السعادة تمامها وكما لها
وهناً المؤمنين باستقبال إمارتها ، وأدام لهم بركة خلافتها . عبد أياها ، وخديم
فادياها ، المتوصل بقديم الخدمة ، المتوصل بعميم النعمة ، وكريم الحرمة ، المنشد
بلسان المسرة ، حين أطلع الزمان هذه الغرة .

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لازال هذا الأمر العلي محموداً سعيداً ، ولا
برح يستزيد ترقياً وصعوداً .

يانعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد
سلام الله الكريم ، يخص حضرة الاجلال والتعظيم ، والتقديس والتفجيم

(١) ذكر المقرئ الذي اقتبسنا هذا النص منه أن الأمير المرسل إليه التهنئة لما صار
خليفة هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، وهو خطأ منه لأن أبا محمد
هذا لم يصبح خليفة ، وإنما عزله أبوه في حياته ، وأصبح خليفة من بعده ابنه أبو يوسف
يعقوب وتلقب بالمنصور .

ورحمته وبركاته . وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله ،
وحاشى بهذه الولاية السعيدة أحواله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه
الكريم الذي أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله ، وعلى آله وصحبه
الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتلأوا أفعاله ، والرضا عن الامام المهدي المعلوم
الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله ،
والدعاء للعالم العالي الكريم بالسعد المتوالي ، والنصر الجسيم . وكتب العبد
وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفاقه ، ووسعت عليه هذه الرتبة العلية طريقه .

فهذه رتبة ما زلت أرقبها فالיום أبسط آمالي وأحتكم
ولا أقنع مني إن اقتصرت على السماء داراً ، والهلal للبشر سوارا ،
والنجوم عقداً ، والصبح بنداً ، حتى أسر كل أحد بشكاه ، وأقابل كل
شخص بمثله .

ومن خدم الأقوام يرجونوهم فاني لم أخدمك إلا لأخذ ما
وما بعد الخلافة رتبة ، ودون تشير تنحط كل هضبة . فالحمد لله رب
العالمين ، وهنيئاً لعباده المؤمنين ، حيث نظر لهم نظر رحمة فأسبل عليهم
ستر هذه النعمة .

ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كان يتركه بغير سوار
والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وإلى من يشير بآياته . فله صباح
ذلك اليوم السعيد وليلته ، لقد سفر عن وجه من البشرى ، أضاعت الآفاق
شرقاً وغرباً غرته . ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد
فأخذ القوس باريها ، وحل بالدار بانها . هنيئاً زادك الرحمن لطفاً وخيراً ،
ولا برحت المسرات تسير إليك سيراً ، وهل يصلح النور إلا للعقل ، وهل
يليق بالحسن إلا الجلل ، فالآن مهتد الله البرين ، وأفاض العدل على العدوتين
وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ، ولا يختص بحفظه إنسان دون

إنسان . خليفة له النفس العُمرية ، والآراء العُمرية ، والفراصة الأيامية ، ولا ينبئك مثل خبير . فلقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ، ولعمري لقد صار الصباح في إشراق النهار . ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من الهجة والفساد وشملت الناس هذه البشائر ، وعمت كل بادٍ وحاضر ، وأصاخوا لتاليها إصاخة المجدين لمرتابهم ، وأهطموا لها مهملين مكبرين إهطاع الناس لأعيادهم . وأما العبد فقد أخذ بحظه ، حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه .

[فلا تنكرن لها صرعة] ومن فرح النفس ما يقتل (١)

وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ، ويحسد عليها الهلال والنجم ، بل يسلمان لما استحقته من المراتب ، ويخضعان اليها خضوع المفترض الواجب . أقر الله بها عيون المساكين وأفاض سبحانه على الناس أجمعين ، وحفظها بعينه التي لا تنام ، ووقف على خدمتها الليالي والأيام .

فتح الطيب للمقري ٣ / ١٢٤ - ١٢٦

٢٥٤ - رسالة ملك الاسبان الأذفونش إلى خليفة الموحدين المنصور .

استغل الأذفونش فرصة انشغال يعقوب الخليفة الموحدي المنصور بالثوار في المغرب ، فحشد جيشه ، وبعث رسولا إلى الخليفة يتهده ، ويتوعده ، ويطلب منه بعض الحصون المتاخمة له في الأندلس ، وكتب له رسالة من إملاء وزير له يعرف بابن الفجار وهي :

باسمك اللهم فاطر السموات والأرض . وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح . أما بعد : فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ، ولا ذي عقل لازب ، أنك أمير الملة الحنيفية ، كما أني أمير الملة النصرانية

(١) أورد المؤلف هجز البيت فقط وهو المتنبي ، فأثبت المحقق صدره في الهامش وهو الموضوع بين معقوفين .

وقد علمت الآن ماعليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل ، وإهمال الرعية وإخلادهم إلى الراحة . وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار ، وأسبي الذراري ، وأمثل بالرجال ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، إذا أمكنتك يد القدرة . وأنتم ترعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم . فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً . ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، لاتستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً . وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى . فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك . ثم قيل لي إنك لاتجد إلى جواز البحر سبيلاً لعله لايسوغ لك التقجم معها . وها أنا أقول لك مافيه الراحة ، وأعتذر لك وعنك ، على أن تقي باليهود والموائيق ، والاستكثار من الرهان وترسل إلى جملة من عبيدك بالمرالكب والشواني ، والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملتي إليك فأقاتلك في أعز الأماكن لديك ، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك . وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك ، واستحققت إمارة المثلثين والحكم على البرين . والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة . لارب غيره ، ولاخير إلا خيره ، إن شاء الله تعالى .

٢٥٥ - جواب الخليفة المنصور للأذفونش على رسالته السابقة .

لما وصل هذا الخطاب إلى الخليفة غضب ، ومزق الكتاب ، وكتب على ظهر قطعة منه :

ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجهم منها أذلة وهم

صاغرون^(١) الجواب ماترى لا ماتسمع .

وكتب إليه :

لاركب إلا المشرفة والقنا ولا رسل إلا الخميس المرمر^(٢)

وفيات الأعيان لابن خلكان ٦ / ٦ - ٧

٢٥٦ - رسالة شفهية وجهها الخليفة الموحد المنصور إلى أفراد جيشه

قبل معركة الأرك مباشرة سنة ٥٩١ هـ

احتشد الجيش الموحد بقيادة المنصور في الأرك في مواجهة العدو

الاسباني ، وفي صبيحة المعركة قام القائد العام الوزير أبو يحيى وصاح بصوت

جهوري وجهه للجند :

إن أمير المؤمنين يطلب إليهم أن يغفروا له ، فإن هذا موضع غفران

وأن يتغافروا فيما بينهم ، وأن يطيبوا نفوسهم ، وأن يخلصوا نياتهم لله .

فبكى الناس وصاحوا من جانبهم يطلبون الغفران من الخليفة ، وأنهم

ييمن نيته وصدق طويته يرجون الخير من الرحمن .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٢٠٣

(١) سورة النمل : الآية ٣٧

(٢) ورد نص هاتين الرسالتين في عدد كبير من المصادر مثل الكامل ١٢ / ١١٣ - ١١٤

لابن الأثير ، وأربع ابن الفرات ح ٤ ، ق ٢ / ٢٢٨ - ١٢٩ ، وصباح الاعشى للقلعشندي

١ / ١٩٣ . ونهاية الارب ٧ / ٣٠ للتويري . ويذكر ابن خلكان أنه يرجح أن تكون

الرسالتان تبودلتا بين يوسف بن تاشفين والفونسو السادس . ولعل السبب في ذلك هو

ورود كلمة الملتمين في الرسالة . وهو لقب المرابطين . على حين ترد هذه الكلمة في بقية

المصادر الملتين .

٢٥٧ - مقتطفات من منشور أصدره الخليفة المنصور الموحي ضد
ابن رشد وتعليقاته .

... وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام ، وأقر
لهم عواقبهم بشفوف عليهم في الأفهام ، حيث لاداعي يدعو للحي القيوم .
ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم ، فخلدوا في العالم صحفاً ما لها
من خلاق ، مسودة المعاني والأوراق . بعدها من الشريعة بعد المشرقين ،
وتباينها تبان الثقلين ، يوهمون أن العقل ميزانها ، والحق برهانها ، وهم
يتشعبون في القضية الواحدة فرقاً ، ويشيدون فيها شواكل وطرقاً .
ذلكم ما في الله خلقهم للنار ، وبعمل أهل النار يعملون ليحملوا أوزارهم
كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء
ما يزرون . ونشأ منهم في هذه الملحمة البيضاء شياطين ... يخادعون
الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، يوحى بعضهم إلى
بعض زخرف القول غروراً ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ،
فكانوا عليها أضمر من أهل الكتاب ، وأبعد عن الرجعة إلى الله ، لأن
الكتابي يجتهد في ضلال ، ويجتهد في كلال . وهؤلاء جهدهم التعطيل ،
وقصاراتهم الغمومة والتخيل ، وبث عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان ،
إلى أن أطلعنا الله سبحانه منهم ، على رجال كان الدهر قد سالمهم على شدة
حروبهم ، وأغضى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم ، إنما غلب لهم ليزدادوا إثماً
وما أمهلوا إلا ليأخذهم الله الذي لا إله إلا هو ، وسع كل شيء علماً .
ومازلنا - وصل الله كرامتكم - نذكرهم على مقدار ظننا فيهم ، وندعوهم
على بصيرة إلى ما يقربهم إلى الله سبحانه ويدنيههم . فلما أراد الله فضيحة
عمائتهم ، وكشف غوايتهم ، وقف بعضهم على كتب مسطورة من

الضلال ، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشمال ، ظاهرها موشح بكتاب الله وباطنها مصرح بالإعراض عن الله . لبس منها الإيمان بالظلم ، وجيء منها بالحرب الزبون في صورة السلم ، مزية للأقدام ، وسم يدب في باطن الاسلام وأسياف أهل الصليب دونها مفلولة ، وأيديهم عما يناله هؤلاء مفلولة . فإنهم يوافقون الأمة في ظاهرهم ، وزيمهم ولسانهم ، ويخالفونهم بباطنهم وبهتائهم . فلما وقفنا منهم على ماهو قذى في جفن الدين ، ونكتة سوداء في صفحة النور المبين ، نبذناهم في الله نبذ النواة ، وأقصيناهم حيث يقصى السفهاء من النواة ، وأبغضناهم في الله ، كما أنا نحب المؤمنين في الله وقلنا اللهم إن دينك هو الحق اليقين ، وعبادك هم الموصوفون بالتقين . وهؤلاء قد صدفوا عن الله ، وعميت أبصارهم عن بنيناك فباعدت أسفارهم ، وألحق بهم أشياءهم حيث كانوا وأنصارهم . ولم يكن بينهم إلا قليل وبين الأجسام فلا ... في مجال ألسنتهم ، والايفاظ بحدة من عقلم ونصتهم ، ولاكنهم رفعوا بموقف الخزي والهوى ، ثم طردوا عن رحمة الله ، ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون .

فاحذروا - وفقكم الله - هذه الشرذمة على الايمان ، حذركم من السموم السارية في الأبدان ، ومن عثر له على كتاب من كتبهم ، فجزاؤه النار التي بها يعذب أربابه ، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه . ومتى عثر منهم على مجرى في غلوائه عم عن سبيل الله استقامته واهتدائه ، فليماجل فيه بالثقيف والتعريف ، ولاتركوا إلى الذين ظلموا فتمسك النار ومالككم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون . أو لايرد الذين حبطت أعمالهم ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون ... والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ، ويكتب في صحف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم ، إنه منعم كريم .

عصر المرابطين لعنان ٢/٢٢٦ - ٢٢٧

٢٥٨ - رسالة أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن وإلى
مجلدات زمن المنصور الموحدي إلى ملك السودان وغانة لما عوق
التجار ومنهم من الحركة

نحن نتجاوز بالاحسان وإن تخالفنا بالأديان ، ونتفق على السيرة المرضية
ونتألف على الرفق على الرعية . ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم
السياسة الفاضلة ، والجور لاتعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة . وقد
بلغنا احتباس مساكين التجار ومنهم من التصرف فيما هم بصدد و تردد
الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ،
ولوشئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية . لكننا لانستصوب
فعله ، ولا ينبغي لنا أن نهي عن خلق ونأتي مثله ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ١٠٣/٤

٢٥٩ - وصية المنصور الموحدي لأشياخ الموحدين لما اقتربت وفاته
لما مرض المنصور مرضه الأخير استدعى إليه شيوخ الموحدين ووجوه
أهل بيته وأعيان بلاطه .

فلما استقر بهم الحضور اتجه الخليفة إليهم يبصره وقد اغرورت
عيناه بالدموع ، فسألهم عن أحوالهم وأعمالهم ، ثم قال :
أيها الناس : رحمكم الله . إن هذه العلل والأمراض قد قوالت علينا
وهدت قوائنا وهتكت جوارحنا ، وأظن ، والله أعلم بفيه ، أن هذه
العللة هي آخر عهدنا بهذه الدنيا وأنها القاضية علينا ، فانظروا ، رحمكم
الله وأعانكم على طاعته ، من تقدمون على أنفسكم وعلى رقاب المسلمين .
فغلب البكاء على الحاضرين ، وتكلم أبو موسى بن محمد بن الشيخ أبي
حفص بن علي وقال :

كأنكم يأمر المؤمنين ياسيدنا تحرسنا بهذا القول : أتم أمير المؤمنين ،
فإن توفيتم فإلى رحمة الله تعالى . والجميع صائرون ومنقلبون إلى ماتصرون
إليه . وكنتم قلدةونا عهدكم الكريم لسيدنا الأمير الأجل أبي عبد الله
ابنكم ، فنحن باقون عليه إلى أن تلحق نفوسنا بنفوسكم وهو خليفةكم
علينا بعدكم .

ثم تعاقب الحضور في الكلام ، وأبدى الخليفة لهم قلقه لصغر سن
ولده ، وطلب إليهم أن يدعوا الله تعالى باليمن والاقبال .

ثم أوصى الخليفة الحاضرين بالسادات وبعض الأشياخ ... ثم قال الخليفة
للحضور بعد ذلك وعيناه تذرفان بالدمع .

أوصيكم بثقوى الله تعالى وبالأيتام واليتيمة .

فسأله الشيخ أبو محمد عبد الواحد .

ياسيدنا يأمر المؤمنين . ومن الأيتام ومن اليتيمة ؟

فقال :

اليتيمة جزيرة الأندلس ، والأيتام سكانها المسلمون . وإياكم الغفلة
فما يصلح بها من تشييد أسوارها وحماية ثغورها وتربية أجنادها وتوفير
رعيها ، ولتعلموا أنه ليس في نفوسنا أعظم من ههما . ونحن الآن قد
استودعنا الله تعالى وحسن نظركم فيها فانظروا من المساكين وأجروا الشرائع
على مناهجها .

ثم أوصاهم بأشياء كثيرة وانصرفوا عنه وكان ذلك آخر العهد به .

عصر المرابطين لعنان ٢/٢٣٦ - ٢٣٧

رَفَعَ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

هـ - الناصر الموحي أبو عبد الله محمد بن المنصور

٥٩٥ - ٦١١ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٤ م

٢٦٠ - مقتطفات من مبايعة أهل قرطبة للناصر بالخلافة .

... وبعد فهذا ما أجمع عليه الملأ بقرطبة وأعمالها ، حرسها الله ، من الطلبة ، والموحدين ، والعرب ، والأجناد ، والوجوه من الأشياخ ، والأعيان والقواد ، والخواص ، والعوام من الرعية ، من حاضر منهم ، ومن باد ، أجمعوا بتوفيق الله وعونه ، وإحسانه العميم ومنه ، على المبايعة للأمير الأجل الملك السعيد ، السيد الأوحد .. المؤهل المؤئل ، الحائز لشرف الانتساب ... فرع الشجرة المباركة ، الطيبة الانتماء التي أصلها في مقر الهدى ثابت ، وفرعها في السماء ... أبو عبد الله محمد بن سيدنا الامام المنصور ، الناصر لدين الله تعالى الخليفة المرتضى ، أمير المؤمنين ابن سيدنا أمير المؤمنين ابن سيدنا أمير المؤمنين أعلى الله أمرهم وأسماءهم .

ثم يقول :

فبايموه بمقتضى أمره العلي ونصه الواضح الجلي ، بيعة مباركة سعيدة واستقبلوا بها آمالاً فسيحة مديدة ، وأعمالاً من البر والتقوى جديدة ، أسكت عليهم شآبيب الرحمة والأمان ، وأسجبت فواضل الانعام والاحسان ، وازدادت بهاءً وجمالاً معالم الاسلام والايمان .

وإن أهل قرطبة ، بادروا إلى التزام عهد هذه البيعة المباركة عهداً ، وإحكام عقدها السعيد عقداً ، فبايموا للأمير الأجل السيد السعيد الأوحد ... بيعة لإخوانهم الموحدين ، على صفاء من قلوبهم ، وخلوص من عيونهم وصحة من عقائدهم وضمائرهم ، وتوافق من بواطنهم ، وظواهرهم ، وعلى أوفى عهد

البيعة وشروطها ، وأكمال عقودها وربوطها ، من السمع والطاعة ، في السر والجر ، والعسر واليسر ، وعلى اعتقاد النصيحة والموالة الصريحة ، أعطوه بذلك عهد الله المؤكد ، وميثاقه المشدد ، وأعطوه صفقة قلوبهم وأيمانهم وعهدة إسلامهم وإيمانهم ، وخالصة سرهم وإعلانهم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ١٩٠ - ١٩١

٣٦١ - رسالة أرسلها إلى المراكشي صاحب كتاب المعجب فتى مجهول عن ثورة عبد الرحمن الجزولي في السوس وانتهزاه سنة ٥٥٩٧ هـ زمن الخليفة الناصري الموحي .

ثار شخص اسمه عبد الرحمن الجزولي في السوس ، وهزم للموحدين عدداً من الجيوش ، وأخيراً تمكنوا من القضاء عليه ، وأرسل أحد أصدقاء المراكشي له رسالة يخبره بالثورة ونتيجتها ويقول :

كتب من منزل سوس ، وقد تبلغ فجر الفتح فأسفر ، وقال فربق الضلال : أين المفر ؟ وقد ألقى النصر جرائه ، وأعز الله حربه المؤيد وأعوانه وشرح الحال على غاية الإيجاز ، لأجل الاستعجال ، في إنهاء هذه البشائر والانحفاز ، إن الناكثين النابذين للعروة الوثقى ، المتمسكين بالسبب الأشقى حاصرهم الموحدون - أنجدهم الله - أشد الحصار ، وقطعوا عنهم مواد المعاش وزرافات الأنصار ، ولسان التأييد يتلو علينا بالعشي والاشراق : ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ، ولحين ما أخذ الموحدون - أنجدهم الله - في حسم دأئهم العضال ، وجردوا لهم من عزوماتهم الصادقة ما هو أمضى من النصال ، طاحوا مجدلين بالحضيض ، وملاً جثثهم الفضاء العريض ، وخيب الله ظنونهم الكاذبة ، وآمالهم ، وصيرهم إلى أمهم الهاوية ، فكانت أولى بهم ذلك أنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ، وأمكن

الله من رأس ضلالهم المدعو بأبي قصبه ، فقهره الحزب المنصور وغلبه ، وحز
الحسام منه قُتلة ورقبة ...

المعجب للمراكشي ٣٩٦ - ٣٩٧

٦ - المستنصر أبو يعقوب يوسف الثاني

٦١١ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٤ - ١٢٢٤ م

٢٦٢ - نص بيعته بالخلافة التي كان يلقيها على المبايعين كاتب أبيه
أبو عبد الله بن عياش ، وكان ذلك عقب وفاة والده الناصر مباشرة .

تبايعون أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ما يبيع عليه أصحاب
رسول الله ﷺ رسول الله من السمع والطاعة ، في المنشط والمكره ، والعسر
واليسر ، والنصح له ولولاته ، ونعامة المسلمين . هذا ماله عليكم . ولكم عليه
ألا يجمر بموئلكم ، وأن لا يدخر عنكم شيئاً مما تممكم مصلحته ، وأن يجعل
لكم عطاءكم ، وأن لا يحتجب دونكم ، أعانكم الله على الوفاء وأعانه على ما قلد
من أموركم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٣٠

٢٦٣ - فقرات من رسالة الخليفة المستنصر الموحيدي إلى قواعد
المغرب والأندلس سنة ٦١٧ هـ .

... وإلى هذا ، وصل الله توفيقكم ، فقد علمتم أن الدين هو الأساس
الوثيق ، والبناء العتيق ، والفسطاط المضروب ، والعلم المنسوب ، والمتجر الذي
لا يبور ، والطريق الذي لا يحور ، من استمسك به فقد استمسك بالعروة
الوثقى ، ومن تحصن به فقد تحصن بالمقلد الحصن الأرقى . فإذا وقفت
على كتابنا هذا ، فجددوا للناس به الذكرى ، وعرفوهم أن الدنيا مطية إلى

الدار الأخرى ، وحضوهم على العمل الصالح ، والمتجر الرابع ، عسى أن يجعلهم الله تعالى في الدارين من الذين لهم البشري ، وبثوا في جهاتكم كلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . واستحفظوا الكافة صلواتهم ، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين ، وخذوهم باعتياد المساجد ، فإنها الشاهد الأزكي بشهادة خاتم النبيين وسيد المرسلين . واطلبوهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق ، فإنه الخير المألوف ، والشعار المعروف ، والرسم الذي عليه العمل ، والعهد الذي لا يجب فيه التغير والخلل .

ونحن قد قلنا الله قلادة نعلم لوازمها ، ونحفظ مراسمها ، ومن جملتها التذكير بالدين ، فهو الشافع الذي لا يغفل ، والوسيلة التي لاتضاع ولا تهمل . فاعلموا أعزكم الله ، هذا المقصود علماً ، وكونوا في القيام به لاتخالفون بقطة ولا نوماً . وللناس عليكم ما تأمركم به من العدل التام والانصاف العام وكف الأيدي ، وقبضها عن التعدي . وهذا خطاب قد أرشدنا فيه إلى مناهج سوية ، وحضضنا فيه على أمور ضرورية ، وأتينا فيه بما يجب البدار إليه ، وخير العمل ما دووم عليه . والله معينكم . والسلام عليكم . وكتب في عاشر ربيع الأول سنة سبع عشرة وست مئة .

عصر المرابطين لعنان ٣٤٣/٢

٢٦٤ - رسالة جوابية إلى المستنصر الموحيدي من أبي عمران موسى

ابن سعيد .

عرض الخليفة الموحيدي المستنصر بالله على أبي عمران موسى بن سعيد أن يستوزره ، وأن ينتقل إلى مراکش من الأندلس موطنه الأصلي ، فأرسل إليه يشكره ويعتذر عن ذلك بحجة للأندلس ، وعدم استطاعته تركها :

. . . وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الأندلس ، وبين الوصول

إلى حضرة مراکش ، فكفى الفهم العالي من الإشارة قول القائل :
والغز محمود وملتمس وألذه ماكان في الوطن
فإذا نلت بك السماء في تلك الحضرة . فعلى من أسود بها ، ومن ذا
أضاهي بها

لا رقت بي همة إن لم أكن فيك قد أملت كل الأمل
وبعد هذا فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا
بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعدوبة الماء وكثافة الأفياء ، وأن
الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس
هي الأرض لاوِرد لديها مكدر ولا طل مقصور ولا روض مجذب
أفق صقيل ، وبساط مدبج ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل . وكيف
يمدل الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموأل الوفاء ، ويأحاتم السلاح
ويا جذيمة الأديب كمل لمن أملك النعمة بتركه في موطنه ، غير مكدر لخاطره
بالتحرك من معدنه ، ملتفتاً إلى قول القائل :

وسولت لي نفسي أن أفارقها والماء في المزن أسفى منه في الغدر
فإن أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبلغه دون أن يشد قتباً
ولا أن ينضي عيساً غاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب بالغ المطلوب
وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل
ورب قائل إذا سمع هذا التبسط على الأماني : ماله تشطط ، وعدل عن
سبيل التأديب وتبسط ، ولا جواب عندي إلا قول القائل :

فهذه خطة ما زلت أرقبها فالיום أبسط آمالي وأحتكم
ومالي لا أنشد ما قاله المتنبي في سيف الدولة :

ومن كنت بجرأله ياعلي لم يقبل الدر إلا كباراً

نفع الطيب للمقري ١٧٠/١ - ١٧٢

٢٦٥ - رسالة وجهها المستنصر الموحدى إلى أحد نوابه وقد بلغه أنه

نقض العهد على بعض المهادين من النصارى وقد كتبها عنه أبو الميمون .

أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى
الكريم سيد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود ، والرضا
عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الآتي بالنعمة الموجود في الزمن المحدود
وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التهاشم والنجود ، والدعاء لسيدنا الخليفة
المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعد تذل له النواصي ، ويهد الأقطار القواصي
فكتبناه - كتبكم الله ممن إذا هم بأمر تدبر عواقبه ، وإذا عزم على ركوب غرر
ألفى معاطبه - من فلانة ، كلاًها الله تعالى ، وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح
النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ، ونموذ بالله من شهوة تغلب
عقلاً . ونجوة تعقب هواناً وذلاً ، وقد أخطأتم في فعلتكم الشنعاء من ثلاثة
أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع
العقد . والثاني عصيان الأمر العزيز ، وفيه التغير بالمهج ، وترك السعة للخرج
والثالث : أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم - قصمه الله - شرراً يستمر
وضرراً يعدم فيه المنتصر ، فليترككم إذ تحلّيتهم بالمعصيان ، ورضيتهم الفدر المحرم
في سائر الأديان ، ثبت العدو إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوي متى زحمتكم
بل تدرعون له الفرار ، وتتركونه في مخلفكم وما اختار . وقد جربتم مرات
أنكم لا ترزءونهم ذرة ، إلا رزءوكم بدرة ، ولا تصيرونهم مرة إلا أصابوكم
ألف مرة ، وإلى متى تنهون فلا تنهون ، وحتام تنهون ولا تنهون ؟ فإذا
وفاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته فأدوا من أسرتم إلى مأمنه ، وردوا
ما انتهكم إلى مسرحه ، ولا تسكوا من الأسارى بشجرة ، ولا من الماشية
بورة . ومن سمعنا عنه ، بعد وصول هذا الكتاب ، أنه تعدى هذا الرسم
وخالف هذا الحكم ، أنفذنا عليه الواجب ، وحكنا فيه المهند القاض ، فلتسرع

من ثومة الغفلة إفاقتكم ، ولا تتمرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم ، ونحن
متعرفون ما يكون منكم من تأنٍ أو بدار ، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم
من إقرار وإنكار . وهو يرشدكم عنه . والسلام عليكم ورحمة الله .
صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٤٤٦ - ٤٤٧

٢٦٦ - رسالة أرسلها وزير الممتنصر الموحيدي أبو يحيى بن أبي
زكريا إلى ملكة قشتالة من أجل السلم المقترح عنده بين الطرفين .
كان بين الموحدين والقشتاليين هدنة لفترة محدودة ، وقبل انقضاء مدتها
رغب القشتاليون في تجديدها ، فأرسلوا رسولا من قبلهم إلى مراکش ، وتمكن الطرفان
من الوصول إلى اتفاق ، وأرسل الوزير إلى ملكة قشتالة برنجيلا الوصية على
ابنها القاصر فرناندو يخبرها بذلك ويقول :

وقد انقلب إليكم رسول منكم ، بما تعرفونه في السلم المنعقد ، النير
شهابه ، المتقد بين الموحدين وبينكم بالخاطبة الكريمة التي حملها إليكم ،
وحمل فحوكم من الاتحاف ما يبلغكم على يديه ، الذي هو عنوان المخالصة ،
وثمره المواصله ، وكل ما يكون من هذا بيننا وبينكم ، ينبغي أن يكون
متقبلاً ، وعلى أحسن التأولات متأولاً ، إن شاء الله ، وأنتم بحول الله تقفون
عند حدود السلم ، وتحافظون عليها ، وتعاقبون كل من هم بأذية المسلمين ، فإن
الوفاء شعار الملوك ، وعليهم فيه يجب السلوك . وكتب في سادس رمضان
سنة ثمان عشرة وست ومئة .

عصر المرابطين لمانان ٢ / ٣٤٣ - ٣٤٤

٢٦٧ - رسالة ملك أراغون إلى المستنصر الموحيدي يستأذنه في
القدوم عليه والتماس نصرتة .

ثار صراع على العرش في أراغون ، وكان هناك عدة متنافسين ضد

الملك الشرعي . وقد أرسل الملك الشرعي رسالة إلى الخليفة المستنصر يستأذنه في القدوم إليه والتاس نصرته ، وكتبها باسمه أبو المطرف بن عميرة .
الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والاحسان ، بما يجاوز نوره متراكم الاظلام ، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين ، أبي يعقوب ، ابن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، وصل الله لها إسعاد القدر ، وأنجاد النصر والظفر ، ولازال مقامها الأعلى سامي النظر ، مبارك الورد والصدر ، ويفيض منه الجود فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأت أيامها الفر ، وربى إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدها وابن عبدها فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته ، وبعد فكتب العبد - كتب الله للمقام الأعلى ، فتوحاً يعم جميع الأمصار ، وسعوداً يقضي بنصل السمر الطوال ، والبيض القصار - من بلنسية وبركاته تظهر ظهور النهار ، ويفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فالخلق من واردٍ في سلسالها المعين ، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ، والله يبقى عز الاسلام ببقائه ، ويميننا على امتثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه بمنه .

وقد تقرر له من المقام الكريم - أدام الله علوه وكبت عدوه ، أمر بالسك^(١) وطال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغايتها أحرز . وكان قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها

(١) كذا بالأصل .

عليه ، وألقى زمامها إليه ، وتفرد منها بمبء وحمله ، وخطة بلغ منها أمه . ثم إنه حط عن رتبته ، وتأكدت المبالغة في نكته ، لقضية عرضت له مع أهل أرغون فلفظته تلك الجنيات ، وأزعجه أمر لم يمكنه معه الثبات ، ورأى أن يلجأ بماله إلى المقام الباهر الأنوار ، العزيز الجوار ، فواصل هذا الموضع قبل مقدم العبد عليه ، مقررأ ما نزل به ومستأذناً في الوجه الذي تعرض لطلبه ، فأذن له في مقصده . وانصرف عن التأهب للحركة من بلده . ثم لما وصل هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجهاً إلى الباب الكريم ومتوسلاً بأمله إلى فضله المميم . والظاهر من حنقه على أهل أرغون وشدة عداوته لهم . وماتاً أكد من القطيعة بينه وبينهم ، أنه إن صادف وقت فتنه معهم ووجد ما يؤمله من إحسان الأمر العالي - أيده الله - ينتهي من نكائهم والاضرار بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مفضية به إلى درك النار . وكثير من زعماء أرغون ورجالها ، أقاربه وفرسانه ، وكلهم في حبله حاطب ، وإنجاده متى أمكنه خاطب . وللمقام الكريم أعلى الرأي فيه ، أبقاه الله ، شافياً للعلل ، وكافياً طوارق الخطب الجلل ، مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل . وهو سبحانه يديم معادة جده ويخصه من البقاء الذي يسر أهل الايمان ويضاعف بهجة الزمان ، بأطوله وأمدته ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٥٣٤-٥٣٥

٧ - أبو محمد عبد الله العادل ٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٧م

٢٦٨ - بيان وجهه العادل ١- أصبح خليفة إلى قواعد الأندلس يعد الاهتمام بشأنها ، واجتماع كلمة الموحدين على الجهاد فيها . وفيما يلي فقرة منه .

... وهام بحمد الله (أي الموحدون) قد انتظم شملهم ، واتصل

حبلمهم ، واجتمعت أهواؤهم ، وانفقت على إعزاز الحق آراؤهم ، وحلوا بدار الموحدين ، ومطلع الخلفاء الراشدين المهتدين حيث الجموع وافرة ، والأعداد متكاثرة . وطائفة الحق متعاضة متظاهرة ، وذلك حلول استدعاء واستنفار ، لا حلول إقامة واستقرار ، عازمين على الجهاد . والله تعالى يمضي عزائمهم ويحبرهم على جميل معتقداتهم ، على جهاد أعداء الله الكفار . فاعملوا - وفقكم الله - على ذلك . والله يبلغكم آمالكم . والسلام عليكم .

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٥٦

٢٦٩ - رسالة وجهها إلى العادل أخوه أبو العلاء قائد قوات الموحدين في الأندلس الذي حارب الثائر الموحد البياسي الذي ثار في الأندلس وادعى الخلافة وهدد الأندلس ، ثم صرع بعد حرب شديدة ، وبمد أن تحالف مع النصاري ، وعادت البلاد إلى طاعة العادل .

إن المحنة بهذا البائس قد بلغت مداها ، وانقبضت بعد البسط يداها ، وانتهى إلى غاية لا يتعداها . والحمد لله الذي أذل للخلافة العادلية أحد عداتها ، وأنصفها من منازعها بأداتها ، فكافر النعم تستحيل عليه نقماً . وحاجب الشمس ضوءها ، حافظاً بين ظلام وعماء . والموحدون عازمون على اتباع هذا العدو إلى أن يدعوه عقيراً ، أو يستثبتوه أسيراً ، إن شاء الله . وكتب في ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وست مئة ،

عصر المرابطين لعنان ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١

٨ - المأمون أبو العلاء إدريس

٦٢٤ - ٦٣٠ هـ / ١٢٢٧ - ١٢٣٢ م

٢٧٠ - أمر أصدره المأمون لجميع الحكام بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقرات :

الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منها مصالح الدنيا والدين - وأمر بالعدل والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم المبعوث بالشرعة التي طهرت الجيوب من الأدران ، واستخدمت بواطن القلوب ، وظواهر الأبدان ، طوراً بالشدة ، وقارة باللين ، القائل ، ولا عدول عن قوله : « ومن اتقى الشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه » تنبيهاً على ترك الشك لليقين ، وعلى آله أعلام الاسلام المتلقين راية الاسلام باليمين ، الذين مكهم الله في الأرض ، فأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وفاء بالواجب لذلك التمكن .

ومن فصل :

وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها ، ونعني بحماية أقصاها وأدناها ، فالدين أهم وأولى ، والتهم بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها أحق أن يقدم وأخرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع ونردع ، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع . ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة ، ولا نغيبها أداة من الأدوات مريجة ، ولنا عليها أن تطيع وتسمع .

من فصل :

وأول ما يتناول به الأمر النافذ ، الصلاة لأوقاتها ، والآداء لها على أكمل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الايمان في جماعتها . فقد قال عليه الصلاة والسلام : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لأوقاتها » ، وقال : « أول ما ينظر فيه من أعمال العبد الصلاة » . وقال عمر : إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها ، وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقال : لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . وهي الركن الأعظم من أركان الايمان ، والأسر الأوثق لأعمال الانسان ، والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإثباتها للصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد ، أمر لا يضيعه الفلحون ، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأينا وما يتخلف عنها إلا المنافقون معلوموا النفاق . ولقد كان الرجل يؤتى يتهاذى بين الرجلين حتى يقام في الصف . وشهود الصبح والعشاء الآخرة شاهد بحضور الايمان . ولقد جاء : حضور الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة . وحسبكم بهذا الرجحان . ومن الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين ويأخذ بها في جميع الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين » .

وهي طويلة في معاني متعددة .

الاحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٤٢١ - ٤٢٢

٢٧١ - بيان أذاعه الخليفة المأمون الموحي إلى كافة الأقطار والأمصار ، لما نكت جماعة من الموحدين بيته ، وثاروا ضده وتمركزوا في بلدة أندو جر الواقعة شمالي شرقي قرطبة على نهر الوادي الكبير وتمكن من القضاء عليهم . والبيان من إنشائه ويخط يده .

إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة ، وقام الله عشرات الألسنة ، وأرشدكم إلى محو السيئة بالحسنة . أما بعد : فإنه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي جرد لكم أسهم الانتقاد ، وركبكم من السهاد بالدهية الساد ، أنتقدون من المجال بضعف الحال ، وقلة الرجال . إذاً نلحقكم بربات الحجال ، كأنا لانعرف مناجي أقوالكم ، وسوء منقلبكم ، وأحوالكم . لاجرم أنكم سمعتم بالعدو - قصمه الله - وقصده إلى ذلك الموضع - عصمه الله - فطاشت قلوبكم خوراً وعادت صفوكم كدراً ، وشتمتم ريح الموت ورداً وصدرأ ، وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب ، وأن القضاء قد غص بالتفاف واصطفاف المناكب ، ورأيتم غير شيء فتخيلىتموه طلائع الكتاب . تباً لهمتكم النحطة ، وشيمتكم الراضية بأدوَن حطة ، أحين ندبتم إلى حماية إخوانكم ، والذب عن كلمة إيمانكم ، نفقتم الأقوال وهي مكذوبة ، ولفقتم الأعذار وهي بالباطل مشوبة . لقد آن لكم أن تبدلوا جل الخرصان (١) إلى منازل النسوان ، وما لكم ولصهوات الخيول ، وإغما على الغانيات جر الذبول . أظهرون العناد تخريصاً ، بل تصريحاً وتلويحاً . ونظن أن لا يجمع لكم شتاً ، ولا يدني منكم زوحاً . أين المفر ! وأمر الله يدرككم ، وطلبنا الحثيث لا يترككم . فأزيلوا هذه النزعة النفاقية من خواطركم ولا يفرنكم الإمهال أيها الجهال (٢) .

الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ١ / ٤٢٢-٤٢٣

(١) الرماح الدقيقة المرفقة .

(٢) ورد نص مشابه بعض المشابهة للنص أعلاه في البيان المغرب لابن عذاري

٢٧٢ - المرسوم الذي أصدره الخليفة المأمون الموحدي بإلغاء عصمة
الامام المهدي مؤسس دولة الموحدين .

من أمير المؤمنين إلى الطلبة والأشراف والأعيان ، والكافة ومن معهم
من المؤمنين ومن المسلمين ، أوزعهم الله شكر نعمه الجسام ، ولا عدتهم
طاقة أوجه الأيام الوسام ، فإننا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم عملاً منقاداً ،
وسعداً وقادراً ، وخاطراً سالماً لا يزال على الطاعة ، مقيماً من حضرة مراکش
كلأها الله ، وليحق لسان قاطع ، وحكم ساطع ، وقضاء لا يرد ، وباب لا يسد ،
وظلال على الآفاق تمحو النفاق .

وبعد ، فالذي أوصيكم به تقوى الله العظيم ، والاستعانة به ، والتوكل
عليه ، ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق ، وأن لامهدي إلا عيسى ،
وإن جرى ما حلت اللسان لا يسمى ، وما يسمى مهدياً إلا أنه لكم في المهدي (١)
فتلك بدعة قد أزلناها ، والله يميننا على هذه العادة التي تقلدناها ، وقد
أسقطنا اسمه ، ولم تثبت له عصمة . فلذلك أزلنا عنه رسمه فيمحي أو يسقط
ولا يثبت . وقد كان سيدنا المنصور هم أن يصدع بما به الآن صدعنا ،
وأن يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا ، فلم يساعده لذلك أمله ، ولا أجله
لزواله أجله ، فقدم على ربه بنية صدق خالص الطوية . وإذا كانت العصمة
لم تثبت للصحابة ، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه ؟ بل هم ضلوا
وأضلوا ، وتلفوا في ذلك وزلوا ، ماتكون لهم الحجة على تلك الحاجة .
اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار ، ونعوذ بك من
أمرهم الرثيث ، وفعلهم الخبيث ، لأنهم في المتقدم من أهل النار . وإنا نقول

(١) هكذا في الاصل والمعنى غير مفهوم ولعل النص : إلا أنه تكلم في المهدي .

فيهم ما قاله نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام (رب لا تنذر على الأرض من الكافرين دياراً) (١) .

المغرب عبر التاريخ ١/ ٣٢٠-٣٢١

٢٧٣ - رسالة أرسلها أحمد بن عبد الله المخزومي لأبي العباس بن أمية
|| أخذ الاسمان بالضميمة

بأنه أي نحو تنحو ، وسطور تثبت أو تمحو ، وقد حذف الأصل والزائد
وذهبت الصلة والمائد ، وباب التمجيد طال ، وحال اليأس لا تحشى الانتقال ،
وذهبت علامة الرفع ، وفقدت سلامة الجمع ، والمعتل أعدي الصحيح ،
والمثلث أوردى الفصيخ ، وامتنعت المعجمة من الصرف ، وأمنت زيادتها من
الحذف ، ومالت قواعد الملة ، وصرنا إلى جمع القلة (٢) .

الذيل والتكملة لأبي عبد الله الأنصاري المراكشي ١/ ١٥٦

٢٧٤ - رسالة القاضي أبي المطرف بن عميرة إلى أبي جعفر بن أمية
احتل الاسمان بالضميمة :

ألا أيها القلب المصرح بالوجد	أمالك من بادي الصباية من بد
وهل من ملو يرتجى لتييم	له لوعة الصادي وردعة ذي الصد
يحن إلى نجد وهيئات ! حرمت	صروف الليالي أن يعود إلى نجد
فيا جبل الريان لاري بعدما	غدت غير الأيام عن ذلك الورد

(١) هذا ليس كلام رسولنا عليه السلام وإنما هذه آية قرآنية وردت في القرآن الكريم
على لسان نوح عليه السلام . وردت فقرات من النص أعلاه في كتاب نظم الجمان لابن القطان
- م . وردت نصوص مقاربة في كل من الإحاطة لابن الخطيب ١/ ٤١٩-٤٢٠ ، والبيان
المغرب لابن عذاري ٣/ ٢٦٧-٢٦٨

(٢) ورد نص مشابه في الإحاطة لابن الخطيب ٢/ ١٨٢

ويا أهل ودي والحوادث تقتضي
ألا متمعة يوماً بعارية المنى
أمن بعد رزء في بلنسية ثوى
يرجي أناس جنة من مصائب
ألا ليت شعري هل لها من مطالع
وهل أذنب الأبناء ذنب أبيهم
خُلوي عن أهلٍ يضاف إلى الود
فإننا نراها كل حين إلى الرد
بأحنائنا كالنار مضرة الوقد
تطامن فيهم بالثقفة الملد
معادٍ إلى ما كان فيها من السعد
فصاروا إلى الإخراج من جنة الخلد

مرحباً بالسحابة^(١) ، وما أعارت أفقي من الاضاءة ، وردت تسحر النهى
وتسحب ذيلًا على السها ، وتهزمه المسرة أعطافاً ، وترد من نجوم الحجرة نطافاً
عامت من الظلمة في موجها ، ثم غلبت الشهب على أوجهها ، فقلب العقرب
يجب ، وسهيل بداره يحتجب ، والطرف غضيض ، وجناح الطائر مهبّض ،
وصاحب الأخبية يقرض ، والذابح عن ذبيحته يعرض ، ورامح السماكين
تخونه السلاح . وواقع النسر ينود لو أنه يخفيه الصباح ، بلاغة تفنن كل
ليب وترعى روض كل أديب ، وتغض على رغم العدو من حبيب ، إن من
البيان لسحراً . ويا أيها الجواد وجدناك بجرأ ، أدريت أي بُرى بريت ،
وبأي قر اهتديت ، ليلة سرّيت ، افتتحت بأبياتك الحسان ، ونظمتها نظم
الجمان ، فموذت سبعتها بالسبع ، وعرفت منها براعة ذلك الطبع ، ثم شررت
على القرطاس شذور الثور ، بل من جواهر النحور ، ما امتوقف النظار
وبهرج الإيجين والنضار ، ورأيتك امتددت ، ولك الباع الأمد ، وأعرت
محاسنك ، والعارية ترد ، وجئت بالألأة ، تروق أربعتها ، وتخرس بها قمعة
الأشعار وجميعتها فأدت من حسننها ما يسر ، واجتمع ابن روى القطعتين
مانظم فيها وهو الدر ، وأجريت خبر الحادثة التي محقت بدر السقام ،

(١) السحابة : القرطاس المكتوب عليه .

وذهبت بنضارة الأيام . فيما من حضر يوم البطشة ، وعُزِّي في أنه بعد تلك
 الوحشة ، أحقاً أنه دكت الأرض ، وزف المعين والبرص ^(١) ، وصوح
 روض المنى ، وصرح الخطب وما كنى . أبني كيف فقدت رجاحة الأحلام ،
 وعقدت مناحة الاسلام ، وجاء اليوم المسر ، وأوقدت نار الحزن فلا تزال
 تستمر . حلم ما نرى؟ بل ما رأى ذا حلم ، طوفان يقال بـمده لاعاصم ، من
 ينصفنا من الزمان الظالم؟ الله بما يلقي الفؤاد عالم . بالله أي نحو تنجو
 ومسطور تثبت وتمحو ، وقد حذف الأصلي والزائد ، وذهبت الصلة والمائدة
 وباب التعجب طال ، وحال البائس لا تخشى الانتقال ، وذهبت علامة الرفع ،
 وفقدت سلامة الجمع ، والمعتل أعدى الصحيح ، والمثلث أردى الفصيح ،
 وامتنعت المعجمة من الصرف وأمنت زيادتها من الحذف ، ومالت قواعد الملة
 وصرنا إلى جمع القلة ، ولاشرك صيال وتخط ^(٢) ، ولقرنه في شركه تخطب
 وقد عاد الدين إلى غربته ، وشرق الاسلام بكرته ، كأن لم يسمع بنصر ابن
 نصير ، وطرق طارق بكل خير ، ونهشات حنش وكيف أعيت الرقي ،
 وأذالت بليل السليم يوم الملتقى ، ولم تخبر عن الرواية وصوائفها ، وفقى
 معافر وتمفيره لأوثان وطوائفها . لله ذلك السلف ، لقد طال الأسى عليهم
 والأسف ، وبقي الحكم العدل ، والرب الذي قوله الفصل ، ويده الفضل .
 ربنا أمرت فعصينا ونهيت فما انتهينا ، وما كان ذلك جزاء إحسانك إلينا ،
 أنت المليم بما أعلننا وما أخفينا ، والحيط بما لم نأت وما أتينا . لو أننا
 فيك أحبنا وقلينا ، لم ترنا من الفرقة ما رأينا ، ولم تسلط عدوك وعدونا
 علينا . لكن أنت أرحم من أن تؤاخذنا بما جنينا ، وأكرم من أن لاتهب
 حقوقك إلينا .

(١) البرص : الماء القليل .

(٢) التخط : التكبر والغلبة .

وأشرت ، أيها الأخ الكريم . إلى استراحة إلي ، وتشم لما لدي
لتبرد كما زعمت حر نفس ، وتقذح زناد قبس . وهيهات صلد الزند ، وذوى
العرار والرند ، وأقشع الشؤبوب ، وركد ما كان يظن به الهبوب ، فالقلم دفين
لا يحشر وهيت لا ينشر . والطبع قد نكص القهقري ، وقل منزله أن يدعى
له النقرى (١) . فها هو لا يملك ميئاً ولا يجد لقلمه تشيئاً . وأنت - أبقاك
الله عز وجل - بمقتبل الآداب ، وطائر هيمة الشباب ، وأين سن السمو
من سن الانحطاط ، ووقت الكسل من وقت النشاط . وقد راجمك
لادخالاً في حلتك بل قاضياً حق رغبتك . والله تعالى يحملك بوسيلة
الملم مترقياً ، وبجنة الطاعة متوقياً ، ولهناء الأتفس مستقبلاً وملتقياً
عنه ، والسلام .

نفع الطيب للمقري ١/٢٨٤ - ٢٨٧

٩ - الخليفة الموحي الرشيد بن المأمون

٦٣٠ - ٦٤٠ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٤٢ م

٢٧٥ - مرسوم أصدره الخليفة الموحي الرشيد بإسكان المهاجرين
المسلمين الذين لجأوا إلى مراكش وبقيّة مدن الأندلس بهــ سقوط
بلنسية وشقر وشاطبة بيد الاسبان ، وهو من إنشاء كاتبه القاضي
أبي المطرف بن عميرة وذلك في شعبان سنة ٦٣٧ هـ .

هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين - أيدهم الله تعالى بنصره وأمدم بموته ويسره -

(١) النقرى : الدعوة الخاصة .

للمتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من سائر
 بلاد الشرق مجرام ، وعراه من عبر الأيام ماعراهم ، حين أنهى ذو
 الوزارتين الشيخ الأجل الأكرم الأعز الأفضل ، أبو علي ابن الشيخ
 الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص ، أدام الله تعالى أثره وكرامته ،
 ما أصابهم من الجلاء ودهام من أمر الأعداء ، وسعى لهم سعي من يقضي
 فيهم ... ويلتمس لهم مكاناً للقرار ومنزلاً لإلقاء عصى التسيار . وعند
 ذلك أذن لهم ، أعلى الله تعالى إذنه وجدد مجده ويمنه ، في النقلة إلى
 رباط الفتح ، عمره الله تعالى ، بقضيتهم وقضهم ، وأن يتخذوا مساكنه
 وأرضه بدلاً من مساكنهم وأرضهم ويعمروا فيه بدلاً يقيّل منهم أولي من
 قبل ، ويحملهم ، إن شاء الله تعالى ، وخير البلاد ماحل ، فإنه مناخ
 التاجر والفلاح وملتقى الحادي الملاح ، والمرافق من براو بحر ، موجودة
 في فصول السنة . مؤذنة لقاطنه بالمعيشة الهنية والحال الحسنية . ولهم
 أفضل ماعهده رعايا هذا الأمر العزيز ، أدامه الله تعالى ، من التوسعة
 على قوتهم كي يزدادوا قوة ، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة ،
 وأن يتوسعوا في الحرث ، ففي أرضه هناك متسع ويتبسطوا في كل ما لهم
 منه مكافئ وبه منتفع ، ويغرسوا الكروم وأنواع ... على عادتهم ببلادهم
 ويتأثّلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم وكل ما يمررون من
 الضياع ، ويقتنون من الأصول والكراع . فله حكم ... على الإطلاق
 والدوام ، لا يلزمون فيه شيئاً من وجوه الالتزام ، ولا يطلبون بنير حقوق
 الشرع التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الاسلام ، وأقوالهم في مقاديرها
 مصدقة ، وأمانهم كلها لهم ، واللاحقين بهم محققة . والولاية والمهال ،
 - حفظهم الله تعالى - مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجنانب من

جوانبهم ، ويعوق عن مأرب صغير أو كبير من مآربهم ، وأن يكرموا غاية الإكرام ، نبهائهم وأعيانهم ، ويولونهم من حسن الجوار ما ينسبهم أوطانهم حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الخيف ، ويجمع لهم بين الرعاية حرمة البلوى ، والعناية بحق الضيف ، إحتساباً منه على الله تعالى أمره وأوزع شكره ، ينسحب على جماعتهم وأفرادهم ، ويحملهم على موجب اعتلامهم بهذا الأمر العلي أدامه الله تعالى وملاه بهم . فمن وقف عليه من المكانة والعمال ، أكرمهم الله تعالى ، فليعمل بحسبه ولا يعدل عن كريم مذهبه ، إن شاء الله تعالى . وهو تعالى المستعان لارب سواه .

كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وست مئة .

عصر المرابطين لعنان ٧٣٧/٢ - ٧٣٨

١٠ - الخليفة الموحي المرتضى أبو حفص عمر

٦٤٠ - ٦٤٦ هـ

٢٧٦ - رسالة وجهها القاضي أبو المطرف لأحد ملوك الموحدين
[يظن أنه المرتضى بالله] محرضاً على أخذ الثأر لبلنسية .

شاقه غب الخيال الوارد	بارق هاج غرام الهاجد
صدقا وعد التلاقي ثم ما	طرقا إلا بخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن	وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع	فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم	يشتكيه عند ربع هامد
بالأمير المرتضى عز الهدى	وثى عطف الملى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى	حاملاً أنف الأبى الشارد

إغنا الفخر لمولانا أبي
 ملك لولا حلاه الغر لم
 ولو أن العذب أبدى رغبة
 فضله مثل سني الشمس وهل
 قهر البغي بجد صاعد
 إنما آل أبي حفص هدى
 قعدوا فوق النجوم الزهر عن
 وعن الإسلام زادوا عندما
 أي فخر عُمري المنتهى
 ما الفتوح الغر إلا لهم
 في محيلا لا حق من سابق
 وليحيى راجح الحلم الذي
 عقد احسابهم تم به
 أيها الجامع ما قد أحرزوا
 هذه الأمة قد أوسعتها
 لم تزل منك بخير طارف
 ولهم منك ليوم حاضر
 أرشد الله لأولى نظر
 وتولاه بتوفيق الألى
 وله في الله أوفى كافل

زكرياء بن عبد الواحد
 يحزن بالحمد لسان الحمامد
 عنه لم يشف غليل الوارد
 لسني الشمس يرى من جاحد
 ما تعداه وجد صاعد
 للورى من غائب أو شاهد
 هم نهن عزم القاعد
 فل طول العهد غرب الذائد
 ورثوه ماجداً عن ماجد
 بين ماض بادىء أو عائد
 وعلى المولود سيما الوالد
 ترك الطود بمطفي مائد
 مثل ما تم حساب العاقد
 جمع من همته في الزائد
 نظراً يكلاً ليل الراقد
 ريشه تال قدامى تالد
 وغدر رأي البصير الناقد
 بالورى رأي الامام الراشد
 سمدوا من عاقد أو عاهد
 بالذي يبقى وأكفى عاهد

نصر الله تعالى مولانا وأيسده ، وشد ملكه وشيده ، وأبقى للفضل
 أيامه ، وللفضل أحكامه وأظفر بأعناق الأشقياء حسامه ، ووفر من اتساق النعم والآلاء
 حظوظه وأقسامه ، والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الأمة آمناً

ووهج الفتنة ساكناً ، وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف إلا واصلًا ، أو آذناً وتلافى فل الاسلام منه بغيًا ته التي منها ينتظرون الكر ، وبها يوعدون الفتح الأعز والنصر الأغر ، فهم بين جدة قبضوها ، وعدة رضوها ، وارتقاب لفتح أكبر همهم منه ذلك الثأر ، وانتصاف لأهل الجنة من أهل النار . فأما الأوطان فقد أسلّتهم عنها جهة تنبت العز فيا تنبته . وتنفي من الضيم ما تلك تثبته وما ذكر الساخط على المحل الساقط ، ومنازل عادت على مبانيها أطلالاً ومفانيها أحمالاً ، ولالعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم - أدامه الله تعالى - ما أعين الآمال إليه صور ، ورجاء الجمع عليه مقصور .

نفح الطيب للمقري ١ / ٢٨٧ - ٢٨٩

٢٧٧ - رسالة أرسلها الخليفة الموحي المرتضى إلى البابا أفوصان

الوابـع .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله وحده .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين ابن سيدنا الأمير أبي إبراهيم ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدّهم بمعونته . إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية ، وقيم الملة المسيحية ووارث رياستها الدينية البابا ابنه سانس أش ، أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وإرشاده ، وجعل التقوى التي أمر الله عز وجل بها عدته لحياه ومماده ، وأناله من سابق الهداية ما يفضي لمدى الغاية ، بأتم انفساحه وامتداده . تحية كريمة تراجع بها ما تقدم من تحياتكم الواردة علينا ، ويترجم لكم أرجها عما تعتمدكم به البار لدينا .

أما بعد : فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، حمد من علم أنه الرب

الواحد ، الذي دلت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد ، وزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمثبه والجاحد ، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت به للنجاة المذاهب والمقاصد ، وخرقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوايد ، ونصر بالرعب ، فألقى له يد الاستسلام كل من كان يناوي ويعاند ، وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم المحافل والمشاهد ، ووصلت صوارمهم في مواقف الحروب السواعد ، وانجزت لهم في استيلاء الاسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ، ونسأل الله عز وجل رضاه عن الامام المهدي المعلوم ، الذي جذب به لدين الله تعالى الشباب المعاود ، وأهلت بهدايته بعد قفارها المعاهد وباء بالخسران المختل لأمره والمكايد ، وعن الخلفاء الراشدين المهتدين ، الذين تولى منهم إتمام بدايته الامام الراشد فالراشد ، وعلت بهم لأمر الله تعالى المراقي والمصاعد وعن سيدنا الامام الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين الذي طابت منه العناصر والمحائد ، واشتق من نبعة الخلافة أورق نضارة وغفارة قنتها المآئد . وزهد في الدنيا الفانية ، ورغب في الأخرى الباقية فنعم الراغب الزاهد .

وبعد ، كتابنا - كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاه تركو وتتوفر واستعملنا وإياكم بكل ما تنهياً به لاحتراز الفوز لديه وتيسر - من حضرة مراکش - حرسها الله تعالى - ودين الله عز وجل عالي مساه ومصعده ، والتوحيد حال بالظهور جيده ومقلده ، والسعي معمّل في ابتغاء من الله تعالى موقفه ومسده ، والحمد لله رب العالمين حمداً يتوالى على الألسنة تكرره وتردده ، ونستدعي به من مزيد النعماء أفضل ما وعد به تعلي من

يشكره ويحمده . وإلى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه إسماعلكم ، وجعل في طاعته التي تعبد بها خلقه ، إصداركم وإيرادكم ، فإنه سبقت منا إليكم مراجعات عن كتبكم المؤثرة الواصلة إلينا ، وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تمنا به بركم ووفينا ، وعرفناكم أنا نوجب لمنصبكم الذي أبرز في ملتكم على المناصب وأقر لرتبتكم فيه أهل دينكم ، بالشفوف على سائر ما لهم من الراتب فأنتم عندنا لذلك بالكرمة الحفيلة ملحوظون ، وبالعباية الجميلة ملحوظون نؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقه أن يؤكد ، ونجدد من عهود الحفاية بكم ما شأنه أن يجدد . ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن إشاركم لجانبنا وتردد .

وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين - أعزهم الله - البشْب الذي قد وصل بكتابكم إلينا ، انصرافاً لم يعمده منا فيه بر وإكرام ، ولم يغبه فيه اعتناء به واهتمام ، كما أنه في المدة التي قضى له فيها لدينا بالمقام ، لم نزل نتعبده أثناءها بالاحسان والانعام ، وتحمل كتابنا إليكم تعريفاً بما اختار من انصرافه . وتوخياً في ما آثره من ذلك لاسعافه ، وما قصر له في حالي مقامه ورحيله ، ولا عدل به عن حفي البر وحفيله ، وسني المن وجزيله ، ذهاباً لتكريم إشارتكم السابقة في حقه ، وسلوكاً به من البر على أوضح طرقه . والله تعالى يرشد في كل الأحوال لأزكى الأعمال لديه ، وينجد من الأقوال والأفعال على ما يقرب إليه منه . ومتى منح لكم - أسعدكم الله بتقواه - أن توجبوا لها ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين - أعزهم الله - من ترونه برسم ما يصلحهم في دينهم ويحريمهم على معتاد قوانينهم ، فتخيروه من أهل الفضل الراجح والسمت الحسن ، ومن يستلذ في الزاهة على واضح السنن ، ومن يتميز في الخدمة بالذهب المستجاد والقصد المستحسن ، وذلكم هو الذي

إذا تعين من قبلكم مستجماً للصفات المذكورة ومتحلياً بالخلال المشكورة حسن في كل ما يستخدم ، وتسنى له بذلك أجزل الخير وأوفره . وأنتم تفون بهذا المقصود في ماتعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد ، وتمتدون فيه أجمل معتمد ، وشكرنا لكم على كل ماتذهبون إليه في جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب ، وتحفلون فيه من المساعدة الصادرة فيكم عن كرم الضرايب ، وتبادرون إلى بذله من المكارمة المناسبة لئلكم في نحتكم من إنافة المناصب ، مما نكافىء به صدق مصادقتكم ، ونتوخى فيه ما لا يعدل عن موافقتكم ، جزاءً لبركم بأمثاله ، واعتناءً بما يقضي لولائكم بدوامه واتصاله ، بحول الله تعالى وقوته ، وهو سبحانه ييسرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله ، وبأخذنا في ديننا ودنيانا على أقوم سبيله ، ويجعلنا وإياكم بما يمنحنا من التوفيق في أول رغيل من حزب الحق وأهله بمنه وكرمه ، لارب سواه . وكتب في الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين ومئت مئة .

عصر المراتبين لمان ٧٣٩/٢ - ٧٤١

و - مملكة غرناطة وبنو هود ، وبنو حفص ،

وبنو مرين ٦٢٥ - ٥٨٩٧ / ١٣٣٢ - ١٤٩٢ م

٢٧٨ - رسالة أرسلها إلى ملك قشتالة أبو جهيل زيان في مراودة

الصالح من إنشاء أبي المطرف بن عميرة :

كتابنا إليكم - أسعدكم الله برضاه وأدام عزتكم وكرامتكم بتقواه -

من مرسيه ، ونحن نحمد الله الذي لاشيء كمثلله ، ونلجأ إليه في أمرنا

كله ، ونسأله أن يوزعنا شكر إحسانه وفضله ، وعندنا لجنابكم المرفوع
تكرمة نستوفيها ، ومبرة ننتهي إلى الغاية فيها ، وعلمنا بمحلكم الشهير
وكتابكم الخطير يستدعي الزيادة من ذلكم ويقتضيها . وقد كان من فضل
الله المعتاد وجيل صنعه في انتظام الكلمة في هذه البلاد ما اكتنفته العصمة ،
وكلت به النعمة والمنة ، وتيسر بمعونة الله فتح أقر العيون ، ورضيه
الاسلام ، والمسلمون ، وكانت مطالعتكم به مما آثرنا تقديمه ، ورأينا أن
نحفظ من الأسباب المرعية على التفصيل والجملة حديثه وقديمه . وحين
ترجحت مخاطبتكم من هذا المكان ومفاوضتكم في هذا الشأن ، رأينا
من تكملة المبرة ، وتوفيق العناية التبرئة أن ننفذ إليكم من يشافهمكم في
هذا المعنى ، ويذكر من قصدنا ما نولع به ونعنى ، وهو فلان في ذكر
السلم ومحاولتها ، ما يتأدى من قبله على الكمال بحول الله تعالى . وإن
رأيتم إذا انصرف من عندكم ، أن توجهوا زيادة إلى ما تلقونه إليه من
رجالكم وخاصتكم ، في معنى هذا العهد وأحكامه ، ومحاولته وإيرامه ،
فعلتم من ذلك ما نرغب أثره ، ونصرف إليه من الشكر أوفاه وأوفره ،
إن شاء الله تعالى ، وهو الموفق لأرب سواه . والسلام الأتم عليكم كثيراً .

صبح الأعشى للقلقشندي ٧ / ١١٦ - ١١٧

٢٧٩ - تقليد أرسله الخليفة العباسي المستنصر بالله إلى محمد بن
يوسف بن هود ، لما ثار ضد الموحدين وأعلن استقلاله في الأندلس ،
وأرسل إلى الخليفة العباسي يعلن ولاءه ، ويطلب أن يرسل له لواء
وخلمة وتقليداً سنة ٦٣١ هـ .

توكلت على الله الواحد القهار . الحمد لله خالق الانسان من صلصال
كالفخار وملك أزمة الأفضية والأقدار ، ومكور النهار على الليل ، ومكور

الليل على النهار ، المتعالي بوحدايته عن الأشباه والأنظار ، المتنزه بكبريائه عن تمثيل الأوهام ، وتكليف الأفكار ، لاتدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، سبحانه ! هو الله الواحد القهار .

والحمد لله الذي اختار محمداً ﷺ ، من أطيب قريش عنصراً وأرومة ، وأزكاها أصلاً وجرثومة ، وأكرمها خؤولة وعمومة ، ابتعثه والكفر قد ظهر فنيقه ، والشرك قد قامت سوقه ، والضلال قد استطارت بروقه ، والشيطان قد استظهر حزبه وفريقه ، فصدع بالحق وأظهره ، ودحض الضلال ودمره ، ورفع لواء الإيمان ونشره ، وأمات الباطل وأقبره ، وأحيا الدين الحنفي وأنشره ؛ فصلى الله عليه وعلى آله الذين رفعوا منار أوامره المتبعة وعلى صحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، صلاة دائمة متصلة ، غير منقطعة ، ما وخذت قلوب براكب ، وأضحك الروض بكاء السحاب . وعلى عمه [العباس] ابن عبد المطلب خير الأعمام ، وكافل الأيامى والأيتام ، وصاحب زمزم والمقام ، والمخصوص بسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، المستنزل ببركته أنواء الغمام ، عن جذب العام ، ومن قال في حقه سيد الأنام محمد خاتم النبيين - عليه أفضل الصلاة والسلام « يا عم فيكم النبوة ، والخلافة ، لا ينازعكم فيها منازع ، إلا أكبه الله لوجهه ، ولا يزال الأمر في ولدك حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم » وقال ﷺ : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، فنزلي ومنزله في الجنة تجاهين ، وعمي العباس بيننا مؤمن بين خليلين . اللهم اغفر للعباس وولد العباس ، ومحبي ولد العباس ، مغفرة ظاهرة وباطنة ، لاتتأدر لهم ! اللهم احفظه في ولده ، واخلفه فيهم ، واحفظ ذريته من كل سوء ، وأعزم بعونك ، ونصرك ، ما بقي منهم باق » وقال ﷺ : « يا عم لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله » وجاء في الحديث أن العباس دخل على النبي

ﷺ فخفض النبي ﷺ صوته ، فقيل له : يا رسول الله ، رأيناك خفضت صوتك لما دخل العباس فقال : « إن جبريل أمرني أن اخفض صوتي عنده ، كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي » . وفي الحديث أن جبريل - عليه السلام - هبط على النبي ﷺ وعليه قباء وعمامة أسودان ، فقال له : « يا أخي ما هذه الصورة التي ما أراك هبطت علي في مثلها ؟ فقال له : شعار ولد عمك العباس ، وليأتين على أمتك زمان يعز الله فيه الإسلام بهذا السواد ، وسيملكون الأبيض والأحمر ، والأصفر والأخضر ، والحجر والمدر ، والصفاء والمنحر ، والسرير والمنبر ، والدنيا إلى الحشر ، والخلافة إلى المنشر ، وعليهم تقوم الساعة » .

والحمد لله الذي اجتنى من هذه الدوحة العباسية الشفاء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إماماً ألقى ولائه في القلوب والأرواح ، واسترعا فوجده لأتمته خير راعٍ ، وأوضح للناس من اعتقاده ، ووجوب طاعته سنناً قوياً ، وجعله كما قال عز وجل : (وكان بالؤمنين رحيماً) (١) سيدنا ومولانا إمام المرسلين ، وخليفة الله في الأرضين ووارث الأنبياء والمرسلين ، والمفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، الممنون بإيالله المقدسة على العالمين ، مولانا أبا جعفر المنصور ، المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - إمام تحلت أجياد المنابر بجواهر شريف دعوته ، وترصعت تيجان المآثر بآلئه معبدته ، وحسن سيرته ، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارف ظلال رأفته المقدسة ورحمته ، فالتاس وادعون في كنف عميم مكارمه وعواطفه ، والخلائق راتمون في رياض جسيم مواهبه وعوارفه ، فأدام الله أيامه الزاهرة دواماً

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٣ .

يخلق أثواب الأعلام وهو جديد ، وجعل دعوته القاهرة مقرونة بالدوام ،
والتخليد إلى يوم الوعيد .

ولما انتهى إلى علومه الشريفة - زادها الله شرفاً وقُدساً - ماعليه مجاهد
الدين محمد بن يوسف بن هود ، من سلوك سنن الطاعة ، المؤسس بنيانها
على تقوى من الله ورضوان ، والتزام شروط الولاء الذي هو علامة متانة
الدين ، وكال الإيمان ، والتصدي لمقارعة الناكبين عن محجة الحق والهدى ،
والتجرد لمراقبة من حاد عن السنة والاجماع ، اللذين بهما يُسترشد ويتهدى
اقتضت آرائه الشريفة المقدسة النبوية الإمامية الظاهرة ، الزاكية الممجدة
المعظمة المكرمة المستنصرية - زادها الله جلالاً متألق الأنوار ، وشرفاً رفيع
المنار ، واقتداراً تجوب جباهه جنوب الآفاق والأقطار - أن يقلده أمر جزيرة
الأندلس وما يجري معها من الولايات والبلاد ، ويسوغه ما يفتتحه من ممالك
أهل الشرك والعناد ، تقليدًا صحيحاً شرعياً ، وتسويقاً صريحاً إمامياً ،
وإنعاماً يصفو عليه لباس فخاره الفضفاض ، وتصفو لديه موارد مواهبه
التميزة الحياض .

وقد أمره - صلوات الله عليه - بأوامر تهديه إلى سبيل الرشاد ، وتحظيه
برضى الله الذي هو أنفع الذخائر في الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد . وما
توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره أن يتدرع شعار تقوى الله الذي هو خير لباس ، ويستشعر خيفته
التي تجعل له كما قال عز وجل (نوراً يمشي به في الناس) (١) . فإن تقوى
الله تعالى هي المنجاة ممن تورد مهاوي الآثام والعصيان ، والسبب الذي يعتصم
به من كان من العناية الأزلية بمكان . قال الله تعالى : (وتزودوا فإن خير

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
(أسكنه الله الفردوس)

الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب (١) .

وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى مناراً يرجع إليه في حل المشكلات ومصباحاً يستضيء برأشه في الأحكام المشتبهات ، فإنه الفرقان الفارق بين الحلال والحرام ، والنور الساطع الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام قال الله تعالى : (وزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٢) .

وأمره أن يعمل بسنة النبي ﷺ في مصادر أموره وموارده ، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده ، فإن اتباع السنة يرشده إلى منهج الحق وسبيله ، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله وأحكام رسوله ، قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣) .

وأمره أن يكثر من مجالسة الفقهاء والعلماء ، وأرباب الديانة الصالحين ومشاورة العقلاء الألباء ، فإن مجالسة العلماء لقاح الخواطر ، ومعاشره الصالحين فيها رادع عن اتباع الأهواء وزاجر ، ومشاورة الألباء تقدر بها زناد التوفيق في النواهي والأوامر . قال الله تعالى : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين) (٤) .

وأمره بأن يحسن السيرة في رعيته ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشفقته ، ويساوي بينهم في مجالس نظره وحكومته ، لا يفرق في التفاته بين القوي والضعيف ، ولا يميز بما يقتضيه العدل والانصاف بين المشروف والشریف ، ويقوي الأحكام على ما يوجبه الشرع ، ويقتضيه ، ويأمرهم بإقامة

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .

(٣) سورة الحشر الآية ٧ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

القسطاس الذي يحبه الله ويرتضيه ، قال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ^(١)) . وأمره أن يقتدي في جميع أموره وتصرفاته وحركاته وسكناته بما أمره الله تعالى في كتابه المكنون ، الذي لا يسره إلا المطهرون ، في قوله عز وجل : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ^(٢)) .

وأمره أن يعتمد في مجاهدة الكفار الملائع ، وأحزاب الشيطان المشركين ما أمر الله تعالى به من قوله عز وجل : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ^(٣) . وقوله : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين) ^(٤) . وقوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين) ^(٥) .

فليكن مجاهد الدين بهذه المرشد مقتدياً ، ولناهج أوامرها المطاعة مقتفياً ، فإنه إذا اتبع هداها وامتلأ مراسعها واحتذاها ، وتمسك بعصم طاعته من أوجب الله عليه وعلى الخلائق اعتقاد مفروض طاعته ، وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته وعبوديته ، سيدنا ومولانا خليفة الله في أرضه ، والقائم بسنة دينه وفرضه ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - فازت قداحه ، وتضاعفت من أقسام السعادة متاجره وأرباحه ، فإن ذلك عند ذوي الديانات المتينة أحكم الأوامر ، وأوثق

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٣ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

العرى ، والدخر الذي يجده كل موفق مسمود يوم تجد كل نفس ما عملت
خير محضراً إن شاء الله ، وكتبت في العشر الأوسط من ذي القعدة
سنة ٦٢٩ هـ .

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٨٠ - ٢٨٥

٢٨٠ - رسالة أرسلها الخليفة المستنصر العباسي إلى ابن هود .
عن الديوان العزيز النبوي أرفع منازل السعداء الفائزين منزلاً ، وأحمد
مقامات الأبرار المتقين تمهيداً وتأنلاً ، وأسعى هضبات السعادة الراهنة يفاعاً
وقللاً ، وأضفى جلابيب المواهب الأزلية مدارع وحللاً ، وأرحب مواطن
العنايات الإلهية التي لا ينبغي ذو الديانات الثينة عنها حولاً ، وأعظم حيازة
فضيلة قوله عز وجل : (فأولئك لهم الدرجات العلى) (١) ، هو ما أضفى
الأمير الأصفهسلار الكبير ، الأجل الم رابط الثاغر ، الغازي المجاهد ، مجاهد
الدين مجد الاسلام ، جمال الأنام ، نجم الدولة ، عز الملة ، معين الأمة ، فخر
الملوك ، قاعم المشركين ، قاهر الخوارج والتمردين ، زعيم الجيوش شرف الأمراء
تاج الخواص ، أطال الله بقاءه ، وأدام علوه ونعمته ، باعتقاد وجوبه موارد
خلوص معتقده ، وأوضح بسلوك منهجه ، آثار صدق يقينه ، ومحسن تعبده
واحتوى على قصبات رهان التوفيق بزوم لا حب محبته ، وقويم جده
ونور الله تعالى أرجاء عقيدته الصالحة بأنواره ، التي هي علامة كمال توفيقه
ووفور رشده ، من طاعة من لا يقبل تعالى إلا بطاعته الأعمال ، وموالاته
من موالاته عنوان استمرار السعادة والاقبال ، وتباعة من تباعته دخر
نافع يستظهر به كل ذي حظ عظيم في الحال والمآل ، ومخالصته من

تاريخ إسبانيا الإسلامية لابن الخطيب ٢٨٥ - ٢٨٦

(١) سورة طه الآية ٧٥ .

٢٨١ - رسالة القاضي أبي المطرف إلى ابن هـ -ود يهنئه بوصول
تقليد الخليفة العباسي له :

أما بعد : فكتب العبيد - كتب الله تعالى إلى المقام العلي المجاهدي
التوكلني سمادة لا تبلغ أمداً إلا تخطته ، وبدأ علوها أثنته أيدي الأقدار
وخطته - من شاطبة ، وبركات الأمر المجاهدي التوكلني ، والعهد الواثق
المتصمي ، تنسكب كالطر ، وتنسحب على البشر ، وتقضي بمادة النصر
والظفر ، وسعادة الورد والصدر ، والحمد لله . وعند العبيد من أداء
فروض الخدم ، والقيام بحقوق النعم ، ما عقدت عليه ضمائرهم ، وسمت إليه
نواظرم ، واشترك فيه بأديهم وحاضرهم ، فجنتاب أملمهم فسيح ، ومتجر
خدمتهم ربيع ، وحديث طاعتهم حسن صحيح ، وبسنى النظر المبلي
اهتداؤهم ، وفي الباب الكريم رجاؤهم ، وبصدق العبودية اعتزازهم ، وإليها
اعتزائهم . والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ، ويحملهم على المناهج
السوية . ووصل الكتاب الكريم متجلياً برواء الحق ، ناطقاً بلسان الصدق ،
واصفاً من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن إمام الخلق ، فلا بيان
أعجب من ذلك البيان ، ولا يوم كذلك اليوم ، تبدى نظره للعيان ، وأتأدى
خبره في أخبار الزمان ، نثرت فيه الخلع العباسية في أعلى الصور ، وبرز
فيها للميون ما يمتز البليغ عند وصفه في ذيل الحصر ، ويهدي سواده سواد
القلب والبصر ، فيالمشهدا ما أعجب ما كان ، ومرآها الذي راع الكفر ،
وراق الإيمان ، وأشبه يومسه بالأندلس يوم خرجت الرايات السعد من
خراسان ، وكفى بهذا فخاراً لا يحتاج ثابتته مثبتاً ، إن باشرت برءاً
بأشر البدن الذي طاب حياً وميتاً ، فهو علو في الإسناد ، لانظير له في
النوالي ، وفخار ضلت عن مثله العصور النوالي ، وجلت بهجته أن تخلق

جدها الأيام والليالي ، ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد ،
والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل في جنس ذوات الأغمد . وخير
الأوصاف ما صدقه الموصوف ، والكريم النسب نسبته بياهي بها الدين وتزهى السيوف .
فإن نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه في أغمادها تبتسم

وما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه ، نص علاقة سيدنا - صلوات
الله عليه وعلى آلبائه - فإنها تضمنت صفة الله عز وجل من صفات الكمال ،
ودلت على مذهب أهل السنة في خلق الله عز وجل الأعمال ، وأشعرتنا ،
معشر العبيد ، بعناية سبقت بالمقام الجاهدي المتوكلي - أحسن الله تعالى إليه -
حين تولى خلافة أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، فإنه لما شابهه بعزيمته
مساعدة ، ونية في في مشارع الصفاء والإخلاص واردة ، ألهم زيادة في
العلامة شاركت الامامة في صفة واحدة . فهذه كرامة في العلامة هي علامة
الكرامة ، وهبة من مواهب الكشف يجدها من امثل قوله : (فاستقم
كما أمرت^(١)) ، فكان من أهل الاستقامة . وتضمن الكتاب الكريم
بيعة أهل جيان وما معها ، وإن هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا
الأصل الصحيح ، وأقيسة من هذا النص العريض ، بأدلة الخلاف قد
استقلت ، وشبهة الخلاف قد بطلت ، واضمحلت . والحمد لله على أن منح
جزيل النعماء ، وشرح باليقين صدور الأولياء ، وشرف هذه الأمة بإمامة
نجل الأئمة الخلفاء . وابن عم سيد الرسل وخاتم الأنبياء . والعبيد يهنئون
بهذه النعم التي لا يستقل بذكرها قلم ، ولا يقطع علم من وصفها إلا بدا علم
وبهم من الأشواق إلى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العليّة
ما أكده ذو الدار وجدده ما تجدد للمقام العالي المتوكلي من نعم الله تعالى

(١) سورة هود الآية ١١٢

الجليلة المقدار ، والشاهدة له بإسعاد الأيام وإسفاف الأقدار . فلو أمكنهم الإقدام لأقدموا ، ولو وجدوا رخصة في السير لعزموا ، وهم يستلمون البساط الأشرفي توهماً ، ومن أملهم أنهم في الحقيقة قد استلوا (١) .

نفح الطيب للقري ١ / ٣٩٨ - ٣٠

٢٨٢ - رسالة أرسلها ابن هود إلى أهل شاطبة ، يعلن تولية ولده أبي بكر ولياً له بعد سنة ٦٠٩ هـ بعد أن استلم تقليد الخليفة العباسي له ،

وهو يلقب ابنه الوائق بالله ، المعتصم بالله ، وهي من إنشاء عبد الله بن الجنان ، والرسالة موجهة إلى أهل شاطبة ، وينعت فيها نفسه :
« بمجاهد الدين سيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل عليه ، أمير المسلمين محمد ابن يوسف بن هود »

ويخاطب الفقهاء والوزراء والقواد والأعيان والوجوه والنهباء والكافة .
« بشاطبة وجهاتها وما انضاف إليها من جهة بيران ودانية ، وذلك من حضرتنا مرسية »

ثم بعد الدعاء للنبي عليه السلام والخليفة المستنصر يعرب عن محبته لهم ويعلن أنه اختار :

« ولي عهدنا المتولي لأمر المسلمين من بعدنا ، ابننا الأمير الموفق المبارك الميمون السعيد الرشيد ، الوائق بالله ، المعتصم بالله ، أبا بكر محمداً ، أدام الله توفيقه ، ومنحه إنجاده وعضده واسعاده ، وتلكسه بجميع أمورها ، وكافة حواضرها وثغورها ، وتقدمه فيها في بلاد هي منشأه ومشيتته ومبدأه » وأنه يوليه :

(١) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى ٧ / ٩٨ - ٩٩ نصاً مختصراً ومختلفاً بمض

الاختلاف عن نصنا أهلاه .

« جميع أقطار المشرق ، وبلاده وأغواره وأنجاده ، تولية عامة في حياتنا مع أنه المتولي بحكم العهد الذي ارتضينا له لكل ممالكنا وطاعاتنا ، وخصصنا هذه البلاد الشرقية ، حاطها الله تعالى بتقديمه فيها .

عصر المرابطين لعنان ٤١٣/٢ - ٤١٤

٢٨٣ - رسالة ملك مراکش المريني أبي يوسف يعقوب الذي ملك بين سنتي ٦٥٦ و ٦٨٥ إلى الفونسو ملك قشتالة ، حول رسل سلطان المماليك قلاوون .

أرسل قلاوون رسلاً إلى الفنش صاحب إشبيلية سنة ٦٨٢ هـ فوجدوه مشتبكاً في حرب مع ابنه ، فضجر الرسل من طول الإقامة فطلبوا الإذن بالسفر من الملك مراراً كثيرة وهو يصبرهم ، فبعث إليه أبو يوسف صاحب مراکش رسولاً يقول له :

هؤلاء القوم حضروا من جهة سلطان عظيم ، وملك كريم ، ولا يحسن تأخرهم عن العود لغير موجب فإما أنك تجهزم ويرجعون ، وإما أنك تسيرهم إلي وأنا أجهزم إلى خدمته ، وأحمل هذه الخدمة عنك ، وأخدمهم خدمة تليق بحرمة صاحبهم .

٢٨٤ - جواب الفنش إلى أبي يوسف عن الرسل !

إني إذا سيرت الرسل اليك لتجهزم من جهتك يبقى علي عار عظيم . كيف يحضر إلى عندي رسل هذا السلطان الكبير ، ويجهزم غيري ؟ أي شيء يقال عني ؟

٢٨٥ - رسالة ابن الفنش للرسل

بقي الرسل في إشبيلية حتى مات الملك الفنش وحل محله ابنه المعاصي

عليه فاستدعى الرسل واستفهم منهم عن الهدية ، وأراد تسفيرهم فعجز ،
فأرسل اليهم يقول في رسالة :

إني الآن ماييدي شيء ، لأنني ماوجدت في الخزائن شيئاً ، وسيرت أطلب
من ابن الأحمر شيئاً فما سير إلي شيئاً إلى الآن ، والبلاد خراب لادخل لها
وأنا أرى أنكم تتوجهون إلى طليطلة تقيمون بها حتى أجهزكم .
فأبى رسل السلطان قلاوون إلا العودة فسمح لهم بالعودة .
تشریف الأنام والعصور لابن عبد الظاهر ١١٢ - ١١٤

١ - مملكة غرناطة ٦٢٩ - ٥٨٩٧ / ١٢٢٢ - ١٤٩٢ م

١ - أبو عبد الله محمد الثالث

٧٠١ - ٥٧٠٨ / ١٣٠٢ - ١٣٠٩ م

٢٨٦ - رسالة سلطان غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني
الملقب بالخالوع إلى الدون خايمه ، ويسمى أيضاً دون جايم ، ويلفظ بصيغ
أخرى أيضاً ، ملك أراغون وبلنسية ومرسية وكندبرجلونة (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وعلى

(١) وجدنا عدداً مهماً من الوثائق في صورة رسائل موجهة من ملوك غرناطة إلى ملوك
أراغون في كتاب « الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية » لشكيب أرسلان .
ويذكر أرسلان ان الحاج محمد العربي بنونة من تطوان أهداها له وذلك نقلاً عن مجموعة
رسائل وصلته من كتالونيا تحوي عدداً كبيراً من هذه الرسائل ، إلا أن تقادم العهد قد
طمس أكثرها ، وعبت الأرض جعل قراءتها صعبة متعذرة . وبعد الجهد الجهد تمكن السيد
محمد العربي مع نسخ هذا الجزء القليل من المراسلات الكثيرة الذي اتضح له خطه
وتسنى ضبطه .

آله وصحبه وسلم تسليماً ، ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب أن الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله نصر ، سلطان غرناطة ومائة وما إليها ، وأمير المسلمين ، ننعم لكم أيها السلطان المعظم دون جايتم ، ملك أراغون وبلنسية ومرسية وكندبرجلونة ، بأن نكون لكم صاحباً وفيماً ، ويكون بيننا وبينكم صلح ثابت ، وصحبة صادقة ، يكون فيها أصحابكم أصحابنا ، وأعداؤكم - أهل قشتالة - أعداءنا . ونرفع الضرر والفساد عن بلادكم وأرضكم من بلادنا وأرضنا ، ولا نجعل سبيلاً لأحد من ناسنا لا في البر ولا في البحر عليكم ، وإن اتفق أن صدر لأحد أو لموضع من ناسكم وبلادكم ضرر من أحد من يرجع إلى حكننا ، فنحن ننصف منه بالحق الواجب ، على أن تكونوا أنتم لنا كذلك ، صاحباً وفيماً كما ذكرتم في كتابكم وتلتزموا لنا صحبة صادقة ، وصلحاً ثابتاً ، وتصاحبوا كل صاحب لنا ، وتعادوا كل عدو لنا من المسلمين ، أو من أهل قشتالة ، وترفعوا الضرر والفساد عن بلادنا كلها ، وعن ناسنا في البر والبحر ، وإن اتفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدو ، أو ناس من أهلها ، فيكون حكمهم في ذلك كحكم سائر بلادنا الأندلسية ، ومتى صدر عن أحد من ناسكم أو من أهل بلادكم ضرر لأحد من ناسنا أو من أهل بلادنا الأندلسية أو التي تكون من بلاد العدو ، فعليكم أن تنصفوا منه في الوقت والحين كما ذكرتم في كتابكم . وكذلك ننعم لكم بأن يصل إلى بلادنا كل من يريد الوصول برسم التجارة من بلادكم بما شاءوا من أنواع التجارات ، ويسرح لهم ما أرادوا من ذلك ويكونوا مؤمنين على أنفسهم وأموالهم ، وعلى أن ينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة ، وينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم في الدواوين على العادة . وعلى أن يكون أيضاً كل من يتوجه من بلادنا إلى بلادكم من التجار مؤمنين في نفوسهم وأموالهم ، ويسرح لهم في بلادكم ما شاءوا من أنواع

المتاجر ، وينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة ، من غير إحداث زيادة ،
وينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم ، كما ذكرتم في كتابكم ، وكذلك ننعم لكم
أن نعينكم على أهل قشتالة في نفاقهم معكم ، وإن اتفق أن يجيء لكم إلى
مرسية صاحب قشتالة الآن ، أو مقدرته ^(١) فنعينكم بما نقدر عليه في ذلك
الوقت ، ولا نعمل معهم صلحاً ولا مهادنة إلا برأيكم ، وفي منفعتنا ومنفعتكم
وعلى أن تلتزموا أتم بما نلتزمه نحن من النفاق عليهم ، وشن الغارات على
أرضهم كلها ، ولا تعملوا معهم صلحاً ولا مهادنة إلا في رأينا ، وفي منفعتكم
ومنفعتنا ، حتى تكون الحال واحدة في النفاق والاتفاق ، وعلى أن تعينونا
أتم عليهم متى احتجنا إلى إعانتكم بما تقدرون عليه ، كما ذكرتم في كتابكم .
وكذلك ننعم لكم أنه إن احتجتم إلى إعانتنا في أرض مرسية بفرسان من
عندنا أن نعينكم بها ، على أن يضمنوا في بلادكم... ^(٢) يعطوا المأكول والنفقة
من يوم خروجهم من أرضنا إلى يوم رجوعهم إليها ، ونأمروا أن تترك لهم
الدواب التي تموت لهم في خدمتكم من يوم خروجهم من أرضنا إلى يوم
رجوعهم إليها ، وكذلك ننعم لهم أنه إن... ^(٣) مرسية ترده في الحين لكم
وإن كان من غيرها من بلاد قشتالة ، واعترض لكم فيه . وكل موضع
يرجع لكم أتم من رئاسة قشتالة فلا اعتراض لنا نحن فيه ، إلا أن يكون
من المواضع التي هي لنا وهي طريف ، و... ^(٤) ، وقشتال ، فإن اتفق
أن ترجع هذه المواضع أو واحد منها إلى طاعة السلطان ، دون الفونش ،
وأخيه الأفت ^(٥) دون غرانده ، أن تعفوا معنا في تكميل الشروط التي

(١) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

(٢) جملة أكلتها الأرضة .

(٣) L'infante وهو عند الإسبان الولد الثاني للملك .

بيننا وبينها، بشهادتكم عليها، وضمنكم في ردها إلينا في الحين والوقت من غير تطويل ولا مطلب، وعلى أن تمنعوا أهل بلادكم من الدخول بالتجارة إلى إشبيلية وغيرها من بلاد أعدائنا في البر والبحر، وإن دخل أحد منهم إليها يكون حكمه حكم الأعداء الذين يكون معهم، وأن يكون هذا كله ثابتاً، وتكونوا أتم منه على يقين، أمرنا بكتب هذا الكتاب وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا في آخر ربيع الآخر عام إحدى وسبع مئة، وكتب في التاريخ.

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٨٦ - ٢٨٩

٢٨٧ - فصول من معاهدة تحالف وصداقة بين ملك غرناطة أبي عبد الله محمد الثالث، وخامس الثاني ملك أراغون ضد قشتالة سنة ٧٠١ هـ. هذه المعاهدة هي تجديد لمعاهدة قديمة وقعت بين الملكين عام ٦٩٥ هـ. تنص على عقد:

« صلح ثابت وصحبة صداقة »، وأن يلتزم كل من الفريقين عدم الاضرار بالآخر على يد أحد من رعاياه وأن تكون أرجوان معادية لأعداء غرناطة، سواء من المسلمين أو قشتالة، وأن يفتح بلد كل من الفريقين لمن يقصده من تجار البلد الآخر، مؤمنين في أنفسهم وأعمالهم، وأخيراً يتعهد ملك غرناطة بمعاونة أراغون ضد ملوك قشتالة، وألا يعقد معه صلحاً إلا بموافقة حليفه ويتعهد ملك أراغون لسلطان غرناطة بمثل ما تقدم، كما يتعهد السلطان بمعاونة حليفه بفرسان من عنده في أرض مرسية إذا احتاج إلى هذا العون، وألا يعترض سلطان غرناطة على ما يأخذه ملك أراغون من أراضي قشتالة إلا المواضع التي كانت لغرناطة، فهذه ترد إليها.

نهاية الأندلس لعنان ١١١ - ١١٢

٢ - السلطان أبو الوليد اسماعيل الأول بن فرج

٧١٣ - ٥٧٢٥ / ١٣١٤ - ١٣٢٥ م

٢٨٨ - معاهدة صداقة بين السلطان اسماعيل وملك أراغون الدون
خايم الثاني .

يعقد بين الفريقين صلح ثابت لمدة خمسة أعوام ، تؤمن خلالها أرض
المسلمين بالأندلس ، وأرض أراغون تأميناً تاماً برّاً وبحراً ، وأن تباح التجارة
لرعايا كل من الفريقين في أرض الآخر ، وأن يتعهد كل من الملكين بمعاودة
من يعادي الآخر ، وأن لا يأوي له عدواً أو يحميه ، وأن تكون سفن كل
فريق وشواطئه ومراسيه آمنة ، وأن يسرح كل فريق من يؤسر في البحر من
رعايا الفريق الآخر . وتضمنت المعاهدة نصاً خاصاً يتعهد ملك أراغون ألا
يمنع خروج المدجنين من أراضيه إلى أرض المسلمين بأهلهم وأولادهم وأموالهم .
نهاية الأندلس لعنان - ١٢٠

٢٨٩ - رسالة السلطان اسماعيل إلى ملك أراغون دون خايم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله
المصطفى الكريم ، وعلى آله وسلم تسليماً .

السلطان المعظم الملك المرفع ، الأدني الأكرم ، المبرور المشكور ، والأخلص
نون جاقني (١) ملك أراغون ، وبلنسية ، وسردانية ، وقرسيعة ، وقط برجلونة
وصل الله عزه بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر
مقاصده في الوفاك ومذاهبه ، وحافظ عهده ، عملاً بواجبه ، الأمير عبد الله

(١) يرد اسم دون خايمي في أشكال كثيرة هذا أحدها ، وذلك خلال الرسائل
والنصوص الواردة هنا .

إسماعيل بن فرج بن نصر ، أما بعد : فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من هدايته أوضحها ، ومن عنايته المرشدة أسعدّها وأنجحها - من حمراء غرناطة ، كلاًها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً . وجانبكم مبرور ، وعهدكم بالوفاء محفوظ ، وقصدكم في الصحبة مشكور ، ومنصبكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور ، وقد وصلنا كتابكم المكرم صحبة رسولكم إلينا ، شمن دي طوبنية وصحبه راجلنا أبي علي حسن الفران ، ووصل العقد الذي عقدتم على أنفسكم وارضكم بالصالح الذي يكون فيه الخير لنا ولكم إن شاء الله ، ووقعنا على ذلك العقد ، وحضر رسولكم به بين أيدينا ، وأمضينا حكم الصالح ، وكتبنا نظير ذلك العقد ، ووجهناه إليكم ، وألقى إلينا الواصلان المذكوران من قبلكم ما عندكم من الاغتياب بصحبتنا والعزم على الوفاء بما عاهدتونا عليه ، والمقاصد الحسنة التي تليق بثلثكم من الملوك الأوفياء ، فشكرنا ذلك لكم أكل الشكر . وإذا اغتبطتم بصحبتنا وجريتم على منهاج الوفاء في حفظ عهدنا فعندنا من الاغتياب بصحبتكم ، والحفظ لهدمكم ، ما يقتضيه حسن قصدكم فتقوا منا بذلك أكل الثقة ، وكونوا منه على يقين ، وسبيل متين . والله يقضي الخير لنا ولكم ، وهو سبحانه . يصل إعزازكم بتقواه ، ويحملكم على ما يحبه ويرضاه ، ويوالي لكم أسباب عنايته ، ويوضح لكم طريق هدايته والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في يوم السبت السابع عشر اشهر ربيع الثاني عام أحد وعشرين وسبع مئة . عرف الله خيره وبركته بـنه وفضله .

الخلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١

٢٩٠ - رسالة جوابية من السلطان إسماعيل سلطان غرناطة إلى
الدون خايم الثاني ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وسلم تسليماً .

السلطان الأجل المرفع المكرم المعظم الأوفى المشكور المبرور ، الشهير
الأود ذون جقمي ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقرسنة وقط برجلونة
وضاحب هنجليزة ، أعزه الله بطاعته ويسر له أسباب رضاه وكرامته .
حافظ عهده وشاكر مذهبه في الوفاء وقصده ومكر جانبه ، ثقة بخلوص
وده ، الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر . كتبنا إليكم من حمراء
غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الجزيل والصنع الجميل .
والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مرفع مبرور ، وقصدكم في السلاطين الجلة الأوفياء
قصد مشكور . وقد واصلتنا كتبكم المبرورة على أيدي النصري الذين
وجهتم ، وأتم تقرررون فيها حفظكم لهدنا ، وثباتكم على صلحنا ، وتوفيتكم
لما عقدنا معكم ، وذلك هو الذي يليق بكم . ونحن لكم على مثل ذلك
من الوقوف على العهد والحفظ للصلح ، فكونوا من ذلك على يقين . وعرفتم
بالحكم من المطالب عندنا . فمنها ما طلبتموه منا على وجه الكرامة لجانبكم ،
وقضاء حاجتكم ، فنحن قد وفيناها على حسب ما أردتم ، إكراماً لكم وتوفية
لقصدكم ، على ما يقتضيه اعتقادنا فيكم وقصدنا في قضاء أغراضكم . وعند
وصول كتبكم أمرنا بسراح النصري الذين طلبتموه على هذا الوجه ؛ وهم :
برتلمين مرتين ، الذي كان قديماً في ملكنا ؛ وهو يصلحكم مع هذا الكتاب
والصبي الذي أخذ في الأبركة التي أفلحت من إشبيلية ، مع أن أهل
إشبيلية قد كانوا طلبوه وزعموا أنه أخذ في صلحهم ، فما أسعفنا لهم فيه

قصداً ، لأجل الشكايات التي لنا قبلهم . ولكن لما وصل كتابكم في شأنه
أنعمنا بسراحه ، وهو يصلكم مع هذا الكتاب .

وأما جيله التي عرّقتُم أنها أخذت بقرية البسيط ، فقد أمرنا أن يبالغ
في البحث عنها وعن ولدها ، فما وجد لها خبر ، ولكن البحث عنها
متصل ، وعسى أن يوجد ويوجهنا إليكم . وكذلك كان ولدكم إلفانت
الرمون برنقيل ، قد طلب أن يسرح له نصراني قديم الأسر عندنا
اسمه برنقيل أرنوه فأنعمنا به وسرحناه وهو يصلكم أيضاً ووفينا قصدكم
في ذلك كله لما كان صحبتكم لنا وصدق مصادقتكم . وكذلك مرّ كنه
من الكرمين ، لما وصل كتابكم في شأنه أنعمنا به وأمرنا أن نحمله
أرسالكم ، لكنه كان بحال مرض اشتد عليه فمات . وأما الطالب التي
طلبتوها منا على غير هذا الوجه مما أخذ لكم في الصلح فتعلمون أتم ،
أيها السلطان ، أن لنا بأرضكم حقوقاً كثيرة ومطالب عدة . وقد كتبنا بها
إليكم ، ووجهنا مرة بعد مرة ، ووعدتم بخلاصها والانصاف منها ، فنحن
نتنظر وصول المسلمين وخلاص الشكايات ، فإذا وصلوا فنحن نسرح لكم
من عندنا في مقابلتهم . فما عندنا إلا الحفظ لهدم وتوكيد الصلحة معكم .
وعرّقتُم أن ابن جندي أخذ أناساً من بلادكم وباعهم بيجاية . وهذا الشخص
ليس من أرضنا ولا خدم بالأندلس قط ، فلو أنه كان من أهل الأندلس
لعملنا الواجب في أمره ، ولما قبلناه أشد عقاب ، حفظاً لهدمنا كما هو
الواجب . والله يصل عزتكم بتقواه ويحملكُم على مافيه رضاه . والسلام
يراجع سلامكم كثيراً كثيراً . كتب في التاسع والعشرين لذي الحجة عام
أربعة وعشرين وسبعمائة .

ثم كتب في أسفل الورقة العنوان كالتالي :

السلطان الأجل المرفع الأوفى المشكور المبرور المعظم الشير الأود

الأخلص ملك أرغون وبلنسية وسردانية وقرسنة وقط برجلونة وصاحب
هنگليز ذون جقمي ، أعزه الله بطاعته ويسر له أسباب رضا
وكرامته بمنه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٢ - ٢٩٤

٢٩١ - رسالة جوابية من السلطان إسماعيل ملك غرناطة إلى ذون
خايم ملك أرغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله
الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه ، أننا الأمير عبد الله
إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ورندة والجزيرة ،
وأمر المسلمين : لما وصلنا من قبلكم أيها السلطان العظيم ، الملك الرفع
الأوفى المكرم السبور المشكور الأخلص ذون جقمي ملك أرغون
وبلنسية وسردانية وقرسنة وقط برجلونة ، رسولكم إلينا الفارس المكرم
شمون دي طبيشة ، بالعقد الذي عليه طابعكم ، المعهود منكم الذي
عقدتموه على أنفسكم بأنكم قد ثبتتم معنا صجة خالصة ومصادقة صادقة
جددتم بها ما كان بينكم وبين أسلافنا ، رضي الله عنهم ، وعقدتم معنا
صلاً صحيحاً صريحاً ، مبنياً على الصفاء والوفاء ، أمضيتموه على أنفسكم
وعلى جميع أهل أرضكم من نصف شهر ما به الموافق للتاريخ إلى انقضاء
خمس أعوام ، وظهر لنا منكم من الاغتباط بصحبتنا ما أكد عندنا إجابتكم
إلى هذا القصد ، أنعمنا بموافقتكم ومصالحتكم ، وأعطيناكم هذا المكتوب
بأننا عقدنا معكم الصلح على أنفسنا وعلى جميع أهل أرض المسلمين ببلاد
الأندلس كلها لانقضاء خمسة الأعوام المذكورة صلاً ثابتاً محفوظ العهد

مؤكد العقد ، وأمضينا معكم هذا الصلح إمضاء صحيحاً ، لا يتعقب حكمه ولا يتغير رسمه ، تأمن به أرض المسلمين ببلاد الأندلس وأرضكم أماناً تاماً عاماً وينكف عنها الضرر من الجانبين بطول مدة الصلح برأً وبحراً سرأً وجهرأً ، فلا يلحق أرضكم وناسكم ولا أجفانكم ضرر من جهتنا بوجه ولا على حال . كما أنه لا يلحق ناسنا ولا جميع أرض المسلمين بالأندلس ولا أجفاننا ضرر من جهتكم ، ولا شيء يقدر في الوفاء ، وعلى شروط تفسر ، فمنها : أن يتردد كل من يريد التجارة من أهل بلادنا إلى بلادكم آمين في البر والبحر ، في النفوس والأموال وجميع الأحوال ، وأن يباح لهم بيع ما يريدون ببيعته ، وشراء ما يريدون شراؤه ، وإخراج ما يشترونه إلى بلادنا ، وذلك على العموم في جميع الأشياء كلها إلا الخيل والسلاح لا يستثنى غيرها ، لا طعام ولا بهائم ولا سائر الدواب ولا غير ذلك . ولا يزداد على أحد منهم في سوم شيء يشترونه ، بل يباع منهم بسومه بذلك الموضع ولا يزداد عليهم في مغرم مخزني على ما جرت به العوائد ... بينكم وبين أسلافنا . ومثل ذلك يكون العمل على من يتردد إلى بلادنا من أهل بلادكم . وعلينا وعليكم حفظ هؤلاء المتردين وحراستهم حيث حلوا . ومنها أن تعادوا من يعاديننا من أهل بلاد المسلمين ... أحداً منهم ، ولا تضموه ولا تعينوا علينا عدواً كان من كان . ومنها أن تكون أجفاننا آمنة من أجفانكم وناسكم لا ... منهم ضرر سواء كان فيها أهل بلادنا أو غيرهم من المسلمين أو النصاري فلا يتعرض لهم من جهتكم بوجه . وكذلك جميع مراسي بلادنا وسواحلها تكون آمنة من أجفانكم وناسكم سواء كان في مراسينا وسواحلنا عدو لكم أو صديق ، لا يتعرض من جهتكم لمرسى من مراسينا ولا لساحل من سواحلنا ، وإن استوليت على جفن من غير أجفان أهل بلادنا ، أو استوليت في البحر على طائفة من

المسلمين ، وكان فيهم أحد من أهل أرضنا ففسر حون من أخذتم من أهل أرض المسلمين ببلاد الأندلس في الحين . ومثل ذلك يكون العمل معكم من جهتنا . ومنها أن لاتنعموا من أراد الخروج إلى أرض المسلمين من المدجنين الساكنين بأرضكم بأهلهم وأولادهم ، وأن يباح لهم الوصول إلى أرضنا سالمين ، مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم ، إلا النرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة على غير ذلك . انتهت الشروط وعليها أعطيناكم عهداً صحيحاً ثابتاً ، والتزمنا الوفاء به لكم ولجميع أهل أرضكم ، فلا يزال محفوظاً إلى أقصى أمده ، ماوفيتم لنا بما ذكر عنكم في هذا المكتوب ، ونجعل الله شاهداً بيننا وبينكم ، والله خير الشاهدين وقد تقيد نظر هذا بالعجمي في المكتوب الذي استقر عندنا وعليه طابعكم . ولأن يكون هذا ثابتاً وتكونوا منه على يقين ، أمرنا بكتبه وجعلنا عليه خطر يدنا ، وعلقنا عليه طابعنا توثيقاً لحكه ، وذلك في اليوم السابع عشر لربيع الآخر عام أحد وعشرين وسبعمائة ، وبوافة السادس عشر من شهر مايه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٤ - ٢٩٦

٢٩٢ - رسالة أرسلها إلى الملك الدون خايم الثاني ملك أراغون رئيس جنود غرناطة عثمان بن إدريس زمن السلطان إسماعيل بن فرج بن نصر .

كتاب إلى الدون جيمي ملك أراغون من السيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق رئيس جنود غرناطة .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، الملك المعظم الشهير ، الأرفع المشكور

الأوفى الخطير الكبير الأود الأخلص ذون جيمي صاحب بلنسية وأراغون
سردانية وقرسنة وقط برشلونة ، أعزه الله بتقواه ويبره إلى ما يحبه الرب
جل جلاله ويرضاه . شاكر خلوصه وصفائه ، المثني على ثبوت عمده
وصدق وفائه عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، بعد حمد الله
رب العالمين المنزه عن الصاحبة والولد والشريك والمعين ، والصلاة على
سيدنا ومولانا محمد سيد الخلق وخاتم النبيين ، وعلى جميع أنبياء الله الكرام
 والمرسلين ، والرضى عن الصحابة الأكرمين وعن التابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين ، فإني كتبتك لك أيها الملك المعظم ، من حضرة غرناطة
- حرسها الله - ولا جديد بيمين الله إلا ما يجدد إنعامه عز وجل وإحسانه
والحمد لله . وجانبك مبجل على الدوام والاتصال ، وواجبك مكمل في
كل الأحوال ، والثناء على جميل ولائك وصدق وفائك مردد في كل مقام
ومقال . وإلي هذا فإن كتابك المرفع وصل إلي مع رسولك شمون دي
طو بينة ، في شأن عقد الصلح بين مولانا السلطان ، أيده الله بنصره ،
وبينك . وقد تخلصت العقود على أكمل وجوه الاختيار ، وحصل المقصود
في تأمين البلاد والعباد وكف الأضرار ، وأنا على شكر ودك وحفظ
عهدك حسبما يوجه الاعتقاد الخالص الاعلان والاسرار . وقد بلغتني
ماوجهت لي من رسولك شمون وجددت على ذلك شكر ودادك ، وعلمت
صحة خلوصك واعتقادك . وظني فيك ، أيها الملك المعظم ، أن تفعل
ذلك ، وغرضي التحقق أنه ينقضي ما طالت حياتك هنالك ، فوفاؤك معلوم
وقصدك في المودة مفهوم . وأنت أيها الملك الذي لا يساويه أحد من ملوك
النصارى شرقاً وغرباً ، ولك الوفاء الذي شهر عند جميع الناس بعبداً
وقرباً . وقد قلت لشمون في ذلك كلاماً يقربه بين يديك ويلقيه إن

شاء الله إليك ، فصدق مايقوله ، فمئنه شرح ما عندي وتفصيله . والله
يعزك بتقواه ويسرك لما يحبه ويرضاه . والسلام يراجع سلامك كثيراً
أثيراً . كتب في الثامن عشر لشهر ربيع الآخر عام أحد وعشرين وسبع مئة .
الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٩٩ - ٣٠٠

٢٩٣ - رسالة من ملك غرناطة السلطان إسماعيل بن فرج إلى
نائب ملك أراغون في أريولة .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً .

من الأمير عبد الله إسماعيل بن فرج بن نصر ، أيد الله أمره ، وأعز
نصره ، إلى النائب عن السلطان ملك أراغون بأريولة . الأجل المكرم ،
المبرور المشكور ، الأخلص يره جيل قرالط ، وصل الله عزته بتقواه ،
ويسره لما يحبه الله ويرضاه . كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرمها
الله - وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل .
والحمد لله كثيراً . والبر بكم وإليكم والشكر لمقاصدكم في الوفاء ومذاهبكم...
وإلى هذا فإنه بلغنا ضرر من جهة المسلمين أمر لا نعتقدونه فينا بوجه ، فإننا
لا نبدأ بنقض ما عاهدنا ، ولا بجل ما عقدنا ، وكونوا من ذلك على يقين .
وما عهد السلطان ذون جقمي عندنا إلا أثبت العهد وأحكمها ، وقد
عرقم... أننا لم نطلق الفارة على أرض ولد مسئول إلا عن نكايات
كثيرة صدرت لنا منها ، وبقينا نطلب منه الإنصاف من أزيد من عام
ووجهنا إليه رسولاً إلى قشتالة فما أنصفنا أحد ، ولا رأينا خلاصاً ،
فحينئذ انتصرنا لناسنا حسبما هو الواجب علينا . وأما السلطان ذون
جقمي فما صدر لنا فيه إلا الوفاء ، ولا يصدر له منا إلا الوفاء
بمعهده ، والحفظ لبلاده ، فلا تشكوا في ذلك ، فاعلموه . والله سبحانه

يصل عزتكم بتقواه وييسركم لما يحبه ويرضاه ، والسلام يراجع سلامكم
كثيراً أثيراً . وكتب في يوم الاثنين الرابع عشر لشهر ربيع الآخر عام
أربعة وعشرين وسبع مئة ، (صح هذا) .
الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥

٣ - السلطان محمد الرابع بن اسماعيل ملك غرناطة

٧٢٥ - ٧٣٣ هـ / ١٣٢٥ - ١٣٣٣ م

٢٩٤ - رسالة أرسلها السلطان محمد الرابع ملك غرناطة إلى الدون
خايم الثاني ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً . السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور ،
المشكور ، الأوفى الأخلص ، ذون جقمي سلطان بلنسية ، وقط
بُرجلونة ، وصاحب قرسنة ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسمعه بطاعة
الله ورضاه . مكرم دولته ، وشاكر ما أظهر من مودته ، المحافظ على
عهده ، ورعي صحبتته الأمير عبد الله محمد بن أمير المسادين أبي الوليد
إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء
غرناطة ، حرمها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ،
واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً . وجانبكم مبرور ، وقصدكم في الصعبة
معلوم مشكور ، ومحلكم في ملوك النصرانية الحل المعروف المشهور . وإلى
هذا فقد وصل كتابكم المكرم على يد رسولكم إلينا ، جوان أزيق ،
وقد حضر بين يدينا هو ورفيقه جقمي من قلعة أيوب ، وقررا عندنا من
محبتكم في صحبتنا ، وقصدكم الجميل في حفظ عهد مولانا الوالد - قدس

الله روحه - ما شكرناه لكم ، وعلمنا أنه الذي يليق بمثلكم من الملوك
الأوفياء . ووصلنا المكتوب الذي وجهتم بتجديد الصلح الذي كان بين
والدنا وبينكم لخمس أعوام من الآن . وقد جددناه نحن على حسب
ما اقتضاه مكتوبكم ، والمقد بذلك يصلكم صحة هذا . ونحن على أولنا
في حفظ عهدكم ، والاغتباط بصحبتكم ، والوفاء بما عقدناه معكم . وقد
وجهنا إليكم صحة رسوليكم أربعة من النصارى من أرضكم . فقصدا
منكم أيها السلطان ، أن توجهوا إلينا المسلمين الذين أخذتهم أجفانكم في
سلوة ... (١) ، ثم بيعوا بميورقة ، وتعملوا في ذلك ما يقتضيه وفاؤكم
الصادق ، ونحن قد أمرنا أن يبحث عما أخذ من أرضكم من النصارى
في الصلح . ويعمل في ذلك ما هو الواجب . ومما نعرفكم به ، أنه في هذه
الأشهر السالفة أخذ عمر بطره أغرد من مكان أريولة شبطياً (٢) في
المدور ، وأخذ بطرف الغيطة اثني عشر شخصاً من أهل المرية ، فزبد
منكم أيها السلطان ، أن يعز عليكم هذا الحال ، وتعملوا ما يعمله
سلطان مثلكم ، وتوجهوا إلينا هؤلاء المسلمين ، وتأمرؤا رجالكم بكف
الضرر عن أرضنا على المعلوم من وفائكم ، وحفظكم للمهد . والله سبحانه
يصل عزتكم بتقواه ، ويسركم لما يرضاه . والسلام راجع سلامكم
كثيراً أثيراً . وكتب في الحادي عشر لجمادى الآخرة عام ستة وعشرين
وسبع مئة ، (صح هذا) .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٠٦ - ٣٠٨

(١) هنا كلمة غير مفهومة .

(٢) الشبطي رئيس المعصاية ، أو الغازي على رأس مجموعة من الشجعان .

٤٩٥ - رسالة السلطان محمد الرابع ملك غرناطة إلى الدون خايم

الثاني ملك أرغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله
المصطفى الكريم وعلى آله وسلم تسليماً ليعلم من يقف على هذا الكتاب
ويسمعه أننا الأمير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن
فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ورندة والجزيرة الخضراء ووادي
آش وأمير المسلمين ، لما وصلنا من قبلكم أيها السلطان المعظم الملك المبرور
الوفي المشكور المرفع الأخلص دون جقمي ملك أرغون وبلنسية وسردانية
وقرسة وقط برجلونة ، رسولكم المكرم جوان أنزيق الذي وجهتموه
إلينا بكتابكم وبالعقد الذي عقدتموه على أنفسكم وجعلتم عليه طابعكم
المعهود عنكم بأنكم قد جددتم معنا الصلحة التي كانت بين والدنا - رحمه
الله - وبينكم ، وعقدتم معنا صلحاً مبنياً على الصفاء والوفاء الخمسة أعوام
أولها نصف شهر مايه الموافق للتاريخ أدناه ، أن جددنا معكم الصلح
والصلحة ، على الفصول التي انعقدت بين والدنا وبينكم ، وأمضينا حكمه على
أنفسنا ، وجميع أهل بلادنا ، إمضاء صحيحاً لا ينقض له حكم ، ولا يغير له
رسم ، إلى انقضاء أمره المحدود ، يشمل حكمه البر والبحر على شروط
تتفسر : فنها أن تتردد أجفاننا إلى سواحلكم ، وأجفانكم إلى سواحلنا ، ونأمننا
إلى أرضكم ، ونأمنكم إلى أرضنا ، آمنين برأ وبجرأ في نفوسهم وأموالهم ،
ومحفوظين محروسين حيثما حلوا ، وأبنا ساروا ، لا يلحقهم ضرر لوجه من
الوجوه في البر ، ولا بحر ، في سر ولا جهر ، ويباح لهم البيع والشراء في
جميع الأشياء ، بسوقها المعتاد هنالك ، وإخراج ما يشترونه في إحدى الجهتين
إلى أخرى ، في غير شيء يلزمهم في ذلك ، إلا ما جرت به العادة في الحقوق
الخزنية ، على العادة في الصلح المتقدم ، من غير زيادة ، ما عدا الأمور التي

جرت العادة أن يمنع خروجها من إحدى الجهتين إلى أخرى ، ومنها أن
 لا تتطرق أجفاننا لأجفانكم ، ولا أجفانكم لأجفاننا ، في بحر ولا مرسى
 كان فيها من كان من عدو أو صديق ، وإن استوليتم على جفن من أجفان
 المسلمين أو النصارى من غير أجفاننا ، وكان في ذلك الجفن أحد من أهل
 أرضنا ، أو استوليتم على طائفة من المسلمين ، وكان فيهم أحد من أهل
 أرضنا ، فتسرحون من أخذتم من أهل أرضنا بأموالهم في الحين ، ومثل
 ذلك يكون العمل معكم من جهتنا . ومنها أن لا تتعرضوا لمرسى من
 مراسينا كان فيها من كان من عدو أو صديق ، ولا تتطرقوا بضرر لما في
 مراسينا وسواحل بلادنا ، وبحارها من الأجفان كانت لمن كانت من المسلمين
 أو النصارى ، ومن أي جهة كانت لا سبيل لأجفانكم عليها بوجه ولا على
 حال مدة هذا الصلح إلى انقضائها ، وأن لا تعينوا علينا عدواً من المسلمين
 ولا النصارى في بر ولا بحر ، بوجه من وجوه الإعانة ، ومثل ذلك يكون
 العمل معكم من جهتنا ، وفيها أنه إن هرب من أرضنا أحد خرج من
 طاعتنا فلا تضموه ، ولا تسرحوا له قوتاً ولا شيئاً من الأشياء ، ولا تعينوا
 علينا أحداً على خالص الأحوال ، ومثل ذلك يكون العمل معكم من
 جهتنا . ومنها أن لا تمنعوا المسلمين المدجنين الساكنين بأرضكم من الخروج
 بأموالهم ، وعيالهم ، وأولادهم من غير أن يتعسف عليهم في شيء . ولا
 أن يطلب منهم مغرم ، إلا ما جرت به العوائد في مثله من غير زيادة ،
 وعلى هذه الشروط أعطيناكم عهدنا ، عهداً ثابتاً صحيحاً ، والتزمنا الوفاء به
 إلى أقصى أمد ما وفيتم لنا بما اقتضاه هذا الكتاب من الفصول وجعلنا
 الله شاهداً بيننا وبينكم ، والله خير الشاهدين ، ولأن تكونوا منه على
 صحة ويقين أمرنا بكتب هذا الكتاب وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا ،
 شاهداً علينا في أواسط شهر جمادى الآخرة عام ست وعشرين ومئتين .

إلى انقضائها . صح في تاريخه المؤرخ به . (صح هذا) .

الجلل السندسية لشكيب ارسلان ٢ / ١٠٨ - ٣١٠

٢٩٦ - رسالة أرسلها سلطان غرناطة السلطان محمد الرابع إلى دون

الفنشه (١) ملك أراغون الجديد .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم
تسليماً .

السلطان الأجل ، المرتفع المكرم ، المبرور الأوفى ، المشكور الأخلص
دون الفنشه سلطان أراغون وبلنسية ، وفرسغة ، وقط برجلونة ، وصاحب
سردانية ، وصل الله كرامته بتقواه وأسمده بطاعته ورضاه ، حافظ عهده
وشاكر مذهبه ، في المصادقة وقصده ، مكرم مملكته ، وشاكر قصده ، في
خلوص مودته ، الحافظ لمهده وصحبته ، الأمير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين
أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيده الله ونصره - أما بعد : فإننا كتبناه إليكم
من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ،
واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وجانبكم مبرور ، وقصدكم في الصجبة مشكور
ومحكم في ملوك النصرانية معروف مشهور ، وإلى هذا فإنه توجه في
هذه الأيام خمسة أشخاص من التجار من أهل بلادنا ثقة بعهدهم وركونا
إلى صحبتنا معكم ، فيعرفنا أن النائب عنكم في قرابليان ثقفيهم ، وتقف
أموالهم ، فخطبناكم في شأنهم ، وقصدنا منكم تسريحهم ، وتسريح
أموالهم ، وأن تنفذوا أمركم بذلك لمن يتوب عنكم ، تحفظوا بذلك عهدنا
وتقضوا لنا في ذلك ... نشكركم عليها . وهذا قصدنا منكم فمضى أن تعالوا

(١) هذا الملك هو الفونسو الرابع الاراغوني . الذي تولى عرش اراغون وملحقها

بعد وفاة والده خايم الثاني بين سنتي ١٣٢٧ و ١٣٣٦ م .

فيه ما هو المعلوم منكم ، والمضنون عنكم . والله يصل كرامتكم بتقواه
ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً كثيراً . كتب في
الموفي ثلاثين لجمادى الأولى من عام ثمانية وعشرين وسبع مئة .
(صح هذا)

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١

٤- السلطان يوسف الاول أبو الحجاج بن اسماعيل ملك غرناطة

٧٣٣ - ٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٥٤ م

٢٩٦ مكرر - رسالة أرسلها السلطان يوسف سلطان غرناطة إلى دون بطره
ملك أراغون

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً

السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور الأوفى ، الأشهر المشكور
الأخلص دون بطره ملك أراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقرسغة
وقط برجلونة وورشليون ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله
ورضاه . مكرم مملكته الحافظ لمهده الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين
أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي
آش وما إليها وأمير المسلمين .

أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله - وليس
بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً ،
وجانيكم مكرم مبرور ، ومحلكم في الملوك الأوفياء مشهور ، ومذهبكم في
الصحة والوفاء بالمعهد معلوم مشكور ، وإلى هذا فقد وصلنا كتابكم جواباً

عن كتابنا الذي وجهناه إليكم صجة أرسلنا ، واستوفينا ما ذكرتم فيه
وما قررتم عندنا من أنكم أمرتم خدامكم ، وولاية بلادكم بالإنصاف من كل
ما أخذ للمسلمين بعد عقد الصلح ، وذلك هو الذي يليق بسلطان مثلكم .
فما زال أسلافكم الملوك يعرف منهم الوفاء بالعهد ، والوقوف في حفظ أمور
الصلح على ما عقدوا عليه . وتعلمون أن هذه الشكايات التي لحقت أرضنا من
ناسكم قد طال الحال فيها ، ووجهنا فيها إليكم أرسالاً ، وهم يترددون في
طلبها منذ نحو من عام ، وما زال أهل بلادنا الذين لحقهم الضرر يتشكون
إلينا : مرة بعد مرة ، ولا يسعنا إلا أن ننظر لهم . فقصدنا منكم - أيها
السلطان - أن تعزموا في هذه الحال عزمة مثلكم من السلاطين ، وتحكموا
على ناسكم بخلاص ذلك حكماً حزماً . وقرء رأينا أن وجهنا إليكم بكتابنا
هذا خدينا الفارس المكرم ، أبا الحجاج يوسف بن فرج ، أكرمه الله ،
فمضى أن تجعلوا معه من يظهر لكم من ناسكم يتردد معه على الجهات ،
التي تعينت الشكايات فيها ، وتنفذوا لهم أمركم في ذلك بالخلاص الذي يقع
به الإنصاف على أكمل الوجوه ، فإن فعلتم ذلك فعلتم ما يليق بكم ، وما
نقابلكم عليه إلا بالشكر ، وإلا فلا يسعنا إلا أن ننظر لرعتنا وجهاً يكون فيه
خلاص شكايتهم . وإذا وقع الأسترهان فلا يحفى عليكم ما يحدث في ذلك
من خلل في الصلح ، وأنه لا تستقيم له ، هذا ما عندنا عرفناكم به . ونحن
نرغب ما يكون من عملكم في ذلك ، والله يصل لكم بطاعته عوارف
رضوانه ، ومواهب إحسانه ، والسلام راجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب
في التاسع عشر لشهر ذي الحجة عام ستة وأربعين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٣

٢٩٧ - رسالة سلطان غرناطة السلطان يوسف الأول أبي الحجاج
للفنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

السلطان الأجل الأكرم ، الأوفى المعظم ، المبرور المشكور ، الأخلص
دون الفنشة ملك أراغون ، وبلنسية ، وسردانية ، وقرسنة ، ووقط برجلونة
وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، شاكراً البر بجانبه
التي على مقصده في الوفاء ومذهبه ، الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين
أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإننا كتبنا إليكم عن حمراء
غرناطة - حرسها الله - عن الخير الأكل ، واليسر الأشمل . والحمد لله كثيراً
وجانبكم مبرور ، وقصدكم في الصعبة مشكور ، ومنصبكم في بيت المملكة
معلوم مشهور ، وإلى هذا فوجه إليكم هو أنه ما زالت الصعبة من دار
غرناطة تتجدد بين أسلافنا ، وإننا وقفنا الآن في العقد الذي كان قد أخذ
فيه مع ملك قشتالة على إشارة إلى صلحكم ، فرأينا أن وجهنا كتابنا هذا
إليكم في شأن هذه القضية ، فإن كان لكم في الصعبة والمصادقة غرض
فنحن نقبض بذلك ، وعندنا من المساعدة لكم عليه كل ما يرضيكم فعفرونا
بما عندكم من ذلك ، وبصلكم بكتابنا هذا التاجر بشقلين شريجه خديعنا
أكرمه الله بتقواه . وقد ألقينا إليه في تأكيد المودة ، ما يلقيه إليكم ، وينصه
عليكم . فاعلموا ذلك . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته
ورضاه ، والسلام راجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في يوم الأربعاء
الثامن عشر لشهر المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبع مئة .

عرف الله تعالى خيره وبركته . (صح هذا) .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥

٢٩٨ - رسالة وجهها رضوان وزير السلطان يوسف سلطان غرناطة

إلى دون الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان الأجل الأكرم ، الأوفى المظم ، المشكور الأخاص ، دون الفونشه ملك أراغون ، وبلنسية ، وسردانية ، قرسنة ، وقط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، خديعه موافي واجب البر بجانبه ومكمل الثناء على مقاصده في الوفاء ومذاهبه ، رضوان بن عبد الله وزير السلطان ملك غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آس ، وما إلى ذلك .

كتبه إليكم من باب مولاه ، أيده الله ونصره ، بجمراء غرناطة - حرمها الله - وليس بفضل الله سبحانه ، ثم بنعمة مولاي أبقي الله إحسانه ، إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً . وعن العلم بحللكم من السلاطين الأوفياء ، والشكر لما لكم في الوفاء من المقاصد والأنحاء . وإلى هذا فوجه إليكم هو أن الزعيم المكرم جقمي شارقة ، قريبكم اجتمع في محلة جبل الفتوح ، ببعض ناس هذه المحلة النصرية ، وعرفهم بما عندكم من القصد الجليل ، في الصالح معها ، وأنه لو خاطبكم مولاي في ذلك لعلتم فيه ما يعود بتجديد الصلحة ، والمودة ، وتوكيد العهد ، وقد كتب إليكم في ذلك الكتاب الذي يصلكم ، ووجهه مع خديته التاجر المكرم بشقلين ميريحة ، وهو يصلكم بكتابيه ، وإن كان لكم غرض في هذه الحال فعرفوني وأعمل فيها ما يكون فيه الخير للفریقین إن شاء الله . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه ، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً ، وكتب في اليوم الثامن عشر لشهر محرم الحرام مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

٢٩٩ - رسالة السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة إلى الدون
الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم ، وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً .

السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور المشكور ، الأوفى دون الفونشة
ملك أراغون ، وساطان بلنسية وصاحب سردانية ، وقرسغة ، وقط برجلونه
وصل الله عزته بتقواه ، ويسره لما يحبه الله ويرضاه . مكرم مملكته ، وشاكر
مودته ، المثني على صحبتته البر بجانبه ، العارف مقاصده في الملوك الأوفياء ،
ومذاهبه الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد ، اسماعيل بن
فرج بن نصر . أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله -
وليس بفضل الله وسبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله
كثيراً ، وجانبكم مبرور ، ومذهبكم في الوفاء مشكور ، ومنصبكم في الملوك
معلوم مشهور . وإلى هذا فقد وصل كتابكم المبرور في شأن الأشخاص
الذين باعهم الجنوبيون بالرية ، وعرقم أنهم من أهل أرضكم . واعلموا أننا
لو عرفنا أنهم من أهل أرضكم ما سمح في بيعهم ولوجهنهم إليكم على ما يوجب
الوفاء بالمهد ، فإننا ما عندنا إلا الوفاء بما غاهدناكم عليه . ولكن عند وصول
كتابكم وجهنا التفسير بأسمائهم إلى المرية ، وأمرنا أن يُبحث عنهم ويُسترجعوا
من أيدي من هم عنده . ونحن نعلم في ذلك ما يوجب الوفاء وما يقتضيه
اعتقادنا في صحبتكم بحول الله ، فاعلموا ذلك . والله سبحانه يصل عزتكم
بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً .
وكتب في الموفى ثلاثين لشهر جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .
الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢/٢٤٢-٢٤٣

رَفَعُ
عبد الرحمن (البحري)
(أسكن الله الفردوس)

٣٠٠ - رسالة السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة الى الدون الهنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله المصطفى الكريم وعلى . . . (١)

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه أننا الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي آش وما إليها وأمير المسلمين ، لما وقفنا على عقد الصلح الذي أمضاه علينا محل والدنا السلطان الأوحده المعظم أبو الحسن (٢) ملك المغرب أيده الله ، مع السلطان المرفع ، ملك قشتالة دون الهنشة (٣) ، ومن ضمنه أنكم أيها السلطان المعظم ، المرفع المبرور ، المشكور الأوفى الأخلص دون الهنشة ، ملك أراغون وسلطان بلنسية وسردانية وقط برجلونة . إن أردتم إمضاء . . . والدخول فيه ، فإنه يعضي حكه معكم . كما أمضى مع ملك قشتالة . وأردنا نحن أن نثبت هذا الصلح معكم ، خصوصاً بما عندنا من الاعتقاد في وفائكم ، والقصد الجليل في تجديد الصلحة التي كانت بين أسلافنا وأسلافكم ، ودار بيننا وبينكم المكتوبة في ذلك ، اقتضى نظرنا أن وجهنا رسولنا الخطي لدينا ، القائد الأجل الأعز الأرفع الأجدد أبا الحسن بن كاشة ، أعزه الله ، نائباً عنا في تثبيت ذلك الصلح معكم ، وتوكيد حكه على حسب شروطه وربوطه المذكورة ، التي انعقد عليها الصلح بحضرة فاس - حرمها الله - في عقده المؤرخ في شهر جمادى الآخرة من عام أربعة وثلاثين وسبع مئة ، المتضمن إمضاء . . . لأربعة أعوام ، أولها شهر مارس القريب

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو السلطان الماريني أبو الحسن علي الذي حكم بين سنتي ٧٣١ و ٧٤٩ هـ .

(٣) يلفظ الإسبان كلمة الفونس بـ : أذفنش أو ألفنش وأحياناً أهنشة .

لتاريخه . فوصلنا رسولنا منكم بكتوب عنكم وعليه طابعكم المعبود منكم
مضمنه أنكم قد رضيتم بالدخول في الصلح المذكور معنا على شروطه المذكورة
في عقده لانقضاء أمدته ، وارتبطتم اليه ، والزمتم حكمه عنكم وعن أولادكم
وإخوتكم وزعمائكم وفرسانكم ورعيتكم في البر والبحر ، بالوفاء الخالص
في السر والجهر ؛ وأنكم قد جددتم مع رسولينا (كذا) المذكور... وبما
أعطيناها (كذا) من المقر أمرنا نحن بكتب هذا المكتوب ، بأننا قد
التزمنا لكم الوفاء بذلك الصلح على حسب فصوله وإلى آخر مداه ، بنية
صادقة وصفاء طوية في السر والجهر ، وأعطيناكم عهد الله وميثاقه على الوفاء
به إلى أقصى أمدته ، برأً وبحراً عن أنفسنا وعن قوادنا وخدامنا وجميع
أهل مملكتنا ، لانقضاء له حكماً ولا تغير له رسماً . ولأن يكن هذا ثابتاً
وتكونوا فيه على صحة ويقين ، جعلنا عليه خط يدها وعلقنا عليه طابعنا
شاهداً علينا والله خير الشاهدين . وكتب في آخر شهر ذي القعدة من عام
خمسة وثلاثين ومسبع مئة عرف الله تعالى خيره وبركته بمنه وجوده وطوله فيه
(على بشر التي انعقد عليها الصلح بحضرة فاس حرسها الله صحيح منه ،
وفي تاريخه) . (صح هذا)

الجلل السندسية لشكيب أرسلان ٣١١/٢-٣١٣

٣٠١- رسالة وجهها وزير السلطان يوسف الأول ملك غرناطة
رضوان إلى دون الفونشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً .

مولاي السلطان الأجل ، المعظم المرفع الموقر ، المبرور المشكور ،
الشهير الأوفى دون الهنشه ، ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقط برجلونة

وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه . معظم سلطانه وموقر مكانه وزير السلطان ، أيده الله ونصره ، رضوان بن عبد الله كتبه إليكم من باب مولاه بجمراء غرناطة - حرسها الله - ولا زائد بفضل الله ، ثم ببركة أيام مولانا ، أدام الله إحسانه إلا الخير الأكمل واليسر الأشمل ، والحمد لله . وعن التعظيم لسلطانكم والتوقير لمملكتم ومكانتكم . وإلى هذا فقد وصلني كتابكم المعظم صحيفة رسول مولانا - أيده الله - إليكم القائد الأجل أبي الحسن بن كاشة - أعزه الله - تقرررون معتقداً الجميل . وقد شكرت ذلك أبلغ الشكر ، وعرفت ما عندكم من القبول والعناية والكرامة ، وقابلت ذلك بما يجب من الثناء عليكم . واعلموا أنني لا أزال أؤكد العهد بين مولاي وبينكم ، وأثبت الود وأعمل في ذلك ما أوفي به حق خدمته ، وكرامتكم حسب الواجب علي . وقد ألقى إلي القائد أبو الحسن - أعزه الله - في ذلك ما وافق مقتضى كتابكم ووصل صحبته رسولكم الخطي لديكم ، المكرم المبرور المشكور رمون بيل ، وحضر بين يدي مولاه - أيده الله - وأوصل هديتكم إلى مولاي ووقف عليها واستحسنها ووقعت عنده أحسن موقع ، وشكر قصدكم في ذلك . وكذلك وصل ما تفضلتم إلى معظم مجدكم ، فقابلت سلطانكم بالشكر الجزيل والثناء الجميل ، وسرتي عنايتكم وحسن اعتقادكم ، وما معظمكم إلا على ما يرضيكم ، من الاعتقاد فيكم ، فكونوا من ذلك على يقين ، وقد ألفت ذلك إلى رسولكم المذكور ما يلقيه إليكم في هذا المعنى ، والله تعالى يصل عزتكم بتقواه . ويسعد سلطانكم بطاعته . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في السابع والعشرين لذي القعدة من عام خمسة وثلاثين وسبع مئة ، عرفنا الله بركة اختتامه بجنه وكرمه .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٣٢٢-٣٢٣

٣٠٢ - رسالة وجهها رضوان وزير السلطان يوسف الأول سلطان
غرناطة إلى الدون الهنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان المعظم ، المرفع المبرور ، الأوفى المشهور الكبير الشهير
دون الهنشة ملك أراغون وبلنسية وسردانية وقط برجلونة ، وصل الله عزته
بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه . معظم سلطانه ومكرم جانبه الشاكر لمقاصده
في الوفاء ومذاهبه ، الحافظ لعهد ، المني على غرضه في صحة مولاه وقصده
وزير السلطان - أيده الله - رضوان بن عبد الله كتبه اليكم من الباب الكريم
أسماء الله بحمراء غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله سبحانه ثم ببركة
الدعاء لمولاي ، أيده الله ونصره وأسعده وظفره ، إلا الخير الأكمل واليسر
الأتمل . والحمد لله كثيراً ، وجانبكم معظم مبرور ، وقصدكم في الوفاء معروف
مشكور ، وقدركم في ملوك النصرانية معروف مشهور ، وموجه اليكم هو
أن الواصل اليكم بهذا الكتاب . وجهه مولاي السلطان أيده الله برسم إيصال
الأسرى المأخوذ في الصلح الذين وقع الكلام فيهم مع رسولكم المكرم
دون رامون بيل ، مقصد مولاي أيده الله ، منكم أن تفضلوا بتسريحهم وتوجيههم
معه ، يكون ذلك مما يشكره من أعمالكم ، وأنتم تفعلون في ذلك ما يقتضيه
وفاؤكم المشكور وقصدكم المبرور . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً .
وكتب في اليوم الخامس عشر لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .
الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٥-٢٣٩

٣٠٣ - رسالة أرسلها وزير السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة
علي بن كاشة الى دون هنشة ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم
وعلى آله وسلم تسليماً .

مولاي السلطان الأجل المكرم المعظم المرفع المبرور الأوفى المشكور
الشهير الكبير الخطير دون الفونشه ملاك أراغون وسلطان بلنسية وسردانية
وقط برجلونة ، وصل الله إعزازه بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه . معظم
جانبه ، ومجل سلطانه ، الباذل في خدمته جهد إمكانه ، الشاكر لنعمته
العارف بسمو مملكته علي بن كماشه كتبه إليكم من باب مولانا أيده الله ،
بحمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه ، ثم بنعمة مولاي
أدام الله أيامه ، إلا الخير الأتم واليسر الأعم ، وعن التعظيم لملكنتكم
والمسارعة لخدمتكم ، والشكر لنعمتكم . وإلى هذا وصل صحة معظم
ملككم رسولكم وخديكم المكرم ريمون بيل إلى حضرة مولانا أيده الله
وحضر بين يديه وأدى رسالته ، وأظهر من حسن آدابه ومقاصده في
خدمتكم ما هو اللائق بأمثاله ممن تربى في داركم ، ونشأ في خدامكم ،
واستحسن مولاي أيده الله قصده في ذلك . وجدد من مودتكم وصحبكم
ماتقفون على شرحه في كتابه إليكم . وأما معظم جانبكم فعمل في خدمتكم
ما يجب عليه ، وألقيت لمولانا - أيده الله - مالكم فيه من المحبة والمودة ،
وشكرها لكم أتم الشكر . وعملت أيضاً في خدمة ولدكم مولاي المعظم ،
دون بطره الكبير أسعده الله بطاعته ، ما يجب . وقد كتب له مولاي أيده الله
كتاباً بالصحة والمودة . ومن خديكم ريمون المذكور تتعرفون ماعملت في ذلك
كله . ومنه تتعرفون أيضاً جميع الأخبار ، وكرامة مولاي ، أيده الله ، له
وعنايته به . وما أعرف به سلطانكم أني كنت طلبت من إنعامكم كسوة من
لباسكم وأخبرني الزعيم المكرم برنات شرمي أنكم أصدرتم أمركم بذلك وأنعمتم

به ، معظم جانبكم ينتظر ذلك . وأخبرني أيضاً أنكم أُمِرتُم لي ببازي ، وأنا
أنتظر ذلك أيضاً ، وأذكركم . . . ويصلكم يامولاي القوسان اللذان قلت
لكم عنهما صحبة رسولكم ريمون بيل المذكور ، وما أنا إلا خديكم ومقر
نعمتكم ، فما كان بجانب سلطانكم أعمل فيه ما يجب علي . والله سبحانه يصل
إعزازكم بتقواه ويسمكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلام مولانا كثيراً
أثيراً ، وكتب في اليوم الخامس عشر لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين
وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢٣٩/٢ - ٢٤٠

٣٠٤ - رسالة وزير سلطان غرناطة يوسف الأول علي بن كاشة إلى
دون بطره الولد الأكبر لدون منشه ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله .
مولاي ، الأفتن الكبير ، الأعز المرفع ، المبرور المشكور ، مُذَنِّبُ ذُرِّه ،
أدام الله لنا أيامكم ، ووصل هدايتكم وإكرامكم ، يسلم عليكم مقبل يديكم
وخديكم علي بن كاشة من باب مولانا أيده الله ونصره ، وليس بفضل الله
سبحانه ، ثم ببركة أيام مولانا ، أدامها الله ، إلا الخير واليسر ، والحمد لله
كثيراً ، الذي وجب به تعريفكم أنه وصل خديكم رمون بويل وقضى
رسالته كما يجب ، وعمل أعمال الفرسان الجياد وأدخلني في محبتكم وخدمتكم
وأنا يامولاي عملت في خدمتكم ما يعرفكم به خديكم رمون بويل . وتكلم
أيضاً رمون بويل مع مولانا نصره الله ، وفي حق أن تلك الدار وهذه الدار
واحدة ، فترى يصلكم كتاب مولانا السلطان ، وهو كتاب محبة وصحبة .
وترى يصلكم يامولاي قوس أفرنجي . وكذلك يامولاي تقبل يد مولاي
الأفتن أخيك ذن جيميه . وكذلك يصل له قوس أفرنجي ، وذلك يامولاي

في حقكم . ومعاد السلام عليكم ورحمة الله وهدايته . وكتب بتاريخ الخامس عشر لشهر ذي الحجة من عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٣٢٣ / ٢

٣٠٥ - رسالة سلطان غرناطة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل

الى دون بتره ملك أراغون .

الحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا ومولانا محمد ، نبيه وعبد .
وصل الله عزتكم بتقواه ، وأسعدكم بطاعته ورضاه . ألقى إلينا رسولكم ريمون بيل الشكايات لأهل أرضكم فكان في جملتها قضية الفيوك^(١) الذي أخذه أهل المرية في العام الفارط ، وقد خلاصت قضيته ، ورد إليكم بآلاته كلها ، وكل ما كان فيه من سلع كانت قد بيعت بالمرية فنقد ، لصاحبها ثمنها بديوان المرية وتخلص منه ، وقضية ابن الحسين صاحب الشيني الذي ذكرتم أنه تعرض لأرضكم في الصلح قد بحث عن جميع ما أوصله ، وذلك جفنان اثنان ، كان أحدهما قد استقر بمالقة والآخرة بيرة ، وقد مكن منها أصحابها الواصلون عنها ، واستقصى البحث عن كل ما أوصله من النصارى ، وكانوا سبعة عشر ، وجها كلهم بجملتهم مع رسولكم ، وهم يصلونكم ، وقد كان وجه من النصارى قبل ذلك مع القائد أبي الحسن ابن كماشة ثمانية عشر .

وأما السلع فما وجد منها قبضه أصحابه الواصلون من قبلكم ، واعلموا أن الرئيس ابن الحسن الذي صدر عنه ما ذكرتم كان قد كتب في شأنه محل أئينا السلطان المعظم الأوحده ، أمير المسلمين أبو الحسن ، أيده الله ليوجه إليه هو وكل ما وصل به . وقد وجه إليه هو والأعلاج الذين ... في حركته الأخيرة ، وجميع ما وصله ، فإن كان نقصكم شيء مما أخذه فأنتم

(١) الفيوك : مصغر فلوك .

تكتبون في ذلك إلى المقام العالي ، أسماء الله ، ونظره أجل . وما أوجب الإبطاء بتوجيه ذلك كله ، إلا أنه قرر عندنا أن الأعلاج المذكورين ، والسلع من أرض الحرب . فلما وصل كتابكم صدقناكم في ذلك ، وأمرنا برد جميع ذلك كله ، وتسريحه بجملته ، تصديقاً لقولكم ، وتوفية لقصدكم والله يصل سعادتكم بتقواه ، ومعاد السلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً ، كتب في الرابع لذي الحجة مختتم عام خمسة وثلاثين وسبع مئة .
الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

٣٠٦ - رسالة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل سلطان غرناطة إلى دون پتره ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وآله وسلم تسليماً .

السلطان الأجل الأكرم ، المرفع المبرور المشكور ، الأوفى الأخلص دون بطره ملك أراغون ، وسلطان بلنسية ، وقرسنة ، وسردانية ، وقط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه وأسعده بطاعته ورضاه . مكرم جانبه وشاكر مقاصده في الصحبة ومذاهبه الأمير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آس وما إليها ، وأمير المسلمين ، أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله - وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكل ، والبشر الأشمل ، والحمد لله كثير وأنحن نعلم ما لكم في ملوك النصرانية من القدر المشهور ، والوفاء المشكور ونقابل جانبكم من الكرامة ، بالخط الوفور ، وقد وصلنا الكتاب الذي وجهتم إلينا ، الذي يتضمن تثبيت العهد ، وتوكيد الود ، وتصحيح العقد وإخلاص الصفاء ، وتجديد الوفاء ، فقابلنا ذلك بشكره ، نجده لملككم .

وإخلاص صادق في صحبتكم ، ثم إنه بلغنا أن والدكم السلطان المرفع دون
 الفونشو مات وأنكم ورثتم مملكته التي أتم أحق بها ، فرأينا أن وجهنا
 كتابنا هذا إليكم ، نعزيكم في الوالد ، ونهنيكم بالملك ، حسبما يقتضيه حق
 الصحة التي بيننا التي تأكد رسمها ، ونعرفكم أننا ما عندنا إلا ما يرضيكم
 من الاعتقاد فيكم ، والحفظ لمهدكم والشكر لقصدكم ، فكونوا من ذلك على
 يقين ، ومما نعرفكم فيه أن خدينا بشقلين سريحة ، كتب إلينا في أمور مما يخص
 جهتكم ، وقد كتبنا إليه في جوابها ما تتعرفونه من قبله ، فصدقوه فيما يليق به
 عنا إليكم ، واعلموا أنه لما وصلنا خبر موت والدكم كتبنا إلى بلادنا الشرقية
 كلها أن لا سبيل لأن ينطرق لجهة أرضكم أحد بضرر ، والله تعالى يصل
 عزتكم بتقواه ويسعدكم برضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب
 في السابع والعشرين لجمادى الآخرة عام ستة وثلاثين وسبع مئة ، عرف
 الله بركته .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

٣.٧ - رسالة وزير السلطان يوسف الأول بن إسماعيل سلطان
 غرناطة رضوان بن عبد الله إلى دون بتره ملك أراغون

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
 وصحبه وسلم تسليماً .

مولاي السلطان المعظم الأجل المكرم المرفع الأوفى الأشهر المبرور المشكور
 دون بطره سلطان أراغون وبلنسية ، وسردانية ، وقرسقة ، وقط برجلونة ، وصل
 الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعته ورضاه ، معظم ملككم الشير الزكي القائم بجانبكم
 المعظم بموصول الثناء ومستمر الشكر ، وزير السلطان رضوان بن عبد الله ،
 كتبه إليكم من باب مولاه ، أيده الله ، بحمراء غرناطة ، حرسها الله ، ولا جديد

بفضل الله سبحانه ، ثم ببركة هذا الأمير الكريم ، أيد الله سلطانه ، إلا
 الخير الميم ، والحمد لله . وعن العلم بما لكم من الملك ، المرفع الجانب
 والشكر لما عندكم من الوفاء ، الذي حصلتم منه على أجل المواهب ،
 واختصتم منه بأكرم المذاهب ، ووصل كتابكم المكرم صحة كاتبكم إلى
 مولاي السلطان ، أيدته الله ، بتجديد الصلح الذي كان بين أسلافه وأسلافكم
 الذي عقده عليه بشقلين سريجة ، وقد أنعم بكتب عقد عن مقامه بنص
 المقد الذي وجهتم وعلى حسب فصوله ، وما عنده ، أيدته الله ، إلا الحفظ
 لمهدكم والارتباط لصحبتهكم فكونوا من ذلك على يقين ، واعلموا أنني لا
 أزال أعمل في توفية حفظ ذلك الصلح ، وتكميل أموره وما هو الواجب
 عليّ في خدمة مولاي ، أيدته الله حتى تتمشى الأمور على ما يقتضيه الحق
 ويوجبه الوفاء . وأما ما ذكرتم من اعتقادكم الجليل وكرامتكم ، فذلك فضل
 منكم أشكركم عليه غاية الشكر . ومثلكم من الملوك الكبار من يصدر
 عنه قول الخير وفعله ، والله تعالى يصل عزكم بتقواه ويسعدكم بطاعته
 ورضاه والسلام راجع سلامكم كثيراً أثيراً ، كتب في اليوم الرابع لذي
 الحجة عام ستة وثلاثين ومبضع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٤٣ - ٢٤٤

٣٠٨ - رسالة السلطان يوسف الأول بن إسماعيل ملك غرناطة إلى
 دون بتره ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم
 وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

السلطان الأجل ، المرفع المكرم ، المبرور المشكور ، الأوفى الأخلص ، دون
 بطرة ملك أراغون ، وسلطان بلنسية ، وصاحب سرديانية ، وقط برجلونه ،
 وصل الله عزته بتقواه ، وأسمده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر

مقاصده في الوفاء ومذاهبه ، حافظ عهده والبر به ، العارف بمجمله في الملوك ومنصبه ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرمها الله - وليس بفضل الله إلا الخير الأكمل ، واليسر الأمثل ، والحمد لله كثيراً ، وعن الحفظ لمهكم والثناء على مذهبكم في الوفاء وقصدكم ، والعلم بمنصبكم في ملوك النصرانية ، ومجدكم وإلى هذا فقد وصلنا كتابكم جواباً عما كتبناه إليكم ، في شأن الضرر الذي لحق بلادنا من أرضكم ، تذكرون أن ذلك الضرر لا علم عندهم به ، وحاشا لله أن يعتقد فيكم إلا الوفاء ، الذي يليق بمملكتكم وسلفكم ، فثلكم من الملوك الكبار لا يعتقد منه إلا الوفاء والصدق وما ذلك الضرر إلا من أهل الأرض . وأكثره من الناس الخارجين عن طاعتكم من لقت وأريولة ، والأرض التي لنظر بطره شارقة ، ومع ذلك فإنه ضرر كبير . ومنه ما هو من البلاد التي تحت طاعتكم . ففي هذه الأيام أضرب هذه السواحل شيني ، وحمل من المسلمين حملة ... (١) بيلنسية . فالقصد منكم أن تنظروا في هذا الحال بما هو المعلوم من وفائكم وغيرتكم على عهدكم ، حتى تجدوا ما أخذ من المسلمين وأموالهم ، وعرفونا بما عندهم في قضية تلك البلاد التي خرجت عن طاعتكم لنعلم مذهبكم في ذلك ، ونبي عليه ، وعرفتم بأنكم قد كتبتم إلى ميورقة ، ليوصل إليكم منها المفسدون الذين خرجوا على عهدكم ، وأضروا بالمسلمين لتعملوا في قضيتهم الواجب ، وذلك هو الذي يليق بكم ونشكركم عليه ، ووقفنا في آخر كتابكم على فصل طلبتم منا فيه أن نعرفكم مذهبنا في الصلح ، فإنكم صعب عليكم ما تضمنه كتابنا ، وأنه لا صبر على هذا الضرر ، فاعلموا أن قصدنا بما كتبناه إليكم ما هو إلا ... (١) في ذلك الضرر .

(١) جملة لم تتمكن من قراءتها .

وأما ما عقدناه من الصلح فنحن نوفي به على حسب ما اشترطناه ما وقيتم
لنا ، أيها السلطان ، فكونوا من ذلك على يقين . والله سبحانه يصل عزتكم
بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه ، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً .
وكتب في يوم الخميس الثالث والعشرين لشهر محرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين
وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٠ - ٢٣٢

٣٠٩ - رسالة أرسلها سلطان غرناطة يوسف الأول : أبو الحجاج
إلى الدون بتره ملك أراغون وكتلونية :

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله
الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً السلطان الأجل ، المرفع المكرم
المبرور المشكور . الأوفى الأخلص ، دون بطره ملك أراغون ، وسلطان
بلنسية ، وسردانية وقرصقة ، وقط برجلونة . وصل الله عزته بتقواه ،
وأسعده بطاعة الله ورضاه . مكرم جانبه ، وشاكر مقاصده ، في الوفاء
ومذاهبه ، الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل
ابن فرج بن نصر سلطان غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آس
ومايلها . أما بعد : فإننا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حرسها الله -
وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله
كثيراً . وعن العلم بحكمكم في الملوك الأوفياء . والشكر بما لكم في الصحة
من المذاهب ، والأنحاء ، وإلى هذا فوجهه إليكم هو أنه حدثت شكايات
في هذا الصلح رفع إلينا فيها أهل بلادنا وطلبوا خلاصها ، فافتضى
نظرنا إن وجهنا إليكم كتابنا هذا صعبة سفير بها ، ومن هذه الشكايات
ما صدر عن أهل بلادكم من أخذ أسارى ، وحملهم إلى أرض غير

أرضكم ، وبيعهم لهم بها ، ونحن نعلم أنكم أوفى ملوك النصرانية ، وأنك ما عرفت إلا بالوفاء قديماً وحديثاً ، فقصدنا منكم أن تعملوا في هذا الحال ما تقتضيه غيرتكم على عهدكم ، ومحلكم من الوفاء ، وتأمرؤا بخلاص الشكايات على الوجه الذي يقتضيه نظركم ، ويكون ذلك مما نشكره من أعمالكم ، وزداد به علماً بوفائكم ، وحسن مصادقتكم . وقد وجهنا إليكم برسم هذه الشكايات بملوك جانبنا القائل بشيراً ، ومعه أوثقين ولد خدينا وخديكم بُشقلين شرنجة ، وأنتم تفعلون ما هو اعتقادنا فيكم وما نعلمه من مقاصدكم في الوفاء ومناحيكم . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب في اليوم الرابع والعشرين لشهر محرم مفتتح عام سبعة وثلاثين وسبع مئة . عرف الله خيره .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠

٣٢٠ - رسالة السلطان يوسف الأول بن اسماعيل ملك غرناطة

إلى الدون بتره ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . السلطان الأجل ، الأوفى الأخلص ، المبرور المشكور - المرفع المكرم - دون بطره ملك أراغون ، وبلنسية وميورقة ، وسردانية ، وقرسقة ، وقط برجلونة ، وصل الله عزته بتقواه ، ويسره لما يحبه ويرضاه . مكرم دولته ، البر بجانبه ، الشاكر لمقاصده في الوفاء ، ومذاهبه الأمير عبد الله بن أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج ابن نصر سلطان غرناطة ، ومالقة ، والمرية ، ووادي آش ، وما إلى ذلك وأمير المسلمين . أما بعد : فكتبناه إليكم من حمراء غرناطة - حماها

الله - وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وجانبكم مبرور ، ومحكمكم في ملوك النصرانية معلوم مشهور . وإلى هذا فوجه إليكم هو أن شخصين من أهل المرية . يعرف أحدهما بعلي بن بكرون الصائع ، والآخر بسعيد بن أحمد الحجام أخذاً في جفن الرخاج وهما خارجان من مالقة ، وثبت عندنا عقد صحيح أنها أخذاً في نصف شهر صفر الفارط قريباً ، ونصف صفر موافق للسابع والعشرين ليونيو المتصل بشهر مايو . وصلحنا معكم عقد بتاريخ الرابع عشر من الشهر العجمي المذكور ، فظهر من ذلك أنها أخذاً بعد عقد الصلح باثني عشر يوماً . وهذان المسلمان وصل بهما إلى المرية نصراني من بلنسية يروم فداءهما ، فرفع إلينا قرابتهما وعرفونا أنها أخذاً في الصلح ، فرأينا إن حكمنا على قرابتهما بأداء الفدية للنصراني ، ثقة بأنكم تخلصون القضية ، وتحكمون على من اشتراها أو باعها بعد أخذها في الصلح بغرم مايجب ذلك . ففرضنا منكم أن تعملوا في هذه القضية ما هو المعلوم من وفائكم ، حتى يخلص قرابة الأسيرين من الفدية التي غرموها بغير حق . تعملوا في ذلك واجب الوفاء الذي نشكره لكم . والله يصل عزتكم بتقواه ويسركم لما يحبه ويرضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . كتب في الثامن والعشرين من شهر رجب الفرد عام خمسة وأربعين وسبع مئة .

ملاحظة :

الحق بنص هذه الرسالة سطران بخط مغاير لخط الرسالة الأصلية ، وهو دونه في الحسن ، ويعتقد أنها خط سلطان غرناطة نفسه ونصها كما يلي :

والفدية التي افتكوا بها ، وحكمنا عليهم بغرمها للنصراني الذي أوصلهم

هي اثنان وخمسون ديناراً من الذهب العين ، سواء بينهما ، فعرفناكم بذلك بعد الوقوف على عقود الفدية بذلك . ومعاد السلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وفي تاريخه .

الحلل السندسية لشكيب ارسلان ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤

٣١١ - رسالة أرسلها السلطان يوسف الأول بن إسماعيل ملك غرناطة إلى دون بتره ملك أراغون .

بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه ، أننا الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادي آش وما إليها وأمير المسلمين ، لما انعقد الصلح بيننا وبين السلطان الأجل ، المرفع الأوفي المبرور الأخلص ، دون بطره سلطان أراغون وبلنسية وقرسقة وميورقة وسردانية وقطبرجلونة ، أسعده الله بطاعته ورضاه . طلبنا من محل أئينا السلطان الجليل المعظم الأشهر الأوحده أمير المسلمين أبي الحسن سلطان العدو أن ينعم بالإذن لنا في عقد صلح معه على بلاده ، على ما جرت به عوائد صلحه مع تلك المملكة ، وأعطانا مقدرة لعقد ذلك ، فاقضى نظرنا أن وجهنا إلى السلطان دون بطره برسم عقد الصلح معه على بلاد السلطان أبي الحسن بالعدوة والأندلس ، القائد الأجل الأعز الأرفع الأجد الحسيب الأصيل الأفضل خاصتنا ، الخطي لدينا المبرور الأخلص أبا الحسن بن كاشة ، وصل الله عزته ، وأمرنا له بهذا المکتوب ظهيراً على أن ما يعقده في ذلك ، فنحن نغضيه ونلتزم حكمه ، ونلزمه من أذن لنا فيه ، بما عندنا من قبل السلطان ، ولأن يكون هذا ثابتاً ، ولا يلحق فيه شيئاً ،

أمرنا بكتب هذا المکتوب ، وجمالنا عليه خط يدنا وطاقنا شاهداً علينا ،
بإمضاء حكمه . وذلك في السادس عشر لشعبان من عام خمسة وأربعين
وسبع مئة .

الحلل السندسية لشكيب أرسلان ٢ / ٢٣٤-٢٣٥

٣١٢ - رسالة وجهها سلطان غرناطة يوسف الأول ابن اسماعيل ملك
غرناطة إلى السلطان أبي عنان المريني .

حاصر ملك قشتالة جبل الفتح من بلاد الأندلس ، وأنكى في مملكة
غرناطة ، وأوشك الجبل على السقوط بيده ، ولكن حدث أن توفي ملك
قشتالة أثناء الحصار ، ورحل جيشه بعد فك الحصار عائداً إلى بلاده ، وفرج
الله عن مملكة غرناطة ، فأرسل ملكها إلى السلطان المريني في مراكش يخبره
بذلك ويقول : والرسالة من إنشاء ابن الخطيب .

المقام الذي أنارت آيات سعده في مسطور الوجود ، وتبارت جياذ مجده
في ميدان البأس والجد ، وضمت إيلته لمن بهذه الأقطار الغريبة تجديد
السعود وإعادة العهد . واختلفت كتائب تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها
ويومه المشهود . مقام محل أخينا الذي زفمه ونعظمه ، ويوجب له الحق العلي
موضعه ، السلطان أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد
ابن السلطان أبي سعيد ابن عبد الحق - أبقاه الله يتهلل للبشرى جنابه ،
 ويفتح لوارد الفتح الإلهي بابه ، وتعمل في سبيل الله مكارمه وعزائمه وركابه
ويتوفر بالجهاد فيه مجده وسعده وفخره وثوابه . معظم قدره الأمير عبد الله
يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم ،
مشفوع بالبشائر والتهاني ، محفوف الركاب ببلوغ الأماني ، ورحمة الله تعالى
وبركاته .

أما بعد حمد الله مطلع أنوار الصنائع العجيبة ، متألقه الفرر ، ومنشئ

سحائب اللطاف ، الكريمة الأوصاف ، هامية الدرر ، الكريم الذي يحيب دعوة المضطر إذا دعاه . ويكشف سوء وما أمره إلا واحدة كلح بالبصر ، حجب كامن أظافه عن قوى الفطن ومدارك الفطر ، فما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي المعجزات الباهرة والآيات الكبرى ، الذي بجماهه الحصين تمتنع عند استشعار الحذر ، وبنور هداه نستضيء عند التباس الورد والصدر ، فنحصل على الخير العاجل والمنتظر ، والرضا عن آله وأصحابه الكرام الأثر ، الذين جنوا من أفنان الصبر في الله ثمار الظفر ، وفازوا من إنجاز الوعد بأقصى الوطر ، وانتظموا في سلك الملة الرفيعة انتظام الدرر . والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال المسرات وتوالي البشر ، والسعد الذي تجري بأحكامه النافذة تصاريق القدر ، والصنع الذي تجلي عجائبه في أجمل الصور - فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من حظوظ فضله وإحسانه أجزل الأقسام ، وعرفكم عوارف نعمه الثرة ، وآلائه الجسام - من حمراء غرناطة - حرمها الله ، واليسر بفضل الله طارد الأزمات بعدما قعدت ، وكشف الشدائد بعدما أبرقت وأرعدت ، ثم ما عندنا من الاعتداد بآيالتكم التي أنجزت لنا في الله ما وعدت ، ومددنا إليها يد الانتصار على أعدائه فأسمعت ، إلا الصنع العجيب ، واليسر الذي أتاح أظافه السميع الحبيب ، واليمن الذي رفع عماده التيسير الغريب ، ومدرواقه الفرج القريب وإلى هنا ، أيديكم الله على أعدائه ، وأجزل لديكم مواهب آلائه ، وحكم للإسلام على أيديكم بظهوره واعتلائه ، وعرفكم من أخبار الفتح الهني المدفع وأنبائه كل شاهد برحمته واعتنائه . فإننا كتبناه إليكم لنحقق لديكم البشرية التي يمثلها تنضي الركاب ويخاض العباب ، ونعرض عليكم ثمرة سعدكم الجديد الأثواب - المفتوح للأبواب ، علماً بما عندكم من فضل الأخلاق ، وكرم

الأعراق، وأصالة الأحساب، والمعرفة بمواقع نعم الله التي لا تحصى خلقه على حساب، والعناية بأمور هذا القطر الذي تعلق بأذيال ملككم السامي الجنب وقد تقرر لدى مقامكم الأسنى، ما كانت الحال آلت إليه بهذا الطاغية الذي غره الإمهال والإملاء، وأقدمه على الإسلام التمهيط المكتوب والابتلاء فتلا تيهاً وعجياً، وارتيب من قهر هذه الأمة المسلة مركباً صعباً، وسام كلمة الإسلام بأساً وحرباً، فكتائب بره توسع الأرجاء طغياً وضرباً، وكتائب بحره تأخذ كل سفينة غصباً، والمخاوف قد تجاوزت شرقاً وغرباً، والقلوب قد بلغت الحناجر غمماً وكرباً. وجبل الفتح الذي هو باب هذه الدار وسبب الاستعلاء على الأعداء والانتصار، وملك الملة الحنيفة إلى هذه الأقطار قد رماه ببوائقه، وصير ساحته بحر عواليه، وبحرى سوابقه، واتخذ دار مقامه، وجعل شغل يقظته، وحلم منامه، ويسر له ما يجاوره من المعازل إملاء من الله لأيامه، فاستقر به القرار، واطمأنت الدار، وطال الحصار وعجزت عن نصره الخيل والأنصار، ورجت الظنون وساءت الأفكار، وشجر نظار القلوب الاضطرار إلى رحمة الله والافتقار، فجهز الله الخواطر لما عظم بها الانكسار، ودار بإدالة الإسلام الفلك الدوار، وتمخص عن عجائب صنع الله الليل والنهار، وهبت نواصم الفرج، عاطرة الأرج، بمن يخلق ما يشاء ويختار، لا إله إلا هو الواحد القهار.

وبينا نحن نخوض من الشفقة على ذلك المعقل العزيز على الإسلام لجة مترامية المعاطب، ونقتعد صعباً لا يليق بالراكب، ولولا التعلق بأسبابكم في أنواء تلك الغياهب، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامية المواهب ومواعيدكم الصادقة، ومكارمكم الغرائب، وكتبكم التي تقوم عند العدو مقام الكتاب، وإمدادكم المتلاحق، تلاحق العظام الجنائب، لما رجع الكفر بصفقة الخائب، إذ تجلى نور الفرج من خلال تلك الظلمة، وهمت سحائب الرحمة والنعمة على هذه الأمة، ورمي الله العدو بجيش من جيوش قدرته أغنى

عن العديد والعدة ، وأراننا رأي العيان لطائف الفرج من بعد الشدة ، وأهلك انطاغية حتف أنفه ، وقطع به عن أمه ، قاطع حتفه ، وغالته أيدي النون في غيله ، وانتهى إلى حدود القواطع القوية ، والأشعة المريحية نصير دليله ، فشفى الله منه داءً ، وأخذته أشد ما كان اعتداداً واعتداءً ، وحى الجزيرة الغربية وقد صارت نهبه طغاته ، وأشرقه بريقه ، وهي مضغة في لهواته ، سبحانه لا مبدل لملكاته .

فانثر سلكه الذي نظمه ، واختل تدبيره الذي أحكه ، ونطقت بتيار محلاته السنة النار ، وعاجلت انتظامها أيدي الانتشار ، وركدت ريحه الزعزع من بعد الأعصار ، وأصبح من استظهر به من الأشياخ والأنصار ، يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأيادي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وولوا به يمحون التراب فوق المفارق والترائب ، ويخلطون تبر السبال الصهب بذوب الذوائب ، قد لبسوا المسوح حزناً ، وأرسلوا الدموع مزناً ، وشقوا جيوبهم أسفاً ، وأضرمو قلوبهم تلهفاً ، ورأوا أن حصن استطبونة لا يتأتى لهم به امتناع ، ولا يمكنهم لمن يرومه من المساهين دفاع ، فأخلوه من مكانه ، وعاد فيه الإسلام إلى مكانه ، وهو ما هو من طيب البقعة ، وانفساح الرقعة ، ولو تمسك به العدو لكان ذلك الوطن بسوء جواره مكدوداً ، والمسلك إلى الجبل - عصمه الله - مسدوداً . فكان الصنيع فيه طرازاً على عاتق تلك الحلة الضافية ، ومزيداً لحسنى العارفة الوافية . فلما استجلينا غرة هذا الفتح الهني ، والمنح السني . قابلناه بشكر الله تعالى وحمده ، وضرعنا إليه في صلة نعمة فلا نعمة إلا من عنده ، وعلمنا أنه عنوان على مزيد ملككم الأعلى وعلامة على سعده ، وأثر نيته للإسلام ، وحسن قصده ، وفخر ذخره الله لأيامكم لانهاية لحده ، فإنكم صرتم وجه عنايتكم إلى هذا القطر على نأي الحل وبعده ، ولم تشغلكم الشواغل عن إصلاح شأنه وإجزال رفده .

وأما البلد المحصور ، فظهر فيه من عزمكم الأمضى ماصدق الآمال والظنون
وشرح الصدور بمقامكم ، وأقر العيون ، من صلة الامداد على الخطر ، وتردد
السابلة البحرية على بعد الوطن وتعذر الوطر ، واختلاف الشواني التي تسري
إليه مسرى الطيف ، وتخلص سهامها إلى غرضه بعد أني وكيف ، حتى
لم تعدم فيه مرفقة بسوء فقدانها ، ولا عدة يهيم شأنها ، فجزاؤكم عند الله
موفور القسم ، وسعيكم لديه مشكور الذم ، كافأ الله أعمالكم العالية الهمم
وخلالكم الزاكية الشيم ، فقد سعد الاسلام - والحمد لله - بملككم الميمون
الطائر ، وسرت أنباء عنايتكم بهذه البلاد كالمثل السائر . وما هو إلا أن
يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، ويتنازع الأمر أصنافهم ، فتغتنمون
إن شاء الله فيهم الغرة التي ترتقبها العزائم الشريفة والهمم المنيفة ، وتجمع
شيمكم العليا بين فخر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكمال الذي لا شرط فيه
ولا تنيا . فاهنئوا بهذه النعمة التي خباها الله إلى أيامكم ، والتحفة التي بعثها
السعد إلى مقامكم ، فإنما هي بتوفيق الله ثمرة امـدادكم وعقبى جهادكم ،
أوزعنا الله وإياكم شكرها ، وألهمنا ذكرها .

عرفناكم بما اتصل لدينا ، وورد من البشائر علينا ، عملاً بما يجب لمقامكم
من الاعلام بالمتزيدات والأحوال الواردات ، ووجهنا اليكم بكتابنا هذا من
ينوب عنا في هذا الهناء ، ويقرر ماعندنا من الولاء ، ومايتزید لدينا بالأنباء
خالصة أنامنا ، التميز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا ، الحظي لدينا المقرب إلينا ،
القائد الفلاني أبا الحسن عباداً ، وصل الله عزته ، وعين وجهته . ومجدكم ينعم
بالإصناء إليه فيما أحلنا فيه من ذلك عليه . والله يصل سعديكم ويحرس
مجدكم ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ٤٠/٧-٤٤

هـ - محمد الخامس الغني بالله بن يوسف

٧٥٥-٧٦٠ و ٧٦٣-٨٧٩٣ / ١٣٥٤-١٣٥٩ و ١٣٦٢-١٣٩١ م

٣١٣ - مرسوم أصدره محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة يولي بموجبه ابنه الأمير يوسف مشيخة الغزاة في الأندلس ، وهو من إنشاء لسان الدين بن الخطيب .

هذا ظهير كريم ، فاتح بنشر الألوية والبنود ، وقود العساكر والجنود ، وأجال في ميدان الوجود جياذ لباس والجد ، وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود ، على الطائفين والعاكفين والركع السجود ، عقد لهتمد به عقد التشريف والقدر المنيف زاكي الشهود ، وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ، ومضاجع المهود ، وبشر السيوف في الغمود ، وأنشأ ربح النصر آمنة من الجود . أمضى أحكامه ، وأنهى العز ألامه ، وفتح عن زهر السرور والحبور كمامه ، أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر - أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره - لكبير ولده ، وسابق أمدده وريحانة خلده وياقوتة الملك على يده ، الأمير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى ، واسطة السلك وهلال سماء الملك ، ومصباح الظلم الحلك ، ومظنة العناية الأزلية من مدبر الفلك ومجري الفلك . عنوان سبعمه وحسام نصره وعضده وسمي جده ، وسلالة فضله ومجده ، السيد المظفر الهام الأعلى الأمضى ، العالم العامل الأرضي ، المجاهد المؤمل المعظم أبي الحجاج يوسف ، ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حلالاً لا تخلق جذتها الأيام ولا تبلغ كنهها الأفهام ، وبلنه في خدمته المبالغ التي يسر بها الاسلام ، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام ، وجرس مغاليها الباهرة بعينه التي لا تنام ، وكنفه بركنه الذي لا يضام ، فهو الفرع الذي جرى فضله على أصله ، وارتسم نصره

في نصله ، واشتمل حده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله ،
وظهرت دلائل معادته في بدء كل أمر وإعادته ، لما صرف وجهه إلى ترشيحه ،
لاقتراع هضاب الجهد البعيد المدى وتوشيعه بالصبر والحلم ، والبأس والندى ،
وأرهدف منه سيفاً من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا . وأطلعته في سماء
الملك بدر هدى لمن راح وغدا ، وأخذته بالآداب التي تقيم من النفوس أوداً
وتبذر في اليوم فتجنى غدا . ورقاه في رتب المعالي طوراً فطوراً ، ترقى
البنات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول الله تعالى يداً باطشة بأعدائه ولساناً مجيهاً
عند ندائه ، وطارازاً على حلة علائه ، وغماماً من غمام آلائه ، وكوكباً
وهاجاً بسمائه ، وعقدله لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل
أن ينتقل عن فهده ، وظلله بجناح رابته ، وهو على كتد (١) دابته ، واستركب
جيش الإسلام ترحيباً بوفادته ، وتنويعاً بمجادته ، وأثبت في غرض الإمارة
النصرية سهم معادته ، رأى أن يزيد من عنايته ضروباً وأجناساً ، ويتبع
أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا لساناً ولباساً ، واتفقوا ابتغاء لمرضاة الله
والتماساً ، بمن كرم انماؤه ، وزينت بالحسب العلي سماؤه ، وعرف غناؤه ،
وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لا يدع من العناية فناً إلا وجلبه إليه ، ولا
مقادة فخر إلا جعلها بين يديه ، ولا حلة عز إلا أضفى ملابسها عليه . وكان
جيش الاسلام في هذه البلاد الأندلسية - أمتن الله سبحانه خلالها ، وسكن
زلزالها . وصدق في رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء آمالها - كلف همته ،
ومرعى ذمته ، وميدان اجتهاده ، ومتعلق أمل جهاده ، وممرج إرادته إلى
تحصيل معادته ، وسبيل خلاله إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أراحها ،
ولا طلبه إلا أجال قداحها ، ولا عزيمته إلا أورى اقتداحها ، ولا رغبة إلا

(١) الكند : جمع الكتفين .

فسح ساحبها ، آخذاً مدونته بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب ،
محسناً في تلقي الغريب وتأنييس المريب ، مستنجزاً له به وعد النصر العزيز ،
والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا المهد نظر من حكم الأغراض في حماته .
واستشعر عروق الحسائف لتشذيب كتابه . واشتغل عن حسن الوساطة لهم
بمصلحة ذاته ، وجلب حياته وتسمير ماله وتوفير أقواته ، ذاهباً أقصى مذاهب
التمعير بأمد حياته ، فانفرج الضيق وخلص إلى حسن نظره الطريق ،
وساغ الريق ورضى الفريق ، رأى - والله الكفيل لنجح رأيه ، وشكر
سعيه وصلة حفظه ورعيه - أن يجهد له اختياره ، ويحسن لديهم آثاره ،
ويستنبذ فيما بينه وبين سيوف جهاده وأبطال جلاده وحماة أحوازه وآلات
اعتزازه . من يجري مجرى نفسه النفيسة في كل مبنى ، ويكون له لفظ
الولاية وله - أيده الله تعالى - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتاب
ومقادة الجنائب ، وأجمة الأبطال ومزنة الودق الهطال ، المشتمة من الغزاة
على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام وأعلام الاسلام ، وسائر قبائل
بني مرين ليوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل أولي الوسائل ، ليحوط
جماعتهم ويعرف بتفقدته إطاعتهم ، ويستخلص لله تعالى ولأبيه - أيده الله تعالى -
طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم . ويزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك
سمادة الأقدار كواكبهم ، تقديماً أشرق له به وجه الدين الحنيف وتهلل ،
وأحس باقتراب ما أمل ، فلك خيل اختيال مزاح ، وللأسل السمر اهتزاز
وارتياح ، وللصدر انشراح ، وللآمال مغدى في فضل الله تعالى ورواح
فليتول ذلك - أسعده الله تعالى - تولى مثله بمن أسرة الملك أسرته ، وأسوة
النبي صلوات الله تعالى عليه أسوته ، والملك الكريم أصل فرعه ، والنسب
العربي محدد لطيب طبعه . آخذاً أشرافهم بترفيح المجالس بنسبة أقدارهم ،
مغنياً حسن اللقاء بإشارهم ، شاكراً غناءهم ، مستدعياً ثناءهم ، مستندراً

لأرزاقهم ، موجباً المزية بحسب استحقاقهم ، شافعاً لديه في رغباتهم المؤملة ،
ووسائلهم المتحملة ، مسهلاً الإذن لو فودهم المتلاحقة ، منفقاً لبضائعهم النافقة ،
مؤنساً لغرمائهم ، مستجلباً أحوال أهلهم وآبائهم ، مميزاً بين أغفالههم ونبهاهم
وعلى جماعتهم - وعن الله تعالى جهادهم ووفر أعدادهم - أن يطيعوه في طاعة الله
تعالى ، وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدة على دفاع أعداء الله تعالى وأعدائه
ويشدوا في مواقف الكريهة أزره ، ويمتثلوا نهيته وأمره ، حتى يعظم الانتفاع
ويشهر الدفاع ، ويخلص المصال لله تعالى والمصاع . فلو وجد - أيده الله تعالى -
غاية في تشریفهم لبلغها ، أو موهبة لسوغها . لكن ما بعد ولده العزيز عليه
مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مغرب ، والله تعالى منتجح الآمال ومبلغ
الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ماتضمنه من أمر مطاع
وفخر مستند إلى إجماع ووجوب اتباع ، وليكن خير مرعي لخير راع ،
بحول الله تعالى .

وأقطعه - أيده الله تعالى - ليكون بعض المواد لأزواد سفره ، وسماط
نضره ، في جملة ما أولاه به من نعمة ، وسوغه من موارد كرمه جميع
القرية المنسوبة إلى عرب عنان ، وهي الحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ، تنطلق
عليها أيدي خدامه ورجاله ، جارية مجرى صريح ماله ، محررة من كل
وظيفة لاستغلاله ، إن شاء الله تعالى ، فهو المستعان مبيحانه ، وكتب
في كذا .

نفع الطيب للمقري ٢/٤٩-٥٤

٣١٤ - موسوم أصدره محمد الخامس المغربي باب سلطان غرناطة بتعيين
أبي الحسن النباهي قاضياً ، من إنشاء ابن الخطيب .
هذا ظهير كريم ، أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودل على ما رضي الله

وجل التماسه ، وأطلع نور العناية الذي يحل الظلام بنبراسه ، واعتمد بمثابة العدل من عرف بافتراح هضبتها ناسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع في قبة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه ، والمجد أمانه ، أمر به وأمضى العمل بمقتضاه ، وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أوامره وخلد مفاخره - لقاضي حضرته العلية ، وخطيب حمرائه السنية ، المخصص لديه بترفيه الزية ، المصروف إليه خطاب القضاة بأياته النصيرية ، قاضي الجماعة ومعروف الأحكام الشرعية المطاعة ، الشيخ الكذا أبي الحسن ابن الشيخ الكذا أبي محمد ابن الحسن - وصل الله سعادته ، وحرس مجادته ، وسنى من فضله إرادته - عصب منه جبين المجد ، بتاج الولاية ، وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية ، وتجاوز النهاية - ما ألقى منه يمين عراية السراية ، وأحله منه محل اللفظ من المعنى ، والإعجاز من الآية ، وخشر إلى مدعاة ترفيعه وجوه البر ، وأعيان العناية ، وأنطق بتبجيله ألسن أهل جيله بين الافصاح والكناية . ولما كان له الحسب الأصيل الذي شهدت به ورقات الدواوين والأصالة التي قامت عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين اعتد بمضاء قضائهم الدين ، وطبق مقاصد الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وازدان بمجالسة وزرائهم السلاطين ، فمن فارس حكم أو حكيم تدبير ، وقاضٍ في الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينها جمع سلامة لا جمع تكسير ، تعدد ذلك وإطرد ووجد مشرع المجد عذباً فورد ، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد ، وفردى الفرى في يد الشرع فأشبه السيف البرد ، وجاء في أعقابهم محبياً لما درس بما حقق ودرس ، جانياً ما بذر السلف المبارك واغترس ، طاهر النشأة وقورها ، محمود السجية مشكورها ، متحلياً بالسكينة ، حالاً من الزاهية

بالمكانة المكيّة ، ساحباً أذيال الصون ، بعيداً عن الاتصاف بالفساد من لدن
 الكون ، فخطبته الخطط المليّة ، واغتبطت به المجادة الأولى ، واستعملته
 دولته التي ترتاد أهل الفضائل للرتب ، واستظهرت على المناصب بأبناء التقى
 والحسب والفضل ، والمجد والأدب ، ممن يجمع بين الطارف والتالد ، والإرث
 والمكتسب . فكان معدوداً من عدول قضاتها ، وصدور نهائنها ، وأعيان وزرائها
 وأولي آرائها ، فلما زان الله تعالى خلافته بالتمحيص المتحلي من التخصيص ، وخلص
 ملكه الأصيل كالذهب الابريز بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه ، الطاب
 للحق لسيف الحق ، وسلك في مظاهرتة أوضح الطرق ، وجادل من حاده
 بأمضى من الحداد الذلق ، واشتهر خبر وفائه في الغرب والشرق ، وصلى
 به صلاة السفر والحضر ، والأمن والحذر ، وخطب به في الأماكن التي
 بعد بذكر الله عهدهما ، وخاطب عنه - أيده الله تعالى - المحاطبات التي حمد
 قصدها ، حتى استقل ملكه فوق سريره ، وابتهج منه الاسلام بأميره وابن
 أميره ، ونزل الستر على العباد والبلاد ببركة إيلته وعين تديره ، وكان الجليس
 المقرب الحل ، والخطي المشاور في العقد والحل ، والرسول المؤتمن على الأسرار
 والأمين على الوظائف الكبار ، مزين المجلس السلطاني بالوقار ، ومتحف
 الملك بغريب الأخبار ، وخطيب منبره العالي في الجمعات ، وقارئ الحديث
 لديه في المجتمعات ، ثم رأى - أيده الله تعالى - أن يشرك رعيته في نفعه ،
 ويصرف عوامل الخطوة على مزيد رفعة ، ويجلسه مجلس الشارع ، صلوات
 الله عليه ، لإيضاح شرعه ، وأصله الوثيق وفرعه ، وقدمه - أعلى الله تعالى
 قدمه ، وشكر آلاءه ونعمه - قاضياً في الأمور الشرعية ، وفاصلاً في القضايا
 الدينية ، بحضرة غرناطة المليّة ، تقديم الاختيار والانتقاء ، وأبقى له فخر
 السلف على الخلف ، والله تعالى يتممه بطول البقاء ، فليتول ذلك عادلاً في
 الحكم ، مهتدياً بنور العلم ، مسوياً بين المصوم حتى في لحظه والتفاتة ،

متصفاً من الحلم بأفضل صفاته ، مهياً في الدين ، رؤوفاً بالمؤمنين ، جزلاً في الأحكام ، مجتهداً في الفصل بأمضى حسام ، مراقباً لله عز وجل في النقص والإبرام ، وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق ، والتثبت حتى ينتج قياس التحقيق ، باراً بمشيخة أهل التوثيق ، عادلاً إلى سمة الأقوال عند المضيق سائراً من مشورة المذهب على أهدي طريق ، وصية أصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع ، ويملي الله بها الدرجات ويرفع ، وإلا فهو عن الوصاة غني - وقصده قصد سني ، والله عز وجل ولي إعانتة ، والحارس من التبعات أكناف ديانتة ، والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانتة . وأمر - أيده الله تعالى - أن ينظر في الأحباس على اختلافها ، والأوقاف على شتى أصنافها واليتامى التي انسدت كفالة القضاة على أضماها ، فيزود عنها طوارق الخلل ، ويجري أمورها بما يتكفل لها بالأمل . وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة في أخراه ، فيدرع جنة تقواه . وسبحان من يقول : (إن الهدى هدى الله ^(١)) . فعلى من يقف عليه أن يعرف أمر هذا الاجلال ، صائناً منصبه عن الاخلال ، مبادراً أمره الواجب الامتثال بحول الله ، وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبع مئة ، عرف الله سبحانه فيه هذا المقام العلي ، عوارف النصر المبين والفتح القريب ، بئنه وكرمه ، فهو المستعان لارب غيره .

نفح الطيب للمقري ٧ / ٥٩ - ٦٢

٣١٥ - خطاب ونداء وجهه السلطان محمد الخامس الفني بالله ، سلطان غرناطة إلى المسلمين بعامة ، وحكام المغرب بخاصة ، من أجل إنجاد الأندلس ، وغوثها من إنشاء ابن الخطيب .

(١) سورة آل عمران الآية ٧٣

أيها الناس : رحمكم الله . إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دم العدو - قصمه الله - ساحتهم ، ورام الكفر - خذلهم الله - استباحتهم ، وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ، ومدّ الصليب ذراعه إليهم . وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ، وهو دينكم فانصروه . وجواركم القريب ، فلا تحفروه ، وسبيل الرشيد قد وضع فلتبصروه ، الجهاد الجهاد ، فقد تعين ، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين . الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله ، فقد استغاث الدين فأغيثوه . قد تأكد عهد الله ، وحاشاكم أن تنكثوه . أعينوا إخوانكم بما أمكن من الاعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم جميع العوائد . . . أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت .
نهاية الأندلس لعنان - ١٨٩

٣١٦ - رسالة أرسلها سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى السلطان أبي السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يشكره على إرساله طاهاماً إلى الأندلس ، ويخبره باسترجاع حصن من الاسبان اسمه قنييط ، من إنشاء ابن الخطيب .

المقام الذي تحدثت بسمادته دولة أسلافه ، واتفق به قولها من بعد اختلافه ، وعاد العقد إلى انتظامه ، والشمل إلى ائتلافه ، مقام ولينا في الله الذي هيا الله له من جميل صنعه أسباباً ، وفتح به من مبهم السعد أبواباً ، وأطلع منه في سماء قومه شهاباً ، وصفيينا الذي نسب القول في شكر جلاله ووصف خلاله إسهاباً ، السلطان أبو سعيد عثمان ابن الأمير أبي زيد ابن

الأميرأي زكريا ابن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان ، مع ذكر ألقاب كل منهم بحسبه ، أبقاه الله للدولة الزيرية ، زين بالأعمال الصالحة أجيادها ، ويملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويُجري في ميدان الندى والبأس ، ووضع العرف بين الله والناس جياها ، سلام كريم كما زحفت للصباح شهب المواكب ، وتفتحت عن نهر الحجرة أزهار الكواكب ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله جامع الشمل بعد انصداعه وشتاته ، وواصل الحب بعد انقطاعه ، وانباته ، سبحانه لا مبدل لكلماته ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الصادع بآياته ، المؤيد بيناته ، الذي اصطفاه لحمل الأمانة العظمى ، وحباه بالقدر الرفيع والحل الأسمى ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، والرضا عن آله وصحبه وأنصاره ، وحزبه وحماته ، المتواصلين في ذات الله وذاته ، القائلين بنصر دينه وقهر عداته ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سعداً ثابت الأركان ، وعزاً سامي المكان ومجداً وثيق البنيان ، وصنعاً كريم الأثر والعيان ، من حمراء غرناطة - حرسها الله - والثقة بالله سبحانه أسبابها وثيقة ، وأنسابها عتيقة . والتوكل عليه لا تلتبس من سالكه طريقة ، ولا تختلط بالحجاز منه حقيقة ، وعندنا من الاعتداد بكم في الله عقود مبرمة ، وآي في كتاب الإخلاص محكمة ولدينا من السرور بما مناه الله لكم من أسباب الظهور الذي حله مُعملة ، وحججه البالغة مسلمة ، ما لاتفي العبارة ببعض حقوقه الملتزمة ، وإلى هذا - أيد الله أمركم - فإننا ورد علينا فلان ، وصل الله كرامته وسنى سلامته صادراً عن جهنكم الرفيعة الجانب ، السامية المراقب ، طلق اللسان بالثناء بما خصكم الله به من فضل الشائل ، وكرم المذهب ، محدثاً عن بحر مكارمك بالعجائب ، فحضر بين يدينا ماقياً ما شاهدته من ازدياد المشاهد بتلك الإيالة ،

واستبشار المعاهد بمودة ذلك الملك الرفيع الجلالة ، الشهير الأصالة ، ووصل
صحبته ما حملتم جفنة من الطعام برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية والأمداد
الذي افتتحتم به ديوان أعمالكم السنية ، وأعربتم به عمالكم في سبيل الله من
خالص النية . وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام وطلیعة من جيش لهام ،
ووفد من عدد ، وبعض من مدد ، وأن عزائمكم في الإعانة والإمداد على أولها
ومكارمكم ينسى الماضي منها بمستقبلها ، فأثنينا على قصدكم الذي لله أخلصتموه ،
وبهذا العمل البر خصصتموه وقلنا : لا ينكر الفضل على أهله ، وهذا برء صدر
عن محله ، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية بيدع من مكارم جنابكم الرفيع ،
ولا شاذة فيما أسدى على الأيام من حسن الصنيع . فقد علم الشاهد والغائب
- ولو سكتوا أثنت عليها الحقايب - ما تقدم لسلفكم في هذه البلاد من الإرفاق
والإرفاد ، والأخذ بالخط الوفور من المدافعة والجهاد . وأنتم أولى من جدد
عهود قومهم ، وكان غده في الفخر أكبر من يومه . وقد ظهرت لله في حيز
تلك الإيالة الزبانية نتيجة تلك المقدمات ، وعرفت بركة ما أسلفته من المكرمات
وسننى الله سبحانه بين يدي وصول مابه تفضلتم وفي سبيله بذلتم ، أن فتح
جيشنا حصناً من الحصون المجاورة لغربي مالقة يعرف بحصن قنيط من الحصون
الشهيرة المعروفة والبقع المذكورة بالخصب الموصوفة ، ودفع الله مضرته عن
الاسلام وأهله ، ويسره بمعهود فضله ، فجعلنا من ذلك الطعام الذي وجهتم
طعمة حماته ، ونفقات رجاله ورماته ، اختياراً له في أراضى المرافق من سبل
الخير وجهاته . وأما نحن فإن ذهبنا إلى تقرير ما عندنا من الثناء على معالي
ملككم الأصيل البناء ، والاعتداد بمقامكم الرفيع العاد ، والاستناد إلى ولائكم
الثابت الاسناد ، لم نبلغ بعض المراد ، ولا وفى اللسان بما في القواد ، فمن
الله نسأل أن يجعله في ذاته ، وذريعة إلى مرضاته . ومرادنا من فضلكم العميم
وودكم السليم أن تحسبوا هذه الجهة كجهتكم فيما يمرض من الأغراض ، لنعمل

في تميمها بمقتضى الود المذب الموارد الكريم الشواهد ، والله يصل سعادكم
ويحرس مجدكم ، والسلام .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٧ / ٤٥-٤٧

٣١٧ - رسالة السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى
السلطان المملوكي المنصور أحمد^(١) بن الناصر بن قلاوون يشرح له فيها
أحوال الأندلس وأوضاعها ، من انشاء ابن الخطيب :

الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء ، وتستدر من آفاقها سحب النعماء
وتجلى بأنوار سعادها دياجي الظماء ، وتعرف نكرة البلاد والعباد ، بالانتساب
إلى محبتها والانتفاء على اختلاف المروض وتباين الحدود وتعدد الأسماء .
ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالإيماء ، وتحمل
لها التحية ذوات الدر والألواح ، طاعنة نحر الصباح على كند^(٢) الباء .
أبواب السلطان الكبير الجليل الشير الطاهر الطاهر ، الأوحى الأسعد ،
الأصعد الأجد ، الأعلى العادل العالم الفاضل الكامل ، سلطان الاسلام والمسلمين
عماد الدنيا والدين ، رافع ظلال العدل على العالمين ، جمال الاسلام ، علم
الأعلام ، فخر الليالي والأيام ، ملك البرين والبحرين ، إمام الحرمين ، مؤمن
الأمصار والأقطار ، عاصب تاج الفخار ، هازم الفرنج والترك والتتار ، الملك
المنصور ابن الأمير الرفيع الجادة ، الكريم الولادة ، الطاهر الطاهر ، الكبير
الشهير ، المعظم المعجد الأسمى ، الموقر الأعلى ، فخر الجلة ، سيف الملة ، تاج

(١) كان سلطاناً على سورية ومصر بين سنتي ٧٦٢ و ٧٦٤ هـ . وقد غلط ابن الخطيب
في اسمه ونسبه فهو الملك المنصور محمد بن السلطان الظفر حاجي الأول (٧٤٧ - ٧٤٨)
ابن السلطان محمد الناصر بن قلاوون .

(٢) الكند : جمع الكتفين من الانسان وغيره .

الامارة ، عز الاسلام ، مستظل الأنام ، قر الميدان أسد الحرب العوات ،
المقدس المطهر ، الأمير أحمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة
الله على العالمين ، وولي المؤمنين ، سلطان الجهاد والحج ومقيم رأس المعج والنج ،
محبي معالم الدين ، قاعم المعتدين ، قاهر الخوارج والتبردين ، ناصر السنة ،
محبي الملة ، ملك البرين والبحرين ، سلطان الحرمين ، الملك العادل العالم العامل
المنصور المؤيد المعان المرفع العظيم البيجل المؤمل ، المجاهد المرباط ، المغازي
الممجد ، المكمل المطهر الكبير الشهير ، المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد
ابن قلاوون الصالحى ، جعل الله فسطاط دعوته معموداً بمعمود الصبح ،
وحركات عزمه مبنية على الفتح ، وبجمل سعادته غنياً عن الشرح ، وجياد
أوصافه متبارية في ميدان المدح ، وزناد رأيه وارية القدح ، من موجب حقه
وجوب الشعائر الخمس ، المرحب لأجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس ، المجدد
في اليوم حكم ماتقرر بين السلف رحمهم الله بالأمس ، أمير المسلمين بالأندلس
عبد الله الغنى بالله الغالب به ، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر .
سلام كريم ، كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح ، يفواح
أرجه أزهير الأدواح ، ويحاسن طرر الوجوه الملاح ، يخص أبوتكم التي رتب
العز فصولها ، وعضدت نصوص النصر نصولها ، ورحمة الله تعالى وبركاته .
أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة للقرآن ، وخاتمة دعاء أهل الجنان
وشكره . على ما أولى من مواهب الاحسان ، حمداً وشكراً يستخدامان من
الانسان ملكتي القلب واللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
رسوله زهرة كلمة الأكوان ، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان ،
الذي أذل بعزة الله نفوس أهل الطفيان . وغطى بدينه الحق على الأديان ،
وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان ،
والرضا عمن له من الأصحاب والأحباب والأعمام والأخوال والايخوان ،

ضلاة يجدها الجديدان ويعليها الملوان (١) . وتتزاحم على تربته المقدسة مع الأحيان ، ماسجت طيور البراعة من أعواد البراعة على الأفنان ، والتفتت عيون المعاني ما بين أجفان البيان ، والدعاء لأبوابكم الشريفة ، جعل الله تعالى تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان ، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الآذان ، واستخدم بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام الأنصار والأعوان ، حتى يُعلم ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان ، وفي الاشادة بعدها كفتي الميزان ، ويهدي لها من الزهرة ككرة الميدان ، ومن الهلال عوض الصولجان ، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان ، إلى يوم تنعو وجوه الملوك إلى الملك الديان . فإنا كتبناه إلى تلك الأبواب ، كتب الله لعبتها النصرة الداخلة ، كما أخجل بكارمها السحب الباخلة ، وجعل مفارق مفاصلها المختضبة من نحيب عداها غير ناصلة ، وقرن بكل سبب عن أضدادها فاصلة ، من دار ملك الاسلام بالأندلس حمراء غرناطة - وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أرجائها ، وشد بأيدي اليقين عُرًا أملها في الله ورجائها - حيث المصاف المعقود ، وثن النفوس المنقود ، ونار الحرب ذات الوقود ، حيث الأفق قد تردى بالقمام وتعمم ، والسيف قد تجرد وتيحم ، وغبار الجهاد يقول: أنا الأمان من دخان جهنم ، حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير ، والشرة من أوسق المعير ، حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها ، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع ندائها ، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة في زيتها الكلوم بدمائها . وإن هذا القطر الذي مهدت لسياسيتنا أكوار مطاياها وجعلت بيدنا والمنة لله ، غياب عطايها ، قطر مستقل بنفسه ، 'مررب' يومه في البر على أمسه ، زكي المنابت عذب المشارب ، متمم المآمل مكل المتآرب ، فاره الحيوان

ممتد السحْن والألوان ، وسيطة في الأقاليم السبعة ، شاهدة لله بإحكام
الصنعة . أما خيله ففارهة ، وإلى الركض شارهة ، وأما سيوفه فلمواطن
العمود كارهة ، وأما أسله فتداركة الخطف ، وأما عوامله فبنية الحذف ،
وأما نباله فحذورة القذف ، إلا أن الاسلام به في سبط مع الحيات ، وذريعة
للنمات الوحيات (١) ، وهدف للنبال وأكلة للشبال ، تطوهم الغارات المتعاقبة
وتخيفهم الحدود المصاقبة ، وتجوس خلاهم العيون المراقبة ، وتريب من أشكال
مخبطهم إلا أن يتفضل الله بحسن العاقبة ، فليس إلا الضرر والضرب الهبر ،
والهمز والتبر ، والمقابلة والجبر . وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم
وأساءة عاتهم ، يقدمون بهذا الفرض عن هذه الأرض ، ويقرضون ملك يوم
العرض أحسن القرض . فلولا بعد المدى ، وغول الردى ، ولنط العدا ، وما
عدا فيما بدا ، لمعتم تكبير الحملات ، وزئير تلك القلات ، ودوي الخوافر
وصليل السيوف من فوق المغافر ، وصراخ الشكالي ، وارتفاع الأدعية الى
الله تعالى . ولو ارتفع هذا المكان ، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان
لمقلتم مقل الأسنة الزرق ، حالة من أطراف قصب الرماح محل الورق
وأبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلة ، والسيوف قد صارت فوق بدور الخوذ
أهلة ، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة ، وكان كما تحصره علومكم
الشريفة ، حديق سور الفتوح ، وآخر ولاء ذلك المنح ، عرض على الفاروق
فاحتاط ، وأغري به من بعده فاشتاط ، وسرحت خيال ابن أبي سرح ، في
خبر يدعو إلى شرح ، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت ،
وقضموها ما أنفضجت ورثة الحق وشوت ، ويدهم على الأمر احتوت وفازت
منه بما فوت نفل ولائد والوليد ، وجلب له الطريف والتليد ، وطرقت خيل

(١) الوحيات : السريعات .

طارق، وضافت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التي
منها للمائدة، ثم استرسل المهب، ونصر الرب، ويكثر الطير حيث ينتثر
الحب، وصرفت أشراف الشام أعنتها إلى التماس خيره، وطارأت بأجنحة
المزائم تيمناً بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره، ففتحت
الأقفال، ونقلت الأثقال، ونجح الفال، ووسمت الأغفال، وافتتحت البلاد
الشهيرة، وانتقيت العذارى الخيرة واقتيت الذخيرة، وتجاوز الاسلام الدروب
وتخطى، وخضد الأرطى وأركب وأمطى، واستوثق واستوطا، وتشاءب
وتعطى، حتى تعددت مراحل البريد، وسخت عين الشيطان المريد، واستوثق
للإسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق، رفيع العمدة، بعيد الأمد
تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوداق والأمطار، وهل
يحفى النهار؟ ولكل هبوب ركود. والدهر حسود لمن يسود. فراجت
الفرنج كرتها، واستدركت معرفتها، فدوفت جوارحها وخلقت، وأومضت
بوارقها وتألفت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعنة وأطلقت، وراجعت
العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب إلا الحاشية، ولا من الليل
إلا الناشية، وسقطت الغاشية وأخلدت الفئة المتلاشية، وتقلصت الظلال
الغاشية، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا، أثبتوا في مستنقع الحرب
أقدامهم، وأخلصوا لله بأسمهم وإقدامهم، ووصلوا سيوفهم بالبارقة بخطاهم
وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تمين الدين وتحيز، واشتد بالدافعة
وتحيز، وعادت الحروب سجلاً. وعلم الروم أن لله رجالاً. وقد أوفد جدنا
- رضي الله عنه - على أبواب مملكتهم من وقائمه في العدو كل مبشرة
ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت بها في الأعطاف حميا السرور، وكانت
المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمايم في درر النحور، وخفراً في وجوه
البدور، فإن ذمام الإسلام موصول، وفروعه تجمعها في الله أصول، وما

أقرب الحزن من دار صول . والملة - والمنة لله - واحدة ، والنفوس لا منكورة
للحق ولا جاحدة ، والأقدار معروفة ، والآمال إلى ما يوصل إلى الله مصروفة
فإذا لم يكن الاستدعاء ، أمكن الدعاء ، والخواطر مغالة ، والكل على الله
عالة . والدين غريب والغريب يحن إلى أهله ، والمرء كثير بأخيه على بعد
محله .

نفح الطيب للمقري ج ١ / ٣٠٠ - ٣٠٥

٣١٨ - رسالة محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى الأمير
يلبغا الخاصكي . من إنشاء ابن الخطيب .

إلى الأمير المؤمن على أمر سلطان المسلمين ، المقلد بتدييره السديد
قلادة الدين ، المثني على رسوم بره لمقامه لسان الحرم الأمين ، الآوي من
مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ إلى ربوة ذات قرار ومعين ، المستعين من
الله تعالى على ما تحمله وأمله بالقوي المعين ، سيف الدعوة ، ركن الدولة ،
قوام الملة ، مؤمل الأمة ، تاج الخواص ، أسد الجيوش ، كافي الكفاة ، زين
الأمراء ، علم الكبراء ، عين الأعيان ، حسنة الزمان ، الأجل المرفع ، الأسنى
الكبير الأشهر الأسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الأمير الأوحد
يلبغا الخاصكي ، وصل الله له سعادة تشرق غربتها ، وصنائع تسح فلا تشح
دربتها ، وأبقى تلك المثابة قلادة الله تعالى وهو دربها .

سلام كريم ، طيب عميم ، يخص إمارتكم التي جعل الله تعالى الفضل
على سعادتها أمانة ، واليسر لها شارة ، فيساعد الفلك الدوار منها أعملت
إدارة ، وتمثل الرسوم كلما أشارت إشارة .

أما بعد حمد الله تعالى الذي هو يعلمه في كل مكان ، من قاس ودان
وإليه توجه الوجوه وإن اختلفت السير وتباعدت البلدان ، ومنه يلتبس

الإحسان ، وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله العظيم الشأن ، ونبيه الصادق البيان الواضح البرهان ، والرضا عن آله وأصحابه وأحزابه أحلاس الخيل ورهبان الليل وأسود الميدان ، والدعاء لإمارتكم السعيدة بالمرز الرائق الخبر والعيان ، والتوفيق الوثيق البنيان ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله تعالى لكم حظاً من فضله وافرأ ، وصنيعاً عن محيا السرور سافراً ، وفي جو الإعلام بالنعم الجسام مسافراً - من حمراء غرناطة ، حرسها الله تعالى ، دار ملك الأندلس ، دافع الله سبحانه عن حوزتها كيد العداة - وأتحف نصلها ببواكر النصر المهداة ، ولا رائد إلا الشوق إلى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم ، وبيت قصيدها المنظوم ، والتمس بركتها الثابتة الرسوم ، وتقرير الثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذره بالجسوم . وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا - تقبل الله تعالى جهادهم ، وقدر نفوسهم وأمن معادهم - وبين تلك الأبواب ، كما عرفتم من عدلها وأفضالها ، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها ، وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها ، وتلمس من أسطار طرومها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد ، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد ، اشتقنا إلى أن نجددها بحسن منابكم ، ونواصلها بمواصلة جنابكم ، ونفتنم في عودها الحميد مكانكم ، ونؤمل لها زمانكم ، فخطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير ، وجلة من الناقد البصير ، ونؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض والموارد التي لا تنفيس . ومثلكم لا تخيب المقاصد في شمائله ، ولا تضحي المآمل في ظل خمائله . فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق ، وصحب الرفاق ، واستنزم الإصفاك . وهذه البلاد مباركة ما أسلف أحد فيها مشاركة إلا وجددها في

نفسه ودينه وماله وعياله . والله سبحانه أكرم من وفي لامرئ بمكياله
والله عز وجل يجمع القلوب على طاعته ، وينفع بوسيلة النبي ﷺ الذي
نعمل على شفاعته ، ويُبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين ، وظلاً
لله تعالى على العالمين ، وإقامة لشعائر الحرم الأمين ، ويتولى إعانة إمارتكم
على وظائف الدين ، ويجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين .
والسلام الكريم يخلصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

نفح الطيب للمقري ج ٨ / ٣٧٩ - ٣٨١

٣١٩ - رسالة سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله إلى ابن
تفراجين شيخ الموحدين في تونس ، يخبره فيها بمحاولة خلعهم ، وكيف
أن أخاه دبر انقلاباً ضده وخلعه عن العرش وحل محله فيه ، وكيف
هرب هو ، أي السلطان محمد الغني بالله ، إلى مراكش ، ثم تمكن من
العودة إلى ملكه وقضى على المفتصبين . والرسالة من إنشاء لمان
الدين بن الخطيب .

من أمير المسلمين ، أيده الله ونصره وأعلى أمره وأظهره ، إلى ولينا
في الله تعالى الذي له القدم الرفيع المناصب ، والجد السامي الذوائب ،
والسياسة التي أخبرها سمر الركبان وحدو الركائب ، الشيخ الجليل الكبير
الشهير الخطير ، الهمام الأمضى ، الرفيع الأعلى ، الأجد الأوحده ، الأسمد
الأصمد ، الأوفى الظاهر الطاهر ، الفاضل الباسل ، الأرضي الأتقى ،
المعظم الموقر المبرور ، علم الأعلام ، سلالة أكابر أصحاب الإمام ، مريد
دولة التوحيد إلى الانتظام ، أبي محمد عبد الله بن الشيخ الجليل الشهير ،
الماجد الخطير ، الرفيع الأسمد الأجد ، الحسيب الأصيل ، الأمضى
الأرضي ، الأفضل الأكمل ، المعظم المقدس ، المرحوم أبي العباس

تفراجين ، وصل الله تعالى له عزة تناسب شهرة فضله ، وسعادة تتكفل
له في الدارين برفقة محله .

سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ورتبتكم الحافلة ، ورحمة الله تعالى
وبركاته . أما بعد حمد الذي يحص ليثيب ، وأمر بالاستقالة ليجيب .
ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ، ويحني من شجر التوكل عليه
والتسليم إليه ثمر الصنع العجيب . ويظهر العبر منها كسر ثم جبر لكل
ذي قلب منيب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي
نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم العصيب ، ونستظهر بجأه على جهاد عبدة
الصليب ، ونستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب ، ونصول منه على
المدو بالحبيب ، والرضا عن آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الأمانة من
الأفول والمغيب ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عزة متصلة ، وعصمة
بالأمان من نوب الزمان متكفلة - من حمراء غرناطة ، حرسها الله تعالى ،
ولا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف وجبر ، وأظهر في الإقالة وحسن
الإدالة العبر ، بمن كتب الله تعالى له العقبي لما صبر ، إلا الخبر الذي كسا
الأعطاف الحبير ، والصنع الذي صدق خبره الخبر . والحمد لله تعالى كثيراً كما
هو أهله ، فلا فضل إلا فضله . ولكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة
فضلكم قواعده ، وأعلت مصاعده ، وأثبت التواتر شواهدده ، إذ لا يزال
تتحيف بسيركم الذي في التدبيرات يقتفى ، وعلم يسترشد به إذا العلم اختفى
والسبيل عفا ، وأن تلك الدولة بكم استقام أودها ، وقامت - والحمد لله - عمدها
وأنكم رعيتم في البنيز حقوق آبائهم ، وحفظتم عليها ميراث عليائهم ، ولو لم
تتصل بنا أنباؤكم الحميدة ، وآراؤكم السديدة بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ،
ويفري قوى الاستحسان بصفاتكم ، لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم مانجده
من الميل لكم طبعاً وجيلة ، من غير أن نعتبر سبباً أو علة ، فالتعارف بين

الأرماح لا ينكر ، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر ، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر ، وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر . وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غالياً ، ولا برح في جوانب إحسانها رائحاً وغادياً ، يقيم حجيرها الكافل ، ورضيع درها الحافل ، الشقي الخاسر ، الخائن الغادر محمد بن إسماعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره ، الخفية عنا حيل مكره لخبول قدره ، إذ دعاه محتوم الحين ليهلك إلى أن يهلك ، وسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يملك أخوانا الخاسر ثم يملك . وسبحان الذي يقول : (يانوح إنه ليس من أهلك) (١) . وكيف تم له ما أبرمه من تسور الأسوار واقتحام البوار وتملك الدار ، والاستيلاء على قطب المدار ، وأننا كنفتنا عصمة الله تعالى بتيجولنا الذي كان به ليامتد محل ثوائنا ، وكفت القدرة الإلهية أكف أعدائنا ، وخلصنا غلاباً بحال انفراد الأمر عناية ونعم الرفيق وصدق الملجأ إلى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لاتضيّق ، فهاتنكر الزمان أو تفرق الفريق ، وشرذمة القدر تأخذ علينا كل فجع عميق ، حتى أويّنا من مدينة وادي آش إلى الجبل العاصم ، والحجة المرغمة أنف المحاصم ثم أجزنا البحر بعد معاناة وخطوب ، وتجهّم من الدهر وقطوب . وبلا الله هذا الوطن بن لا يرجو لله وقاراً ، ولا يآلو شعائره المعظمة احتقاراً ، فأضرمه ناراً ، وجلجل وجوه وجوهه خزيًا وعاراً ، حتى هتك الباطل حماء ، وغير اسمه ومسماه ، وبدد حاميته المتخيرة وشذّبها ، وسخّم دواوينه التي محصّها الترتيب والتجريب وهذبها ؛ وأهلك نفوسها وأموالها ، وأساء ، لولا تدارك الله تعالى أحوالها ، ولما تأذن جل جلاله في إقالة العثار ودرك الثأر ، وأنشأت

نواسم رضاه إدامة الاستغفار ، ورأينا قلادة الاسلام قد آن انتشارها ، والملة
الحنيفية كادت تذهب آثارها ، ومسائل الخلاف يتعدد مثارها ، وجعلت الملتان
نحونا تشير ، والملك يأمل أن يوافيه بقدمونا البشير ، تحركنا حركة خفيفة
تشعر أنها حركة الفتح ، ونهضنا نبندر ما كتب الله تعالى من المنح ، وقد
امتعض لنا الكون بما حمل ، واستخدم الملك نفسه بمشيئة الله تعالى واكمل
وكاد يقرب لقرى ضيفنا الثور والجل ، وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير
الرفيع العظيم المقدس أبي سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ، ومهب النصر
المنوح ، رحمة الله تعالى عليه ، مظاهرة مثله من الملوك الأعظم ، وختم الجميل
بالجميل والأعمال بالخواتم ، وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة ، وحقوقنا
المحجوبة المستورة ، فأصبح بعد العدو حبيباً ، وعاد بعد الإنابة منيباً ، وسخر
أساطيله تخضيباً على الإجازة وترغيباً ، واستقبلنا البسلاد ، وبحر البشر يزخر
موجه ، وملك الاسلام قد خر على الخضيض أوجه ، والروم مستولية على
الثغور ، وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى والله عاقبة الأمور . والخبيث
الغادر الذي كان يمين بالإقدام قد ظهر كذب دعواه وهان مثواه ، وتورط
في إشراك المندمة تورط مثله بمن اتبع هواه وجحد نعمة مسولاه ، فلولا
أن الله عز وجل تدارك جزيرة الأندلس بركابنا ، وعاجل أوارها بانسكابنا
لكانت القاضية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من باقية ، لكننا بفضل
الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو وقد ناء بكلكل ، وابتزناه منها أي مشرب
ومأكل ، واعتزنا عليه بفضل الله تعالى الذي يعز ويذل ، ويهدي ويضل ،
فلم نساعه في شرط يجر غضاضة ، ولا يخلف في القلوب مضاضة ، وخضنا بحر
الهلول ، وبرئنا إلى الله تعالى ربنا من القوة والحول . وظهرت للمسلمين ثمرة
سريرتنا ، وما بذلنا في مصانعة العدو من الاجهاز عليهم من حسن سيرتنا ،
فقويت فينا أطاعهم ، وانمقد على التحرم بنا إجماعهم . وقصدنا مالقة بمد أن

أثالث الجهة الغربية ، وأذعنت المعازل الأبية ، فيسر الله تعالى فتحها ،
وهياً منحها . ثم توات البيعات ، وصرخت بمآذن البلاد الدعاة ، واضطرب
أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه وحسب كل صيحة عليه ، فافتضت نعماته
الشائلة ودولة بنيہ الزائلة وآراؤه الفائلة (١) أن ضم ما أمكنه من ذخيرة
مكنونة ، وآلة للملك مصونة ، واستركب أوباشه (٢) الذين استباح الحق
دماءهم ، وعرف الخلق اعتزازهم للغدر وانتماءهم ، وقصد سلطان قشتالة من غير
عهد ولا وثيقة ، ولا مثلى طريقة ولا شيمة بالرعي خليقة . لكن الله عز
وجل حملة على قدمه لإراقة دمه ، وزين الوجود بدمه . فلحين قدومه عليه
راجياً أن يستفزه بعرض ، أو يحيل صحة عقده المبرم إلى مرض ، ومؤملاً
هو وشيعته الغادر كرة على الاسلام مجهزة ، ونصرة لمواعيد الشيطان منجزة
تقبض عليه وعلى شيعته ، وصم عن سماع خديعته ، وأفحش بهم المثلة وأساء
بحسن رأيه فيهم القتلة ، فأراح الله تعالى بإبادتهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم
أرماق البلاد ، وحشنا السير إلى دار ملكنا فدخلناها في اليوم الأغر المحجل ،
وحصلنا منها على الفتح الهني المعجل ، وعدنا إلى الأريكة التي بنا بنا عنها
التحصيص فما حسبناه إلا سروراً أعقبه الكمال ، ومرضاً عاجله الابلال ،
فتابت للدين الآمال ونجحت الأعمال وبذلنا في الناس من العفو ما غفر الذنوب
وجبر القلوب ، وأشعنا العفو في القريب والقصي ، وألبسنا المريب ثوب البريء
وتألفنا الشارد وأعذبنا الموارد ، وأجرينا العوائد ، وأسنيها الفوائد ، إلا ما كان
من شرذمة عظمت جرائرهم وخبثت في معاملة الله تعالى سرائرهم ، وعُرف
شؤمهم وصدق من يلومهم . فأقصيناهم وشردناهم وأجليناهم عن هذا الوطن
الجهادي وأبعدناهم . ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا واستقرارنا بحضرة الملك

(١) الفائلة : الضميعة .

(٢) أوباش : كلمة عامية ، والفصحى أوشاب ومعناها أخطا .

واحتلالنا ، بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة النذر
وإخوان الخديعة والمكر ، وبعث إلينا برؤوسهم ما بين رئيسهم الشقي
ومرؤوسهم ، وقد طمنا على جداول السيوف جبابها ، وأراق بجناء الدماء
خضابها ، وبرز الناس إلى مشاهدتها معتبرين وفي قدرة الله تعالى مستنصرين ،
ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين . وأحق الله تعالى الحق بكلماته وقطع
دابر الكافرين . فأمرنا بنصب تلك الرؤوس بسور النذر الذي فرغته ، وجعلنا
علماً على عاتق العمل السيئ الذي اخترعته ، وشرعنا في معالجة العلم ، وأفضنا
على العباد والبلاد حكم السلم ، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله ، وسكن هذا
الوطن بعد زلزاله وأفاق من أهواله . ولعلنا بفضلكم الذي قضاياه شائعة
ومقدماته ذائعة ، أخبرناكم به على اختصار واجتزاء واقتصار ، ليسر دينكم
المتين بتأسك هذا الثمر الأقصى بعد استرساله وإشرافه على سوء آله . وكنا
نخاطب محل أخينا السلطان الجليل المعظم ، الأسمد الأوحده ، الخليفة أمير
المؤمنين أبي إسحاق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي
بكر ابن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين - وصل الله تعالى أسباب سعده
وحرس أكناف مجده - لولا أننا تعرفنا كونه في هذه المدة مقيماً بنير تلك
الحفزة التونسية ، فاجترأنا بتخاطبة جهتكم السنية ، وبين سلفنا وسلفكم من
الود الراسخ البنيان ، والكريم الأثر والعيان ما يدعو إلى أن يكون سبب
التخاطبة موصولاً ، وآخرة الود خيراً من الأولى ، لكن الطريق جم العوائق .
والبحر مفروق البوائق ، وقبول المذر بشواغل انقطاع بالفضل لائق ، ومرادنا
أن يتصل الود ويتجدد العهد . والله عز وجل يتولى أمور المسلمين يتوارد
إحسانه ، ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه . وهو سبحانه
يظيل سعادتكم ويحرس مجادتكم وينجح أدايتكم ، ويسني إرادتكم . والسلام
الكريم يخلصكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

نفع الطيب للمقري ج ٩ / ٣٦-٤١

رفع
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

٣٢٠ - رسالة أرسلها السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى سلطان بني مرين يبشره بانتصاره على النصارى في إحدى غزواته ، وهي من إنشاء ابن الخطيب .

المقام الذي نطالعه بأخبار الجهاد ، ونهدي إليه عوالي العوالي صحيحة الإسناد ، ونبشره بأخبار الفتح البعيد الآماد ، ونسأل الله تعالى له توالي الإسماعيل ودوام الإسماعيل والإمداد ، وزنق من صنع الله تعالى على يديه تكييفاً يخرق حجاب المعتاد ، وامتماضاً يطلع بأفاق البلاد نجوم غر الجياد ، ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد ، وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والأجداد ، مقام محل أخينا الذي نستفتح له بالفتح والظهور ، ونهدي إلى مجده كما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ، ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ومجده المشهور ، وتتوعد منها العدو بالحبيب المذخور والولي المنصور السلطان الكذا ابن الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله تعالى غالي القدر قرير العين مشرح الصدر ، ولازال حديث فخره سائراً مسير الشمس والبر ، عظم سلطانه الخلق بالتعظيم ، الواثق منه بالذخر الكريم المثني على مجده الصميم وفضله العميم . أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم ، بر عميم ، يخص مقامكم الأعلى وأخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم الرشاد ، ومكيف الاسعاف والاسعاد ، الولي النصير الذي نلقي إلى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ، ونغد إلى أنجاده وأمداده أيدي الاعتداد ، ورفع إليه أكف الاستمداد ، ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد ، فتتعرف عوارف الفضل المزداد ، ونجتني ثمار النصر من أغصان القنا المناد ، ونجتلي وجوه الصنع الوسيم . أبهر من وجه الصباح الباد ، ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا ، والنعم الآجل يوم يقوم الأشهاد ، ونتفياً

ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد
رسوله النبي الهاد ، رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ، ونبي الرحمة الهامية
العباد ، أكرم الخلق بين الرائح والغاد ، ذي اللواء المعقود والخوض المورود
والشفاعة في يوم التناد ، الذي بجاهه نجده أنوف الآساد يوم الجلال ، وببركته
ننال قصى الأمل والمراد ، وفي مرضاته نصل أسباب الوداد . فنعود بالتجر
الرابع من مرضاة رب العباد ، ونستولي من ميدان السعادة المعادة على الآماد
والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الأبحاد ، دائم الدين من
بعده وهداة العباد ، أنجاد الأنجاد وآساد الآساد ، الذين ظاهروه في حياته
بالخوم الراجعة الأطواد ، والبسالة التي لاتزال بالعدد في سبيل الله والأعداد ،
حتى بوءوا الاسلام في القواعد الشهيرة والبلاد ، وأرغموا أنوف أهل الجحد
والإلحاد ، فأصبح الدين رفيع الهاد منصور العساكر والأجناد ، مستصحب
الغز في الاصدار والاياد ، والدعاء لمقامكم الأعلى بالسعد الذي يغني عن اختيار
الطوالع وتقويم الميلاد ، والنصر الذي تشرق أنباؤه في جنح ليل المداد ،
والصنع الذي تشرع له أبواب التوفيق والسداد ، من حمراء غرناطة - حرسها
الله - واليسر قد وطأ المهاد ، والخير واضح الأشهاد ، والحمد لله على المبدأ
والمعاد ، والشكر له على آلائه المتصلة الترداد ، ومقامكم الذخر الكافي العتاد ،
والمردد المتكفل بالانجاد . وإلى هذا وصل الله سمعكم وحرس مجدكم ووالى
نصركم وعضدكم وعددكم وعُدكم ، وبلغكم من فضله العميم أملككم
ومقصدكم ، فإننا نؤثر تعريفكم بتافه المترايدات ، ونورد عليكم أشنات
الأحوال المتجددات إقامة لرسم الخلوص في التعريف بما قل ، ومودة خالصة
في الله عز وجل ، فكيف إذا كان التعريف بما تهتز له منابر الاسلام ارتياحاً
لوروده ، وتشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده . والمكيفات البديعة
الصفات في وجوده ، وهو أننا قدمنا إعلامكم بما فويتناه من غزو مدينة

قرطبة أم البلاد الكافرة ، ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة ، والقطر الذي عهده بالمام الاسلام متقادماً ، والركن الذي لا يتوقع صدمة مصادم ، وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بثيس وهزبر خنيس وذئب مكر وتلبيس ، ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه ، وأتباع على المنشط والمكره تطيعه . فاستدعينا المسلمين من أقاصي البلاد ، وأذعنا في الجهات نفير الجهاد ، وتقدمنا إلى الناس بسعة الأزواد ، وأعطينا الحركة التي تخلف المسلمون فيها وراءهم جمهور الكفر من الأقطار والإعداد حقها من الاستعداد ، وأفضنا العطاء والاستحقاق والاستركاب في أهل النناء ، وأبطال الجهاد والجلاد ، فحشر الخلق في صعيد ، وأخذوا الأهبة والزينة في عيد سعيد ، وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعد ، ورحنا وفضل الله شامل ، والتوكل عليه كافٍ كافٍ ، وخيمنا بظاهر الحضرة سقى استوفى الناس أراهم واستكملوا أسراهم ، ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرتها الله وله الحمد وأثمناها وأبعد في التماس ما عنده من الأجر منتماها ، وعندما حللنا قاشرة ، وجدنا السلطان دون بطرة ، مؤمل نصرنا وإنجادنا ، ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ، ومقتضي دين كدحه بإعانتنا إياه وإنجادنا قد نزل بظاها في محلات فن استقر على دعوته ، وتمسك بطاعته ، وشمله حكم جماعته ، فكان لقاءنا إياه على حال أقرت عيون المسلمين ، وتكفأت بإعزاز الدين . وبجملها يعني عن التبعين والشرح والتبيين ؛ ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم ، وأشك في حال اليقظة خيالهم ، من جموع تسد الفضاء وأبطال تنازع أسد الغنى ، وكتائب منصور ، ورايات منشورة ، وأمم محشورة تفضل عن مرآى العين ، وتردي العدو في مهاوي الحين ، فاعترفوا بما لم يكن في حسابهم ، واعتبر في عزة الله سبحانه أولو ألبابهم ، وإذا كثر الله المدد فما وزكا ، وإذا أراح الملل ما انتذر غازي ولا شكاً . وسالت من

الغد الأباطح بالأعراف ، وسمت الهوى إلى الاستشراف ، وأخذ الترتيب حقه
 من المواسط الجهادية والأطراف ، وأحكمت التعبئة التي لا ترى العين فيها
 خلاً ، ولا يجد الاعتبار عندها دخلاً . وكان النزول على فرسخ من عدوة
 النهر الأعظم من خارج المدينة ؛ أنجز الله تعالى وعد دمارها ، وأعادها
 إلى عهدتها في الإسلام وشعارها ، ومحا ظلام الكفر من آفاقها بجملة الإسلام
 وأنوارها ؛ وقد برزت من حاميتها شوكة سابعة الدروع ، وافرة الجموع ،
 واستجنت من أسوار القنطرة العظمى بحمى لا يخفى ، وأخذ أعقابها من
 الحماة والكماة العدد الأوفر ، فبادر إليهم سرعان خيل المسلمين فصدقهم
 الدفاع والقراع ، والحصال والمصاع ، وخالطوهم هباً بالسيوف ، ومباكرة
 بالحتوف فتركوهم حصيداً ، وأذاقوهم وبلاً شديداً ، وجدلوا منهم جملة وافرة
 وأمة كافرة ، وملكوا بعض تلك الأسوار ، فارتفعت بها رايتهم الخافقة
 وظهرت عليها عزوماتهم الصادقة ، واقتحم المسلمون الوادي سبياً في غمره ،
 واستهانة في سبيل الله بأمره ، وخالطوا حامية العدو في ضفته فاقتلعوها
 وتعلقوا بأوائل الأسوار فافترعوها ، فلو كنا في ذلك اليوم على عزم من
 القتال ، وتيسير الآلات ، وترتيب الرجال ، لدخل البلد ، وملك الأهل والولد
 ولكن أجار الكفار من الليل كافر ، وقد هلك منهم عدد وافر ، ورجع
 المسلمون إلى محلاتهم ، ونصر الله سافر ، والعزم ظافر ، ومن الغد خضنا
 البحر الذي جعلنا العزم فيه سفيناً ، والتوكل على الله للبلاغ ضميناً ، وزلنا
 من ضفته القصوى منزلاً عزيزاً مكيناً ، بحيث يجاور سورها طنب القباب
 وتصيب دورها بين الخيمات بوارق الشباب ، وبرزت حاميتها على متعددات
 الأبواب ، مقيمة أسواق الطعام والضراب ، فأبت بصفقة الخسر والتباب ، ولما
 شرعنا في قتلها ورتبنا أشنات النكبات لنكالها وإن كنا لم نبق على مطاولة
 زالها ، أزل الله المطر الذي قدم بمهاده العهد ، وسأوى النجد من طوفانه

الوهد، وعظم به الجهد، ووقع الابقاء على السلاح، والكف بالضرورة عن
 الكفاح، وبلغ المقام عليها، والأخذ بمخنقها. والثواء لديها خمسة أيام لم تخل
 فيها الأسوار من اقتراع ولا الأبواب من دفاع عليها وقراع، وأنفذت مقاتل
 الستائر أنقاباً، وارتفع الفتح الموعود ارتقاباً، وفشت في أهلها الجراح
 والعبث الصراح. وساء لهم المساء بعزة الله والصبح، ولولا عائق المطر لكان
 الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتح، وصرفت الوجوه إلى تخريب العمران
 وتسليط النيران، وعقر الأشجار وتعفية الآثار. وأتى منها العفاء على المصر
 الشهير في الأمصار، وتركت زروعها المائجة عبرة لأولي الأبصار. ورحلنا
 عنها وقد ألبسها الدخان حداداً، ونكس من طغاتها أجياداً، فاعتادت الذل
 اعتياداً، وألفت الهون قياداً، وكادت أن تستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل
 لها ميعاداً. وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها بمن يبارز ويناطح،
 ويماسي بالناس ويصاح على عدد جم اخبرت سيام المشهورة بأسمائهم، ونهت
 علاماتهم على نباهاتهم، وظهر إقدام المسلمين في المعركات وبروزهم بالحدود
 المشتركة، وتنفيذهم الأسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب. وكان
 القفول، وقد شمل الأمن والقبول، وحصل الجهاد والقبول، وراع الكفر
 العز الذي يحول، والاقدام الذي شهدت به الرماح والخيول. وخاض المسلمون
 من زرع الطرق التي ركبوها والمنازل التي استباحوها واتهبوها بحوراً بمعد
 منها الساحل، وفلاحة مدركة تعدد فيها المراحل فصيروها صريماً، وسلطوا
 عليها النار غريماً، وحلوا بظاهر حصن أنندو وجر وقد أصبح مألّف أذمار
 غير أوشاب، ووكير طير نشاب، فلما بلونا مراسه صعباً، وأبراجه ملئت
 حرماً شديداً وشبهاً، ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه، فسلطنا العفاء
 على ساحه. وأغرينا القارات باستيعاب ما بأحوازه واكتساحه، وسلطنا النار
 على حزونه وبطاحه، وألصقنا بالرغام ذوائب أدواحه. وانصرفنا بفضل الله

والمناجل دامية والأجور نامية ، وقد وطننا المواطي التي كانت على الملوك قبلنا بسلا ، ولم نترك بها حراثاً يرفد ولا نسلأ ولا ضرعاً يرسل رسلاً . والحمد لله الذي يتم النعم بحمده . ونسأله حلة النصر فما النصر إلا من عنده ، عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات ، والصنائع الروائع التي بعد العهد بثلاثها في هذه الأوقات ، علماً بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ، ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات ، فإنكم سلاله الجهاد المقبول والرغد المبذول ووعد النصر المفعول . وزجو الله عز وجل أن ينتقل خيالكم للمعاهد الجيادية إلى المعانة في نصر الملة المحمدية . وأن يجمع الله بكم كفة الاسلام على عبدة الأصنام ويتم النعمة على الأتنام . وودنا لكم ما علمتم يزيد على مر الأيام . والله يجعله في ذاته لكم متصل الدوام ، مبلغاً إلى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندهم . والسلام الكريم بخصم ورحمة الله وبركاته .

نفح الطيب للمقري ٢/٤٩-٥٤

٣٢١ - رسالة وجهها السلطان محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى الأمير السعيد أبي بكر بن السلطان أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المريني لما عينه والده أميراً على جبل الفتوح . وهي من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب .

الإمارة التي أشرق في سماء الملك شهابها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، واشتملت على الفضل والطهارة أثوابها ، وأجبلت قداح المفاخر فكان إلى جهة الله تعالى انتدابها . إمارة محل أخينا الذي تأسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالرباط المجاهد على اقتبال سنه وجدة عمره ، وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره ، وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره ، لما يسره من سعادة

نصبته وصباه من عز نصره ، الأمير الأجل الأرفع الأسنى الأطهر الأظهر
الأمع الأصعد الأسمى الموفق الأرضى . محل أخينا العزيز علينا ، المهداة
أبناء مأمول جواره إلينا ، أبي بكر السعيد ابن محل والده الذي مقاصده
للاسلام وأهله على مرضاة الله تعالى جارية ، وعزائمه على نصر الملة الحنيفية
متبارية ، السلطان الكذا أبو عنان ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان
الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد الحق ، أبقاه الله تعالى سديدة
آراؤه ، ناجحة أعماله ، ميسرة أغراضه من فضل الله تعالى ، متممة آماله ،
رحيماً في العدل بحاله ، يكتفه من الله تعالى ومحل أئينا غمام وارفة ظلاله ،
هامر نواله ، حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله . وتمضي في
الأعداء أمام رايته المنصورة نصاله ، أخوه المسرور بقربه المنطوي على مضمر
حبه أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي
الوليد بن فرج بن نصر .

وسلام كريم طيب برعميم ، يخص أخوتكم الفضلى وإمارتكم التي آثار
فضلها بحول الله تنلى ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على ما كيف من الطاقة المشرقة الأنوار ، ويستره لهذه
الأوطان بنصرته من الأوطار ، فكلمنا دجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع
النهار ، وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك
واختاره إلى حال السكون والقرار . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
رسوله المصطفى المختار الذي أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار
حتى كاد يلحقه بالوسائل والقرب الكبار ، الذي أوصانا بالالتزام ، واتصال
اليد في نصره الاسلام ، فنحن نقابل وصاته بالبدار ، ونجري على نهجه
الواضح الآثار ، وزنجي باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار ،
والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه أكرم الآل والأصحاب

والأحزاب والأنصار ، الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الأخبار : رحماء بينهم أشداء على الكفار (١) ؛ والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذي تجري به الأمور على حسب الاختيار ، والعز المنيع الذمار ، والسعد القويم المدار ، والوقاية التي يأمن بها أهلها من الشرار ، فإننا كتبناه إليكم ، كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للأمرء ، الأرضياء الأخيار ، ومتعمكم من بقاء والدكم بالعدة العظى ، والسيرة والرحمى ، والجلال الرفيع المقدار ، من حمراء غرناطة - حرسها الله تعالى - ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ الذي أوضح برهانه إلا أطاف باهرة . وعناية من الله تعالى باطنة وظاهرة ، وبشارة بالقبول واردة ، وبالشكر صادرة . والله تعالى يصل لديكم نعمه ، ويوالي فضله وكرمه . وإلى هذا فإننا اتصل بنا في هذه الأيام ما كان من عناية والدكم محل أئبنا ، أبقاه الله تعالى ، بهذه البلاد المستندة الى تأميل مجده ، وإقطاعها الناية التي لا فوقها من حسن نظره ، وجميل قصده ، وتعيينكم إلى المقام بحيل الفتح إبلاغاً في اجتهاده الديني وجده ، فقلنا : هذا خير إن صدق مخبره وتحصل منتظره فهو فخر تجددت أثوابه ، واعتناء تفتحت أبوابه ، وعمل عند الله تعالى ثوابه . فإن الأندلس - عصمها الله تعالى - وإن أنجده عدده وأمواله ونجحت في نصرها مقاصده الكريمة وأعماله ، لاتدري موقع النظر لها من نفسه ، وزيادة يومه في العناية على أمسه ، حتى يسمح لها بولده ، ويخصها بقرة عينه ، وفلذة كبده . فلما ورد منه الخبر ، الذي راقته به

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ . وقد أوردها المؤلف بشكل مقلوب والصواب : «أشداء على الكفار رحماء بينهم» .

الحجر ، ووضحت من سعادته الفرر ، بإجازتكم الحجر واختياركم في حال الشبية الفخر ، وصدق مخيلة الدين فيكم ، واستقراركم في الثغر الشبير الذي افتتحه سيف جندكم ، واستنقذه سعد أبيكم . سررنا بقرب المزار ، ودنو الدار ، وقابلنا صنع الله تعالى بالاستبشار ، ووثقنا ، وإن لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى ، وعناية محل والدنا بهذه الأقطار ، وحمدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقة ، والنعم والمغفرة ، والصنائع المتألقة ، بادئاً بنهي أخوتكم أولاً بما يسره الله تعالى لكم سلامة الحجاز ، ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص ، بهذا الفرض والامتيار ، فإمارتكم الامارة التي أخذت بأسباب السماء ، وركبت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى جياذ الخيل والماء ، وأصبحت على حال الشبية شجاً في حلق الأعداء . ونحن أحق بهذا الهناء ، ولكنها عادة الود ، وسنة الاخاء . فالله عز وجل يجعله مقدماً ميمون الطائر ، متهلل البشائر ، تهلل بصنع الله بعمده ومن القبائل والمشائر ، ويجري خبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ، ومزيد إشاره ، ويجازيه جزاء من سمح في ذاته بمظنة ادخاره ، وقد رأينا أن هذا الفرض لا يجتريء فيه بالكتابة دون الاستنابة ، وجهنا لكم من يقوم بحقه ، ويجري من تقرير مالدينا على أوضح طرقه ، وهو القائد الكذا . ومحمدكم يصني لما يلقيه ، ويقابل بالقبول مامن ذلك يؤديه . والله تعالى يصل سعادكم ويمرس مجدكم ، والسلام .

نفح الطيب للمقري ١٦٨/٦ - ١٧٢

٣٢٢ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الفني بالله بتقليد الشيخ أبي العلاء إدريس مشيخة الغزاة في مالقة . وهو من انشاء ابن الخطيب :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحاً ، وأنشأ للعناية في جو الوجود من بعد الركود رياحاً ، وأوسع العيون قرة وإبصاراً ، والصدور انشراحاً ، وهياً للمعتمد به مغذى في السعادة ومراحاً . وهز منه سيفاً عتيقاً يفوق اختياراً ويروق التهاجاً ، وولاه رئاسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وازداد فخرأ صراحاً ، وكان له ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه الأمير عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين والمجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج يوسف بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل اعتقاده حللاً ، وأورده من عذب رضاه منهلأ ، وعرفه عوارف قبوله مفصلاً حظاها وجملاً ، الشيخ أبي العلاء إدريس ابن الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلا ، وصل الله أسباب سعادته وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه على أحمد عادة سلفه وعادته .

ولما كان القدر الجليل والمجد الأثيل والذكر الجميل ، والفضائل التي كرم منها الاجمال والتفصيل ، وأحرز قصب السبق بذاته . وسلفه إذا ذكر المجد العريض الطويل ، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأميل ، ويهدي به الحب الذي وضع منه السبيل وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عنده الجميل ، ثم خلصه الله من ملكة الكفر الخلاس الذي قام على عنايته الدليل ، قابله بالقبول والاقبال ، وفسح له ميدان الرضا رحب المجال ، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق الجمال ، مسافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسمة الأرجاء وارفة الظلال ، وقطع عنه الأطماع بمقتضى همته البعيدة

المنال ، ثم رأى - والله ينجح رأيه ويشكر في سبيل الله عن الجهاد منيه - أن يستظهر بمضائه ويرسل عليه عوارف آلائه ويعمر به رتب آلائه ، فقدمه - أعلى الله قدمه وشكر آلائه ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أولي الدفاع عن الدين بمدينة مالقة - حرمها الله - أخت حضرة دار ملكه ، وثانية الدرر الثمينة من سلكه ، ودار سلفه وقرارة مجده ، والأفق الذي تألق منه نور سمعه ، راجعاً إلى نظر القواعد الغربية رثيده وركوان (؟) وما إليه رجوع الاستغلال والإيراد والاستيراد ، والعز الفسيح المجال البعيد الآماد ، يقود جميعها إلى الجهاد عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة ، ويعود لها عهد المجادة والجلالة وتزين ملابس الآيالة ، وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد الكريم ، والحسب الصميم حتى ينمو عدد الحماة ويكف البأس أكف الغزاة ، ويمظم أثر الأبطال الحكمة ، وتظهر ثمرة الاختيار ويشمل الأمن جميع الأقطار ، وتنحسم عنه أطماع الكفار .

وعلى من يقف عليه من الفرسان - وفر الله أعدادهم وأعز جهادهم - أن يكونوا ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ممضين فيما ذكر لحكمه ، واقفين عند حده ورسمه ، وعلى من سواهم من الرعايا والخدام والولاة والحكام ، أن يعرفوا قدر هذا الاعتناء الواضح الأحكام والبر المشرق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الاجلال والاكرام والترفيح والاعظام . على هذا يعتمد وبحسبه يعمل بحول الله وقوته .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ / ١٩ - ٢١

٣٢٣ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الغني بالله ،
يقلد بموجبه إمرة الجهاد في الأندلس إلى الأمير أبي عبد الرحمن ، وهو
من إنشاء ابن الخطيب .

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار الذي عضده الاختبار إلى أقصى الغاية ،
وجمع له الوفاق الذي خدمه البخت والاتفاق والأهلية التي شهدت بها لآفاق ،
بين نهج الرأي ونصر الراية ، وأنتجت به مقدمات الولاء نتيجة هذه الرتبة
السامية العلاء والولاية ، واستظهر من المعتمد به على قصده الكريم في سبيل الله
ومذهبه ، بليث من ليوث أوليائه ، شديد الوطأة على أعدائه والنسكية ، وفرع
من فروع الملك الأصيل معروف الأبوة والاباية ، لتتضح حجة النصر العزيز
والفتح المبين ذي القوة التين محكمة الآية ، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم
الدين ، المؤيدة في الأقوال والأفعال بمدد الروح الأمين ، على شرف النهاية .

أصدر حكمته وأبرز حكمه ، وقرر حده الماضي ورسمه ، عبد الله الغني
بالله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - عضد الله كتابه وشد
عضده ، ويسر في الظهور على أعداء الله قصده - لوليه المستولي على ميسادين
حظوته وإيثاره . الفائز بالقدح المعلى من إجلاله وإكباره ، ظهير استنصاره
وسيف جهاده المعد لصدق ضربيته ويوم افتخاره ، ويمسوب قبائل الغزاة
بأصقائه الجهادية وأقطاره الأمير أبي عبد الرحمن ابن الأمير أبي علي بن السلطان
أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
- وصل الله له أسباب معده وأنجز للمسلمين بمظاهرته إياه على الكافرين سابق
وعده - لما وفد على بابه الكريم ، مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره ، ملقياً
بمحلة الجهاد عصا تسياره ، مفضلاً ما عند الله على رحب أوطانه وأقطاره ، شيمة
من أسرع إلى خير الآخرة بداره قبل اكتمال هلاله وإبداره ، وعلى انبعاث أمله
وتراحمي همه واستقامة مداره ، قابل - أيده الله - وفادته بالقبول المدوح

والصدر المشروح والعناية العالية المظاهر والصروح ، وجعل له الشرب المهني في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكه والفتوح ، ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه ، وترفعاً تشهد به محافل الملك ومنتداه ، إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يداه ، ثم استظهر به على أعداء الله وعداءه ، فوفى النصيح نعمه وأداءه ، وأضمره وأبداه ، وتحلى بالبسالة والجلالة والطهارة اللاتقة بمنصب الامارة في رواجه ومنتداه ، حتى اتفقت الأهواء على فضله وعفافه وكمل أوصافه . وظهرت عليه مخايل أسلافه ، ثم رأى الآن - سدد الله رأيه وشكر عن الاسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجليل على جنابه ، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه ، ويصل أسبابه بأسبابه ، ويضاعف بولائه الصادق اهتمامه ، ويقيم في قود عساكره الجهاد البر مقامه ، فأضفى ملابس وده عليه ، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه ، وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في الجبال ، وسيفه الذي بفرج به مضايق الأهوال ، ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه ، وراية سعيدة في مظاهرة متبوعه ، وعقد له الولاية الجهادية التي لاتعدل بولاية ، ولا توازن عناية المعتمد بها بعناية ، يشهد بصراحة نسبها الدين وتتحدى بحلي عزتها الميادين ، فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمة ومن بعده من الأئمة ، ولا سيما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأولي الدين والهمة ، فليتول ذلك تولى مثله ، وإن قل وجود مثله ، جارياً على سنن مجده وفضله سائراً من رضا الله على أوضح سبله ، معتمداً عليه في الأمر كله .

وليعلم أن الذي يخلق مايشاء ويختار قد هياً له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً مسدداً ، واستعمله اليوم فيما يحظيه غداً ، وجعل حظه الذي عوضه نوراً وهدى ، وأبعد له في الصالحات مدى . ولينظر فيما لديه من القبائل الموفورة والجموع المؤيدة المنصورة ، نظراً يزيح الملل ويبلغ الأمل ويرعى

الهمل ، ويحسن القول وينجح العمل ، منها على أهل الفناء والاستحقاق مستندراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً بالغباء الواردين من الآفاق ، مطبقاً منهم للطباق ، متفعداً للهفوات بحسن الأخلاق ، مستجيداً للأسلحة والكراع ، مبادراً هيئات (١) الصريخ بالاسراع ، مسترعياً للمشورة التي يقع الحكم فيها عن حصول الاجماع ، رفيقاً بمن ضعف عن طول الباع ، محتاطاً على الاسلام في موافق الدفاع ، مقدماً عند اتجاه الأطماع ، صابراً في المضايق على القراع ، متقدماً للأبطال بالاصطناع ، مقابلاً نصائح أولي الخبرة بحسن الاستماع ، مستعملاً في الحروب ما أجازته الشرع من وجوه الخداع ، حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار ، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً في الأقطار ، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ، بقوة الله وحوله ، وعزته وطوله . وعلى الغزاة بالحضرة العلية وسائر البلاد النصرية من بني مرين ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ويمثلوا في مرضاتنا أمره ، ويكونوا معه روحاً وبدناً وجسداً وساعداً وعضداً ، فبذلك يشملهم من الله ومن مقامنا الرضى ، والقبول والعز الموصول ، ويمضي في عدو الله النصول ، ويتأتى على خير الدنيا والآخرة الحصول ، إن شاء الله . ومن وقف عليه فليعرف مالهديه بحول الله تعالى .

صبح الأعيى للقلقشندي ١١/١٢ - ١٥

٣٢٤ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة محمد الخامس الفني بالله يقلد بموجبه ابنه أبا الحجاج يوسف قيادة الطبقة الأولى من المجاهدين في الأندلس وهو من إنشاء ابن الخطيب .
هذا ظهير كريم ، فاتح بنشر الأولوية والبنود ، وقود المساكر والجنود

(١) جمع هيمة وهو الصوت الدال على فزع أو خوف من عدد أو نحوه .

وأجال في ميدان الوجود جياذ البأس والجود ، واضفى ستر الحماية والوقاية
بالتهاثم والنجود على الطائفين والما كفين والركع السجود ، عقد للمعتمد به عقد
التشريف ، والقدر المنيف زاكي الشهود ، وأوجب المنافسة بين مجالس السروج
ومضاجع المهود ، وبشر السيوف في الغمود ، وأنشأ ربح النصر آمنة من الجود
- أمضى أحكامه ، وأنهى العز أمامه ، وفتّح عن زهر السرور والجور
أحكامه ، أمير المسلمين عبد الله بن محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج
يوسف ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره وخلد
ذكره - لكبير ولده ، وسابق أمده وريحانة خلد ، وباقوته الملك على يده ،
الامير الكبير الطاهر الظاهر الأعلى ، وامطة السلك وهلال سماء الملك ومصباح
الظلم الحلك ، ومظنة العناية الإلهية من مدبر الفلك ، وبحري الفلك ، عنوان
سعدده وحسام نصره وعضده وسمي* جده وسلالة فضله ومجده ، السعيد المظفر
الهمم الأعلى الأمضى ، العالم العادل العامل الأرضي المجاهد المؤمل المعظم أبي
الحجاج يوسف - ألبسه الله من رضاه عنه حلالاً لا تخلق جدتها الأيام ، ولا تبلغ
كنها الأفهام ، وبلغه في خدمه المبالغ التي يسر بها الاسلام ، وتسبح في بحار
صنائها الأفلام ، وحرس معاليه الباهرة بعينه التي لا تنام ، وكفه بركنه الذي
لا يضام ، فهو الفرع الذي جرى بخصله على أصله ، وارتم نصره في نصله ،
واشتمل جده على فضله ، وشهدت ألسن خلاله برقة جلاله ، وظهرت دلائل
سماعته في بدء كل أمر وإعادته . ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لافتراع هضاب
الحجد البعيد المدى ، وتوشيح به بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً
من سيوف الله لضرب هام العدا ، وأطلعه في سماء الملك بدر هدى لمن راح
وغدا ، وأخذ بالآداب التي تقيم من النفوس أوداً ، وتبذر في اليوم فتجني غداً
ورقه في رتب المعالي طوراً فطوراً ، ترقى النبات ورقاً ونوراً ، ليجده بحول
الله يداً باطشة على أعدائه ، ولساناً مجيئاً عند تدائه ، وطارزاً على حلة عليائه
وغماماً من غمام آلائه ، وكوكباً وهاجاً بسائه ، وعقد له لواء الجهاد على

الكتيبة الأندلسية من جنده قبل أن ينتقل من مهبه ، وظلله بجناح رايته وهو على كتف (١) دابته ، واستركب جيش الاسلام ترحيباً بوفادته وتنوياً بمجاداته ، وأثبت في غرض الامارة النصيرية منهم سمعته - رأى أن يزيد من عنايته ضروباً وأجناساً . ويتبع أثره ناساً فناساً ، قد اختلفوا اساناً ولباساً ، واتفقوا ابتغاءاً لمرضاة الله والتماساً ، ممن كرم انماؤه وازينت بالحسب الغر سماءه وعرف غناؤه ، وتأسس على المجادة بناؤه ، حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه اليه ، ولا مقادة فخر إلا جعلها بين يديه ، ولا حلة عز إلا أضاف ملابسها عليه .

وكان جيش الاسلام في هذه البلاد الأندلسية - أمّن الله خلالها ، وسكن زلاها ، وصدق في رحمة الله التي وسعت كل شيء آمالها - كلف همته ، ومرعى أزمته وميدان جياده ومتعلق أمد جهاده ، وممرّاج إرادته إلى تحصيل سمعته وسبيل خلاه إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أراحها ، ولا طلبية إلا أجال قداحها ، ولا عزية إلا أورى اقتداحها ، ولا رغبة إلا فسخ ساحها ، آخذاً مروءته بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب وتأنيس المريب ، مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد من نظر من حكم الأغراض في حماه ، واستشعر عروق الحائف لشريف كته ، واشتغل عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباهه وتثدير ماله وتوفير أوقاته ، ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فانفرج الضيق وخلص إلى حسن نظره الطريق ، وساغ الريق ورضي الفريق .

رأي - والله الكفيل بنجح رأيه وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه - أن يحمّد لهم اختياره ويحسن لديهم آثاره ، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده ،

وأبطال جلاده وحماة أحوازه والأتاع عزازيه ، من يجري مجرى نفسه النفيسة في كل معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية ، وله - أيده الله - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى كبرى الكتاب ، ومقاد الجنايب وأجمة الأبطال ومزنة الودق الهطال ، المشتعلة من النزاة على مشيخة آل يعقوب نسباء الملوك الكرام ، وأعلام الاسلام وسائر قبائل بني مرين ليوث العرين وغيرهم من أصناف القبائل وأولي الوسائل ، ليحوط جماعتهم ويرفع بتفقدته إضاعتهم ، ويستخلص الله ولأبيه - أيده الله - طاعتهم ، ويشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبدار على فلك سعادة الأقدار كواكبهم تقدماً أشرق له وجه الدين الخفيف وتهلل وأحس باقتراب ما أمل ، فللخيل اختيال ومراح ، وللأسل السمر اهتزاز وارتياح ، وللصدور اشراح ، وللأمل مفدى في فضل الله ومراح .

فليتول ذلك ، أسعده الله ، تولى مثله ممن أسرة الملك أسرته ، وأسرة النبي ﷺ أسرته ، والملك الكريم أصل لفرعه ، والنسب العربي مفخر لطيب طبعه ، آخذاً أشرافهم بترفيح المجالس بنسبة أقدارهم ، مقرباً حسن اللقاء بإيثارهم ، شاكراً غنائهم مستديماً ثناءهم ، مستدراً لأرزاقهم ، موجباً للمزية بحسن استحقاقهم ، شافعاً لديه في رغباتهم المؤملة ووسائلهم المتحملة ، مسهلاً الأذن لوفودهم المتلاحقة ، منقفاً لبضائهم النافقة ، مؤنساً لغرباتهم ، مستجلباً أحوال أهلهم وآبائهم ، مميّزاً بين أغفاهم ونبهاهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ووفر أعدادهم - أن يطيعوه في طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدة على دفاع أعادي الله وأعاديه ، ويشدوا في المواقف الكريمة أزره ، ويمثلوا نبيه وأمره ، حتى يعظم الانتفاع ويشمر الدفاع ، ويخلص القصد لله والمطاع . فلو وجد - أيده الله - غاية في تشريفهم بلقبها ، أو موهبة لسوغها . لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغ ، والله منجج الأعمال ومبلغ الآمال والكفيل بسعادة

المآل . فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع
وفخر مستند إلى إجماع ووجوب اتباع ، وليكن خير مرعى لخير راع
بحول الله .

وأقطعه - أيده الله - ليكون بعض المدد لأزواد سفره وسماط فقره ، في
جلمة ما أولاه من نعمه ، وسوغه من مواد كرمه جميع القرية المنسوبة إلى
عرب غسان ، وهي الحلة الأثيرة والمنزلة الشهيرة ، تنطلق عليها أيدي خدامه
ورجاله ، جارية مجرى صالح ماله ، محررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء
الله فهو المستعان سبحانه . وكتب في كذا .

صبح الأعشى للقلقشندي ١١/١٥-١٩

٣٢٥ - مرسوم أصدره سلطان غرناطة أمير المسلمين أبو الحجاج
يوسف الأول ابن أبي الوليد بقرنايد أبي الحسن قضاء الجماعة في حاضرة
غرناطة (١) .

هذا ظهير كريم أنتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودل على ما يرضي الله عز
وجل التماسه ، وأطلع نور العناية بحلو الظلام نبراسه ، واعتمد بثابة العدل من
عرف بافتراح هضبتها باسمه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق
أنواعه وأجناسه ، وشيد مبني العز الرفيع في قنة الحسب المتبع ، وكيف لا
والله بانيه والمجد أساسه .

أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا

(١) هنا خطأ لابد من ذكره والتنبيه عليه ذلك ان القلقشندي نفسه يذكر تاريخ هذا
المرسوم وهو محرم سنة ٧٦٤ هـ ولكن سلطان غرناطة آنذاك لم يكن أبا الحجاج يوسف ،
وإنما كان محمد الغني بالله ابنه على حين أن أبا الحجاج يوسف حكم غرناطة بين سنتي

أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره وخلد فخره - لقاضي حضرته العلمية وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بترفيح المزية ، المصروف إليه خطاب القضاة بإيالاته النصرية قاضي الجماعة ، ومصرف الأحكام الشرعية المطاعة ، الشيخ أبي الحسن بن الشيخ أبي محمد بن الحسن ، وصل الله معادته وحرس مجادته ، ومنتهى من فضله إرادته ، عصب منه جين المجد بتاج الولاية ، وأجال قداح الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ، فألقى منه بيمين عرابة الراية ، وأحلّه منه محل اللفظ من المعنى والاعجاز من الآية ، وحشر إلى مراعاة ترفيعه وجوه البر وأعيان العناية ، وأنطق بتبجيله السن أهل جيله بين الافصاح والكناية .

ولما كان له الحسب الذي شهدت به ورقات الدواوين ، والأصالة التي قامت عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين اعتر بمضاء قضائهم الدين ، وطبق^(١) مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين . وازدان بجالسة وزرائهم السلاطين : فن فارس حكيم أو حكيم تدير ، أو قاض في الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة لاجمع تكسير ، تعدد ذلك واطرد ، ووجد مشرع المجد عذبا فورد ، وقصرت النظراء عن مداه فانفرد ، وفرى الفرى في يد الشرع فأشبهه السيف الفرند ، وجاء في أعقابهم محييا لما درس ، بما حقق ودرس ، جانبا لما بذر السلف المبارك واعتس ، طاهر النشأة وقورها ، محمود السجبة مشكورها متجليا بالسكينة ، حالا من النزاهة بالمكانة المكيّة ، ساحبا أذيال الصون ، بعيدا عن الاتصاف بالفساد من لدن الكون ، فخطبته الخطط العلية ، واعتببت به المجادة الأولية ، واستعملته دولته التي ترتاد أهل الفضائل المرتب ، وتستظهر على المناصب بأبناء التقي والحسب ، والفضل والمجد والأدب ، ممن يجمع بين

(١) طبق السيف إذا أصاب المفصل فأبان المضر .

الطارف والتالد والارث المكتسب ، فكان معدوداً من عدول قضاتها وصدور
نہائہا . وأعیان وزرائہا وأولی آرائہا .

فلما زان الله خلافته بالتمحيص المتجلي على التخصيص ، وخاص ملكه
الأصيل كالذهب لا يبرز من بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه الطالب
للحق يسيف الحق ، وسلك في مظاهرته أوضح الطرق ، وجادل من حاده
بأَمْضَى من الحداد الذلق ، واشتهر خبر وقائه بالغرب والشرق ، وصلى به صلاة
السفر والحضر ، والأمد والحد ، وخطب به في الأماكن التي بعد بذكر الله
عهداً ، وخطب عنه - أيده الله - الخطابات التي محمد قصدها حتى استقل
ملكه فوق سريره ، وابتهج منه الاسلام بأَمِيرِهِ وابن أَمِيرِهِ . ونزل الستر على
العباد والبلاد ببركة إِيالته وعين تديره ، وكان المجلس المقرب المحل والخطي
المشاور في العقد والحل ، والرسول المؤتمن على الأسرار ، والأمين على الوظائف
الكبار ، مزين المجلس السلطاني بالوقار ، ومتحف الملك بغريب الأخبار ،
وخطيب منبره العالي في الجمعيات وقارئ الحديث لديه في المجتمعات .

ثم رأى - أيده الله - أن يشرك رعيته في نعمه ، ويصرف عوامل الخطوة
إلى مزيد رفعه ، ويجلس مجلس الشارع ، صلوات الله وسلامه عليه ، لإيضاح
شرعه وأصله الوثيق وفرعه ، وقدمه - أعلى الله قدمه وشكر آلاءه ونعمه -
قاضياً في الأمور الشرعية ، وفاصلاً في القضايا الدينية ، بحضرة غرناطة العلية
- حرسها الله - تقديم الاختيار والانتقاء ، وأبقى له فخر السالف على الخلف ،
والله يمتعه بطول البقاء .

فليتول ذلك عادلاً في الحكم مهتدياً بنور العلم ، مسوياً بين الخصوم حتى
في لحظه والتفاتة ، متصفاً من الحلم بأفضل صفاته ، مهيباً بالدين رؤوفاً بالمؤمنين
مسجلاً للحقوق غير مبال في رضى الخالق بسخط المخلوق ، جزلاً في الأحكام
مجتهداً في الفصل بأَمْضَى حسام ، مراقباً لله عز وجل في النقض والإبرام ،

باراً بمشيخة أهل التوثيق ، عادلاً إلى سعة الأقوال عند المضيق ، سائراً من مشهور المذهب على أهدي طريق ، وأوصاه بالمشورة التي تقدح زناد التوفيق ، والتثبت حتى ينبلج قياس التحقيق ، وصية أصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع ، ويعلي الله بها الدرجات ويرفع ، وإلا فهو عن الوصاة غني ، وقصده قصد سني ، والله عز وجل ولي إعانته ، والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانيته .

وأمره - أيده الله - أن ينظر في الأحباس على اختلافها ، والأوقاف على شتى أصنافها ، واليتامى التي انسدت كفالة القضاة على ضماها ، فيزود عنها طوارق الخلل ، ويجري أمورها بما يتكفل لها بالأمل ، وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فلتات الحكم تعاوده المراجعة في أخراه ، فيدرع لجنة تقواه ، فسبحان من يقول : إن الهدى هدى الله .

فعلى من يقف عليه أن يعرف حق هذا الإجلال ، صائناً منصبه عن الاخلال ، مبادراً أمره الواجب الامتثال بحول الله .

وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبع مئة ، عرف الله فيه هذا المقام العلي عوارف النعير المبين ، والفتح القريب بجنه وكرمه ، فهو المستعان لارب غيره .

صبح الأعشى للقلقشندي ١١ / ٢١ - ٢٤

٣٢٦ - وصية لعنان الدين بن الخطيب لأولاده قبيل موته .

... ومن رزق منكم مالاً بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه أن يتنلب المدو على بلده في الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال أمام النوائب الثقال . وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالأجمال في الطلب أولى .
نهاية الأندلس لعنان - ١٤٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

٦- أبو عبد الله الصغير ٨٩٢ - ٨٩٧ هـ / ١٤٨٧ - ١٤٩٢ م

٢٢٧- الخطاب الذي وجهه الملك فرناندو لقائد بسطة لما قرر

تسليمها إليه

حاصر جيش الملك فرناندو بسطة وضايقها كل المضايقة ، وقد دافع عنها أهلها دفاعاً مجيداً بقيادة القائد يحيى النيار زعيم بسطة والمرية ، ولكن في الأخير ضمت البلدة وتفاوض يحيى النيار مع مندوب الملك فرناندو وهو الدون جوتييري دي كاردنياس ، واتفقا على تسليم بسطة إلى الملك فرناندو وأن ينضم يحيى وأنصاره إلى ملك قشتالة ، وبصبح من أتباعه ، ووجه له الملك الخطاب التالي بهذا المعنى ، وكان ذلك في ٢٥ كانون أول سنة ١٤٨٩ م . يؤكد الملك ليحيى أنه سوف يستقبله تحت حمايته هو وولده وأبناء عمه وينزلهم في داره ويماملهم بما يليق بهم معاملة أشرف مملكته ، ويدافع عنهم ، وعن أملاكهم وأتباعهم .

ثم يقول الملك مخاطباً يحيى .

وإنه إذا صحت عزيمتكم حقاً على اعتناق النصرانية ، وعلى أن تخدمني وتعاونني برجالك ، فإني سوف أكرم ذلك طول مدة الفتح حتى لا يتقول عليك رجالك ، ولهذا فإنك ستستقبل التعميد المقدس سرّاً في غرفتي حتى لا يعرفه المسلمون إلا بعد تسليم وادي آش .

وان الكروم والقرى ، والحصون التي تؤول إليك بالميراث عن والدك أمير المرية أهبا لك لتملكها وتتصرف فيها كما تشاء ، وعهدي لك بذلك أنا والمكة زوجتي .

وإنه لن تدفع أنت وابنك ، وأبناء عمك ، وأعقابك ، وخشمك أي مفرم ، أو جزية في سائر مملكتي إلى الأبد .

وإنه تشريعاً لشخصك يسمح لك بأن يصحبك عشرون فارساً مسلحون بكل ما يرغبون ، وأن تتحول بهم حيث شئت في أنحاء مملكتي ، ويتمتع ولدك بمثل ذلك .

وإنه إذا تنازل صهرك ملك وادي آس عن نصف الملاحات التي أهبها إليه فأني أهبك دخلاً قدره خمس مئة وخمسون ألف مراقيدي من ملاحات ولاية ، وفضلاً عن ذلك فإنه إذا تم تسليم وادي آس في الموعد المتفق عليه ، فأني مكافأة لك عن جهودك في خدمتي لدى ملك وادي آس وغيره من القادة أهبك عشرة آلاف ريال ، وأقدم لك سائر البراءات اللازمة بما تقدم .

نهاية الأندلس لعنان - ٢٢٦

٣٢٨ - معاهدة تسليم غرناطة التي وقعها أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة وفرناندو وإيزابيلا ملكا إسبانيا المسيحية في الحادي والعشرين من محرم سنة ٨٩٧ هـ الموافق لـ ٢٥/١١/١٤٩١ م .

مادة أولى : أن يتعهد ملك غرناطة والقادة والفقهاء والوزراء والعلماء وكافة الناس سواء في غرناطة والبيازين وأرباضها ، بأن يسلموا طواعية واختياراً وذلك في ظرف ستين يوماً تبدأ من تاريخ هذه المعاهدة قلاع الحمراء والحصن وأبوابها وأبراجها ، وأبواب غرناطة والبيازين إلى الملكين الكاثوليكين ، أو إلى من يندبانه من رجالها ، على أن لا يسمح لنصرائي أن يصعد إلى الأسوار القائمة بين القسبة والبيازين ، حتى لا يكشف أحوال المسلمين ، وأن يعاقب من يفعل ذلك ، وضماناً لسلامة هذا التسليم يقدم الملك المذكور مولاي أبو عبد الله والقادة المذكورون إلى جلالتيها ، قبل تسليم الحمراء بيوم واحد ، خمس مئة شخص صحة الوزير ابن كاشه ، من أبناء وأخوة زعماء غرناطة والبيازين ، ليكونوا

رهائن في يديها لمدة عشرة أيام ، تصلح خلالها الحمراء ، وفي نهاية هذا الأجل
يرد أولئك الرهائن أحراراً ، وأن يقبل جلالتهما ملك غرناطة وسائر القادة
والزعماء وسكان غرناطة والبشرات وغيرها من الأراضي رعايا وأتباعاً تحت
حمايتهم ورعايتهم .

مادة ثانية : وإنه حينما يرسل جلالتهما رجالهما لتسلم الحمراء المذكورة ،
فعلهم أن يدخلوا من باب العشار ومن باب نجدة ، ومن طريق الحقول الخارجية
وأن يسيروا اليها من داخل المدينة ، حينما يأتون لتسليمها وقت التسليم .

مادة ثالثة : وإنه متى تم تسليم الحمراء والحصن ، يرد إلى الملك المذكور
مولاي أبي عبد الله ولده المأخوذ رهينة لسيها ، وكذلك يرد سائر رهائن المسلمين
الذين معه وسائر حشمه الذين لم يعتنقوا النصرانية .

مادة رابعة : ويتمهد جلالتهما وخلفاؤهما إلى الأبد بأن يترك الملك المذكور
أبو عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وسائر الشعب تحت حكم
شريعتهم ، وألا يؤمروا بترك شيء من مساجدهم وصوامعهم ، وأن تترك لهذه
المساجد مواردها كما هي ، وأن يقضى بينهم وفق شريعتهم وعلى يد قضاتهم ،
وأن يحتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم .

مادة خامسة : وألا يؤخذ منهم حياتهم أو سلاحهم الآن أو فيما بعد ، سوى
الدافع الكبيرة والصغيرة فإنها تسلم .

مادة سادسة : وأنه يحق لسائر سكان غرناطة والبيازين وغيرها ، الذين
يريدون العبور إلى المغرب أن يبيعوا أموالهم المنقولة لمن شاؤوا ، وأنه يحق
للملكين شراءها بملأها الخاص .

مادة سابعة : وأنه يحق للسكان المذكورين أن يعبروا إلى المغرب أو يذهبوا
أحراراً إلى أية ناحية أخرى حاملين أمتعتهم أو سلمهم وحليهم من الذهب والفضة
وغیرها . ويلتزم الملك أن يجهز في بحر ميتين يوماً من تاريخه عشر سفن من

موانيهها يعبر فيها الذين يريدون الذهاب إلى المغرب ، وأن يقدموا خلال الأعوام الثلاثة التالية السفن لمن شاء العبور ، وتبقى السفن خلال هذه المدة تحت طلب الراغبين فيه ، ولا يقتضى منهم خلال هذه المدة أي أجر أو مغرم ، وأنه يحق العبور لمن يشاء بعد ذلك نظير دفع مبلغ « دويل » واحد عن كل شخص ، وأنه يحق لمن لم يتمكن من بيع أملاكه أن يوكل لإدارتها ، وأن يقتضي ريعها حيث كان .

مادة ثامنة : وألا يرغم أحد من المسلمين أو أعقابهم ، الآن أو فيها بعد على تقلد شارة خاصة بهم .

مادة تاسعة : وأن ينزل المملكان للملك أبي عبد الله المذكور وسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما لمدة ثلاث سنوات تبدأ من تاريخه عن سائر الحقوق التي يجب عليهم أداؤها عن دورهم ومواشيهم .

مادة عاشرة : وأنه يجب على الملك أبي عبد الله وسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وأراضيها أن يسلموا وقت تسليم المدينة طواعية ودون أية فدية سائر الأسرى النصراني الذين تحت أيديهم .

مادة ثانية عشرة : وأنه لا يسمح لنصراني أن يدخل مكاناً لعبادة المسلمين دون ترخيص وبماق من يفعل ذلك .

مادة ثالثة عشرة : وألا يولى على المسلمين مباشر يهودي ، أو يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم .

مادة رابعة عشرة : وأن يعامل الملك أبو عبد الله المذكور وسائر السكان المسلمين برفق وكرامة ، وأن يحتفظوا بموائدهم وتقاليدهم ، وأن يؤدي للفقهاء حقوقهم المأثورة وفقاً للقواعد المرعية .

مادة خامسة عشرة : وأنه إذا قام نزاع بين المسلمين فصل فيه وفقاً لأحكام شريعتهم ، وتولاه قضاتهم .

مادة سادسة عشرة : وألا يكلفوا بإيواء ضيف أو تؤخذ منهم ثياب أو دواجن أو أطعمة أو ماشية أو غيرها دون إرادتهم .

مادة سابعة عشرة : وأنه إذا دخل نصراني منزل مسلم قهراً عنه عوقب على فعله .

مادة ثامنة عشرة : وأنه فيما يتعلق بشؤون الميراث يحتفظ المسلمون بنظمهم ويحتكون إلى فقهاءهم وفقاً لسنن المسلمين .

مادة تاسعة عشرة : وأنه يحق لسائر سكان غرناطة والبشرات وغيرهما الداخلين في هذا العهد الذين يعلنون الولاء لجلالتيهما في ظرف ثلاثين يوماً من التسليم أن يتمتعوا بالاعفاءات الممنوحة مدى السنوات الثلاث .

مادة عشرون : وأن يبقى دخل الجوامع والهيئات الدينية أو أية أشياء أخرى مرصودة على الخير ، وكذا دخل المدارس متروكاً لنظر الفقهاء ، وألا يتدخل جلالتيهما بأية صورة في شأن هذه الصرفيات أو يأمر أن يأخذها في أي وقت .

مادة واحدة وعشرون : وأنه لا يؤخذ أي مسلم بذنب ارتكبه شخص آخر ، فلا يؤخذ والد بذنب ولده ، أو ولد بذنب والده أو أخ بذنب أخ ، أو ولد عم بذنب ولد عم ولا يعاقب إلا من ارتكب الجرم .

مادة رابعة وعشرون : وأنه إذا كان مسلم أميراً وفر إلى مدينة غرناطة أو البيازين أو أرباضها أو غيرها فإنه يعتبر حراً ، ولا يسمح لأحد بمطاردته إلا إذا كان من العبيد أو من الجزائر .

مادة خامسة وعشرون : وألا يدفع المسلمون من الضرائب أكثر مما كانوا يدفعون للوكم المسلمين .

مادة سادسة وعشرون : وأنه يحق لسكان غرناطة والبياسين والبشرات

وغيرهما ممن عبروا إلى المغرب أن يعودوا خلال الأعوام الثلاثة التالية ، وأن يتمتعوا بكل ما يحتويه هذا الاتفاق .

مادة ثامنة وعشرون : كما يحق لمن عبر منهم إلى المغرب ولم ترضه الإقامة هنالك أن يعود خلال الأعوام الثلاثة وأن يتمتع بكل ما في هذا الاتفاق .

مادة تاسعة وعشرون : وأنه يحق لتجار غرناطة وأرباضها والبشرات وسائر أراضها أن يتعاملوا في سلعهم آمنين عابرين إلى المغرب وعائدين ، كما يحق لهم دخول سائر النواحي التابعة لجلالتيهما وألا يدفعوا من الضرائب سوى التي يدفعها النصارى .

مادة ثلاثون : وأنه إذا كان أحد من النصارى - ذكر أو أنثى - اعتنق الاسلام فلا يحق لانسان أن يهدده أو يؤذبه بأية صورة ومن فعل ذلك يعاقب .

مادة واحدة وثلاثون : وأنه إذا كان مسلم تزوج بنصرانية واعتنقت الاسلام فلا ترغم على العودة إلى النصرانية ، بل تسأل في ذلك أمام المسلمين والنصارى وألا يرغم أولاد الروميات ذكوراً وإناثاً على اعتناق النصرانية .

مادة ثانية وثلاثون : وأنه لا يرغم مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية .

مادة ثالثة وثلاثون : وأنه إذا شاءت مسلمة متزوجة ، أو أرملة ، أو بكر اعتناق النصرانية : دافع الجب فلا يقبل ذلك منها ، حتى تسأل وتوعظ وفقاً للقانون ، وإذا كانت قد استولت خلصة على حلي ، أو غيرها من دار أهلها أو أي شيء آخر ، فإنها ترد لصاحبها ، وتتخذ الإجراءات ضد المسئول .

مادة رابعة وثلاثون : وألا يطلب المملكان ، أو يسمحا أن يطلب إلى الملك المذكور مولاي أبي عبد الله ، أو خدمه أو أحد من أهل غرناطة أو البيازين ، وأرباضها والبشرات ، وغيرها ، من الداخلة في هذا العهد بأن يردوا ما أخذوه أيام الحرب من النصارى ، والمدجنين من الخليل ، أو

الماشية ، أو الثياب ، أو الفضة ، أو الذهب وغيرها ، أو من الأشياء الموروثة ولا يحق لأحد يعتم بشيء من ذلك أن يطالب به .

مادة خامسة وثلاثون : وألا يطلب إلى أي مسلم ، يكون قد هدد أو جرح أو قتل أسيراً أو أسيرة نصرانية ، ليس أو ليست في حوزته رده أو ردها الآن وفيما بعد .

مادة سادسة وثلاثون : وألا يدفع عن الأملاك ، والأراضي السلطانية بعد انتهاء السنوات الثلاث الحرة من الضرائب إلا وفقاً لقيمتها ، وعلى مثل الأراضي العادية .

مادة سابعة وثلاثون : وأن يطبق ذلك أيضاً على أملاك الفرسان والقادة المسلمين فلا يدفع عنها أكثر مما يدفع عن الأملاك العادية .

مادة ثامنة وثلاثون : وأن يتمتع اليهود من أهل غرناطة ، والبيازين وأرباضها ، والأراضي التابعة لها ، بما في هذا العهد من الامتيازات ، وأن يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر تبدأ من يوم ١٨ ديسمبر .

مادة تاسعة وثلاثون : وأن يكون الحكم والقواد والقضاة ، الذين يعينون لغرناطة ، والبيازين ، والأراضي التابعة لها ممن يعاملون الناس بالكرامة والحسنى ، ويحافظون على الامتيازات الممنوحة ، فإذا أخل أحدهم بالواجب عوقب وأحل مكانه من يتصرف بالحسنى .

مادة أربعون : وأنه لا يحق للملكين أو لأعقابها إلى الأبد ، أن يسألوا الملك المذكور أبا عبد الله أو أحداً من المسلمين المذكورين بأية صورة عن أي شيء يكون قد عماله ، حتى حلول يوم تسليم الحمراء المذكورة وهي فترة الستين يوماً المنصوص عليها .

مادة واحدة وأربعون : وأن لا يولي عليهم أحداً من الفرسان أو القادة أو الخدم الذين كانوا تابعين للملك وادي آس .

مادة ثانية وأربعون : وأنه إذا وقع نزاع بين نصراني أو نصرانية ومسلم أو مسلمة ، فإنه ينظر أمام قاضي نصراني وآخر مسلم ، حتى لا يتظلم أحد مما يقضى به .

مادة رابعة وأربعون : وأن يقوم الملكان بالإفراج عن الأسرى المسلمين ذكوراً وإناثاً من أهل غرناطة ، والبيازين ، وأرباضها ، وأراضيها ، إفراجاً حراً دون أية نفقة من فدية أو غيرها ، وأن يكون الإفراج عن كل من هؤلاء الأسرى بالأندلس في ظرف خمسة الأشهر التالية ، وأما الأسرى الذين بقشتالة فيفرج عنهم خلال الثمانية أشهر التالية ، وبعد يومين من تسليم الأسرى النصراني لجلالتيها يفرج عن اثنين عن الأسرى المسلمين ، منهم مئة من الرهائن ومئة أخرى .

مادة سادسة وأربعون : وأنه إذا دخلت أية محلة من نواحي البشرات في طاعة جلالتيها ، فإنها يجب أن تسلم إليها كل الأسرى النصراني ذكوراً وإناثاً في ظرف خمسة عشر يوماً من تاريخ الانضمام وذلك دون أية نفقة .

مادة سابعة وأربعون : وأن تعطى الضمانات للسفن المغربية الرامية الآن في مملكة غرناطة لكي تسافر في أمان ، على ألا تكون حاملة أي أسير نصراني ، وألا يحدث لها أحد ضرراً أو إتلافاً ، وألا يؤخذ منها شيء ، ولا ضمان لمن تحمل معها أسرى من النصراني ، ويحق لجلالتيها إرسال من يقوم بتفتيشها لذلك الغرض .

مادة ثامنة وأربعون : وألا يدعى أو يؤخذ أحد من المسلمين للحرب رغم إرادته ، وإذا شاء جلالتيها استدعاء الفرسان الذين لهم خيول ، وسلاح للعمل في نواحي الأندلس فيجب أن يدفع لهم الأجر من يوم الرحيل حتى يوم العودة .

مادة ثانية وخمسون: وأنه يجب على كل من عليه دين أو تعهد، أن يؤديه لصاحب الحق، ولا يحق لهم التحرر من هذه الحقوق.

مادة ثالثة وخمسون: وأن يكون المأمورون القضائيون الذين يعينون لحاكم المسلمين مسلمين الآن وإلى الأبد.

مادة رابعة وخمسون: وأن يكون المتولون لوظائف الحسبة الخاصة بالمسلمين أيضاً مسلمين، وألا يتولاها نصراني الآن وفي أي وقت.

وأن يقوم الملكان في اليوم الذي تسلم إليهما فيه الجراء، والحصن، والأبواب كما تقدم، بإصدار مراسيم الامتيازات للملك أبي عبد الله، وللمدينة المذكورة مجهزة بتوقيعها، ومختومة بخاتمها الرصاص ذي الأهداب الحيرية، وأن يصدق عليها ولدهما الأمير والكردينال المحترم دي سينا ورؤساء الهيئات الدينية، والعظماء، والدوقات، والمركيزون، والكونتات، والرؤساء حتى تكون ثابتة وصحيحة الآن وفي كل وقت (٥٦ ثافرا) (٤٣ سينانقا).

وقد ذيلت المعاهدة بنبذة خلاصتها:

إن ملكي قشتالة يؤكدان ويضمنان بدينها وشرفها الملكي القيام بكل ما يحتويه هذا العهد من النصوص، ويوقعانه باسميها ويمهرانه بخاتميهما وعليه تاريخ تحريرها ١٤٩١/١١/٢٥ م.

تم ذيلت بعد ذلك بتاريخ لاحق هو يوم ١٤٩٢/١٢/٣٠ م أي بعد عام من تسليم غرناطة بتوكيد جديد أمر فيه الملكان ولدهما الأمير، وسائر عظماء المملكة بالمحافظة على محتويات هذا العهد، وألا يعمل ضده شيء، وينقض منه شيء، الآن وإلى الأبد، وأنها يؤكدان، ويقسمان بدينها، وشرفها الملكي بأن يحافظا وبأمران بالمحافظة على كل ما يحتويه بتدأ بتدأ إلى الأبد.

وقد ذيل هذا التوكيد بتوقيع الملكين وتوقيع ولدهما وجمع كبير
من الأمراء ، والأخبار ، والأشراف .
نهاية الأندلس لعنان ٢٤٥ - ٢٥٠ .

٣٢٩ - الذيل الذي ذيل به الملكان فرناندو وإيزابيلا معاهدة تسليم
غرناطة ، ويضمن الملكان بموجبه حقوق وامتيازات أبي عبد الله
الصفير آخر ملك من ملوك بني نصر في غرناطة .

أن يمنح الملكان الكاثوليكين لأبي عبد الله ولأولاده ، وأحفاده ،
وورثته إلى الأبد حق الملكية الأبدية فيما يملكه من محلات وضياع في
بلاد برجة ، ودلاية ، ومرشانة ، ولوشار ، واندرس ، وأجيجر ،
وأرجبة ، وبضعة بلاد أخرى مجاورة ، وكل ما يخصها من الضرائب ،
وحقوق الربيع ، وما بها من الدور والأماكن ، والقلاع ، والأبراج ،
لتكون كلها له ولأولاده ، وأعقابيه ، وورثته بحق الملكية الأبدية ،
يتمتع بكل ريعها ، وعشورها ، وحقوقها ، وأن يتولى القضاء في النواحي
المذكورة باعتباره سيدها ، وباعتباره في نفس الوقت تابعاً ، وخاضعاً لجلالتيها .
وله حق بيع الأعيان المذكورة ، ورهنها وأن يفعل بها ما يشاء ومتى شاء .
وأنه متى أراد بيعها ، فإنه يرض ذلك أولاً على جلالتيها فإذا لم يريد
شراءها فله أن يبيعها لمن شاء .

وأن يحتفظ جلالتيها بقلمة ادره وسائر القلاع الواقعة على الشاطئ .
وأن يعطي جلالتيها إلى الملك المذكور مولاي أبي عبد الله هبة قدرها
ثلاثون ألف جنيه قشتالي ، من الذهب (كاستيليانو) يعثان بها إليه
عقب تسليم الحمراء ، وقلاع غرناطة الأخرى التي يجب تسليمها ، وذلك في
الموعد المحدد .

وأن يهب جلالتها للملك المذكور كل الأراضي ، والرحى ، والحدائق والمزارع التي كان يملكها أيام أبيه السلطان أبي الحسن ، سواء في غرناطة ، أو في البشرات ، لتكون ملكاً له ولأولاده ، ولعقبه وورثته ملكية أبدية . وله أن يبيعها ، أو يرهنها وأن يتصرف فيها كيفما شاء .

وأن يهب جلالتها أيضاً إلى الملكات والدته وأخواته وزوجته إلى زوجة أبي الحسن كل الحدائق ، والمزارع ، والأراضي ، والطواحين ، والحمامات التي يملكها في غرناطة ، والبشرات ، تكون ملكاً لهن ولأعقابهن إلى الأبد ، ولهن بيعها ورهنها ، والتمتع بها ، وفقاً لما تقدم .

وأن تكون سائر الأراضي الخاصة بالملك المذكور ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن معفاة من الضرائب ، والحقوق الآن وإلى الأبد .

والأ يطلب جلالتهما أو أعقابهما إلى ملك غرناطة ، أو حشمه ، أو خدمه ، ردة ما أخذوه في أيامهم سواء من النصارى أو المسلمين من الأموال والأراضي .

وأنه إذا شاء الملك المذكور أبو عبد الله ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن وأولادهم ، وأحفادهم ، وأعقابهم ، وقوادهم ، وخدمهم ، وأهل دارهم ، وفرسانهم ، وغيرهم صفاراً وكباراً العبور إلى المغرب ، فإن جلالتهما يجيزان الآن أو في أي وقت سفينتين لعبور الأشخاص المذكورين متى شاءوا تحملهم وكل أمتعتهم وماشيئهم وسلاحهم ، وذلك دون أية أجر أو نفقة .

وأنه إذا لم يتمكن الملك المذكور وأولاده ، وأحفاده ، وأعقابهم ، والملكات المذكورات ، وزوجة مولاي أبي الحسن ، والقواد ، والحشم ، والخدم ، وقت عبورهم إلى المغرب ، من بيع أملاكهم المشار إليها ، فإن

لهم أن يوكلوا من شاءوا لقبض ريعها وإرساله حيث شاءوا دون أي قيد أو منغرم .

وأنه يحق للملك المذكور متى شاء أن يرسل من يرى من خدمه ، أو قادته إلى المغرب بسلع أو غيرها من إراداته ، وذلك دون قيد أو منغرم .

وأنه يحق للملك المذكور ، متى خرج عن غرناطة ، أن يسكن أو أو يقيم متى شاء في الأراضي التي أقطعت له ، وأن يخرج هو وخدمه وقواده وعلماؤه وقضاته وفرسانه الذين يريدون الخروج معه بخيلهم وماشيئهم متقلدين أسلحتهم ، وكذلك نسائهم ، وخدمهم ، وألا يؤخذ منهم شيء سوى المدافع ، وألا يفرض عليهم ، لآث أو في أي وقت ، وضع علامة خاصة في ثيابهم أو بأية صورة ، وأن يتمتعوا بسائر الامتيازات المقررة في عهد تسليم غرناطة ، وأنه في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء وحصونها ، يصدر جلالته المراسيم اللازمة بالمنح المذكورة موقعة مختومة ومصدق عليها من ابنها الأمير الكاردينال ، وسائر العظماء .

نهاية الأندلس لعنان ٢٥١ - ٢٥٢ .

٣٣٠ - نص اتفاق أبي عبد الله الصغير الأخير مع ملك إسبانية

بالتنازل عن أملاكه ، والرحيل إلى المغرب .

أصبح بقاء أبي عبد الله مؤملاً له ومزعجاً لفرناندو ، فأرسل رسولا إلى فرناندو ، وبعد مفاوضات طويلة اتفق الطرفان على أن يغادر أبو عبد الله إسبانية إلى المغرب ، وأن يتنازل عن أملاكه ، وحقوقه ، لقاء مبلغ معين . وذلك أنه يتعهد بالعبور إلى المغرب في موعد أقصاه نهاية تشرين أول سنة ١٤٩٣ م ، وأنه يتنازل عن سائر أملاكه ، وضياعه في

كل مكان بالبيع للملكين القشتاليين لقاء ثمن إجمالي قدره واحد وعشرون ألف جنيه قشتالي (كاستيليانو) من الذهب الحر أو الدوقات المضروبة من الذهب الخالص ، كما يتنازل أبو عبد الله عن اختصاصه السدني والجنائي ، ويحمل إليه المال قبل رحيله بثمانية أيام ، ويقدم إليه عربتان لحمل متاعه وسفنًا ينتقل عليها مع صحبه إلى المغرب .

كما تضمن الاتفاق نصوصاً أخرى بخصوص بيع الأيرات ، أملاكهن للملكين . وكذلك بيع الوزير ابن كاشة والوزير أبي القاسم كل أملاكهما ، نظير مقادير من المال بنفس الشروط .

نهاية الأندلس لعنان - ٢٧٧

٣٣١ - نص اعتراف أبي عبد الله بتنازله عن أملاكه ، واستلامه عقود ذلك وهو موجه إلى فرناندو وإيزابيلا .

الحمد لله إلى السلطان والسلطانة أضيافي . أنا الأمير محمد بن علي بن نصر خديكم . وصلتني من مقامكم العلي المعيد وفيها جميع الفصول ، الذي عقدها عني وبكم التقديم ، من خديمي القائد أبو القاسم المليخ ، ووصلت بخط يدكم الكريمة عليها ، وبطابعكم العزيز . كيف هيت مذكورة بهذا الذي هي تصلكم . وإني نوفي ونحلف أني رضيت بها ، بكلام الوفا مثل خديم جيد . وترى هذا خط يدي وطابعي أرقيته عليها ، لتظهر صحة قولي ، ووصلت بتاريخ الثالث والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ثمان وتسعون وثمانمائة . أنا كاتبه محمد بن علي بن نصر رضيت وقبلت جميع ما في هذا المكتوب الثابت . وتقبل يدي ، إلى أضيافي السلطان والسلطانة ، مدلي في هنا كما .

نهاية الأندلس لعنان ٢٧٧-٢٧٨

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّجَّارِيُّ
أَسْلَمَ الدِّينَ الْفَرْدَوَسِي

٣٢٢ - رسالة وجهها أبو الحسن المريني سلطان المغرب أمير المسلمين إلى الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون الملك المملوكي يخبره بمعاركه في الأندلس وهزيمته في الجزيرة الخضراء . وتاريخ الرسالة سنة ٥٧٤٥هـ (١)
بعد البسملة والصلاة .

من عند أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين ، المنصور بفضل الله المتوكل عليه ، المعتمد في جميع أموره لديه ، سلطان البرين ، حامي المدوتين مؤثر الرابطة والثاغرة ، موازر حزب الاسلام حق الموازنة ، ناصر الاسلام ، مظاهر دين الملك العلام ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ، ملك البرين إمام المدوتين ، ممد البلاد ، مبدد شمل الأعاد ، مجند الجنود ، المنصور الرايات والبنود ، محط الرجال ، مبلغ الآمال ، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، حسنة الأيام ، حسام الاسلام ، أبي الأملاك ، مشجعي أهل العناد والاشراك ، مانع البلاد ، رافع علم الجهاد ، مدوخ أقطار الكفار ، مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله بإعلاء دين الحق ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أخلص الله لوجهه جهاده ، ويسر في قهر عداء الدين مراده . إلى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرأنا ، وصدع بأنواع الفخار فجلا ظلاماً وظلماً ، وجمع شمل الملكة الناصرية فأعلى منها علماً وأحيا لها رسماً ، حائط الحرمين القائم بحفظ القبليتين ، باسط الأمان ، قابض كف العدوان ، الجزيل التوال ، الكفيل تأمينه بحياطة النفوس

(١) أبو الحسن المريني ملك المغرب من ٧٣١ إلى ٧٤٩ هـ ، والسلطان الملك الصالح حكم دولة المماليك من ٧٥٢ إلى ٧٥٥ هـ ولذا هنا خطأ إما في تاريخ الرسالة أو في اسم السلطان المملوكي . ولقد ورد في الرسالة الجوابية التي وجهها السلطان المملوكي إلى السلطان المغربي ذات الرقم ٣٢٣ اسم السلطان المملوكي اسماعيل بن الناصر ، والذي حكم بين سنتي ٧٥٣ و ٧٦٦ هـ وهذا هو الصواب .

والأموال ، قطب المجد وسمائه ، جب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع
الأصيل الحافل العادل الفاضل الكامل ، الشهير الخطير الأضخم الأفخم ،
المعان المؤزر المظفر ، الملك الصالح أبو الوئيد اسماعيل ، ابن محل أخينا الشهير
علاؤه ، المستطير في الآفاق ثناؤه ، زين الأيام والليال ، كمال عين إنسان المجد
وانسان عين الكمال ، وارث الدول ، النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل
والنحل ، حامي القبلتين بعدله وحسامه ، النامي في حفظ الحرمين أجر اضطلاعاً
بذلك وقيامه ، هازم أحزاب المماندين وجيوشها ، هادم الكنائس والبيع فهي
خاوية على عروشها ، السلطان الأجل الهمام الأحفل الأفخم الأضخم ، الفاضل
العادل ، الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرباط ، المقسط عدله في الجائر
والقاسط ، المؤيد المظفر ، النعم المقدس المطهر ، زين السلاطين ، ناصر الدين
والدين ، أبي المعالي محمد ، ابن الملك الارضي الهمام الأمضى ، والد السلاطين
الأخيار ، عاقد لواء النصر في قهر الأرمن والفرنج والتتار ، ومحبي رسوم الجهاد
معلي كلمة الاسلام في البلاد ، جمال الايام ، ثمال الأعلام ، فاتح الأقالم ، صالح
ملوك عصره المتقادم ، الامام المؤيد ، المنصور السدد ، قسيم أمير المؤمنين في
تقلد ، الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، مكن الله له تمكين أوليائه .
ونعى دولته التي أطلعها له السعد شمساً في سمائه ، وأحسن إيزاعه للشكر أن جعل
وارث آبائه .

سلام كريم يفاوح زهر الربا مسراه ، وينافح نسيم الصبا مجراه ، يصحبا
رضوان يدوم مادامت تقل الفلك حركاته ، ويتولاه روح وريحان تحبيه با
رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مالك الملك ، جاعل العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعة
للشك ، وخاذل من أسر في النفاق النجوى فأصر على الدخن والإفك ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محاً بأنوار الهدى ظلم الشرك ، ونبه الذي

ختم به الأنبياء وهو واسطة ذلك السلك ، ودحا به حجة الحق فمادت بالكفرة
محمولة الأفلاك وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضى عن آله وأصحابه الذين سلكوا
سبيل هدها فسلك في قلوبهم أجمل السلك ، وملكوا أعنة هدها فلزموا من
محجة الصواب أنجح السلك ، وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع
الابتلاء ، والذهب يزيد خلوصاً على السبك ، والدعاء لأولياء الاسلام وحماته
الأعلام ، بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك ، ويسر بقضائه درك آمال الظهور
وأحفل بذلك الدرك ؛ فكتبناه إليكم ، كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم
من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة ، وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الألفاف ،
ويكيف مواهب تلجج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، ويصرف من
أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ، ومكانكم
العتيد سلطانه ، وسلطانكم الحيد مكانه ، وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم
الفسيح في مجال الجلال ميدانه ، وإلى هذا زاد الله سلطانكم تكيناً ، وأفاد
مقامكم تحصيئاً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلاً مييناً .

فلا خفاء بما كانت عقدته أيدي التقوى ، ومهدته الرسائل التي على الصفاء
تطوى ، بيننا وبين والدكم ، نعم الله روحه وقده ، وبقره مع الأبرار في
عليين آنسه ، من مأخاة أحكت منها اليهود تالية الكتب والفتاحة ، وحفظ
عليها محكم الاخلاص فعمودناها المحبة والنية الصالحة . فانعقدت على التقوى
والرضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازح الأبدان ، حتى استحكمت
وصلة الولاء . والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء . فما كان إلا وشيكاً من الزمان
ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلات . وزد وارد أورد رنق المشارب
وحقق قول ومن « يسأل الركبان عن كل غائب » أنبأ باستئثار الله تعالى بنفسه
الزكية ، وأكنان درته السنية ، وانقلابه إلى ما أعد له من المنازل الرضوانية ؛
بجليل ما وقر لفقده في الصدور ، وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور

حناناً للإسلام بتلك الأقطار ، وإشفاقاً من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الأضرار ، ومساهمة في مصاب الملك الكريم ، والولي الحليم ، ثم عميت الأخبار ، وطويت على السجل الآثار . فلم زخبراً صدقاً ، ولا معلماً بمن استقر له ذلكم الملك حقاً . وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الأندلس وسلطانها ، وتواتر الأخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب أوطانها . ونحن أثناء ذلكم الشأن نستخبر الوارد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان . فبعد لأي وقعنا منها على الخير ، وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير ، وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير على أبوابه . فأطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبرأ من أدواء النفاق ما أعلّ البلاد وأفسدها ، فقام سبيل الحج سائلاً ، وتعبد طريقه لمن جاء قاصداً وقافلاً ، ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر نقل للحاضر له والمعين ، أثار حفظ الاعتقاد البواحث ، والود الصحيح تجره حقاً الموارث ، فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفتنة الأطوار الجامعة بين الخير والاستخبار ، الملبسة من العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ، ومثل ذلكم الملك ، رضوان الله عليه ، من تجل المصائب لفقدانه وتحمل عرا الاصطبار بموته ، ولات حين أوانه ، لكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين ، والأجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ، ومثلكم من لا يخف وقاره ، ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ، ومن خلفكم فما مات ذكره ، ومن قتم بأمره فما زال بل زاد فخره .

وقد طالت ، والحمد لله ، العيشة الراضية بالحقب ، وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئاً بما من الأجر اكتسب ، وصار حميداً إلى خير المنقلب ، ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقناً ووهب ، فقد ارتضاكم الله بعمده لحياطة أرضه المقدسة ، وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة .

ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية ، وفي ذات الله الايراد والإصدار وفي مرضاته سبحانه الاضرار والاضهار ، فاستقبلوا دولة ألقى الغز عليها رواقه ، وعقد الظهور عليها نطاقة ، وأعطاهما أمان الزمان عقده وميثاقه ، ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر ، رضوان الله عليه ، من عهود موثقة وموالاتة محققة ، وثناء كائمه عن أزكى من الزهر غيب القطر مفتحة ، ولم يغيب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الأكرمين الذين خطتها منا اليمين ، وأوت بها الرغبة من الحرمين الشريفين إلى قرار مكين ، وأنه كان لوالدكم الملك الناصر ، تولاه الله برضوانه وأورده موارد إحسانه ، في ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكله فضله من البر الذي لا يضيع ، حتى طبق فمله الآفاق ذكراً ، وطوق أعناق الوراد والقصاد برأ . وكان من أجل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه إلى رضى الملك العلام في ذلك تعرف ، أذنه للمتوجهين إذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقت مع اختلاف الجديدين . فجرت أحوال القراء فيها بذلك الخراج المستفاد ، ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد ، على ما رسمه رحمة الله عليه . من عناية بهم متصلة ، واحترام في تلك الأوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة . وقد أمرنا مؤدي هذا لكم ، وموفده على جلالكم ، كاتبنا الأسنى الفقيه الأجل الأخطى الأكل أبا الجيد ، ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الأجل الحاج الأتقى ، الأرضى الأفضل الأخطى الأكل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مدين ، حفظ الله عليه رتبته ، ويسر في قصد البيت الحرام بغيته ، بأن يتفقد أحوال تلك الأوقاف ، ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد وإسراف ، وأن يتخير لها من يرتضي لذلك ، ويحمد تصرفه فيما هنالك ، وخطابنا سلطانكم في هذا الشأن ، جرياً على الود الثابت

الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم ، - رحمه الله تعالى - في ذلك من الأفعال الحسان ، وكما لكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجليل ، وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل ، وتشديد ما اشتمل عليه من الشكر الأصيل ، والأجر الجزيل والتقدم بالأذن السلطاني في إعانة هذا الوافد بهذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طريق الصواب . وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفواح زهر الربا ، ويطارح نهم حمام الأيك مطرباً وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاة نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجنب . وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ، ونادى مناد للجهاد عزماً لمثل ندائه يصيخ ، أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب ، وحتم عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب ، وإن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بإيجافها ، وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليجحوا كلمة الاسلام منها ، ويقلصوا ظل الإيمان عنها ، فقدمنا من يشتغل بالأساطيل من القواد ، وسرنا على إثرهم إلى سبته منتهى المغرب الأقصى وباب الجهاد ، فما وصلناها إلا وقد أخذ أخذ العدو الكفور ، وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور ، وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عدداً ، وأرصدوها بمجمع البحر حيث الحجاز إلى دفع العدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء ، أعادها الله بكل ما جموه من الأعاد لكننا مع انسداد تلك السيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجليل ، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمكن أمكن من الجند وجهزنا أجفاناً مختلسين فرصة الاجازة ، تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه ، وأمرنا لصاحب الأندلس من المال بما يجهز به حركته لمدانة محلة حزب الضلال ، وأجربنا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهرة ، وأرضنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخرة . وجعلت أجفاننا تتردد في ميناء السواحل

وتلج أبواب الخوف العاجل لإحراز الأمن الآجل . مشحونة بالعدد الوفيرة والأبطال المشهورة ، والخييل المسومة والأقوات المقيمة ، فمن ناج حارب دونه الأجل ، وشهيد مضى لما عند الله عز وجل . وما زالت الأجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجراها عند الله يدخر ، ثم لم نقنع بهذا العمل في الامداد ، فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لأهل تلك البلاد ، فلقى من هول البحر وارتجاعه ، وإلحاح العدو ولجاجة ما به الأمثال تضرب ، وبمثله يتحدث ويستغرب ، ولما خلص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد ، نزل بإزاء الكافر الجاحد ، حتى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد ضرب بطعن يصاحب العدو ويماسيه بحرب بها يمضي .

وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته ، وقويت في الحرب إدارته ، يبلون البلاء الأصديق ، ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الأورق ، إلا أن المطالوة بحضرها في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ، ومنازلتها في البر نحو عامين معقوداً عليها الصف بالصف أدّى إلى فناء الأقوات في البلد ، حتى لم يبق لأهله قوت نصف شهر مع انقطاع المدد ، وبه من الخلق ما يربي على عشرة آلاف دون الحرم والولد . فكتب إلينا سلطان الأندلس يرغب في الإذن له في عقد الصلح ، ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح ، فأذننا له فيه الإذن العام ، إذ في إصراخه وإصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام . هنالك دعي النصاري إلى السلم فاستجابوا ، وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا ، قم الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها من فرسان ، ورجال ، وأهل ، وبنين ، ولم يرزؤوا مالاً ولا عدة ، ولا لقوا في خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة . ووصلوا إلينا فأجزاناهم العطاء ، وأسليناهم عما جرى

بالجباء ، فمن خيل تزيد على الألف عتاقها ، وخلع تري على عشرة آلاف أطواقها ، وأموال عمت الغني والفقير ، ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير ، وكف الله ضر الطواغيت عمّا عداها ، وما انقلبوا بغير قدرة عفا رسمها ، وصم صداها . وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر ، أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر ، وهو المائل على هذه المدرة ، والفرصة منها إن شاء الله متيسرة ، حتى يفرق عقد الكفار ، ويفرج بهذه الجهة منهم مجاور هذه الأفطار ، فلولا اجلاهم من كل جانب كانوا سدوا مسالك العبور بنا لجميعهم من الأجفان والمراكب لما بالينا بأضعافهم ، ولحلمنا بعون الله عقد اتفاقهم ، ولكن للموانع أحكام ، ولا راد لما جرت به الأقلام ، وقد أمرنا لذلك الثغر بزيد المدد ، وتخبرنا له واسائر تلك البلاد العدد والعدد ، وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعناء السفر ، وترتبط الجياد ، وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ، وتكون على أهبة الجهاد ، وعلى مراقبة الفرصة عند تمكّنها في الاتحاد . وعند عودنا من تلك المحاولة ، تيسر الركب الحجازي موجهاً إلى هنا لكم رواحله ، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب ، إصدار الود الخالص ، والحب الباب . وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء ، واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديدة من البلاء ، وما لم من غرض بهذه الأنحاء ، فوفى قصده على أكمل الأهواء .

موالي تتميمه على أجمل الآراء ، والبلاد باتحاد الود متحدة ، والقلوب والأيدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة ، جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد ، ومدخوراً ليوم التناد مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد ، منه وفضله ، وهو سبحانه وتعالى يصل إليكم سعداً تنفاخر به

سعود الكواكب ، وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب ، وتنقاصر
عن نيل مجده متطاولات المناكب . والسلام الأتم يخضعكم كثيراً أثيراً
ورحمة الله وبركاته . وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر
المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة . وصورة العلامة وكتب في
التاريخ المؤرخ .

نفح الطيب المقرئ ١٢٠/٦ - ١٤٩

٢٣٣ - رسالة جوابية من الملك الصالح المملوكي (الصواب الناصر
عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد) إلى سلطان المغرب أبي الحسن
المريني عن رسالته سائفة الذكر ، وهي من إنشاء خليل الصفدي .
بعد البسملة .

عبد الله ووليه . صورة العلامة . ولده إسماعيل بن محمد السلطان
الملك الصالح ، السيد العالم ، العادل المؤيد ، المجاهد الرابط ، الثائر
المظفر ، المنصور عماد الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، محيي
العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، وارث الملك ، ملك
العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، واهب الممالك والأمصار ،
اسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسرّة ، والتخوت والتيجان ، ظل
الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، مالك البحرين ، خدام الحرمين
الشريفيين ، سيد الملوك والسلطين ، جامع كلّة الموحدين ، ولي أمير
المؤمنين ، أبو الفداء اسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ،
ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور
سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلد الله تعالى سلطانه ، وجعل الملائكة
أنصاره وأعوانه ، يخص المقام العالي الملك الأجل ، الكبير المجاهد ، الرابط

الفاخر العظيم ، المكرم المظفر ، المعمر الأسعد ، الأصعد الاوحد ، الامجد
الانجد ، السني السري ، المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد
ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، أمدّه الله بالظفر ،
وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبكر .

سلام وشت البروق وشائعه ، وادخرت الكواكب ودائمه ، واستوعب
الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناء اتخذ النفع المسكية طلائعه ،
ونبه للتفريد في الروض سواجعه وجلّى في كأسه من الشفق الحمر من
مدامه ، ومن النجوم مواقعه .

أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا المورثة ،
وأجلستنا على سرير مملكة زرايها بين النجوم مبثوثة ، وأحسن بنا الخلف
عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثه ، وصلاته على
سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ مجاهد في الكفرة
غاية أمله وسوله ، صلاة تحط بالرضوان سيولها ، وتجر بالفقران ذيولها ،
ما ترامل أصحاب وتواصل أحباب ، ويوضح للعالم الكريم ورود كتابكم
العظيم ، وخطابكم الفائق على الدر النظيم ، تفاخر الحائل سطوره ،
ويصنع خد الورد بالخلجل منشوره ، ويحكي الرياض اليانة ، فالالفات
غصونه والهمزات عليها طيوره ، ويخلع على الآفاق حمل الايام والليالي ،
فالطرس صباحه ، والنقس ديجوره (١) . لفظه يطرب ، ومعناه يعرب
فيغرب ، وبلاغته تدل على أنه آية لأن شمس بينها طلعت من المغرب .

فاتخذنا سطوره ريحاناً ، ورجعنا ألفاظه ألماناً ، ورجعنا إلى الجد فشبهنا
ألفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروقه المفرقة بأفواه الجراح ،

(١) النقس : المداد ، والديجور : الظلام الشديد .

وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح، وانتهينا إلى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع، والمعنى الذي يطرب طائر المسجوع، والبلاغة التي فضحح المتطبع ببيانها المطبوع. فأما الغزاء بأخيكم الوالد، قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفنا بعده، فلنا برسول الله أسوة حسنة، ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء، ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه، عاش سعيداً يملك الأرض ومات شهيداً يفوز بالجنة يوم العرض. قد خلد الله ذكره يسير سير الشمس في الآفاق، ويوقف على نضارة حدائقه نظرات الأحداق، وورثنا منه حسن الإخاء لكم، والوفاء بعمود مودة تشبه في اللطف شمائلكم. وأما الهناء بورثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه، فقد شكرنا إكم منحى هذه المنحة، وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحة، ووقفنا عليها حمداً جعل الود علينا إرادته، وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه، وتحققنا به حسن ودمك الجميل، وكريم إخوانكم الذي لا يمد طود رسوخه ولا يميل.

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين الذين وقفتموهما على الحرمين الشريفين، وأنكم جهزتم كاتبكم الفقيه الأجل الأسنى الأسمى أبا الجعد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين، أعزه الله تعالى، لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حوز السلامة وأكرمنا زلهم، وسهلنا بالترحيب سبلهم، وجمعنا على بذل الاحسان إليهم شملهم، وحضر المذكور بين أيدينا وقربناه، وسمعنا كلامه وخاطبناه، وأمرنا أمر في المصحفين الشريفين بما أشرتم، ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافها بما ذكرتم. وهذا الوقت المبرور جارٍ على أحسن عادة ألفها، وأثبت قاعدة عرفها، مرعي الجواب محمي المنازل والمضارب، آمن من إزالة رسمه أو إزالة حكمه، بدره أبداً في مطالع تمه، وزهره دائماً يرقص على كفه، لا يزداد إلا تحليداً، ولا إطلاق ثبوته إلا تقييداً، ولا عنق اجتهاده إلا تقليداً، جرباً على قاعدة أوقاف

مما لكنا ، وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ، وله مزيد الرعاية ، وإفادة الحماية
ووفادة العناية .

وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ، ومني به من
الكفار حزنها وسهائها ، فإنه شق عاينا سماعه الذي أنكى أهل الايمان ، وعدد
به نوب الزمان ، كل قلب بأنامل الخفقان ، وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر
على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ، ولكن الحروب سجال ، وكل زمان لدوائه
دولة ولرجائه رجال ، ولو أمكنت المساعدة لطارت بنا إليكم عقبان الجياد
المسومة ، وسالت على عدوكم أباطحهم بقسيتنا المعوجة ، وسهامنا المقومة ، وكهنا
عيون النجوم بمراد الرماح ، وجعلنا ليل العجاج ممزقاً يروق الصفاح ، واتخذنا
رؤوسهم لصوالج القوائم كرات ، وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات ،
وعطفنا عليهم الأعنة ، وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الأسنة ، وخلقنا
الصخرات بالصرخات ، وأسلنا العبرات بالرغبات ، ولكن أين الغاية من هذا
المدى المتطاوّل ، وأين الثريا من يد المتناول ، وما لبنا غير إمدادكم بجنود الدعاء
الذي زفمه نحن ورعايانا ، والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول
من سجايانا .

وأما ما فقدتموه من الأجفان التي طرقها طيف التلاف ، وأم حرم فتائها
الفناء ، وطاف به بعد الألفاف ، فقد روع هذا الخبر قلب الإسلام ، ونوع له
الحزن على اختلاف الإصباح والإظلام . وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر
وطالما أنامت بالأمن أول الليل وخاطبت في السحر ، ولكن في بقائكم ما يسلي
عن خطب المطب ، ومع سلامة أنفسكم الكريمة فالأمر هين لأن الدر يفدى
بالذهب .

وأما ما رأيتموه من الصلح فرأي عقده مبارك ، وأمر ما فيه فارط غرم ،
وإن كان فيستدارك ، والأمر يحيى كما يجب لا كما نحب ، والحروب يزورها

نصرها تارة ويفب ، ومع اليوم غداً ، وقد يرد الله الردى ، ويميد الظفر بالمدا .

وأما عودكم إلى فاس المحروسة طلباً لراحة من عندكم من الجنود ، وتجهيزاً لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمر ضروري التدبير سروري التدبير ، لأن النفوس تمل وثير المهاد ، فكيف ملازمة صهوات الجهاد ، وتسأم من مجالسة الشرب ، فكيف بممارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللذة ، فكيف بمباشر المنايا الفذة . وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم وساق هدى هديته إليكم لعله يكون سبباً إلى ارتجاع ما شرد ، وحسماً لهذا الطاغية الذي مرد ، ورداً لهذا النازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد ، فعادة الألفاظ الالهية بكم معروفة ، وعزوماتكم إلى جهات الجهاد مصروفة ، وقد تفاءلنا بكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق ، وجبل يعصم من سهم يمر من قبي الكفار ويمرق .

وأما مامنتحتوه من الخيل المتاق والملابس التي تطلسم بدور الوجوه من مشارق الأطواق ، والأموال التي زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق ، فعلى الله عز وجل خلقها ، ولكم في منازل الدنيا والآخرة سرفها وشرفها ، وإليكم تساق هدايا أئنتيتها وتحفكم تحفها .

وإذا وصل وفدكم الحاج ، وأنار له بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج ، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا ، وشمول إسعافنا لهم وأنعامنا ، يتخولون تحفاً أتم سبها ، ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حبيها ، وإذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحننا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق ، وبلغناهم بحول الله تعالى ثمنهم من منى ، وسؤلهم من إذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من السنا ، وفازوا بالفنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسبهم مشقة ذلك اللرب ، ويخيّل إليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق والغرب ، وغمرناهم

بالاحسان في العود إليكم ، وأمرناهم بما ينهونه شفاهاً لديكم ، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم ، وتوفر لأخذ الثأر حماكم ، وتخصكم بتأييد تنزلون روضة الأنضر وتجنون به ثمر النصر البانع من ورق الحديد الأخضر ، وتتجفكم بسعد لا يبلى قشيه ، وعز لا يحوشبابه مشيه ، وتحينه المباركة تغادىكم وتراوحكم ، وتفاوحكم أنفاسها المعتبرة وتنافحكم بمنه وكرمه .

نفع الطيب للمقري ١٢٩/٦ - ١٣٥

٣٣٤ - خطاب وجهه إلى لسان الدين بن الخطيب السلطان أبو زيان المريني يمجده ويعيد له بموجبه الخطوة :

أكرم السلطان أبو زيان المريني ابن الأمير أبي عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن لسان الدين بن الخطيب وأصدر بذلك مرسوماً هذا نصه :

للسيخ الفقيه الأجل الأسنى الأعز الأخطى الأرفع الأجدد الأسنى الأوجده الأنوه الأرقى ، العالم العلم الرئيس الأعرف المتفنن الأبرع ، المصنف المفيد الصدر الأحفل ، الأفضل الأكمل أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى ، الأعز الأرفع ، الأجدد الوجيه ، الأنوه الأحفل الأفضل ، الحبيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب ، قابله ، أيده الله بوجه القبول والأقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والأفضال ، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العال ، وأمر في جملة ماسوغه من الولاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يمجده له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمس مئة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من تجبى مدينة ملار - حرسها الله - في كل شهر ، ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورفع الاعتراض بيلها فيها يحلب من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان

وسواه ، وفيما يستفيد به خدامه بخارجها وأجوازها من غن ووطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ، فلا يطلب في شيء من ذلك بمنهم ولا وظيف ، ولا يتوجه فيه إليه تكليف ، يتصل له حكم جميع ماذكر في كل عام تجديد تاماً واحتراماً عاماً ، أعلن بتجديد الخطوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من توارىخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام ، واتصال الأيام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه يحمل الرعي والمحاشاة في السخر منها عرضت ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالذ العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التي يحرثها بتاملت من كل وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليبض ما أمضاه إن شاء الله . وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وكتب في التاريخ .

نفح الطيب للقري ٨ / ١١٧ - ١١٨

ز - المدجنون والموريسكيون

٣٣٥ - وثيقة مدجنية ، عقد شراء مؤرخ سنة ٦٤٤ هـ في مملكة أراغون .

وثيقة مؤرخة في شهر ربيع الأول سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي ، وهي عقد شراء يشتري بمقتضاه « أحمد المران » من « محمد ابن مسلمة البريتالي » جميع ماله من أملاك وديار بيطرة قرية أبتورة . . . بشمن مبلغه وعدته تسعون دينيراً قناشر من القناشر الجارية بسرقسطة . . . وذلك كله على سنة المسامين في طيبات بيوعاتهم ومرجع أدركهم وارتضاء ذلك البيعة

المذكور الشنيور من القرية المذكورة القسيس الأجل دون برتلماو وشنت جيل
من أذن الاقسة من الكنيسة المذكورة . شهد على أشهاد المتباعدان المذكوران
من أشهاد ، وسمع منها وعرفهم ، والجميع بحالة الصحة والجواز في شهر ربيع
الأول من سنة أربع وأربعين وست مئة (١) .
نهاية الأندلس لعنان - ٥٨

٣٣٦ - وثيقة مدجنية - شهادة بأمانة .

وثيقة مؤرخة في ٩ أغسطس سنة ١٤٨٤ م ورد فيها مايلي :
الحمد لله وحده . أشهد على نفسه الكريم فرج الطليطلي الساكن بموضع قلعة
التراب شهداء هذا الكتاب قولاً بالحق وانقياداً إليه ، أن عليه وفي ذمته وماله
من المكرمات برول وكتيله من شنت مري ليور ، والسبداد ناسرغوس وديعة محضة
وأمان مؤتمن ، وذلك خمسون قفراً قمح طيباً نقياً من مكاييل مدينة سرقسطة .
وكتب هذه الوثيقة : محمد بن محمد الازقة فقيه وخادم قلعة الزاب (١) .
نهاية الأندلس لعنان - ٥٨

٣٣٧ - وثيقة مدجنية - شهادة بإقرار بأمانة .

وثيقة مؤرخة في شهر فبراير عام إحدى وتسع مئة (١٤٩٦ م) تبدأ بالبسملة
والصلاة على النبي وهي عبارة عن إقرار كل من « موسى الحسن وابن عبد الله
محمد بن فرج الحجة الساكنون في بلدة الحمام بأنهم يحبسون وديعة قمح « لمن يدعى ،
أبو بكر بن أبي بكر من أهل قلعة التراب ، وكتب الوثيقة هو « إبراهيم
البيستاني أليني هليجي خديم جامع البلد المذكور »
نهاية الأندلس لعنان - ٥٨

(١) هذه الوثيقة موجودة في كاتدرائية سرقسطة (نقلاً عن نهاية الأندلس لعنان - ٥٨)

٣٣٨ - وثيقة مدجنية - إشهاد بالدين .

وثيقة موجودة في متحف بلدية بنبلونة تاريخها التاسع من شهر أبريل عام إحدى وثمان مئة (١٣٩٨ م) وهي عبارة عن إشهاد بالدين .
الوثيقة تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي ومحركة أمام « القاضي الأروع الأورع أبي الحسن علي القرشي » وقد جاء فيها ما يأتي :

أشهدوا على أنفسهم : أبو الحجاج يوسف الحضرمي ، ومحمد بن محمد بن جعفر الزهري ، ويوسف بن زيد ، وأحمد بن المكحل ، ويوسف بن شداد بن جنبر مسلمان ساكنان في ربض المسامين ببلدة برجة حاضرون يغايرون كل واحد منهم عنه وعن الكل ، بأنهم دانوا بالاشتراك الشابي لإسرائيل ساكن ببلدة المذكورة ، أو لمن ظهر هذا العقد عنده ثلاث مئة واثنين وثلاثين فلرنياس ذهباً قالب أراغون من سكة طيبة موزونة .

وفي ذيلها عدة من أسماء الشهود المسلمين .

نهاية الأندلس لعنان - ٦٠

٣٣٩ - وثيقة مدجنية - عقد بيع بين المسلمين مدجنين ، ونصاري

مستعربين . (١)

(١) هناك عدد كبير من العقود المدجنية ، وهي محررة على الأغلب بين المستعربين ، وأحياناً بينهم وبين المدجنين بأسلوب عربي لا بأس به ، وكلها تستهل بالبسملة مقرونة أحياناً بعبارة « وبه نستمع » أو « الحمد لله وحده » وعلى كثير منها شهود مسلمون مدجنون إلى جانب النصاري . وهذه الوثائق موجودة بدار المحفوظات التاريخية بباريس ، وقد نقلت إليها من دير سان كليمنتي بطليطلة . وهي مجموعة ضخمة كلها عقود تعامل من بيع وشراء وهبة وإيجار ووصية وغيرها . ومعظمها مكتوب في القرن الثالث عشر ميلادي . نقلاً عن نهاية الأندلس لعنان .

وثيقة مؤرخة في «شهر دجنبر من عام سبعة وثمانين ومئة وألف من تاريخ الصفر» (١١٨٧ م) وبقتضاها «باعت الراهبة دونه بويابه وأختها كرشينة بنتي تمام الرطلي ومرتين، ودمنعة ابني بشته بنت تمام الرطلي ومرية، ولوقاذة بنتي تمام الرطلي من دون رديق منيوس ومن زوجته دونة مسيلية نصف الضيمة المعلومة لتمام الرطلي بقرية دليش ماليز نوفه من عمل طليطلة، حرسها الله، وذلك سهم ونصق، والجنان كله الذي فيه البير إذ تبتت عواضة البيوت المعلومة لتمام المذكور بالقرية المذكورة... بضمن عدته عشرون مثقالاً ونصف ذهباً مرابطية دفع المبتاعان بجميع الثمن إلى البائعين وقبضوه منها...»

وعلى الوثيقة أسماء شهود مدجنين مثل دمنعة بن عبد العزيز، وأشتاق ابن حسان، وشهود من النصارى.

٣٤ - وثيقة مدجنية - عقد بيع وشراء .

وثيقة مؤرخة في شهر «أغشت من سنة ثلاث وسبعين ومئة وألف لتاريخ الصفر» (١١٧٣ م) بقتضاها «اشترى الوزير دون ميقيال بيطس - أعزه الله - من بهلول، وأخيه بيطرة ابني مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة . والقرال المتصل بها من جهة الغرب ، والقبلاريسة المتصلة بها أيضاً من جهة القبلة حدود ذلك كله في الشرق الطريق السالك وإليه يشرع الباب وفي الغرب دار ابن طورنية المسلم أمين الفخارين ، وفي القبلة دار بيطرة البنا بن بهلول ، وفي الجوف دار تبتت بيد البائعين ، ودار سلمة بن حسان... بضمن عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطية...»

وتحمل الوثيقة أسماء عدة شهود مسلمين مثل عبد الله بن داود ، وعامر بن تمام ، وعلي بن عياش .

٣٤١ - وثيقة مدجنية - عقد بيع وشراء .

وثيقة مؤرخة في « العشر الآخر من شهر أكتوبر سنة خمس وأربعين ومئتين وألف للصفر » بقتضاها « اشترى الوزير دون شانجه شقورة الغرايلي أدام الله عزته ، من دون خوان دمنغة ابن الصياغ ، ومن زوجته دونة مرية بنت تيان بيطرق جميع الكرم الكبير الذي لها بحومة خندق عقرون من أحواز مدينة طليطلة حرسها الله ، وحده من الشرق كرم لورثة دون أندراش البرجمانس ، وفي المغرب مخدع سالك من نهر تاجه إلى الحقل ، وفي القبلية أرض بنضل لدون فرندة بن بوارى عبد الملك ، وفي الجوف كرم كان للوزير المتشرف أبي عمر بن جوفار ، ومنزل الآن للقاضي دون يليان أمانس . . . والتمن مبلغه وعدته ستون مثقالاً ذهباً من الذهب الأذفونشي الضرب ، ودفع المبتاع جميع الثمن المبايعين المذكورين وقبضاه منه . . . وخلص بذلك للمبتاع المذكور ملك جميع المبيع الموصوف . . . »

وعلى الوثيقة شهود مسلمون ونصارى .

نهاية الأندلس لعنان ٦٩ - ٧٠

٣٤٢ - رسالة موجهة من أحد فقهاء مراكش إلى الموريسكيين الذين يسميهم الغرباء ، وفيها نصائح لهم تتعلق بتمكينهم من ممارسة شعائر الإسلام خفية رغم الاضطهاد ، وتاريخها أول رجب سنة ٩١٠ هـ الموافق ل ٢٨ تشرين ثاني سنة ١٥٠٤ م .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
إخواننا القابضين على دينهم ، كالتقايض على الحجر ، من أجل الله ثوابهم
فيا لقوا في ذاته . وصبروا النفوس ، والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء

إن شاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو
سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق
نسأل الله أن يلطف بنا . وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقه ، بحسن
إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً ، ومن كل ضيق
مخرجاً .

بعد السلام عليكم ، من كاتبه إليكم من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم
إلى عفوه ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجة المغراوي ثم الوهراني
كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء
بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين أنعم الله
عليهم من الأبرار ، وموكداً عليكم في ملازمة دين الاسلام آمين به من بلغ
من أولادكم ، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويبتكم
فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاك الله بين الغافلين
كالحي بين الموتى ، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جامود ، لا
يضر ولا ينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه
من إله ، فاعبدوه واصطبروا لعبادته ، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كأنها
هدية لفقرىكم أوريا ، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم
والنسل من الجنابة ولو عوماً في البحور ، وإن منعت فالصلاة قضاء بالليل
لحق النهار ، وتسقط في الحكم طهارة الماء . وعليكم بالتيمم ولو مسحاً
بالأيدي للحيطان ، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء
والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر
أو حجر أو شجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله ابن ناجي في شرح
الرسالة لقوله عليه السلام : فأتوا منه ما استطعتم . وإن أكرهوكم في وقت
صلاة إلى السجود للأصنام ، أو حضور صلاتهم فأحرمر بالنية وأنووا صلاتكم

المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ومقصودكم الله ، وإن كان لغير
القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام ، وإن أجبروكم على
شرب خمر فاشربوه لا بنية استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه
ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه . وكذا إن أكرهوكم على محرم ، وإن
زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح
بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه ، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم .
ولو وجدتم قوة لغيتوه . وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا
منكرين بقلوبكم . ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم وتتصدقون بالباقي إن
تبتم إلى الله تعالى . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التورية
والالغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطئني القلوب بالآيمان إن نطقتم بها ناكرين
لذلك :

وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له محمد فاشتموا مُمَدّاً ،
تأويل أنه الشيطان ، أو مد اليهود فكثير بهم اسمه ، وإن قالوا عيسى ابن الله
فقولوها إن أكرهوكم ، وأنفوا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود
بحق . وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراهاً ، وأنفوا بالاضافة
للملك كبيت الله لا يلزمه أن يسكنه أو يحل به . وإن قالوا قولوا مريم
زوجة له فأنفوا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقتها
قبل البناء ، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن ، أوزوجها
الله منه بقضائه وقدره . وإن قالوا عيسى توفي بالصلب فأنفوا من التوفية ،
والكمال ، والشريف من هذه ، وإماتته وصلابه ، وإنشاد ذكره ، وإظهار
الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو . وما يعسر
عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ماتكتبون به . وأنا
أسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من
غير محنة ، ولا وجلة ، بل بصدمة الترك الكرام . ونحن نشهد لكم بين

يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به . ولا بد من جوابكم والسلام عليكم
جميعاً بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مئة عرف الله خيره .
يصل الغرباء إن شاء الله تعالى .

نهاية الأندلس لعنات ٣٤٢ - ٣٤٤

٣٤٢ مكرر - ملخص قصيدة قالها موريسكي مسلم اسمه محمد بن
محمد بن داود يصف آلام شعبه والاضطهاد الذي يعانونه ، وقد ضبطت
معه وارسلت إلى البلاط .

تفتتح القصيدة بحمد الله والثناء عليه والتنويه بقدرته ، وخضوع
جميع الناس والأشياء لحكمه ، ثم يقول ان :

استمعوا إلى قصة الأندلس الحزنة ، وهي تلك الأمة العظيمة التي
غدت اليوم ضعيفة مهينة يحيط بها الكفرة من كل صوب . وأضحى أبنائها
كالأغنام الذين لاراعي لهم . وفي كل يوم تسام سوء العذاب ، ولا حيلة
إلا سوى المصانة حتى ينقذنا الله مما هو شر وأدهى . وقد حكموا فينا
اليهود الذين لا عهد لهم ولا ذمام ، وفي كل يوم يبحثون عن ضلالات
وأكاذيب ، وخدع وانتقامات جديدة . وزعم على مزاوله الشعائر النصرانية
وعبادة العصور . وهي مسخ للواحد القهار ، ولا يجرؤ أحد على التذمر
أو الكلام ، وإذا ما قرع الناقوس ألقى القس عظته بصوت أجش ، وفيه
يشبه بالنبيذ ولحم الخنزير ، ثم تنحني الجماعة أمام الأوثان دون حياء ولا خجل .
ومن عبد الله بلغته قضي عليه بالهلاك ، ومن ضبط ألقى إلى السجن ،
وعذب ليل نهار حتى يرضخ لباطلهم ، ثم يصف وسائل إرهابهم ، والتضييق
عليهم من التسجيل والتفتيش وغـيرها ، وما يفرض عليهم من الضرائب
الفادحة ، وكيف تؤدي عن الحي والميت ، والكبير والصغير ، والغني
والفقير ، وكيف يرهقهم القضاة الظالمة ولا يفلت من ظلمهم كائن ، وكيف

يلقى بهم في السجن ، ويرغمون على التنصير بالاعتقال والتعذيب وكيف
تهشم أوصال الفرائس ، ثم تحمل إلى الميدان لتحرق أمام الجمع الحاشد ،
وكيف تكس المظالم على رؤوسهم تكديساً ، ويسومهم الخسف أصغر
النصارى ، وكل منهم يتفنن في ضروب الاضطهاد .

ثم يقول :

ولقد علقوا يوم العيد (عيد سقوط غرناطة) في ميدان باب البنود
قانوناً جديداً وأخذوا يدهمون الناس في نومهم ويفتحون كل باب . يزعمون
تجريدنا من ثيابنا ، وقديم عاداتنا ، ويمزقون الثياب ويحطمون الحمامات .
ونحن إذ نياس من عدل الانسان نستغيث بالنبي معتمدين على ثواب الآخرة ،
وقد حشنا شيوخنا على الصلاة والصوم ، وأن نقصد وجه الله فهو الذي
يرحمنا في نهاية الأمر .

نهاية الأندلس لعنات ٣٦٢ - ٣٦٣

٢٤٣ - فتوى في صورة سؤال وجهها أحد الفقهاء إلى فقيه المغرب

حمد بن يحيى التلمساني حول البقاء في الأندلس للمسلمين أو المهاجرة إليها .

لما سقطت حواضر الأندلس بيد الاسبان هاجر قسم كبير من أهلها إلى
المغرب ، ولكنهم لم يجدوا فيها ما كانوا يؤملون من حياة سهلة رغدة واحترام ،
وحنوا للعودة إلى أوطانهم ، وقد سمعوا أن ملوك قشتالة يتساحون مع من بقي من
المسلمين من رغايهم فتمنوا العودة إلى ديارهم القديمة . وقد وجه أحد الفقهاء
سؤالاً في صورة فتوى يطلب جوابها إلى أحد رجال الدين البارزين هو الشيخ
التلمساني يطلب رأيه في الموضوع .

السؤال :

ماحكم من تنادى من المسلمين في ذلك ؟ وما حكم من عاد منهم إلى دار الكفر
بعد حصوله في دار الاسلام ؟ وهل يجب وعظ هؤلاء أو يعرض عنهم ويترك

كل واحد منهم لما اختاره ؟ وهل من شرط الهجرة أن لا يهاجر أحد إلا إلى دنيا مضمونة يصيبها عاجلاً عند وصوله جارية على وفق غرضه حيث حل من نواحي الاسلام ؟ أو ليس ذلك بشرط بل تجب عليهم الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام ، إلى حل أو مر أو وسع أو ضيق أو عسر أو يسر بالنسبة لأحوال الدنيا . وإنما القصد بها سلامة الدين والأهل والولد ، والخروج من حكم الملة الكافرة إلى حكم الملة المسلمة ، إلا ما شاء الله من حل أو مر ، أو ضيق عيش أو سعة ، ونحو ذلك من أحوال الدنيا .

٣٤٤ - جواب السؤال السابق بصورة فتوى من الشيخ أحمد بن يحيى التامساني الونشريشي عن هذه المسائل :

١ - إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الاسلام فريضة إلى يوم القيامة ، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل . وهو يؤيد قوله بطائفة من الأحاديث النبوية .

٢ - ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية على معاقلم وبلادهم ، ولا يتصور العجز عنها بكل وجه وحال ، لا الوطن ولا المال فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع . وأما المستطيع بأي وجه كان وبأي حيلة تمكنت ، فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام . والظالمون أنفسهم إنما هم التاركون الهجرة مع القدرة عليها ، حسبما تضمنه قوله تعالى : (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) (١) . والمعاقب عليه إنما هو من مات مصرأ على هذه الإقامة .

٣ - وتحريم هذه الإقامة تحريم مقطوع به من الدين ، كتحریم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق . . . ومن جوز هذه الإقامة ، واستخف

(١) سورة النساء الآية ٩٧ .

أمرها واستسهل حكمها فهو مارق من الدين ، ومفارق لجماعة المسلمين ؛ ومحجوج بما لامدفع فيه لمسلم ، ومنبوذ بالاجماع الذي لاسبيل إلى مخالفته وخرق سبيله . قال زعيم الفقهاء القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله في أول كتاب التجارة إلى أرض الحرب من مقدماته « فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة . وأجاب باجماع المسلمين على من أسلم بدار الحرب أن لا يقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين ، وأن يهجره ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه أحكامهم » .

٤ - ثم لما نبعت هذه الموالاة النصرانية في المئة الخامسة وما بعدها من تاريخ الهجرة وقت استيلاء ملأعين النصارى - دمرهم الله - على جزيرة صقلية وبمضكور الأندلس سئل فيها بعض الفقهاء ، واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبيها ، فأجاب بأن أحكامهم جارية مع أحكام من أسلم ولم يهاجر ، وألحقوا هؤلاء المسؤول عنهم ، والسكوت عن حكمهم بهم ، وسووا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم ، ولم يروا فيها فرقاً بين الفريقين^(١) .

نهاية الأندلس لعنان ٦٠ - ٦١



(١) يقول الأستاذ عنان إنه أخذ هذه النصوص وهذه المعلومات من مخطوط غث عليه في مكتبة الاسكوريال عنوانه « كتاب اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر » . وذلك في نهاية الأندلس .^١

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الوثائق^(١)

- ١ - خطبة زهير بن قيس في الناس .
- ٢ - خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم من مدن شمالي إفريقية .
- ٣ - خطبة موسى بن نصير في الناس بعد خطبته الأولى .
- ٤ - رسالة عبد الملك بن مروان إلى حسان بن النعمان لما ولاه إفريقية .
- ٥ - » حسان بن النعمان إلى عبد الملك بن مروان لما تراجع أمام الكاهنة .
- ٦ - » عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز واليه على مصر يوافق على عزله حسان وتولية موسى مكانه .
- ٧ - رسالة جوابية من عبد العزيز إلى أخيه عبد الملك عن نفس الموضوع .
- ٨ - » عبد العزيز بن مروان إلى موسى بن نصير عن حقيقة رقم السي .
- ٩ - » جوابية من موسى بن نصير إلى عبد العزيز عن رقم السي .
- ١٠ - رسالة عبد العزيز إلى أخيه عبد الملك بالفتح .
- ١١ - » جوابية من عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز عن نفس الموضوع .
- ١٢ - » عبد الملك إلى موسى بن نصير إثر انتصاره في شمالي إفريقية .
- ١٣ - خطبة طارق بن زياد في جيشه لما عبر به إلى الأندلس .
- ١٤ - » موسى بن نصير في جيشه أثناء حصاره حصناً في الأندلس .
- ١٥ - رسالة الوليد بن عبد الملك إلى موسى حول الاذن له بغزو الأندلس .
- ١٦ - » جوابية من موسى إلى الوليد عن نفس الموضوع .
- ١٧ - » » من الوليد إلى موسى عن نفس الموضوع .

(١) يدل الرقم الموضوع امام الوثيقة على رقم الوثيقة لا رقم الصفحة .

- ١٨ - رسالة موسى بن نصير إلى مولاه طارق حول السفن .
- ١٩ - » جوابية من طارق إلى موسى .
- ٢٠ - » طارق إلى موسى لما اتصل بالجبل المذكور .
- ٢١ - » طارق إلى موسى يطلب منه المدد بعد قتله للربيق .
- ٢٢ - » موسى بن نصير إلى الوليد يشّره بفتح الأندلس .
- ٢٣ - » عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى تدمير ملك أوربولة .
- ٢٤ - » عبد سليمان بن عبد الملك بمقاضاة موسى بن نصير .
- ٢٥ - » خطبة موسى بن نصير بين يدي سليمان لما أراه رأس ابنه عبد العزيز .
- ٢٦ - » رسالة سليمان بن عبد الملك إلى عبد الله بن موسى بن نصير .
- ٢٧ - » سليمان بن عبد الملك إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير .
- ٢٨ - » سليمان بن عبد الملك إلى كل فرد من أفراد الفريق المرسل إلى الأندلس .
- ٢٩ - » خطبة يزيد بن أبي مسلم لما أصبح والياً على إفريقية .
- ٣٠ - » رسالة أهل إفريقية إلى يزيد بن عبد الملك .
- ٣١ - » جواب يزيد لأهل إفريقية .
- ٣٢ - » رسالة أبي الخطار إلى هشام بن عبد الملك .
- ٣٣ - » جوابية من عبد الرحمن النافقي إلى عبيدة القيسي .
- ٣٤ - » الصميل إلى عبد الرحمن الداخل .
- ٣٥ - » زوجة يوسف الفهري له تخبره بنزول عبد الرحمن الداخل ساحل الأندلس .
- ٣٦ - » فقرات من رسالة يوسف الفهري للداخل قبل الحرب بينهما .
- ٣٧ - » خطبة عبد الرحمن الداخل في جنده قبل معركة المصارة ضد يوسف .
- ٣٨ - » » » » » » أمام قرطبة .
- ٣٩ - » قول عبد الرحمن الداخل لجنده يكفهم عن الاثخان في قتل أعدائهم بعد انتصارهم عليهم .

- ٤٠ - رسالة الداخل إلى سليمان بن يقظان يدعوه للبيعة .
- ٤١ - د إلى الداخل من مولاه بدر بمد أن هجره .
- ٤٢ - د جوابية من الداخل إلى مولاه بدر .
- ٤٣ - د أخرى من بدر إلى الداخل .
- ٤٤ - جواب الداخل .
- ٤٥ - رسالة أخرى من بدر إلى الداخل .
- ٤٦ - جواب الداخل .
- ٤٧ - حوار الداخل مع جندي من أفراد جيشه .
- ٤٨ - رسالة الداخل إلى أحد عماله وقد قصر في عمله .
- ٤٩ - توقيع الداخل لشخص قرشي وفد عليه يت له بالقرابة .
- ٥٠ - كتاب أمان أصدره الداخل لجيرانه نصارى قشتالة .
- ٥١ - وصية الداخل لابنه عبد الله لما حضرته الوفاة .
- ٥٢ - وصية هشام لابنه وولي عهده الحكم قبيل وفاته .
- ٥٣ - رسالة إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في مراكش إلى المضربين يدعوم لطاعته .
- ٥٤ - مقتطفات من رسالة إدريس الأول إلى إبراهيم الأغلب يدعوه لطاعته .
- ٥٥ - رسالة خريش إلى إبراهيم بن الأغلب .
- ٥٦ - جواب إبراهيم إلى خريش .
- ٥٧ - رسالة وجهها الحكم الربضي إلى جميع عماله حول ثورة الربض .
- ٥٨ - د د د د إلى واليه على سرقسطة الفرج بن كنانة .
- ٥٩ - د أخرى من الحكم الربضي د د د د د د د د .
- ٦٠ - د د د د د د د د د د د د د د .
- ٦١ - د الحكم الربضي إلى حبش بن نوح وآخرين .
- ٦٢ - وصية الحكم لابنه عبد الرحمن قبيل موته .

- ٦٣ - خطاب عبد الرحمن الأوسط بعد وفاة والده لما أصبح حاكماً .
٦٤ - رسالة جوابية من عبد الرحمن الأوسط إلى ولده المنذر .
٦٥ - « » « » « » « » « » أهل ميورقة وميورقة .
٦٦ - « » « » « » « » « » إمبراطور بيزنطة ثيوفيلس .
٦٧ - « » الثائر عبد الرحمن الجليلي للأمير محمد بن عبد الرحمن .
٦٨ - « » وزير الأمير محمد هاشم بن عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الرحمن لما سقط في الأسر .
٦٩ - رسالة جوابية من الوليد إلى هاشم .
٧٠ - « » الوليد بن عبد الرحمن بن غانم إلى الأمير محمد يطلب تقليده منصباً سامياً .
٧١ - جواب الأمير محمد .
٧٢ - « » « » لفتى من علمائه أرسل يعرض عليه برفع منزلته لديه .
٧٣ - رسالة القاضي محمد بن زياد إلى الأمير محمد يطلب منه إصلاح جامع قرطبة .
٧٤ - جواب الأمير محمد للقاضي محمد بن زياد .
٧٥ - بيان أذاعه الثائر ابن حفصون في الناس .
٧٦ - توقيع الأمير عبد الله إلى بعض مماليكه .
٧٧ - جواب المملوك .
٧٨ - جواب الأمير عبد الله .
٧٩ - جواب الأمير عبد الله إلى أحد عماله وقد تواترت لديه كتبه بلا فائدة .
٨٠ - كلمة الأمير أحمد بن عبد الله عم عبد الرحمن الناصر لما بويع بالخلافة .
٨١ - توقيع الناصر بأمان الثائر حفص بن عمر بن حفصون .
٨٢ - بيان أذاعه الناصر إلى الآفاق عقب استلامه حصن يشتر واستثنان ابن حفصون .
٨٣ - أمان الناصر للثائر محمد بن هاشم الذي كان ثراً في سرقسطة ،
٨٤ - مرسوم الناصر بتلقيب نفسه بأمير المؤمنين .

- ٨٥ - كتاب الناصر إلى عماله بضرورة القيام بصلاة الاستسقاء .
٨٦ - » » » » يشرح ظروف وقعة الخندق .
٨٧ - مقتطفات من رسالة الوزير ابن شهيد للناصر .
٨٨ - رسالة ثانية من ابن شهيد للناصر .
٨٩ - » » » » » » » » » »
٩٠ - أرسلها الأمير الحكم بن الناصر بأمر أبيه إلى الفقيه المشاور أبي إبراهيم .
٩١ - جواب أبي إبراهيم .
٩٢ - رسالة جوابية من الأمير الحكم إلى ابن رحاس بحق ابن رفاعة .
٩٣ - » » » » الناصر إلى القائد أحمد بن إسحق .
٩٤ - خطبة أحمد بن محمد الهمداني بين يدي الناصر .
٩٥ - نص الكتابة الموجودة على لوح حجري مثبت على باب جامع قرطبة يحمل أمر الناصر بتوسعة الجامع .
٩٦ - بيان الناصر ضد عقيدة ابن مسرة .
٩٧ - مقتطفات من رسالة إمبراطور القسطنطينية إلى الناصر .
٩٨ - خطبة القاضي البلوطي أمام الناصر في حفل استقبال وفود الروم .
٩٩ - أبيات من الشعر ختم بها القاضي خطبته .
١٠٠ - توقيع الخليفة الحكم بجعل مولاه غالب قائداً أعلى للجيش .
١٠١ - رسالة الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف قائد ثغر أصيلا في المغرب .
١٠٢ - » أخرى من الحكم إلى عبد الرحمن بن يوسف .
١٠٣ - وصية الحكم للوزير محمد بن قاسم بن طاهر لما أرسله إلى المغرب الأقصى .
١٠٤ - رسالة قواد الحكم له عن الوضع في المغرب الأقصى .
١٠٥ - فصل من الكتاب السابق .
١٠٦ - رسالة من الحكم إلى قواده في المغرب الأقصى .
١٠٧ - فصل من رسالة الحكم إلى أحد قواده عن نفس الموضوع

- ١٠٨ - رسالة الحكم إلى أمير البحر ابن رماحس حول الحسن بن قنون .
- ١٠٩ - فصل آخر من نفس الرسالة السابقة .
- ١١٠ - رسالة الحكم إلى قائد البحر ابن رماحس وبقية القواد يعنفهم لتقصيرهم في
بنيان طنجة .
- ١١١ - رسالة جوابية من الحكم إلى مولاه غالب في العدة .
- ١١٢ - د جوابية أخرى من الحكم إلى القائد غالب .
- ١١٣ - د الحكم إلى غالب مع الوزير يحيى بن هاشم لما أرسله مدداً له .
- ١١٤ - د د د الذي أرسل له رسالة يشكو غلاء الأسعار عنده .
- ١١٥ - د د الجوابية إلى غالب الذي أرسل يخبره بانتصاره على الحسن بن
قنون في إحدى المعارك
- ١١٦ - فقرات من رسالة جوابية من الحكم إلى عبد الكريم بن يحيى صاحب
عدة فاس .
- ١١٧ - نص بيعة عبد الكريم بن يحيى للحكم .
- ١١٨ - عهد الحكم إلى أبي الميش بن أيوب زعيم كتامة بالرياسة على قومه .
- ١١٩ - خطاب الحكم إلى الآفاق يعلن انتصاره النهائي على الحسن بن قنون .
- ١٢٠ - مرسوم أصدره عقبة بن الحجاج بتعين قاضٍ على قرطبة .
- ١٢١ - رسالة جوابية من الحكم إلى وزيره جعفر بن عثمان .
- ١٢٢ - نداء قاضي الحكم في الناس لإخراج زكوات أموالهم .
- ١٢٣ - مرسوم الحكم بإسقاط سدس مفرم الحشد .
- ١٢٤ - رسالة الحكم إلى أصبغ بن محمد يوليه نصف كورة رية .
- ١٢٥ - حوار الحكم مع ملك جيليقية أردون .
- ١٢٦ - رسالة جوابية من الحكم إلى العزيز بالله الفاطمي .
- ١٢٧ - رسالة المصحفي من سجنه إلى المنصور بن أبي عامر .
- ١٢٨ - جواب المنصور للمصحفي .
- ١٢٩ - حوار بين المصحفي وعدد من وزراء المنصور في مجلس محاكمته .

١٣٠ - رسالة المنصور إلى الخليفة هشام المؤيد لما عقد الصلح بينه وبين أحد خصومه .

١٣١ - رسالة أرسلها إلى المنصور بن عبد البر .

١٣٢ - بلاغ المنصور إلى قواد وأفراد جيشه بعد غزواته الهائلة سنة ٣٩١ هـ .

١٣٣ - وصية المنصور قبيل وفاته لابنه عبد الملك .

١٣٤ - رسالة المنصور إلى الخليفة الفاطمي .

١٣٥ - د هشام المؤيد إلى عبد الملك بن المنصور يلقيه بالمظفر .

١٣٦ - مرسوم هشام المؤيد بتلقيب عبد الرحمن بن المنصور بالحاجب ناصر الدولة .

١٣٧ - د د د يجعل عبد الرحمن بن المنصور ولياً لمهده .

١٣٧ - رسالة جوايية من زاوي بن زيري إلى هشام المؤيد وأهل قرطبة .

١٣٩ - عهد الخليفة المستعين بالله بالخلافة من بعده لولده محمد .

١٤٠ - رسالة جوايية من زاوي بن زيري المتغلب على غرناطة إلى الخليفة المرتضى .

١٤١ - د ثانية من المرتضى إلى ابن زيري .

١٤٢ - جواب ابن زيري على رسالة المرتضى .

١٤٣ - رسالة جوايية من خيران إلى ابن زيري .

١٤٤ - بيان القاضي ابن عباد لما اكتشف شنيه الخليفة هشام المؤيد .

١٤٥ - رسالة المعتضد بن عباد إلى يحيى بن ذي النون .

١٤٦ - د د د د ملوك الأندلس لما تأمر ضده ابنه اسماعيل

وقتله .

١٤٧ - رسالة أرسلها الفتح بن خاقان إلى أحد ملوك الطوائف .

١٤٨ - د من شيخ مجهول إلى المعتصم صاحب المرية .

١٤٩ - د المعتضد بن عباد إلى المعتصم .

١٥٠ - د المعتصم إلى المعتضد .

١٥١ - جواب المعتضد إلى المعتصم .

١٥٢ - رسالة أرسلها إلى المعتصم ولده عز الدولة .

- ١٥٣ - جواب والده له .
- ١٥٤ - رسالة ابن غرسية إلى ابن الحداد .
- ١٥٥ - » المتوكل على الله البطليوسي إلى وزيره ابن الحضرمي .
- ١٥٦ - » بلكين بن باديس حاكم مالقة إلى وزير أبيه يثبته في الوزارة .
- ١٥٧ - » يحيى بن علي إلى أكابر البربر في قرطبة يحرضهم ضد عمه القاسم بن حمود .
- ١٥٨ - رسالة البكري إلى المعتمد بن عباد .
- ١٥٩ - » المقترن بن هود إلى المعتمد بن عباد .
- ١٦٠ - » جوابية من فردلند إلى أهل طليطلة .
- ١٦١ - جواب أهل طليطلة لفردلند .
- ١٦٢ - » فردلند لأهل طليطلة .
- ١٦٣ - شروط تسليم طليطلة إلى الفونسو السادس ،
- ١٦٤ - » تسليم بلنسية إلى السيد الكينيطور .
- ١٦٥ - رسالة حريز بن عكاشة إلى الفونسو .
- ١٦٦ - » الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد .
- ١٦٧ - جواب المعتمد بن عباد للفونسو .
- ١٦٨ - رسالة جوابية من المتوكل البطليوسي إلى الفونسو السادس .
- ١٦٩ - قول الفونسو السادس لرسول المعتمد بن عباد .
- ١٧٠ - رسالة الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد لما وصل إلى بلدته ، إشبيلية .
- ١٧١ - توقيع المعتمد للفونسو .
- ١٧٢ - رسالة الفونسو الشفهية إلى ملك غرناطة الأمير عبد الله .
- ١٧٣ - حوار المعتمد بن عباد مع ابنه لما عزم على الاستنجاد بالمرابطين .
- ١٧٤ - رسالة المعتمد إلى يوسف بن تاشفين يسأله المساعدة .
- ١٧٥ - جواب يوسف بن تاشفين .
- ١٧٦ - رسالة أخرى من المعتمد إلى يوسف بن تاشفين .
- ١٧٧ - » من المتوكل البطليوسي إلى يوسف بن تاشفين .

- ١٧٨ - « الفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين .
- ١٧٩ - جواب يوسف بن تاشفين للفونسو السادس .
- ١٨٠ - رسالة أخرى من الفونسو إلى يوسف .
- ١٨١ - « يوسف للفونسو لما خرج للملاقاته .
- ١٨٢ - « ثانية من يوسف للفونسو في نفس المناسبة .
- ١٨٣ - « المعتمد بن عباد إلى ابنه الرشيد في اشبيلية يخبره بظفر الزلاقة .
- ١٨٤ - « يوسف بن تاشفين إلى تميم بن المعز بن باديس يخبره بظفر الزلاقة ويصف المغرب .
- ١٨٥ - فصول من رسالة يوسف إلى من بالعدوة المراكشية عن ظفر الزلاقة .
- ١٨٦ - رسالة سير بن أبي بكر قائد جيش المرابطين في الأندلس إلى يوسف .
- ١٨٧ - جواب يوسف لسير عن الرسالة السابقة .
- ١٨٨ - رسالة جوابية من يوسف إلى الأمير عبد الله ملك غرناطة .
- ١٨٩ - بلاغ يوسف بن تاشفين إلى جميع حكام غرناطة لما قرر احتلالها .
- ١٩٠ - رسالة يوسف إلى الأمير عبد الله حاكم غرناطة يؤمنه .
- ١٩١ - « إلى المعتمد بن عباد .
- ١٩٢ - جواب المعتمد على رسالة يوسف السابقة .
- ١٩٣ - رسالة المستعين حاكم سر قسطة إلى يوسف بن تاشفين .
- ١٩٤ - « يوسف الجوابية إلى المستعين .
- ١٩٥ - رسالة المرتضى حاكم جزائر الأندلس إلى المستنصر الفاطمي .
- ١٩٦ - رسالة محمد الجزولي إلى يوسف بن تاشفين .
- ١٩٧ - مرسوم يوسف إلى عماله بتلقيه بلقب أمير المسلمين .
- ١٩٨ - عهد الخليفة القائم إلى يوسف بن تاشفين .
- ١٩٨ - فتوى الإمام الغزالي بحق يوسف بن تاشفين .
- ١٩٩ - رسالة الغزالي إلى يوسف بن تاشفين .
- ٢٠٠ - « قاضي المرية إلى يوسف بن تاشفين .

- [illegible]

۲۰۲۔ عہد یوسف بن تاشفین بچوں ولدہ علی ولیاً لہدہ ۔

٢٠٣ - رسالة يوسف بن تاشفين إلى جميع الولاة بقولية ابنه على ولاية المهد.

٢٠٤ - المستظهر بالله العباسي إلى علي بن يوسف بن تاشفين يحدد له العهد .

٢٠٥ - د علي بن يوسف إلى نائبه ابن فاطمة بإقامة الحق .

٢٠٦ - سیر ابن ابی بکر الی علی بن تاشفین یشیرہ بفتح قلعة شترن .

٢٠٧ - قاضي سرقسطة الى الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين مستنجداً .

٢٠٨ - شروط تسليم سرقة سعة للفونسو المحارب .

٢٠٩ - مقتطفات من رسالة أرسلها علي بن يوسف إلى جند بلنسية .

٢١٠ - عهد بتعيين يحيى بن أبي بكر والياً على سبته .

٢١١ - عهد علي بن يوسف بتعيين ولده تاشفين والياً على قرطبة .

٢١٢ - رسالة علي بن يوسف إلى أهل فاس بعزل قاضيهم .

٢١٣ - » أرسلها إلى علي بن يوسف أحد قواده بفتح حصن أقليش .

٢١٤ - علي بن يوسف إلى أبي محمد بن أبي بكر عن هزيمة القلعة .

٢١٥ - أخرى من علي بن يوسف إلى قواده عن هزيمة القلعة .

[illegible]

٢١٧ - علي بن يوسف إلى قاضي بلنسية وأهلها يطعمهم .

٢١٨ - د علي بن يوسف من احد قواده تتعلق بحصن اربلة .

٢١٩ - د ناشعین بن علی بن ناشعین إلى قاضي بلنسية واهلها لما اصبح امیرا للمسلمين .

٢٢٠ - خطبة المهدي في أتباعه لما قرر إظهار دعوته .

٢٢١ - رسالة المهدي إلى سلطان المرابطين علي بن يوسف لما أعلن دعوته .

٢٢٢ - ابن تومرت للموحدين يحرضهم على قتال المرابطين .

٢٢٣ - مقتطفات من خطبة المهدي بن تومرت في أتباعه قبل معركة إيجليز .

٢٢٤ - رساله المهدي إلى المرابطين بعد أن انتصر عليهم عدداً من المرات .

- ٢٢٥ - صيغة التوحيد التي وضعها المهدي .
- ٢٢٦ - رسالة المهدي إلى أتباعه بوجوب التحري والرافة .
- ٢٢٧ - وصية المهدي لأتباعه قبل موته .
- ٢٢٨ - منشور عبد المؤمن إلى المرابطين لما أصبح حاكماً بعد المهدي .
- ٢٢٩ - فصول من رسالة وجهها عبد المؤمن إلى الموحدين لما تم فتح السوس الأقصى .
- ٢٣٠ - رسالة أبي حفص عمر الهنتاني إلى عبد المؤمن حول مصرع الثائر الماسي .
- ٢٣١ - » عبد المؤمن إلى ولده في إشيلية .
- ٢٣٢ - » » » » الموحدين في الأندلس .
- ٢٣٣ - » » » » العرب في المغرب يستنفرهم للجهاد في الأندلس .
- ٢٣٤ - مقتطفات من رسالة استعطافية أرسلها إلى عبد المؤمن أحمد بن أبي جعفر .
- ٢٣٥ - رسالة وجهها عبد المؤمن إلى طلبة الموحدين في سبتة حول جعل ولده محمد ولياً لمهده .
- ٢٣٦ - رسالة أخوي الخليفة أبي يعقوب إلى الموحدين بالنصر على ابن مردانيس .
- ٢٣٧ - » أبي يعقوب الخليفة الموحي إلى أخيه أبي سعيد بقرطبة وفيها نصائح .
- ٢٣٨ - » » » » الموحدين في قرطبة عقب قتل زعيم فتنة غمارة .
- ٢٣٩ - رسالة أخوي الخليفة أبي حفص إلى الموحدين في قرطبة عقب قتل زعيم فتنة غمارة .
- ٢٤٠ - رسالة أبي يعقوب الخليفة الموحي إلى واليه بقرطبة الذي أرسل له يخبره بفتح حصن لابن مردانيس .
- ٢٤١ - نص بيعة أهل إشيلية لأبي يعقوب .
- ٢٤٢ - نص بيعة أهل قرطبة لأبي يعقوب .
- ٢٤٣ - رسالة والي قرطبة من قبل أبي يعقوب له مرفقة ببيعة أهل قرطبة له .
- ٢٤٤ - » جوابية من الخليفة إلى والي قرطبة عن الرسالة سالفة الذكر .
- ٢٤٥ - » الخليفة أبي يعقوب إلى واليه على قرطبة يخبره بعزمه على الجهاد .

- ٢٤٦ - رسالة الخليفة أبي يعقوب إلى واليه على غرناطة الذي أرسل يخبره بانتصار الموحدين على ابن مردانيس .
- ٢٤٧ - رسالة أخي الخليفة إلى والي غرناطة عن المعركة السابقة .
- ٢٤٨ - » الخليفة أبي يعقوب إلى الموحدين في الأندلس للوعد بالجواز إلى الأندلس للجهاد .
- ٢٤٩ - رسالة ابن الخليفة إلى والي غرناطة يخبره بانضمام ابن همشك المرابطي إلى صفوف الموحدين .
- ٢٥٠ - رسالة ترجمان الخليفة أبي يعقوب إلى أحد رعايا بيزة .
- ٢٥١ - منشور أبي يعقوب يوسف الخليفة إلى الموحدين في إشبيلية .
- ٢٥٢ - صيغة مبايعة المنصور الموحدي .
- ٢٥٣ - رسالة كاتب المنصور أبي سعيد للمنصور مهنئاً بالخلافة .
- ٢٥٤ - » ملك الأسبان الأذفونش إلى المنصور .
- ٢٥٥ - جواب المنصور للأذفونش .
- ٢٥٦ - رسالة المنصور الشفعية إلى أفراد جيشه قبل معركة الأرك مباشرة .
- ٢٥٧ - منشور المنصور ضد ابن رشد .
- ٢٥٨ - رسالة والي سجلماسة من قبل المنصور إلى ملك السودان وغانة .
- ٢٥٩ - وصية المنصور لأشياخ الموحدين لما اقتربت وفاته .
- ٢٦٠ - مقتطفات من مبايعة أهل قرطبة للناصر بالخلافة .
- ٢٦١ - رسالة من فتي مجهول عن ثورة الجزولي وانهزامه زمن الناصر .
- ٢٦٢ - نص بيعة المستنصر بالخلافة .
- ٢٦٣ - فقرات من رسالة المستنصر إلى قواعد الأندلس .
- ٢٦٤ - رسالة جوابية إلى المستنصر من أبي عمران .
- ٢٦٥ - » المستنصر إلى أحد نوابه الذي نقض العهد على بعض النصارى .
- ٢٦٦ - » وزير المستنصر إلى ملك قشتالة من أجل السلم .
- ٢٦٧ - » ملك أراغون إلى المستنصر يستأذنه بالقدوم عليه ويسأله النصر .

- ٢٦٨ - بيان الخليفة العالي الى قواعد الأندلس .
- ٢٦٩ - رسالة أخى العادل للعادل بخره بنصره على الثائر البياسي في الأندلس .
- ٢٧٠ - بيان أذاعه الخليفة المأمون على جميع عماله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٢٧١ - بيان أذاعه الخليفة المأمون لما تمكن من القضاء على جماعة نقضت بيعته .
- ٢٧٢ - مرسوم المأمون بإلغاء عصمة المهدي .
- ٢٧٣ - رسالة أحمد بن عبد الله لما أخذ الاسبان بلنسية لأبي العباس بن أمية .
- ٢٧٤ - « القاضي أبي الطرف لما أخذ الاسبان بلنسية لأبي جعفر بن أمية .
- ٢٧٥ - « الخليفة الرشيد بإسكان المهاجرين من الأندلس في مراکش .
- ٢٧٦ - « وجهها القاضي أبي الطرف إلى أحد الخلفاء الموحدين لأخذ ثار بلنسية .
- ٢٧٧ - رسالة الخليفة المرتضى الى البابا أنوصان الرابع .
- ٢٧٨ - « أبي جميل زيان الى ملك قشتالة بشأن الصلح .
- ٢٧٩ - تقليد أرسله المستنصر العباسي لابن هود .
- ٢٨٠ - رسالة المستنصر العباسي لابن هود .
- ٢٨١ - « القاضي أبي المطرف لابن هود مهنتاً بوصول التقليد العباسي .
- ٢٨٢ - « ابن هود إلى أهل شاطبة يعلن تولية ابنه عهده .
- ٢٨٣ - « ملك مراکش المريني أبي يوسف إلى ملك قشتالة حول رسل قلاوون .
- ٢٨٤ - جواب ملك قشتالة .
- ٢٨٥ - رسالة ابن ملك قشتالة لرسل قلاوون .
- ٢٨٦ - « سلطان غرناطة محمد الثالث إلى الدون خايمي ملك أراغون .
- ٢٨٧ - فصول من معاهدة بين محمد الثالث والدون خايمي ملك أراغون .
- ٢٨٨ - معاهدة صداقة بين إسماعيل الأول ملك غرناطة - والدون خايمي ، ملك أراغون -

- [illegible]

رَفْعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

كشف هجائي عام

- أ -

إبراهيم الأغلب ١٣٨-١٣٧-١١

ابن الأبار ١٩-١٨-١٧

ابن الأثير ١٣

ابن بشكوال ١٩

ابن تفراجين ٥١١-٥١٠

ابن حفصون ١٥٥-٤١-٤٠

ابن حيان ١٦

ابن خلدون ١٤

ابن خلكان ١٨

ابن ذى النون ٢٣٣-٢٣٢-٥٩

ابن رشد ٥٧٤-٤١٠-٩١

ابن شهيد ١٧٠-١٦٩-١٦٨-٤٦

ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك ١٧

ابن الطفيل ٩١

ابن عذاري ١٧

ابن فرج : أنظر : مملكة غرناطة

ابن القوطية ١٦

ابن مردانيش ٨٧

ابن مسرة ١٧٦-١٧٥-٤٦

ابن نصر : أنظر : مملكة غرناطة

ابن هود ٤٤٥-٤٤٢-٤٣٩-٩٧-٩٦

٤٤٨-٤٤٦

أبو إبراهيم ١٧١-١٧٠

أبو جعفر ٣٦١-١٩

أبو جعفر المنصور : أنظر : المنصور

العباسي

أبو الحسن المريني ٥٥٨-٥٥٠-١٠٦

أبو حفص ٢٢٦-١٤٨-١٤٧-٣٩-٣٦

٣٩٧-٣٨٣-٣٦٢-٣٤٣

أبو الخطاب الحسام بن ضرار الكلبي

١٢٦

أبو ريان المريني ٥٦٣

أبو سعيد عثمان بن يعمراسن ٥٠١-٥٠

أبو طاهر : أنظر : تميم بن يوسف بن

تاشفين

أبو عبد الله الصغير ١٠٨-١٠٧-٢٧

٥٤٢-٥٤٠-٥٢٩-٥٣٨-٥٣٧

٥٤٨-٥٤٧-٥٤٦-٥٤٥-٥٤٣

٥٤٩

إشيلية ٥٨-٥٩-٨١-٨٥-٨٩-٩٠
٩٤-١٧٢-٢٣٢-٢٥٢-٢٥٣
٢٥٨-٢٦١-٢٦٤-٣٤٤-٣٦٢
٣٨٦-٣٨٧-٣٩٤-٣٩٥-٤٠٤
٤٠٥-٤٤٩-٤٥٦

آل زيري ٥٨

آل عباد ٥٨-٥٩

الاندلس : وردت في معظم الكتاب

إيزابيللا ٢٧-١٠٧-٥٣٨-٥٤٦

- ب -

يشتر ٤٤-١٥٧-١٥٨

بدر : (مولى عبد الرحمن الداخل)

١٣٠-١٣١-١٣٢

البربر ٢٥-٢٦-٣٢-٣٣-٣٧-٤١

٥٧-٦٢-٦٧-٢٢٩-٢٤١

بسطة ٥٣٧

بغداد ٤٣-٤٧-٧٢

بطليموس ٤١-٦١-١٤٩-٢٥٠-٢٥٧

٢٦١-٢٦٦

بلكين بن باديس ٢٤١

بلنسية ٧٧-٧٨-٨١-٩٤-٢٤٧

٣٠٢-٣٢٠-٣٢٢-٣٢٥-٤٢١

٤٣٨-٤٢٩-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣

٤٥٠-٤٥١-٤٥٤-٤٥٦-٤٥٨

٤٦٧-٤٦٨-٤٧١-٤٧٣-٤٧٤

٤٧٧-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣

٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧

أبو علي القالي ٤٣-٤٧-١٧١-١٨١

أبو عنان المريني ٤٨٨

أبو مسلم الخراساني ٣٣

أبو المطرف بن عميرة ٩٧-٤٢١-٤٢٨

٤٣٢-٤٣٣-٤٣٨-٤٤٦

أحمد بن إسحاق ١٧٢

الأدارسة ١١-٤٨-٤٩-١٣٦-١٨٤

إدريس الاول ١١-٤٢-١٤٦-١٣٧

أراغون ٢٢-٩٨-٩٩-١٠٠

١٠١-١٠٧-٣١٠-٣١٧-٣٦٥

٤٢٠-٤٥٠-٤٥١-٤٥٣-٤٥٤

٤٥٦-٤٥٨-٢٦٢-٤٦٣-٤٦٥

٢٦٧-٢٦٨-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤

٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠

٤٨١-٢٨٢-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٧

٥٦٤

أردون ٥١-٢-٢١٣

أرسلان ، شكيب ٢٢-٩٨

الأرك (معركة) ٨١-٩٠-٩٢-٢٠٩

إسماعيل بن الناصر بن قلاون (سلطان

مملوكي) ١٠٥-١٠٦

إسماعيل الاول بن فرج (سلطان

غرناطة) ٩٦-٩٨-٩٩-١٠٠

٤٥٤-٤٥٦-٤٦٠-٤٦٢

البلوطي : انظر : منذر بن سعيد البلوطي
بنو الأحمر : انظر : مملكة غرناطة

بنو حفص ٩٥ - ٤٣٨

بنو مرين : انظر : المرينيون

بنو نصر : انظر : مملكة غرناطة

بنو هود ٩٥ - ٤٣٨

البيزنطيون ٣٧

- ت -

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين

٣٠٤ - ٣٢٥

تلمسان ٥٠٠

تميم بن يوسف بن تاشفين ٧٥ - ٧٧ - ٣٠٥

- ث -

ثيوفيلس ٣٨ - ٤٠ - ١٤٦

- ج -

الجزيرة الخضراء ١٠٦ - ٢٦٠ - ٢٦٤

٤٦٥ - ٥٥٠ - ٥٥٥ - ٥٦١

جعفر بن عثمان ٥٠ - ١٩٨ - ٢٠٩

الجلالة ٥١

- ح -

الحسن بن قنون ٤٩ - ٥٠ - ١٨٥ - ١٨٦

١٨٧ - ١٨٩ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٢

حفص بن عمر بن حفصون ٤٤ - ١٥٧

الحكم الربضي (أمير أندلسي) ٣٦

١٤٠ - ١٤١ - ١٤٥

الحكم المستنصر بالله : (خليفة أموي)

١١ - ١٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٢ - ٥٤

١٣٥ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٨٤

١٨٥ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩١

١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٧

١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٩ - ٢١ - ٢١١

٢١٣ - ٢١٤

الحمدي ١٩

- ر -

الرشيد : (خليفة موحدي) ٢٥٨

٤٣١

رضوان : (وزير يوسف الأول ملك

غرناطة) ٩٨ - ٤٧١ - ٤٧٤ - ٤٧٥

٤٧٦ - ٤٨١

الروم الشرقيون : انظر : البيزنطيون

رومانوس : (أمبراطور بيزنطي) ٤٦

- ز -

زاوي بن زيري ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١

الزلاقة : (معركة) ٦١ - ٦٣ - ٦٤

٦٥ - ٧٣ - ٢٤٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨

٢٥٩ - ٢٦٥

الزهراء ٤٣

- س -

سبع بن منخفاد ٨٨ - ٣٧٢ - ٣٨٤

سرقسطة ٣٧ - ٤٤ - ٦٥ - ٧٤ - ٧٥

عبد الرحمن الداخل ١٠ - ٢٦ - ٣٢

٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٤٨ - ١٢٧ - ١٢٨

١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣

١٣٤

عبد الرحمن الأوسط ١٦ - ٣٨ - ٣٩

٤٠ - ٤١ - ٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦

عبد الرحمن الناصر ١١ - ٢٦ - ٤٢

٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨

٥١ - ٥٤ - ٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٨

١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥

١٨٠ - ١٨١

عبد الرحمن النافقي ١٣ - ٣١ - ١٢٦

عبد الرحمن الجليلي ٤١ - ١٤٩

عبد الرحمن بن يوسف ٢٨٥ - ١٨٧

١٨٨

عبد العزيز بن مروان ٢٤ - ٢٨ - ٢٩

٣١ - ١١١ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦

عبد العزيز بن موسى بن نصير ٣٠

١٢١ - ١٢٤

عبد الكريم بن يحيى ٥٠ - ١٩٥ - ١٩٧

عبد الله : (أمير غرناطة من آل الزيري)

١٥ - ٦٥ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٦٧ - ٢٦٨

عبد الله بن محمد : (أمير أموي أندلسي)

١٤٩ - ١٥٥ - ١٥٦

٧٧ - ٧٨ - ١١٨ - ١٣٢ - ١٤١

١٤٣ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٢

٢٤٤ - ٢٦٨ - ٣٠٢ - ٣٠٥ - ٣٠٦

٣٠٨ - ٣٠٩ - ٥٦٤

السفاح : (خليفة عباسي)

سليمان بن عبد الملك : (خليفة أموي)

٣٠ - ٣١ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥

السوس ٧٩ - ٨٥ - ٨٨ - ٣٤١ - ٤١٥

سير بن أبي بكر ٧٤ - ٢٦٦ - ٢٦٧

٢٩١ - ٢٩٩

- ش -

شارلوت ٢٧ - ٣٤

شاطبة ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٤٨

شاذي ٥١ - ٢١٣

- ص -

صلاح الدين الأيوبي ٩٠ - ٩١

الصادحية ٦٠ - ٢٣٥ - ٢٣٦

الصميل ٣٣ - ١٢٧

- ط -

طارق بن زياد ٢٦ - ١١٦ - ١١٩

طريف : (معركة) ١٠٥

طليطلة ٦٠ - ٦١ - ٢٤٦ - ٢٤٧

٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٦٦ - ٣١٤ - ٣١٦

٣٢٤ - ٤٥٥ - ٥٦٧ - ٥٦٨

- ع -

العادل بالله : (خليفة موحد)

عبد الملك بن مروان : (خليفة أموي)

٢٤-٢٩-٣١-٤٨-١١٣-١١٤

١١٦-١١٥

عبد المؤمن بن علي : (خليفة موحدوي)

١٧-٢٦-٧٩-٨٠-٨٢-٨٣-٨٤

٨٥-٨٦-٨٧-٣٤٠-٣٤١-٣٤٣

٣٤٤-٣٤٨-٣٦١-٤٠٣

عثمان بن عفان ٢٤

العزیز بالله : (خليفة فاطمي) ١٨٥

٢١٤

العقاب : (معركة) ٨١-٩٣

عقبة بن نافع ٢٤

علي بن كاشة ٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٥٣٨

٥٤٩

علي بن يوسف بن تاشفين : (حاكم)

٧٣-٧٤-٧٨-٨٢

٢٩٤-٢٩٦-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٢

٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥-٣١٠-٣١١

٣١٧-٣١٩-٣٢٠-٣٢٢-٣٢٣

٣٢٩

عمر بن حفصون : انظر : ابن حفصون

عمر بن الخطاب ٢٤-١٠٣-٢٩٣

٣٨٩

عمرو بن العاص ٢٤

عنان ، محمد عبد الله ٢٠-٢١-٢٢

- غ -

غالب : (قائد ومولى الحكم المستنصر بالله)

٤٩-٥٠-٥٣-١٩٢-١٩٣-١٩٤

غرناطة ١٢-١٥-١٦-١٨-٢٠

٢٢-٥٨-٦٥-٨١-٨٩-٩٤-٩٥

١٠٠-١٠١-١٠٤-١٠٥-١٠٩

٢٣١-٢٥٢-٢٥٣-٢٦٧-٢٦٨

٣٠٥-٣٦٤-٣٨٧-٣٩٠-٣٩٣

٤٠٢-٤٥٠-٤٥١-٤٥٥-٤٥٦

٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٧-٤٦٨

٤٧٠-٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٥

٤٧٧-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤

٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٤٨٩

٤٩٣-٤٩٦-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠

٥٠٣-٥٠٥-٥٠٨-٥٠٩-٥١١

٥١٦-٥١٧-٥٢١-٥٢٣-٥٢٩

٥٣٣-٥٣٥-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠

٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥

٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨-٥٧٢

الغزالي ٧١-٧٢-٧٣-٢٨٧-٢٨٨

٣٢٧

غمارة ٣٧٢-٣٧٥-٣٨٣-٣٨٤

- ف -

فاس ٥٠-١٩٣-٢٩٥-٣٠٣-٣١٠

٤٧٣-٤٧٤-٥٦٢

قشتالة ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٩٨ - ١٠٧

١٣٤ - ٢٥٠ - ٤٢٠ - ٤٤٩ - ٤٥١

٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٧٣ - ٥١٤ - ٥٣٧

٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٧٢

قلاوون ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٥٥١

القلعة : (معركة) ٧٨ - ٣١٧ - ٣١٩

القلقشندي ١٨

- ك -

كرت ٣٩

الكتيبطور ٢٤٧

- ل -

لسان الدين بن الخطيب ١٣ - ١٥ - ١٩

٢٠ - ١٠٢ - ١٠٣ - ٤٨٨ - ٤٩٣

٤٩٦ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠٣ - ٥٠٨

٥١٠ - ٥١٦ - ٥٢١ - ٥٢٤ - ٥٢٧

٥٢٩ - ٥٣٦ - ٥٦٣

- م -

المأمون : (خليفة عباسي) ٣٨ - ٣٩

٤٠

المأمون : (خليفة موحد) ٨٤ - ٩٤

٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٧

المتوكل على الله البطلبيوسي : (حاكم

بطلبيوس) ٦١ - ٢٤٠ - ٢٥٠ - ٢٥٥

محمد الثالث : (سلطان غرناطة) ٩٩

١٠٠ - ٤٥٠ - ٤٥٣

الفاطميون ١١ - ٤٢ - ٤٥ - ٤٨

الفتح بن خاقان ١٩ - ٢٠ - ٢٣٥ - ٢٩٣

الفرج بن كنانة ١٤١

فردلند ٦١ - ٢٤٦

فرناندو ٢٧ - ١٠٧ - ٤٢٠ - ٥٣٧

٥٣٨ - ٥٤٦ - ٥٤٨ - ٥٤٩

الفونسو ٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٥ - ٧٨

٩٨ - ٩٩ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠

٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٥٧

٢٥٨ - ٢٦٧ - ٣٠٢ - ٣١٠ - ٣١٧

٣٢٠ - ٣٢٢ - ٤٤٩

- ق -

القائم بأمر الله : (خليفة عباسي)

٦٩ - ٢٧٢

القالي : انظر : أبو علي القالي

قتيبة بن مسلم الباهلي ٣٠

قرطبة ٣٧ - ٤٠ - ٤٣ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٧

٥٩ - ٨١ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٩

١٣٤ - ١٥٣ - ١٧٥ - ١٩٣ - ٢٠٦

٢١٠ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٣٢

٢٤١ - ٢٩٦ - ٣٠٤ - ٣٢٤ - ٣٧٢

٣٩٤ - ٤٠٢ - ٤١٤ - ٤٢٥ - ٥١٨

قرمونة ٥٩

قسطنطين ٤٦ - ١٨٠

قسطنطينية ٤٣ - ٤٦ - ١٨١

محمد الرابع : (سلطان غرناطة) ٩٦

٩٩-١٠١-٤٦٣-٤٦٥-٤٦٧

محمد الخامس الغني بالله (سلطان غرناطة)

٩٦-١٠١-١٠٢-١٠٣-٤٩٣

٤٩٦-٤٩٩-٥٠٠-٥٠٣-٥٠٤

٥٠٨-٥١٠-٥١٦-٥٢١-٥٢٤

٥٢٧-٥٢٩

محمد بن زياد ١٥٣-١٥٤

محمد بن قاسم بن طماس ١٨٦

محمد بن القاسم الثقفي ٣٠

محمد بن عبد الرحمن الأوسط : (أمير

أندلسي أموي) ٤٠-١٤٩-١٥٢

١٥٣-١٥٤

محمد بن هاشم ٤٤-١٥٩-١٦٠-١٦١

١٦٤

المدجنون ١٠٠-١٠٩-٤٥٤-٤٦٦

٥٤٢-٥٦٤

المرابطون ٦٢-٦٤-٦٧-٢٥٣-٢٦٥

٢٧١-٢٩١-٢٩٧-٣٠٢-٣٠٥

٣٠٧-٣٠٩-٣١٠-٣١٧-٣٢٩

٣٣٠-٣٣٦-٣٤٠-٣٩٥-٤٠٢

مراكش ٨-٩-١١-٦٢-١٠٤-١٠٩

٣٨٥-٣٩٢-٣٩٣-٣٩٦-٣٩٨

٤٠٥-٤٤٩-٤٨٨-٥١٠

المراكشي : عبد الواحد ١٧-٤١٥

المرتضى الموحيدي : (خليفة موحيدي)

٢٣١-٢٧٠-٤٣٣-٤٣٥

مروان بن الحكم ٣٩-٤٠-١١١-١٤٦

المرية ٦٠-١٠١-٤٧٢-٤٨٠

المرينيون ٤٣٨-٤٩٥-٥١٦-٥٣٢

المستعربون ٥٦٦

المستعين بالله : (خليفة أندلسي أموي)

٢٢٩-٢٣٠

المستعين بالله بن هود ٦٥-٦٦-٢٦٨

٢٦٩

المستنصر الأموي : انظر الحكم المستنصر بالله

المستنصر بالله : (خليفة عباسي) ٧٤

٩٦-٤٣٩

المستنصر بالله (خليفة موحيدي) ٤١٦

٤١٧-٤١٩

المصاراة : (معركة) ٣٤

المصحفي ٥٣-٥٥-٢١٥-٢١٦-٢١٧

المظفر : عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر

٥٦-٢٢٥

معاوية بن أبي سفيان ٢٤

المعتصم بالله (خليفة عباسي) ٣٨-٣٩-٤٠

المعتصم بن صمادح ٥٨-٦٠-٢٣٥-٢٣٦

٢٣٧

المعتضد بن عباد ٥٨-٢٣٢

المعتمد بن عباد ٥٨-٦١-٦٢-٦٣

٦٤-٦٥-٦٦-٦٨-٢٣٦-٢٣٧-٢٤٢

٤٠٧-٤١٢-٤١٤-٤١٥-٤٢٥

٤٣٣

الموريسكيون ١٠٩-٥٦٤-٥٦٨

موسى بن نصير ٢٤-٢٥-٢٧-٢٨

٢٩-٣٠-١١١-١١٢-١١٤

١١٥-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١

١٢٢-١٢٣-١٢٤

- ن -

ناصر الدولة : عبد الرحمن بن المنصور بن

أبي عامر ٢٢٦-٢٢٧

الناصر : (خليفة موحد) ٩٣-٤١٤

- ه -

هاشم بن عبد العزيز ٤١-١٤٩-١٥٠

١٥١

هشام بن عبد الملك ٣٢-٣٣-١٢٦

هشام بن عبد الرحمن الداخل : (أمير

أموي أندلسي) ٣٦-١٣٤-١٣٥

١٣٦

هشام المؤيد : (خليفة أموي أندلسي)

٥٢-٢١٥-٢١٨-٢٢٥-٢٢٦

٢٢٨-٢٣٢

- و -

الوليد بن عبد الرحمن ١٤٩-١٥٠-١٥١

الوليد بن عبد الملك ٢٩-٣٠-٣١

١١٧-١١٨-١٢٠-١٢١

٢٤٤ ٢٤٨-٢٤٩-٢٥١-٢٥٢

٢٥٣-٢٥٤-٢٥٨-٢٦٦-٢٦٧

٢٦٨

المعز لدين الله الفاطمي ١١-١٨٥

المغرب الأقصى ٣٣-٤٥-٤٨-٥٠

٥١-١٠٢-١٣٦-١٨٤-١٨٥

١٨٦-٢٠٢-٣٢٩-٥٥٥

المقتدر بالله بن هود ٢٤٤

المقري ١٣

ملكة غرناطة ٤٣٨-٥٤٤-٥٤٦

منذر بن سعيد البلوطي ٤٧-١٨١

١٨٤

المنصور بن أبي عامر ٢٦-٥٣-٥٤-٥٥

٢١٥-٢١٨-٢٢٠-٢٢٢-٢٢٤

المنصور العباسي ٣٤-٣٩-١٤٦-٤٤١

٤٤٤-٤٤٥

المنصور الموحد ١٩-٢٦-٨١-٩٠

٩١-٩٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٧-٤٠٨

٩ ٤١٢-٤١٠-٤١٢

المهدي بن تومرت ١٧-٧٩-٨٢-٣٢٨

٣٢٩-٣٣٠-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٤٠

الموحدون ٧٩-٨٧-٩٤-٩٥-٩٦

٣٢٨-٣٣٠-٣٣٤-٣٤١-٣٤٣

٣٤٨-٣٦٢-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦

٣٦٧-٣٧٢-٣٧٨-٣٨١-٣٨٢

٣٨٣-٣٨٤-٣٩٠-٣٩١-٤٠٢

- ي -

يحيى الينار ٥٣٧

يحيى بن هاشم التجيبي ١٥٩-١٩٣

يزيد بن عبد الملك ١٢٥

يوسف بن تاشفين ٢٦-٦٢-٦٣-٦٤

٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧١-٧٢

٧٣-٧٤-٢٣٦-٢٣٧-٢٥٤-٢٥٥

٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٠٩-٢٦٥

٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧١

٢٧٢-٢٨٧-٢٨٨-٢٩٣-٢٩٤

٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧

يوسف الفهري ٣٣-٣٤-١٢٧-١٢٨

١٢٩-١٣٠

يوسف الأول أبو يعقوب : (خليفـة

موحدي) ٨١-٨٦-٨٧-٨٩-٩٦

٣٦٢-٣٦٨-٣٧٢-٣٨٥-٣٨٦

٣٨٧-٣٩٠-٣٩٣-٣٩٥-٤٠٣

٤٠٤

يوسف الأول بن إسماعيل : (ملك

غرناطة) ٩٩-٩٦٨-٤٧٠-٤٧١

٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٦-٤٧٨

٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٤

٤٨٥-٤٨٧-٤٨٨-٥٢٩-٥٣٣



مصادر الكتاب

- ١ - ابن الأثير ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . كتاب الحلة السيرة تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م . ٢ ج
- ٢ - ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . الكامل في التاريخ . القاهرة ، دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ١٢ ج
- ٣ - ابن تفردي بردي . النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م . ١٢ ج
- ٤ - ابن حيان الأندلسي . المقتبس في أخبار بلد الأندلس . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بغداد ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م .
- ٥ - ابن حيان الأندلسي . المقتبس من أنباء أهل الأندلس . تحقيق محمود علي مكي ، بغداد ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ م .
- ٦ - ابن الخطيب ، لسان الدين . الإحاطة في أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ م .
- ٧ - ابن الخطيب ، لسان الدين . تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعداء في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . تحقيق إ. ليني بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٥٦ م .
- ٨ - ابن الخطيب ، لسان الدين . تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعداء للوزير الفرناطي لسان الدين ابن الخطيب . تحقيق أحمد مختار المبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٦٤ م .
- ٩ - ابن خلدون ، عبد الرحمن . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . بيروت مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، ١٩٧١ م .

- ١٠ - ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م . ٦ ج
- ١١ - ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك . تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٦٤ م .
- ١٢ - ابن عبد الظاهر ، محيي الدين . تشريف الأنام والعصور في ريرة الملك المنصور . تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٩ م .
- ١٣ - ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ج ، ش ، كولون ، و . ا . ليفي بروفسال . بيروت ، دار الثقافة .
- ١٤ - ابن عذاري ، المراكشي ، أبو العباس . البيان المغرب ، الجزء الرابع قطعة من تاريخ المرابطين . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٧ م .
- ١٥ - ابن الفرات ، ناصر الدين محمد . تاريخ ابن الفرات . تحقيق الشباع ، البصرة .
- ١٦ - ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم . الإمامة والسياسة . تحقيق محمد محمود الرافعي ، القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٩٠٤ م . ٢ ج في مجلد واحد .
- ١٧ - ابن القطان . جزء من كتاب نظم الجمان لابن القطان . تحقيق محمود علي مكي ، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الانسانية .
- ١٨ - ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة . ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أمدروز ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م ، أعادت مكتبة المثنى طبعه بالأوفست .
- ١٩ - ابن القوطية . تاريخ افتتاح الأندلس . مجريط ، ١٨٦٧ م .

- ٢٠ - أرسلان ، شكيب . الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية .
بيروت ، دار مكتبة الحياة .
- ٢١ - القواني ، عبيد الكريم . مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس .
الدار البيضاء ، مكتبة الرشاد ، ١٩٦٧ م .
- ٢٢ - حايك ، سيمون . الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس . دار
النشر للجامعيين ، ١٩٦٢ م .
- ٢٣ - الحجي ، عبد الرحمن علي . أندلسيات : المجموعة الثانية . بغداد ،
دار الارشاد ، ١٩٦٩ م .
- ٢٤ - حرركات ، إبراهيم . المغرب عبر التاريخ . الدار البيضاء ، مطبعة دار
السامي ، ١٩٦٥ م .
- ٢٥ - الخشني ، أبو عبد الله محمد بن حارث . قضاة قرطبة . القاهرة ، الدار
المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .
- ٢٦ - دوزي ، رينهارد . تاريخ مسلمي إسبانيا . الجزء الأول الحروب
الأهلية ، تعريب حسن حبشي ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٩٦٣ م .
- ٢٧ - سالم ، السيد عبد العزيز . تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس . بيروت
دار المعارف ، ١٩٦٢ م .
- ٢٨ - الشعراوي ، أحمد إبراهيم . الأمويون أمراء الأندلس الأول . القاهرة
دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ م .
- ٢٩ - الضبي ، أحمد بن يحيى . بغية الملتهم في تاريخ رجال الأندلس : دار
الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م .
- ٣٠ - طرخان ، إبراهيم علي . المسلمون في أوربا في العصور الوسطى .
القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٦ م .
- ٣١ - عبد الله . مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة

المسماة بكتاب التبيين تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، دار المعارف
١٩٥٥ م .

٣٢ - علام ، عبد الله علي الدعوة الموحدية بالمغرب . القاهرة ، دار المعرفة
١٩٦٤ م .

٣٣ - علام ، عبد الله علي . الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن
علي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١ م .

٣٤ - عنان ، محمد عبد الله . دولة الاسلام في الأندلس . القسم الأول ، طبعة
رابعة مزيّدة منقّحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م .

٣٥ - عنان ، محمد عبد الله . دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي .
وهو العصر الثاني من كتاب دولة الاسلام في الأندلس . طبعة ثانية مزيّدة
منقّحة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٩ م .

٣٦ - عنان ، محمد عبد الله . عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس .
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ م . ٢ ج

٣٧ - عنان ، محمد عبد الله . نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين .
طبعة ثانية مزيّدة منقّحة ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
١٩٦٦ م .

٣٨ - القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي . كتاب صبح الأعشى في صناعة
الإنشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٤-١٩١٩ م . ١٤ ج

٣٩ - المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري . الذيل
واتتمكلة . تحقيق محمد بن شريفة ، بيروت ، دار الثقافة .

٤٠ - المراكشي ، عبد الواحد . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق
محمد سعيد المريان ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٣ م .

٤١ - المقري ، أحمد بن علي التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس
الوطيب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية
الكبرى ، ١٩٤٩ م .

- ٤٢ - مؤنس ، حسين . فجر الأندلس . القاهرة . الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ م .
- ٤٣ - النويري ، شهاب الدين ، أحمد . نهاية الأرب في فنون الأدب . الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م .
- ٤٤ - ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي . معجم الأدياء . تحقيق أحمد فريد الرفاعي ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٣٦ م . ٢٠ ج في ١٠ مجلدات



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المحتويات

الموضوع	الصفحة
١ - الاستهلال	٥
٢ - فصل تمهيدي : المدخل إلى الوثائق - دراسة وتزيف	٧
١ - أدوار التاريخ الأندلسي	١٠
ب - مصادر التاريخ الأندلسي والوثائق الأندلسية	١٢
١ - العصر الأول : زمن بني أمية حتى سنة ١٣٨ هـ	٢٣
ب - العصر الأول : عصر أمراء بني أمية في الأندلس ١٣٨ - ٤٢٢ هـ	٣٣
١ - عبد الرحمن الداخل ١٣٨ - ١٧٢ هـ	٢٣
٢ - الحكم الربضي ١٨٠ - ٢٠٦ هـ	٣٦
٣ - عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ	٣٨
٤ - محمد بن عبد الرحمن ٢٢٨ - ٢٧٣ هـ	٤٠
٥ - عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ	٤٢
٦ - الحكم الثاني المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ	٤٨
٧ - هشام المؤيد ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ	٥٢
ج - عصر ملوك الطوائف ٤٢٢ - ٤٨٧ هـ	٥٨
د - المرابطون ٤٥٣ - ٥٤١ هـ	٦٧
١ - يوسف بن تاشفين ٤٥٣ - ٥٠٠ هـ	٦٨
٢ - علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ - ٥٣٧ هـ	٧٤
هـ - الموحدون ٥١٥ - ٦٦٨ هـ	٧٩
١ - المهدي بن تومرت ٥١٥ - ٥٢٢ هـ	٨٢
٢ - عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ	٨٣

- ٣ - أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ ٨٦
- ٤ - أبو يوسف المنصور ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ ٩٠
- ٥ - الناصر ٥٩٥ - ٦١١ هـ ٩٣
- و - مملكة غرناطة وبنو حفص وبنو مرين وبنو هود ٦٢٥ - ٨٩٧ هـ ٩٥
- ز - المدجنون والموريسكيون ١٠٩
- ٣ - الوثائق ١١١
- ١ - زمن بني أمية حتى سنة ١٣٨ هـ ١١١
- ب - عهد أمراء وخلفاء بني أمية ١٣٨ - ٤٢٢ هـ ١٢٧
- ١ - عبد الرحمن الداخل ١٣٨ - ١٧٢ هـ ١٢٧
- ٢ - هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ - ١٨٠ هـ ١٣٥
- ٣ - الحكم الربضي بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ ١٤٠
- ٤ - عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ١٤٤
- ٥ - محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ ١٤٩
- ٦ - عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ ١٥٥
- ٧ - عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ١٥٦
- ٨ - الحكم المستنصر ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ ١٨٤
- ٩ - هشام المؤيد ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ ٢١٥
- ١ - المنصور بن أبي عامر ٢١٥
- ب - ابنا المنصور ٢٢٥
- ١٠ - المستعين بالله ٤٠٠ هـ ٢٢٩
- ج - ملوك الطوائف ٤٢٢ - ٤٨٧ هـ ٢٣٢
- ١ - علاقة الملوك بعضهم بعضاً ٢٣٢
- ٢ - علاقة ملوك الطوائف بملوك الاسبان حتى معركة الزلاقة ٢٤٦
- ٣ - علاقة ملوك الطوائف بملوك الاسبان والمرابطين حتى زوال ملكهم ٢٥٣

- د - المرابطون ٤٥٣ - ٥٤١ هـ ٢٧١
- ١ - يوسف بن تاشفين ٤٥٣ - ٥٠٠ هـ ٢٧١
- ٢ - علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ - ٥٣٧ هـ ٢٩٨
- هـ - الموحدون ٥١٥ - ٦٦٨ هـ ٢٢٨
- ١ - المهدي بن تومرت ٥١٥ - ٥٢٢ هـ ٣٢٨
- ٢ - عبد المؤمن بن علي ٥٢٤ - ٥٥٨ هـ ٣٤٠
- ٣ - أبو يعقوب يوسف الأول ٥٥٨ - ٥٨٠ هـ ٣٦٢
- ٤ - أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠ - ٥٩٥ هـ ٤٠٤
- ٥ - الناصر الموحي ٥٩٥ - ٦١١ هـ ٤١٤
- ٦ - المستنصر الموحي ٦١١ - ٦٢٠ هـ ٤١٦
- ٧ - العادل الموحي ٦٢١ - ٦٢٤ هـ ٤٢٢
- ٨ - المأمون الموحي ٦٢٤ - ٦٣٠ هـ ٤٢٤
- ٩ - الرشيد الموحي ٦٣٠ - ٦٤٠ هـ ٤٣١
- ١٠ - المرتضى الموحي ٦١٠ - ٦٤٦ هـ ٤٣٣
- و - مملكة غرناطة وبنو هود وبنو حفص وبنو مرين ٦٢٥ - ٨٩٧ هـ ٤٣٨
- ١ - مملكة غرناطة ٤٥٠
- ١ - أبو عبد الله محمد الثالث ٧٠١ - ٧٠٨ هـ ٤٥٠
- ٢ - إسماعيل الأول بن فرج ٧١٣ - ٧٢٥ هـ ٤٥٤
- ٣ - محمد الرابع بن إسماعيل ٧٢٥ - ٧٣٣ هـ ٤٦٣
- ٤ - يوسف الأول بن إسماعيل ٧٣٣ - ٧٥٥ هـ ٤٦٨
- ٥ - محمد الخامس النفي بالله ٧٥٥ - ٧٦٠ هـ و ٧٦٣ - ٧٩٣ هـ ٤٩٣
- ٦ - أبو عبد الله الصغير ٨٩٢ - ٨٩٧ هـ ٥٢٧
- ز - المدجنون والموريسكيون ٥٦٤
- ح - فهرس الوثائق ٥٧٥
- ط - كشف القبائ عام ٥٩٠
- ي - أسماء المصادر ٦٠١
- ك - المحتويات ٦٠٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
السلطنة الله الفردوس

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

تطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصاكية
هاتف: ٣٩٠٣٩ - ص.ب: ٧٤٦٠ - بركية: بيروت